



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

تصدر عن جامعة غرداية - الجزائر

رمد: 1112-7163-P
رمد: 2588-1892-E

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université de Ghardaïa

Revue « ELWAHAT » pour les Recherches et les Etudes

Editée par l'Université de Ghardaïa - Algérie

EISSN: 2588-1892
PISSN: 1112-7163



العلوم الإنسانية والإجتماعية



المجلد: 10 العدد: 02، ديسمبر 2017
الجزء

Sciences Humaines et Sociales



D

ELWAHAT

الجزء D

المجلد: 10 العدد: 02، ديسمبر 2017

Volume 10 N° 02, Décembre 2017

Section

D

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

مجلة أكاديمية فكرية محكمة

تصدر عن جامعة

غرداية - الجزائر

المجلد 10 العدد 2

ربيع الثاني 1439 هـ / ديسمبر 2017م

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

الإيداع القانوني رقم: 2006/2763

ردمد P-ISSN:1112 – 7163

ردمد E-ISSN: 2588 – 1892

كل الحقوق
محفوظة

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

ردمدم- P 7163 – 1112

ردمدم- E 1892 – 2588

هي مجلة علمية ذات لجنة قراءة متعددة الإختصاصات من جامعيين وخبراء دوليين. تنشر مجلة الواحات للبحوث والدراسات أبحاث في جميع الميادين. تنشر مقالات أصلية، وتحليلات علمية في مختلف المجالات. مجلة الواحات للبحوث والدراسات خمس (5) أجزاء:

جزء A: العلوم التطبيقية

جزء B: الحقوق والعلوم السياسية

جزء C: العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير

جزء D: العلوم الاجتماعية والإنسانية

جزء E: الآداب واللغات

الناشر

جامعة غرداية

حقوق النشر محفوظة

عند قبول مقال للنشر في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، يصرح المؤلفون بنقل حقوق النشر للنشر.

للاتصال

ترسل جميع المراسلات عن طريق البريد إلى مدير النشر:

العنوان: مجلة الواحات للبحوث والدراسات – جامعة غرداية ص ب 455
طريق المطار غرداية 47000 الجزائر.

أو عن طريق البريد الإلكتروني: elwahatk.abdellah@gmail.com

الهاتف: +213 029 25 81 14 الفاكس: +213 029 25 81 12

مدير المجلة: الأستاذ الدكتور دادة موسى بلخير

مدير النشر: الدكتور كعاسي عبد الله

اللجنة العلمية

دادة موسى بلخير (الجزائر)	سايدو توري أبو بكر (النيجر)	عجيلة محمد (الجزائر)
حليلات محمد الطاهر (الجزائر)	براندت ستيفاني (فرنسا)	قوي بوحنية (الجزائر)
قندوز بن ريمة عتيقة (الجزائر)	جيلي فيرونك (فرنسا)	بوساليم صالح (الجزائر)
ولد الحاج محمد ديدي (الجزائر)	أوداير جين ماري (فرنسا)	قرليفة حميد (الجزائر)
بيساطييو عافية سامية (الجزائر)	بن يحي يحي (الجزائر)	أولاد سعيد أحمد (الجزائر)
شحمة عبد المجيد (الجزائر)	هادية مشيخي (تونس)	كيحول بوزيد (الجزائر)
بدراوي محمد (المغرب)	توبي مصطفى (المغرب)	حاج محمد قاسم (الجزائر)
بن رحيم حفصية (تونس)	درابسا محمد (الأردن)	قدي عبد المجيد (الجزائر)
تيسي دانيال (فرنسا)	إنيجوانيجو أدولفو (إسبانيا)	غزو محمد أكلي (الجزائر)
تومبسون ميشال (الولايات م أ)	روزان منير (الأردن)	خنور صالح (الجزائر)
خلفاوي فتحي (الجزائر)	باجو مصطفى (الجزائر)	فرج فرج (مصر)
بحاز إبراهيم (الجزائر)	عبدالي محمد (الجزائر)	شايب ساسي (الجزائر)
جبلي نور الدين (الجزائر)	بن سعد محمد سعد (الجزائر)	حجاج عمر (الجزائر)
مصيطفى عمار (الجزائر)	جوادات محمد (المغرب)	حمودة عائشة (الجزائر)
بن سلامة محمد (الجزائر)	الشمري عماد (الأردن)	المجاري عبد الكريم (تونس)
حسيني مسعود (الجزائر)	محفوظ عبد اللطيف (المغرب)	حمادي أحمد (الجزائر)
سنوسي عبد الحكيم (الجزائر)	ماجد عيساني عبدول (الجزائر)	وولف جونج كايزر (فرنسا)
صانون سليمان (يوكينا فاسو)	عبد الخالق عيسى (فلسطين)	بوعبدلي أحلام (الجزائر)
غانمي محمد (تونس)	درماكي عائشة (سلطنة عمان)	خواجة عبد العزيز (الجزائر)
ناتالي موندي (فرنسا)	حسن زيدان سليمان (ليبيا)	بن سانية عبد الرحمان (الجزائر)
وقيد محمد العيد (الجزائر)	موسوي أحمد (الجزائر)	بوعرعور كمال (الجزائر)
شريطي عبد الكريم (الجزائر)	سلامي مختار (الجزائر)	مرزوقي أمجد (تونس)
بلبوخاري الناصر (الجزائر)	معراج هواري (الجزائر)	شول بن شهرة (الجزائر)
يوسف محمد (الجزائر)	مصيطفى عبد اللطيف (الجزائر)	أولاد حيمودة جمعة (الجزائر)
حاج سعيد عبد القادر (الجزائر)	الصمدي مصطفى (المغرب)	بجاس يسين (العربية السعودية)
حاج عيسى محمد (الجزائر)	غزير مولود (الجزائر)	بلعور سليمان (الجزائر)
وينتن مصطفى (الجزائر)	هيبه سيف الدين (الجزائر)	كواتي مسعود (الجزائر)

الجزء D

العلوم الاجتماعية والإنسانية

رئيس التحرير

الأستاذ كواتي مسعود (الجزائر)

لجنة القراءة

بوساليم صالح (الجزائر)	قرليضة حميد (الجزائر)
شايب ساسي (الجزائر)	شويرف عبدالعالي (الجزائر)
حجاج عمر (الجزائر)	حمدي أحمد (الجزائر)
حمودة عائشة (الجزائر)	فرج الفرج (مصر)
الماجري عبد الكريم (تونس)	بحاز إبراهيم (الجزائر)
سعادة رشيد (الجزائر)	باجو مصطفى (الجزائر)
أولاد حيمودة جمعة (الجزائر)	خواجة عبد العزيز (الجزائر)
يوسف قدوري (الجزائر)	الصمدي مصطفى (المغرب)
هيبة سيف الدين (الجزائر)	مونة عمر (الجزائر)

مجلة « الواحات » مجلة أكاديمية محكمة، تهدف إلى نشر الدراسات والبحوث الأصيلة المبتكرة في مختلف العلوم التي تهتم بدراسة الإنسان. تقبل المجلة البحوث والدراسات المكتوبة باللغة العربية أو اللغتين الفرنسية أو الإنجليزية.

لنشر في مجلة « الواحات » يشترط احترام قواعد النشر العامة والخاصة الموالية. إن المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العاملين في مختلف الجامعات ومراكز البحث الجزائرية والعربية والأجنبية.

أ- قواعد النشر العامة:

1. أن يكون البحث أصيلاً ، وتتوفر فيه شروط البحث العلمي المعتمد في كتابة البحوث الأكاديمية

2. الالتزام بمراجعة البحث من حيث الأسلوب واللغة.

3. يجب أن لا تزيد صفحات البحث عن 30 صفحة وأن لا تقل عن 06 صفحات. كما تحدد أبعاد الورقة بـ 16×24 و هوامش الورقة بـ 2×2×2×2

4. الالتزام بكتابة العناوين الرئيسية في وسط السطر والفرعية في الجانب.

5. الالتزام بإرسال السيرة الذاتية المختصرة بالنسبة للباحثين الذين يرسلون المجلة لأول مرة.

6. يجب أن لا يكون البحث قد سبق نشره في السابق و لم يقدم للنشر إلى جهة أخرى.

ب- قواعد النشر الخاصة:

7. فيما يخص كتابة النصوص:

- يكتب نص المقال ببرنامج وورد (Word)، بخط Simplified arabic.

ويحجم 14 بالعربية و 12 باللغات الأجنبية بخط Times New Roman

(العنوان الرئيسي بحجم 16 – والعنوان الفرعي بحجم 15 – والمقال 14 –

والهامش 12)

8. تخصص الصفحة الأولى من المقال لكتابة المعلومات الأساسية الموالية فقط : عنوان البحث، اسم الباحث أو الباحثين والدرجة العلمية، اسم المؤسسة أو المؤسسات التي يعملون لديها ، عنوان المراسلة، البريد الإلكتروني، وعنوان الصندوق البريدي.

9. تخصص الصفحة الثانية من المقال لتقديم ملخص للبحث في حدود 250- 150 كلمة والكلمات الدالة (من 3 إلى 7 كلمات)، باللغة الأم للمقال واللغة الإنجليزية.... يجب أن يعبر الملخص عن محتوى المقال بصورة شاملة وصادقة مع احترام الدقة في هذه الترجمات.

10. يبدأ تقديم البحث من الصفحة الثالثة بتكرار عنوان البحث وبدون تكرار اسم الباحث أو الباحثين.

11. يجب ترقيم الصفحات في الوسط وفي أسفل الصفحة.

12. فيما يخص إعداد الجداول والأشكال:

ترقم الجداول والأشكال ترتيبا تصاعديا وتوضع في مكانها المناسب في المقال. ويجب أن تقدم هذه الجداول في حدود مقاس الورقة وبالنمط العمودي (Portrait).

13. ترقم الخرائط والصور والأشكال ترقيما تصاعديا وتوضع داخل النص، ويشار إلى مصدرها كما يلي: اسم الخريطة أو الصورة أو الشكل رقم ()

فيما يخص الخرائط والصور:

مصدر الخريطة أو الصورة أو الشكل

14. ترسل الخرائط والصور في ملفات مستقلة عن النص، أي ملف لكل خريطة أو صورة وهذا من نوع جبيك (jpeg).

مثال (nom de l'image.jpeg)، شريطة أن تكون نوعية الصورة لا تقل عن (300 dpi).

15. إننا لا نقبل إلا الصور الرقمية ومن نوع جبيك (jpeg).

16. يجب أن يكون عدد الخرائط والصور محدود وتخص فقط تلك التي تقدم معلومات هامة لا يمكن الاستغناء عنها (أقصى حد من الصور هو 5).

17. فيما يخص إثبات المراجع والهوامش:

- تكتب المراجع كما يلي:
- 18. يشار إلى المراجع في آخر المقال على الشكل التالي :
- تسجل الكتب والمراجع في قائمة مصادر المراجع بصورة مرتبة ترتيبا أبجديا أو ألف باثيا. كما يلي: اسم الباحث أو الباحثين، عنوان الكتاب، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر.
- تسجل الدوريات في قائمة المراجع كما يلي: اسم الباحث ، عنوان البحث، اسم الدورية، العدد، مكان الصدور.
- 19. تكتب الهوامش كما يلي:
- يجب أن تكون الإحالات (الهوامش) متسلسلة بأرقام متتالية وتوضع في آخر المقال ومرتبة ترتيبا تسلسليا :
- سجل إحالات الهوامش كما يلي:
- إذا كانت الإحالة إلى كتاب: يكتب رقم الإحالة، اسم ولقب الباحث ، أو الباحثين، عنوان الكتاب، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر، الجزء أو المجلد، الصفحة التي توجد بها الفكرة أو الفقرة المنقولة.
- إذا كانت الإحالة إلى مقال منشور في دورية: يكتب رقم الإحالة، اسم ولقب الباحث، اسم المجلة أو الدورية ، العدد ، دار النشر، مكان النشر، الجزء أو المجلد، الصفحة التي توجد بها الفكرة أو الفقرة المنقولة.
- عند تكرار ذكر نفس المرجع، يكتب بعد رقم الإحالة نفس المرجع السابق والصفحة،
- في حالة ما إذا كان التكرار مباشر، وإذا فصل تكرار المرجع بمرجع آخر أو عدة مراجع أو صفحة جديدة، يجب ذكر بعد رقم الإحالة اسم ولقب الباحث ، الصفحة ثم مرجع سابق.
- 20. إذا كان المرجع موقع إلكتروني:
- 21. اسم الكاتب أو المنظمة. عنوان الصفحة الرئيسية، (شبكة الانترنت). عنوان الموقع URL (تاريخ تصفح الموقع: اليوم، الشهر، السنة).
- 22. إذا كان المرجع صفحة من موقع إلكتروني:

- اسم الكاتب (عنوان المصدر). عنوان صفحة المصدر أو الوثيقة التي تتضمن المصدر،(عنوان الصفحة الرئيسية)، (شبكة الأنترنت). عنوان الموقع URL (تاريخ تصفح صفحة الموقع: اليوم، الشهر، السنة).

ج - فيما يخص إجراءات النشر

23. تُرسل البحوث والدراسات وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى مجلة الواحات للبحوث و الدراسات عن طريق البريد الإلكتروني المنشور في موقع المجلة حسب الرابط التالي: <http://elwahat.univ-ghardaia.dz>

24. يرفق بالبحث موجز للسيرة الذاتية للباحث، متضمناً عنوان الباحث بالتفصيل، وأرقام هواتفه الخاصة و المنزل والعمل والفاكس - إن وجد - لكي يسهل التواصل مع الباحث عند الضرورة .

25. تخضع كل البحوث والدراسات إلى التحكيم السري من قبل محكمين مختصين.

26. تعرض الدراسات والبحوث على محكمين اثنين على الأقل لتقديم الخبرة حولها. وتعتبر هذه التقارير أساس القبول أو التأجيل لأي بحث أو دراسة. مع العلم أن المجلة يمكنها أن تطلب إدخال التعديلات التي تراها مناسبة بناء على تقارير المحكمين.

27. يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال ستة أشهر - على الأكثر - من تاريخ الاستلام

28. في حالة ورود ملاحظات من المحكمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها شهر.

29. الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى أصحابها و يعلم صاحب المقال بنتيجة التحكيم، كما أن المجلة غير ملزمة بتبرير ذلك.

يمنح الباحثون المقبولة بحوثهم نسخة من المجلة التي نشر بها بحثه.



الفهرس

الرقم	العنوان	الصفحة
01	الإعلام المحلي ودوره في مكافحة ظاهرة التصحر اذاعة المسيلة- أنموذجا- نش عزوز	946
02	الملاحم والفتن كتابا النبي دانيال وابن المنادي أنموذجا ياسر محمد ياسين البدري الحسيني	980
03	منطقة وادي ريغ من خلال المصادر الغربية (الحقبة الاستعمارية) بن صغير حضري يمينه	1013
04	العقل الفقهي النوازلي في الأندلس خلال القرن الثامن الهجري- مقاربة معرفية لفكر ابن لبّ وتلميذه الشاطبي- طاهر بن علي	1026
05	الثقافة العربية الإسلامية على خارطة بث الفضائيات العربية دراسة ميدانية من وجهة نظر الشباب الجامعي في الجزائر سلطان بلغيث	1048
06	الإيديولوجيا وبناء النظرية الاجتماعية رابح بن عيسى	1080
07	حوادث المرور بغرداية دراسة احصائية قرليفة حميد	1090
08	القيم... من الفكر الفلسفي إلى البحث السوسيولوجي فخار إبراهيم	1113
09	مفهوم ومكانة العمل في المجتمع قشار محمد	1132
10	العوامل السوسيو إقتصادية المؤثرة على رعاية الأطفال المتخلفين ذهنيا فاطمة مساني	1155
11	سبل النهوض بالخطاب المسجدي فهيمة بن عثمان	1181
12	مفهوم السياحة في التراث الإسلامي عبد العالي بوعلام	1204

1220	13	منهج أبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي في طرق دلالات الألفاظ على الأحكام من خلال كتابيه مختصر العدل وشرحه باباواسماعيل زهير
1243	14	سياسة التجريم بين الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري شرع عبد الرزاق و كيحول بوزيد
1272	15	التغير في ممارسات وعادات التغذية و التغير في الوضع الصحي نحو الأمراض المزمنة - قراءة من المنظور السوسيولوجي- طويل محمد
1289	16	موقف فرنسا من الصراع العربي الصهيوني 1947- 1957 بلعالية ميلود



الإعلام المحلي ودوره في مكافحة ظاهرة التصحر

اداعة المسيلة- أنموذجا-

نش عزوز^{3,2,1}

1/ قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية/ الجزائر

2/ مخبر الجنوب جامعة غرداية/ الجزائر

3/ قسم علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3/ الجزائر.

walid7866@gmail.com

الملخص -

نسلط الضوء في هذا المقال على الآليات الإعلامية المحلية الموجهة لمكافحة ظاهرة التصحر ، هذه الظاهرة البيئية الخطيرة التي تنعكس نتائجها على البعد البيئي و الاقتصادي و الاجتماعي لسكان المنطقة ، وبالتركيز على نموذج إذاعة المسيلة ، سنقف على أهم تدخلات هذه الإذاعة و إهتمامها بالمشاكل البيئية لاسيما ظاهرة التصحر التي يعاني منها سكان ولاية المسيلة من خلال برامجها الإعلامية التي تهدف إلى ترسيخ الثقافة و الوعي البيئي لدى المواطنين و فتح مجال الحوار بين السلطات المعنية و الجمهور . و من هذا المنظور لاشك أن الإعلام المحلي يلعب هو الآخر دورا كبيرا و لاسيما فيما يتعلق بالقضايا و المشكلات و التحديات لاسيما القضايا البيئية و التنموية على الخصوص .

الكلمات الدالة -

الإعلام المحلي ، ظاهرة التصحر ، آليات المكافحة ، الإعلام البيئي ، الوعي البيئي ، الإذاعة المحلية.

Summary -

In This Article, We Highlight The Local Media Mechanisms That Are Oriented To Fight Desertification; The Outcomes Of This Dangerous Environmental Phenomenon Affect The Residents Of The Area In Terms Of The Environmental, Economic And Social Dimensions. By Focusing On The Msila's Radio Model, We Will Stop At Its Most Important Interventions And Interests In The Environmental Problems Especially The Phenomenon Of Desertification That The Msila's Citizens Are Suffering From. This Will Be Attained Through The Consolidation Of Culture And Environmental Awareness Among The Citizens And By Providing The Opportunity For The Public To Have A Dialogue With The Concerned Authorities. From This Perspective, There Is No Doubt That The Local Media Plays A Dominant Role With Regard To The Issues, Problems And Challenges In General, And The Environmental And Developmental Issues In Particular.

Key Words -

Local Media, The Phenomenon Of Desertification, Control Mechanism, Environmental Media, Local Radio.

مقدمة -

يوجد توافق واسع في الآراء لدى الباحثين و الخبراء في مجال مكافحة ظاهرة التصحر سواء على المستوى الدولي أو الإقليمي أو المحلي، أن المخططات و البرامج الموجهة لمكافحة هذه الظاهرة لا تتصدى لها كما يجب وأن نتائجها مخيبة للآمال و ذلك نظرا للمشاكل الاقتصادية المترتبة و التكاليف الباهضة الموجهة في مشاريع و برامج الموجهة لمكافحة هذه الظاهرة باعتبار ضعف الاستثمارات الإنمائية في المناطق الجافة تحديدا يعزى بالأساس إلى عدم توافر بيانات و معلومات و إحصائيات موثوق فيها بشأن الأهمية الاقتصادية لتنمية الأراضي الجافة تنمية مستدامة ولاشك أن التصحر مشكلة عالمية تعاني منها العديد من البلدان في كافة أنحاء العالم. فمن بين المشاكل و التحديات البيئية التي عرفت الجزائر مشكلة التصحر ، هذه الظاهرة البيئية التي أصبحت تهدد أزيد من 27.4 مليون هكتار بالجزائر و تحديدا على مستوى الولايات منها الجلفة ، المسيلة ، النعامية ، بسكرة ، خنشلة ، باتنة ، الأغواط ، فضلا

على ولاية تلمسان و تيارت و سعيدة ناهيك عن المناطق التي تقع في الجنوب ، فيما تم إحصاء 13 مليون هكتار معرضة لظاهرة التصحر على مستوى 34 حوضا منحدرًا من مجموع 52 حوض . فولاية المسيلة تعرف ببوابة الصحراء هي من بين الولايات لا تزال تصارع الزمن من أجل رد هذا الزحف من الجنوب و في هذا الإطار خصصت المحافظة الجهوية لتطوير السهوب بالمسيلة أكثر من مليار دج لتمويل مشاريع مكافحة التصحر وإنجاز المحميات الرعوية وتكثيف إنتاج العلف وذلك على مدى عامي 2008 و 2009 على غرار المشاريع الأخرى المتعلقة بالتشجير ، ناهيك عن المخططات الإتصالية و الإعلامية التي تقوم بها المصالح الفلاحية و مديرية الغابات بالتنسيق مع إذاعة الحضنة بالمسيلة من أجل تجسيد برنامج تحسيسي إعلامي في مجال التطوير و النهوض بالمناطق السهبية و إشراك المواطنين في هذه المشاريع ، و السعي إلى توعية المواطنين بضرورة حماية البيئة وغرس مساحات خضراء و ذلك من أجل تنفيذ آليات اتصالية و إعلامية لمكافحة ظاهرة التصحر. كما يمثل الإعلام المحلي بكافة وسائله أداة أساسية في الوصول إلى المجتمعات المحلية ذات الأوضاع الخاصة، و يلاحظ أن معالجة القضايا الإنمائية تحديدا كانت هي الدافع الأول وراء انتشار و تطور شبكات الإذاعات المحلية المتعددة ، لأنه بات من الضروري أن يساهم الإعلام و بشكل أو بآخر لاسيما الإعلام المحلي في دفع مسار و أهداف التنمية بالشكل المطلوب ، تسعى من خلالها إلى توسيع نطاق المشاركة الشعبية العريضة في برامج التنمية. و تأسيسا لما تم طرحه يمكن لنا طرح الإشكالية التالية :

❖ إلى أي مدى يساهم الإعلام المحلي في مكافحة ظاهرة التصحر بولاية المسيلة

؟ و ماهي الأدوات الإتصالية و الإعلامية المتخذة في ذلك ؟

أ - مفهوم الإعلام المحلي و المفاهيم المرتبطة به:

أولا - مفهوم الإعلام :

الإعلام هو تزويد الجماهير بكافة الحقائق و الأخبار الصحيحة و المعلومات السليمة عن القضايا و الموضوعات و المشكلات و مجريات الأمور بطريقة موضوعية دون تحريف و هو وسيلة لتتوير الرأي العام و تكوين رأي صائب و صحيح للجمهور في كافة جوانب الموضوعات و المشكلات¹. والإعلام هو عملية اجتماعية مترابطة و متداولة مع بعضها البعض، يتم بموجبها نقل مادة أو مواد إعلامية بغض النظر عن

طبيعة و نوعية هذه المادة أو المواد من مرسل إلى مستقبل عبر وسيلة نقل ملائمة تخلق استجابة أو رد فعل لدى المتلقي سواء أكانت ايجابية أو سلبية تنعكس على أفكاره و تصورات و اتجاهاته و سلوكه.²

ثانيا- مفهوم الإعلام المحلي:

الإعلام المحلي هو ذلك الإعلام الذي ينطلق من القاعدة المحلية و تكون اهتماماته مركزة بصورة أساسية على منطقة جغرافية معينة تتمثل في مدينة معينة أو على الأكثر من ولاية بحيث تكون خصائصها الثقافية و التقنية و الجغرافية متجانسة أو على الأقل متقاربة.³ يعرف الإعلام المحلي أيضا: بأنه الإعلام الذي ينبثق في بيئة معينة و محدودة يوجه إلى جماعة بعينها ترتبط مع بعضها البعض في هذه البيئة بحيث يصبح الإعلام مرتبط ارتباطا وثيقا بحاجة هؤلاء الناس و مرتبط بثقافة البيئة المحلية و ظروفها الواقعية. هو نوع من الإعلام محدود النطاق يختص بالاهتمام بمنطقة معينة يمثل مجتمعا محليا و يمثل انعكاسا واقعيا لثقافة ذلك المجتمع المحلي المستهدف ، بغية خدمة احتياجات سكانه و محققا تفاعلهم و مشاركتهم.⁴

ثالثا- مفهوم الإعلام التنموي:

الإعلام التنموي نشاط إعلامي شامل متعدد الأبعاد و مبرمج و مخطط و هادف يشمل البعد الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي و المالي و الإداري و البيئي.⁵ وهو أحد الفروع الأساسية للنشاط الإعلامي الذي يهتم بقضايا التنمية، فهو إعلام هادف و شامل، ويفترض أن يكون إعلاما واقعيا. يهدف إلى تحقيق غايات اجتماعية تنموية. وهو مرتبط بالنواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية، ويستند إلى الصدق والوضوح والصراحة في التعامل مع الجمهور.⁶

رابعا- مفهوم الإعلام البيئي:

الإعلام البيئي هو أحد المقومات الأساسية في الحفاظ على البيئة من خلال إيجاد الوعي البيئي و إكتساب المعرفة و نقلها لتأهيل الجمهور نفسه ليكون أداة في نشر قيم المحافظة على البيئة و التخلي عن السلوكيات الضارة بها و يمكن أن تكون الجماهير فاعلة، فرديا أو جماعيا.⁷

– ظاهرة التصحر وأبعادها البيئية والدولية:II

أولاً- تعريف التصحر:

التصحر هو مفهوم مبهم وذو دلالات متعددة وقد دخل هذا المصطلح حيز الاستخدام منذ انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة الأول المعني بالبيئة في استوكهولم في عام 1972⁸ ووفقا للتعريف الوارد في جدول أعمال القرن 21 في الفصل 12 يعني التصحر تدهور التربة في المناطق شبه الجافة أو المناطق شبه الرطبة بسبب عوامل عديدة مثل التغيرات المناخية أو أنشطة الإنسان، كما برزت كلمة التصحر في خطابات التنمية الدولية منذ أن أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر 1974 قراراتين: الأولى دعوة الدول عامة الاهتمام بدراسات التصحر والتعاون فيما بينها لتقصي ظواهره و تبيين طرائق مكافحته ، و الثاني قرار منعقد في مؤتمر دولي عام 1977 في نيروبي (كينيا) في الفترة الممتدة من 29 أغسطس حتى 9 سبتمبر 1977.⁹ وبدأت كلمة التصحر كبديل للمصطلحات السابقة مثل " انجراف الصحراء" و هي تعني أن الصحراء تزحف عابرة حدودها الطبيعية لتتوغل على مناطق أكثر جفافا كالأحراش و حشائش السافانا في النطاقات الجنوبية للصحراء الإفريقية¹⁰ ووفقا لتعريف اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر ، يعني "مصطلح التصحر تدهور الأراضي في المناطق القاحلة و شبه القاحلة و الجافة و شبه الجافة الرطبة نتيجة لعوامل عديدة منها التغيرات المناخية والأنشطة البشرية.¹¹

ثانياً- أشكال و مظاهر التصحر : للتصحر مظاهر كثيرة تعبر عنه بصورة أو

بأخرى وأهمها:

1- **انجراف التربة :** وهو تآكل التربة ونقلها بفعل العوامل المناخية كالماء والرياح ورغم أن انجراف التربة ظاهرة طبيعية موجودة منذ الأزل إلا أنها ازدادت كثيرا مع زيادة النشاطات البشرية ونتيجة لمعاملات غير رشيدة كتدمير الغطاء النباتي. ويميزه عادة نمطان من الانجراف وهما :

أ- **الانجراف الريحي:** ويحدث الانجراف الريحي الذي يثير الغبار غالبا في أي وقت من السنة ويكون تأثيره كبيرا في المناطق التي تدهور فيها الغطاء النباتي وعندما تكون سرعة الرياح قليل في التربة الرطبة المتماسكة والمغطاة بغطاء نباتي كثيف ، أما في التربة الجافة والتي تدهور غطاؤها النباتي فتأثير الرياح فيها كبير

وهذا ما نلاحظه في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية حيث تجرف الرياح التربة مشيرة الغبار والعواصف الترابية.

ب- الانجراف المائي: للانجراف المائي أشكال متعددة اذ يمكن أن يكون سائبا (سطحيا) ويحدث نتيجة لجريان الماء السطحي، أو يكون عميقا على صورة خطوط تتجمع وتجرى فيها المياه أو يكون أخدوديا حيث تشكل المياه أخاديد كبيرة وعميقة. ويزداد فعل الانجراف المائي كلما كانت المنطقة منحدرية وعارية من النباتات وغزيرة الأمطار وهذا ما نلاحظه في المناطق الجافة حيث تسقط الأمطار على شكل عواصف رعدية وخلال فترة قصيرة لا تتمكن التربة خلالها من امتصاص مياه الأمطار فتتشكل السيول الجارفة.¹²

2- زحف الرمال يهدد زحف الرمال الأراضي الزراعية والرعية مما يحيل المنطقة المتأثرة بحركة الرمال إلى حالة من التصحر الشديد مما يؤدي إلى تدهور النظام البيئي نتيجة تخريب الغطاء النباتي.

3- تدهور الغطاء النباتي: والذي يتمثل في إزالة الغابات وتدهور الغطاء النباتي في المراعي حيث انخفض فيها الانتاج الرعوي وتدهورت أو انقرضت الأنواع النباتية

4- تملح التربة الزراعية: قد يكون تملح التربة الزراعية المروية من أخطر حالات التصحر في المناطق الجافة وشبه الجافة حيث تزداد ملوحة التربة وتنخفض خصوبتها وتتحول تدريجيا إلى تربة غير منتجة.¹³

ثالثا- أسباب ظاهرة التصحر وتداعياته:

أولا - عوامل وأسباب التصحر: تتداخل عدة عوامل وأسباب في ظاهر التصحر نذكر منها :

1- دور موجات الجفاف في التصحر: يحدث الزحف الصحراوي على نحو لا يمكن إزالة آثاره ليشمل مناطق جافة أخرى نتيجة لتضايف عاملين، عامل طبيعي وهو الجفاف، وعامل بيولوجي ناجم عن أنشطة الإنسان واستغلاله المفرط للغطاء النباتي والأراضي ، بينما يكون المناخ هو العامل المساعد فقط، وعلى المدى الطويل، أصبح الجفاف عاملا هيكليا من عوامل تنمية القطاعات الاقتصادية الحيوية في شمال إفريقيا (وبصفة خاصة تنمية الزراعة).¹⁴

2- أثر أنشطة الإنسان : إن السبب الرئيسي للتصحّر هو أن الفقر الذي يدفع معظم السكان إلى تحقيق الفائدة القصوى من أراضيهم في أقصر وقت ممكن. ونتيجة لذلك يمكن القول أن الاكتظاظ السكاني في شمال إفريقيا يساهم في تعجيل عملية التصحر. وفي المناطق الجافة وفي شمال إفريقيا يزداد عدد السكان بمعدلات غير عادية، حيث تتراوح نسبة النمو السكاني بين 2.5% و 3.5% في العام. ويعني ذلك أن عدد السكان يتضاعف كل 20 أو 28 سنة. وتفضي الآثار المتضاعفة لأنشطة الإنسان والحيوان (الرعي المفرط ، والإزالة العشوائية للأشجار، والممارسات الزراعية غير السليمة، واستخدام الأراضي الزراعية لأغراض لا تتلائم مع طبيعتها .. الخ .) إلى التدمير الجزئي أو الكلي للغطاء النباتي، وينجم عن ذلك تعرية جزئية أو كلية للتربة التي تتعرض لعوامل التعرية بفعل المياه والرياح.¹⁵

3 -أثر تغير المناخ في التصحر: سيقضي تلوث الغطاء الجوي للأرض بسبب انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون وغيره من غازات الدفيئة في العقود القادمة إلى احترار المناخ تدريجيا، وفي الواقع تشير نماذج الدوران الشامل للهواء في الغلاف الجوي إلى زيادة محتملة في درجة حرارة الهواء بحوالي 3 درجات مئوية في الطبقة السفلى للغلاف الجوي بحلول منتصف هذا القرن، إذا ارتفعت نسبة ثاني أكسيد الكربون من 360 إلى 700 (جزء من المليون من حيث الحجم). وسيؤدي ارتفاع درجة حرارة الهواء بثلاث درجات مئوية، فإن ذلك سيؤدي إلى زحف المناطق الشديدة الجفاف إلى المناطق الجافة وزحف المناطق الجافة إلى المناطق شبه جافة.¹⁶

ثانيا - تداعيات وآثار ظاهرة التصحر :

للتصحّر العديد من النتائج أبرزها : النتائج البيئية والاقتصادية والاجتماعية. أما النتائج الاقتصادية المباشرة فتتمثل بتدهور الأرض وتصحرها في ضعف قدرة البلدان على إنتاج الأغذية، وينطوي بالتالي على تخفيض الإمكانيات الإقليمية والعالمية لإنتاج الأغذية، كما أنهما يسببان أيضا في إحداث العجز الغذائي في المناطق المهدة، مع ما لذلك من آثار على الاحتياجات الغذائية وتجارة الأغذية في العالم. أما النتائج الاجتماعية للتصحّر فتتمثل في تزايد هجرة سكان الريف والرعاة نحو المدن طلبا للعمل ولحياة أفضل، وينتج عن هذه الهجرة ضغوط متزايدة، على

إمكانيات المدن المحدودة، وتساهم في زيادة معدل نمو سكانها أسرع من معدل نمو سكان الريف.¹⁷

III- اهتمامات المؤتمرات الدولية بمكافحة ظاهرة التصحر:

انبثقت عن قمة الأرض التي انعقدت في ريوديجانيرو عام 1992 ثلاث اتفاقيات بيئية دولية، هي اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر (UNCCD) واتفاقية التنوع الحيوي (CBD) واتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ (UNFCCC)، واتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر هي إحدى الاتفاقيات البيئية الدولية التي تناولها المجتمع الدولي بغية التصدي لمشكلة التصحر ومكافحته في البلدان التي تعاني من الجفاف والتصحر خاصة إفريقيا وقد تم إعدادها من قبل لجنة تفاوض حكومية شكلتها الأمم المتحدة، حيث اعتمدت الاتفاقية في 17 حزيران 1994 واعتبر 7 حزيران "اليوم العالمي للتصحر" بهدف زيادة الوعي الشعبي وتعزيز تنفيذ الاتفاقية وخاصة في الدول التي تعاني من التصحر والجفاف.¹⁸ كما تتيح اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر إطارا مرجعيا تشريعيا شاملا بشأن التصحر وتدهور الأراضي والجفاف لاسيما في الأراضي الجافة، حيث تتعاون دول الأطراف في الاتفاقية البالغ عددهم 195 دولة تعمل على تحسين ظروف عيش سكان المناطق الجافة والمحافظة على إنتاجية الأراضي من أجل استعادتها والتخفيف من آثار الجفاف.

وقد تناول المؤتمر العالمي الثاني اتفاقية مكافحة التصحر بالتحديد موضوع "التقييم الاقتصادي للتصحر والإدارة المستدامة للأراضي ومدى قدرة المناطق القاحلة وشبه القاحلة والجافة على التكيف"¹⁹ ويشكل برنامج مكافحة التصحر بما في ذلك تدهور الأراضي عنصرا محورا من عناصر صندوق مكافحة التصحر وينعكس هذا الاهتمام في برامج استثمارات الصندوق خلال الفترة ما بين 1999 و 2005 بلغت قيمة التزامات الصندوق للبرامج والمشروعات المتعلقة بأهداف اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر في البلدان التي تعاني من الجفاف الشديد والتصحر خاصة في دول إفريقيا نحو ملياري دولار أمريكي.²⁰ وقد واعتمد مؤتمر ريو دي جانيرو أو ما يسمى أيضا بقمة الأرض، ثلاثة نصوص رئيسية هي برنامج عمل القرن 21، وهو خطة مفصلة للعمل على الصعيد العالمي في جميع مجالات التنمية المستدامة، وإعلان ريو

بشأن البيئة والتنمية، وهو سلسلة من المبادئ التي تشتمل على الإدارة المستدامة للغابات على الصعيد العالمي. و قد أعقب هذا المؤتمر التوقيع على الكثير من الاتفاقيات الدولية: منها اتفاقية مكافحة التصحر الذي يؤثر في ربع مساحة اليابسة في بعض البلدان التي اعتمدت في عام 1994. بالإضافة إلى حماية الأراضي و التربة من التصحر وتهدف كذلك إلى محاربة الفقر. وعلى صعيد منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، ساعدت الاتفاقية على إقامة شراكات بين بلدان الشمال (المانحة) وبلدان الجنوب (المتأثرة). وفي الواقع، فقد انضمت جميع بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط الأوروبية إلى الاتفاقية، ولذلك فهي ستساهم في التمويل، ونقل التكنولوجيا والمعرفة والدراية في هذا المجال.²¹ كما أوصت الدول المتعرضة للتصحر والجفاف بإعداد برامج تكون أهدافها التعرف على العوامل المساهمة في عملية هذه الظاهرة واتخاذ الإجراءات المناسبة لمكافحةه والوقاية منه والتخفيف من حدة آثار الجفاف.²²

IV - واقع التصحر في الدول العربية والجزائر والجهود المبذولة للتصدي له:

أولاً - الوضعية الراهنة للتصحر في الوطن العربي:

يلاحظ في الدول العربية أن معظم الأراضي تعاني من التصحر و بدرجات متفاوتة ولأسباب متعددة وقد أدت هذه المشكلة إلى تداعيات بيئية واقتصادية خطيرة على السكان. حيث يغطي التصحر في بلاد العربية نحو 9.8 مليون كيلومتر مربع في المساحة الكلية أي نحو 68 ٪ من المساحة الإجمالية لدول العربية و أن هناك ما يزيد على 900 مليون نسمة من السكان يهددهم شبح الجفاف و الفقر و الجوع بالإضافة إلى 500 مليون هكتار من الأراضي الزراعية التي تحولت إلى صحارى كما أن الجفاف هو السمة المناخية الرئيسية في المنطقة العربية.²³ حيث تسود الأحوال الشديدة الجفاف والجافة في أكثر من 89 ٪ من المنطقة ، بينما تظل النسبة المتبقية وهي 11 ٪ من المناطق شبه القاحلة و المناطق المحدودة شبه رطبة قاصرة على الأراضي المرتفعة و يمتد سقوط الأمطار الهامشي الذي يزيد عن 350 ملميمترا في السنة على المناطق القاحلة بينما تشهد المناطق شبه القاحلة ما بين (400 - 800) ملميمتر في السنة و تشهد المناطق شبه الرطبة ما بين (800 - 1500) ملميمتر في السنة وهناك مساحات كبيرة في معظم بلدان شبه الجزيرة العربية و شمال إفريقيا مغطاة برمال متحركة فهي تمثل نحو 36.9 ٪ من مساحة المملكة العربية السعودية و معظم

الصحراء العربية في مصر أكثر من 25 % من المساحة الكلية و عدة مناطق في السودان و جنوب المغرب و تتضرر بلدان أخرى بنسبة متفاوتة.²⁴ ويشير واقع التصحر في الوطن العربي إلى أن معظم أراضيه متحصرة أو مهددة بالتصحر بفعل عوامل مختلفة أهمها الراعي الجائر و زيادة الحمولة الرعوية مما يعمل على الإخلال بالتوازن الطبيعي لنمو و تكاثر النباتات الطبيعية يؤدي إلى تدهور حوالي 21 % من الأراضي العربية بسبب قطع أشجار الغابات و الشجيرات الرعوية ، و عامل الملوحة و التوسع العمراني.²⁵

ثانيا - الجهود العربية المبذولة لمواجهة ظاهرة التصحر: منذ دخلت اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر حيز التنفيذ و ما تلاها من اتفاقيات و صكوك بشأن التنمية المستدامة و خاصة خطة جوهانسبورغ للتنفيذ ، تبذل الدول العربية المنظمات الإقليمية العاملة في المنطقة جهودا كبيرة لمواجهة ظاهرة التصحر و من أهم الإنجازات التي تحققت في معظم الدول العربية نذكر منها :

- المصادقة على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر و قد وضعت البلدان خططا وطنية لتنفيذها استنادا إلى المبادئ التوجيهية .
- إنشاء مجالس و مؤسسات وطنية مختصة تعني بتنسيق الجهود في إطار التعاون مع وزارة البيئة و غيرها من الوزارات المختصة .
- سن التشريعات و القوانين اللازمة للحد من تدهور الموارد و خاصة فيما يتعلق بالزحف العمراني مع مواد الأراضي المنتجة .
- اتخاذ مبادرات لإتباع النهج التشاركي و دعم أصحاب المصلحة في تخطيط الأنشطة و المشاريع ذات الصلة و تصميمها و تنفيذها .
- تسخير القدرات المالية لمشاريع الحد من التصحر على المستوى الوطني .
- تنفيذ عدد من برامج بناء القدرات و التوعية و الإعلام بقضايا التصحر في المنطقة و ذلك على مستويات مختلفة تشمل صانعي القرار و المختصين و كذا المواطنين .
- تنفيذ عدد من المشاريع المتكاملة بشأن مكافحة ظاهرة التصحر بالتنسيق مع الصندوق البيئة العالمي ، برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، و منظمة الأغذية و الزراعة للأمم المتحدة .

- إطلاق مبادرات لتعزيز الجهود الوطنية الرامية إلى مكافحة التصحر مثل إعادة تأهيل المناطق المتدهورة و تحسين انتاجيتها و التوسيع في استخدام مواد المياه غير التقليدية.²⁶

ثانيا - ظاهرة التصحر في الجزائر والجهود المبذولة لمكافحته :

1- واقع التصحر في الجزائر :تتعرض الجزائر إلى عدة مشاكل ذات طابع بيئي وخاصة المرتبطة منها بالوسط الطبيعي (نبات، تربة، مياه) كالانجراف المائي (توحد السدود، ضياع الأراضي الزراعية) والانجراف الريحي (تصحّر ترمل)²⁷ و يرى الخبراء الجزائريون أنه فضلا عن البعد البيئي لهذه الظاهرة فإن التصحر يطال كذلك الحياة الاجتماعية و الاقتصادية للسكان لاسيما الريفيين منهم الذين يعدون أكثر عرضة لهذا الخطر الطبيعي. و لطالما شكلت مكافحة التصحر أولوية بالنسبة للسلطات العمومية في مختلف برامج التنمية الاجتماعية و الاقتصادية للبلد وذلك منذ السنوات الأولى من الاستقلال الوطني²⁸ فظاهرة التصحر في الجزائر هي ظاهرة جغرافية تعني انخفاض أو تدهور قدرة الإنتاج البيولوجي للأرض ، مما قد يفضي في النهاية إلى خلق ظروف شبه صحراوية ، أو بعبارة أخرى تدهور خصوبة أراضي منتجة سواء كانت مراعي أو مزارع تعتمد على الري المطري أو مزارع مروية ، بأن تصبح أقل إنتاجية إلى حد كبير ، أو ربما تفقد خصوبتها كليا ،و إذا أشرنا إلى المناطق السهبية . فإن 20 مليون هكتار تتعرض للإستغلال غير العقلاني و خصوصا ظاهرة الرعي الجائر و المتمثل في زيادة أعداد الماشية على مساحة ذات قدرة محدودة على إطعام الماشية ، فتؤدي إلى اختفاء عدد كبير من النباتات الرعوية (12 مليون رأس من الماشية تعيش في المناطق السهبية) مما أدى إلى تناقص انتاجية هذه المناطق من 150 إلى 120 وحدة علف عام 1978 إلى 60 وحدة علف في الوقت الحالي. إضافة إلى ظاهرة انجراف المائي الخاصة في المناطق السهبية حيث تشمل 45 من المناطق التلية ، كتلال الأطلس التلي و الصحراوي و السهول المرتفعة ، إذ حصل انجراف 2000 طن سنويا في الأحواض السفحية و ذهاب 120 مليون طن سنويا من رواسب التربة في البحر. كما تعرف المناطق الداخلية للوطن ظاهرة الانجراف الريحي حيث تذكر بعض المصادر أن 6000.000 هكتار بالمناطق السهبية تعتبر متحصرة بسبب عوامل الانجراف الريحي و التساقط الغزير للأمطار.²⁹

2- جهود الجزائر في إطار سياسة مكافحة التصحر:

أ- على المستوى الوطني : إن الأهمية التي اكتسبتها ظاهرة التصحر على المستوى الوطني دفعت الجزائر إلى التفكير في استراتيجيات و آليات للتقدير الكمي لتدهور الأراضي ، حيث أنشأت معاهد و مؤسسات وعملت إلى اتخاذ الإجراءات و التدابير المتاحة للحد من هذه الظاهرة ففي منطقة السهوب التي تقع بين خطي يساوي المطر 300 ملم شمال و 200 ملم جنوب عملت الحكومة آنذاك إلى إنشاء السد الأخضر (Barrage vert) بحيث يعد مشروع السد الأخضر من أكبر المشاريع كان الهدف منه إقامة شريط نباتي من الأشجار من الشرق إلى الغرب قصد الحد من تقدم الصحراء نحو الشمال ووقف ظاهرة التصحر ، حيث أطلق مشروع السد الأخضر سنة 1971 للحد من تقدم الرمال نحو الشمال و منذ إنطلاقته في 1974 خلالها تم غرس 30580 هكتار.³⁰ و قد مر هذا المخطط بثلاثة مراحل :

- **العشرية الأولى : 1970- 1980** : تم خلال هذه العشرية إنجاز عملية التشجير على مساحة تقدر بـ 3 مليون هكتار بحيث تم تهيئة الأراضي و خلق المسائل .

أ- **المخطط الرباعي : 1980- 1984** : تم خلال هذه الفترة التوطين للمشاريع و إقامة الطرقات و المسالك و تحسين المراعي المتدهورة و استصلاح الأراضي الزراعية خصوصا الأشجار المثمرة ، و تعبئة المصادر المائية و تجنيدها ، و مقاومة التعرية المائية و الريحية.

ب- **المخطط الرباعي الثاني (الخماسي) : 1985- 1989** : كان الهدف منه غرس 100.000 هكتار و التوجه بالتهيئة إلى المستوى الزراعي الغابي و الرعوي و هذا بالتنسيق مع مكاتب الدراسات و المعهد الوطني للبحث الغابي و يتمثل في تحديد وضعية المرتفعات الغابية للأطلس الصحراوي.

- **العشرية الثانية 1994** : ، بعد توقيع الجزائر على اتفاقية مكافحة التصحر 22 ماي 1996 وضعت الجزائر هيئة وطنية مكلفة بمتابعة و تنفيذ البرنامج الوطني و مخطط الأعمال للبيئة و التنمية المستدامة و الهيئة الوطنية للتنسيق ONC و هذا قصد متابعة و تطبيق الإتفاقية الدولية لمكافحة التصحر في الجزائر.³¹ وفضل سياسة المشاريع الكبرى التي بادرت بها الحكومة منذ سنة 1994، تم تبني برنامج هام كان من نتائجه الايجابية:

السد الأخضر من خلال دعم و توسيع يشمل :

- ✓ إعادة تشجير 6500 هكتار و صيانة مزارع تقدر ب 27000 هكتار
- ✓ تحسين الأراضي الرعوية بما يقدر ب 8800 هكتار
- ✓ شق 3435 مشاتل في ولايات الجنوب (الوادي ،بشار ،ورقلة)
- ✓ في المناطق السهلية : تثبيت ما قدره 1050 هكتار من الكتبان الرملية
- ✓ تحسين أراضي رعوية تقدر ب 1000 هكتار³²

3- مشروع للتشجير و تطوير الغابات: أمام تفاقم خطورة وضعية المناطق

السهبية ، فقد تمت مباشرة أول مشروع لإعادة التشجير على مستوى الصحاري و(الجلفة) باعتبارها أهم المناطق على مستوى الوطني، إذ وجب تعزيزها بعمليات إعادة تشجير خارجية عن منطقة موحدة والتي قام بها الديوان الوطني للأشغال الغابية سنة 1968 ولهذا المشروع، تضاف مشاريع أخرى نذكر منه:

✓ . المشروع الغابي لاستصلاح الغابات في دوائر الجلفة وعين وسارة وبوسعادة (المسيلة) سنة 1969.

✓ . إعادة تشجير الحدود الخارجية لمدينة عين توتة سنة 1970

✓ . برنامج استصلاح المرتفعات الغابية بمدينة سعيدة سنة 1971.

4_ برنامج العمل لقطاع الغابات :

أ- الزراعة الرعوية : يتمثل الهدف منها في تحسين الإنتاجية و تقليص الضغط

على القطعان، إذ تم إنجاز 12.000 هكتار من المزارع حيث يوجد من بين الأنواع النباتية الرئيسية : القطف، التين الشوكي، السنط، الخروب، أشجار الزيتون .

ب- التشجير المثمر : الهدف منها إدخال زراعة أشجار الفواكه القوية على

مستوى المزارع العائلية من أجل تنويع مصادر إيرادات السكان . لقد تم إنزال عن 1.900 هكتار من بساتين الفواكه التي أنجزها أعوان الخدمة الوطنية، لصالح السكان، بحيث تم توزيع حتى يومنا هذا أكثر من 6.000.000 شتلة.³³

5- تثبيت الكتبان الرملية: تم الانطلاق في مشروع نموذجي لتثبيت الكتبان

الرملية على مساحة تقدر ب 20.000 هكتار، ابتداء من سنة 1982 على مستوى الزهور، حيث تبرز الظاهرة بشكل جلي، وتخص الانجازات الأولية المحققة حوالي 4.500

هكتار، كما تمت المبادرة بمشاريع أخرى، في الوقت الذي يتم فيه سنويا التكفل بأكثر من 12000 هكتار .

5- الهياكل القاعدية الاجتماعية - الاقتصادية :

تجدر الملاحظة في هذا الصدد إلى إنجاز 1.600 كلم من شق الطرقات و كذا تهيئة 633 كلم . وقد سمحت هذه العملية بإزالة العزلة عن عدد كبير من المناطق، مما يؤدي إلى ارتفاع عدد كبير من السكان .

أ- تعبئة الموارد المائية : وفي هذا الشأن، تم إنجاز 36 نقطة تموين بالماء وتم الاحتفاظ ب 11 نبع ماء لتلبية لحاجيات السكان و احتياجات تروية الماشية . و تبقى هذه الانجازات غير كافية إلا أنها تسمح في بعض الأماكن بالتقليص من حركة التنقل إلى نقاط التموين بالماء في المناطق البعيدة .

ب- إنشاء المشاتل : إنشاء 09 مشاتل للتزويد بالشتلات الغابية و المثمرة لولايات الجنوب (الوادي، بسكرة، ورقلة، ادرار، بشار، تندوف، عين قزام و اليزي) في إطار مشروع السد الأخضر على مساحة تقدر ب 95 هكتار من بينها 40 هكتار صالحة للزراعة.

ج- مساحات الحلفاء : تشهد هذه المساحات تقليصا مستمرا (حيث بلغت سنة 1950، 04 ملايين هكتار) و أصبحت اليوم تقدر ب 2 مليون هكتار (أي ما يعادل خسارة 50)

وقد تضائل إنتاج الحلفاء بمعدل 30.000 طن / سنويا في بداية سنوات التسعينيات، ليصل إلى 10.000 طن في سنة 1994 .

ج- مشروع مكافحة تراكم الرمال: تجدر الإشارة إلى أنه تم الترتيب فيما سبق منذ سنة 1995 إلى وضع برنامج الجنوب لمكافحة تراكم الرمال على المساحات الزراعية و الهياكل القاعدية و الاقتصادية و هو يتمحور حول :

_ 57.00 هكتار موجهة لوضع مصدات الرياح.

_ 750 هكتار تتعلق بإقامة حزام اخضر حول المناطق السكانية .

6- الندوة الوطنية للتنمية الفلاحية :

لقد سمح المؤتمر المنعقد في سنة 1996، للمصالح المختصة التابعة لوزارة الفلاحة و الصيد البحري بوضع برنامج لتنمية المناطق السهبية، بحيث يشمل هذا

البرنامج أكثر من 19 ولاية رعوية ذات الطابع الزراعي - الرعوي، و يتعلق أساسا بأعمال موجهة للقطاع الفرعي للغابات و يتمحور هدفه حول إعادة تنظيم عملية مكافحة ظاهرة التصحر كما تضمنت الإستراتيجية الموجهة لتنمية السهوب إلى سلسلة أعمال على المدين المتوسط و القصير تتحول حول:

- أعمال إعادة التشجير 362000 هكتار، إنشاء مشاتل 04 وحدات، أعمال تثبيت الكثبان الرملية و الجرف 398500 شق الطرق و تهيئتها 2822 كلم، مزارع لزراعة الأشجار القوية 2650 هكتار، إقامة أحزمة خضراء 12501 هكتار، إحياء إنتاج الحلفاء 9500 هكتار، حماية الأحرار و الغابات 1053400 هكتار. مزارع رعوية 502300 هكتار، بذور المساحات الزراعية و صيانتها 29500 هكتار .

7 - مشاريع محل تعاون لمكافحة التصحر : إن الولايات السهبية التي استفادت من مشاريع التعاون هي : خنشلة و تبسة . و يتعلق الأمر بمشروع الزراعي - الغابي - الرعوي لتنمية المناطق الجبلية لولاية خنشلة مع وكالة التعاون الألمانية و التي استدعى خبرائها من جديد من قبل بلادهم . هذا و يعرف مشروع التهيئة المتكامل للحوض الفرعي لواد ملاق بتبسة مع الصندوق الدولي للتنمية الفلاحية، أما بلدان المغرب العربي الممتدة في اتحاد المغرب العربي و كذا بلدان الساحل ، فقد نظمت بالتنسيق مع الاتفاقية حول مكافحة التصحر، لقاء بواقادوقو من أجل ترقية التعاون بين بلدان هذين الإقليمين الفرعيين . و في هذا الصدد، تم اقتراح عدة مشاريع مشتركة تتعلق بـ :

- 1- مشروع دعم مكافحة تراكم الرمال و تثبيت الكثبان في المناطق الجافة و شبه الجافة و ذلك بإدماج منطقتي نافنتة بتونس و الوادي بالجزائر، بحيث أصبح هذا المشروع مشروعاً نموذجياً جزائرياً - تونسياً.
- 2- مشروع متكامل لتحسين المساحات و خلق نشاطات زراعية في الواحات و حمايتها من تراكم الرمال بعين قزام (اليزي) بالجزائر، برج الخضراء بتونس و غدامس بليبيا .
- 3- مشروع دعم الزراعات الصغيرة، و التحكم في المياه و تهيئة المساحات و تثبيت الكثبان الرملية بالجزائر و كيدال بمالي، و أكاذر بالنيجر

8- **البحث العلمي :** توجد عدة معاهد ومراكز وجهت بحثها نحو مكافحة ظاهرة التصحر منها .

أ - **المعهد الوطني للأبحاث الغابية :** تم إنشاء لتطوير الأبحاث الغابية و التجارب ذات العلاقات بالثروة الغابية و الموارد الطبيعية ، يضم خبراء يتمتعون بخبرة و معرفة عالية في مجال البحث العلمي التالي : علم الاحراج و التهيئة الغابية ن التصحر، دراسة التربة و عوامل الانجراف تحسين نوعية الأشجار، علم دراسة الحشرات و أمراض الغابات ... الخ ، أما في مجال مكافحة التصحر فمن بين الأبحاث التي أجراها و النتائج المتحصل عليها نذكر:

- دليل تقنيات تثبيت الكثبان الرملية القارية و حماية المنشآت القاعدية و الاقتصادية والاجتماعية ضد الترميل
- دليل نتائج الأبحاث الغابية حول التسيير و المحافظة على الماء و البيئة و خصوبة الأراضي الجبلية .

ب - **مركز البحث العلمي و التقني للمناطق الجافة :** سطر هذا المركز برنامج وطني للبحث في مكافحة التصحر عن طريق ميزانيته الخاصة . فحوالي 50 مشروعا بحث هو حيز التنفيذ في إطار شبكة وطنية ما بين الوزارات عن طريق باحثين جامعيين بالمعاهد التالية : المعهد الوطني للأبحاث الفلاحية المعهد الوطني للأبحاث الغابية، المعهد الوطني لوقاية النباتات و الديوان الوطني للأرصاء الجوي .

ج - **مشروع بحث لوزارة الفلاحة بالتنسيق مع برنامج و التي تسعى فيه إلى** انجاز خريطة و وطنية لحساسية التصحر تغطي 20 مليون هكتار . هذه الخريطة تعتبر وسيلة مساعدة للتخطيط من اجل وضع برنامج مركز للتنمية الفلاحية .

9- **المخطط الوطني للتنمية الفلاحية :** هو بمثابة نظرة و إستراتيجية جديدة للنهوض بقطاع الفلاحة في الجزائر، بحيث وضع له آلية مالية و هي نظام الدعم عن طريق الصندوق الوطني للضبط و التنمية الفلاحية .

10- **المخطط الوطني للحماية من التصحر :** أعد هذا المخطط في حوالي سنة 1987، تدخل في مختلف برامج تطوير المناطق السهبية ، فقد جاء امتداد مشروع السد الأخضر بتحديد ميكانيكية الحرث وإعادة بنية الغابات المتأكلة في الأطلس الصحراوي بتحسين الفلاحة.³⁴

2- **على المستوى المحلي:** عرفت ظاهرة التصحر اهتمام محلي خاصة في سنة 2001 أين وجهت الدولة أولوياتها إلى الإهتمام بالبيئة و تجنب الأخطار الطبيعية و هذا بتكفل البلديات لإنجاز مخطط محلي للعمل البيئي المتوافق مع برنامج أجندة القرن 2 على آفاق 2001 إلى غاية 2010 يهدف إلى تحسين الوضع البيئي و ضمان تنمية مستدامة للبلديات و قد تم وضع أهمية للمناطق التي مستها ظاهرة التصحر و إدراجها ضمن المناطق ذات الحساسية للتصحر و قد صنف إلى مناطق ذات تصحر خفيف و مناطق ذات تصحر متوسط و مناطق ذات تصحر شديد .³⁵

رابعاً- واقع التصحر في ولاية المسيلة و دور محافظة الغابات في التصدي لهذه الظاهرة:

1- **الموقع الجغرافي لولاية المسيلة:** تعرف ولاية المسيلة كبوابة للصحراء وعاصمة السهوب وهذا نظرا لموقعها الذي تتميز به، حيث تقع في مواجهة أكبر وأخطر ظاهرة بيئية ألا وهي التصحر لذا فإن مكافحة هذا الأخير في هذه الولاية من شأنه أن يكون الفيصل أو معيار لمعرفة نجاح أو عدم نجاح مختلف البرامج والمشاريع المسطرة من طرف الدولة لمكافحة التصحر وهذا لأن الولاية تعتبر كحقل لتطبيق هذه المشاريع، وهذا ما يزيد من مسؤولية ومهام محافظة الغابات بالمسيلة . تمتد الولاية على مساحة تقدر ب : 17518 كلم ويقدر عدد سكانها ب : 1.031.000 ساكن (حسب RGPH 2008) ويبلغ متوسط الكثافة السكانية 57 ساكن / كلم². يحدها من الشمال ولاية سطيف و برج بوعريج و البويرة ومن الجنوب ولاية الجلفة و من الشرق ولاية باتنة و من الغرب ولاية المدية. ويسودها مناخ الأطلس التلي في الشمال مثالا في الهضاب السطيفية والأطلس الصحراوي في الجنوب تشكل تضاريس المنطقة فاصلا بين سلسلتين جبليتين هما سلسلة الأطلس التلي وسلسلة الأطلس الصحراوي وقد سمحت طبيعتها المورفولوجية بإعطائها طابعا بيئيا موحدا يتمثل في تغلب المناطق السهبية التي تغطي 12000 هكتار أي ما يعادل 63 % من المساحة الإجمالية. كباقي الولايات الأخرى التي تتميز بنفس الخصائص الجغرافية يبقى الطابع الرئيسي للولاية متمثلا في النشاط الفلاحي الرعوي والذي يرتبط غالبا بتساقط ضعيف وغير مستقر للأمطار. تتربع ولاية المسيلة على مساحة غابية تقدر ب : 210124 هكتار أي ما يعادل 11% من المساحة الإجمالية للولاية، وتتكون هذه الثروة

الغابية من أشجار الصنوبر الحلبي التشكيلية الرئيسية لهذه كما تقدر المساحة الحلفائية بـ 20.000 هكتار أي بنسبة تغطية تقدر بـ 09 % من المساحة الإجمالية للولاية.³⁶

ب - استراتيجية محافظة الغابات في إطار برنامج مكافحة التصحر :

تعد محافظة الغابات بالمسيلة أحد الفروع التي سطرت برنامج مكافحة التصحر وقد خصصت المحافظة الجهوية لتطوير السهوب بالمسيلة مبلغا يفوق 02 مليار و400 مليون دج خلال سنتي 2008/2009 لمشاريع مكافحة التصحر وإنجاز المحميات الرعوية وتكثيف المنتج العلفي ، و من أهم العمليات أشغال المياه السطحية وإنشاء السدود التحويلية، ومن أمثلة ذلك بناء 06 أخباب كبرى لمنع انجراف التربة، كما رصد مبلغ 150 مليون دج لتكثيف المنتوجات العلفية التي اشتكى موالو الولاية من نقصها في الأشهر الأخيرة، ففي مجال حماية المساحات الرعوية تعمل المحافظة على إنجاز 15 ألف متر طولي من السواقي و1200 أخرى آبار، كما أن هناك مشاريع أخرى تتعلق بتزويد 50 مسكنا بالمناطق الريفية بالطاقة الشمسية وغرس أكثر من 90 هكتارا بالأشجار المثمرة، وتدعيم 90 امرأة ريفية بعمليات تضمن لهن نشاطا قارا، وتجدر الإشارة إلى أن هناك 16 بلدية معنية بهذه المشاريع ضمن برنامج الهضاب العليا.³⁷ و تماشيا مع أهداف المخطط الوطني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فالمحافظة أداة تطبيق المخططات والبرامج المقررة في مجال التنمية وترقية الثروة الغابية الوطنية. و تنمية المناطق الريفية والجبلية، و مساحات الحلفاء اعتمادا على الأسس التي تحددها الإدارة العامة للغابات. تسهر محافظة الغابات على ما يلي :

- عملا بالأحكام المسطرة في القانون العام للغابات تحمي و تسير الأراضي ذات الصبغة الغابية و تكافح الانجراف و التصحر تشجيع الأعمال التي تكون لصالح السكان المجاورين للغابة كما تتولى المحافظة في مجال التهيئة و التسيير و الاستغلال الغابي ما يلي :

- إنجاز الجرد الغابي ومسح الأراضي الغابية بتبادر بدراسات التهيئة بتبادر ببرنامج التشجير وتعددها ، تشارك بالاتصال مع المؤسسات المعنية في برنامج مكافحة الانجراف و التصحر تشارك بالتعاون مع الهياكل المعنية في تنمية الفلاحة الجبلية و

تقوم في مجال ترقية الأعمال الإنتاجية التكميلية التي تستهدف تحقيق الاستقرار لسكان الأرياف.

1- مضمون المشروع الجوّاري لمكافحة التصحر:

أعمال جماعية منجزة لفائدة المربين والمزارعين المربين والجماعات المحلية ممثلة في:

1. مكافحة التصحر 2- صيانة وتنمية المراعي - 3تنظيم الرعي

2- حماية الموارد المائية السطحية وإعادة الاعتبار لها :

إنجاز 09 سد ود تحويلية - إنجاز 04 وحدات غدير - إنجاز 04 آبار ارتوازية - رعوية و تجهيزها بأحواض ومعدات الضخ بالطاقة الشمسية - إنجاز وتهيئة 3400 متر طولي من السواقي وقنوات الري - سقي 1740 هكتار من المحاصيل الكبرى والبساتين .

3- صيانة وتنمية المراعي وحماية الغطاء النباتي السهبي :

- غراسة رعوية 550 هكتار.
- إنشاء محميات رعوية المراعي السهبية 5000 هكتار.
- زيادة القدرة الإنتاجية للمراعي وحماية الثروة الحيوانية :

- تطوير الوحدة إنتاجية /الهكتار إلى 1000.000
- التكفل بتغذية وتوريد 15400 رأس غنم

❖ صيانة الأراضي والمياه :

- أشغال التصحيح السيلي لشعاب الأودية : 8500 م3
- حماية 1700 هكتار من الأراضي .

❖ فك العزلة :

- فتح 18 كلم من المسالك الفلاحية
- ❖ تحسين المستوى المعيشي للسكان :

- تجهيز 17 سكن ريفي بالطاقة الشمسية

❖ التشغيل : استحداث 915 منصب شغل مؤقت³⁸.

V - الإعلام المحلي: مفهومه وأهميته وأهدافه ووسائله المختلفة:

يتمثل الإعلام المحلي بكافة مستوياته البسيطة و المركبة ، المباشرة و غير المباشرة أداة أساسية للوصول إلى مختلف المجتمعات المحلية ذات الأوضاع والظروف

الخاصة التي تختلف عن غيرها من المجتمعات داخل الدولة الواحدة. فالغاية من إنشاء الإذاعات المحلية في الدول النامية و التي تصنف الجزائر من ضمنها ليست نفسها في الدول الأكثر تقدما و التي وصلت اليوم إلى ما يطلق عليه الإذاعات المتخصصة.³⁹

أولا : مفهوم الإعلام المحلي : الإعلام المحلي كل وسيلة من وسائل الإتصال الجماهيرية التي تبث برامجها على المستوى المحلي للمجتمع فهي بذلك تهتم بمعالجة القضايا الاجتماعية و الاقتصادية و غيرها و ذلك قصد التقرب من المواطن المحلي لخدمته و من بين هاته الوسائل نجد الإذاعة المحلية كوسيلة إعلامية ساخنة التي تعمل على تحقيق التدفق الإعلامي الفوري و توصف كذلك بأنها الوسيلة الأكثر تفاعلية لتداول الأخبار و الأفكار و الآراء عن طريقة المشاركة .⁴⁰

ثانيا - أهمية الإعلام المحلي :

- يعتبر وسيلة لتزويد أفراد المجتمع بالثقافة و التربية و التعليم و دفعهم إلى إدراك علاقة التعليم بالتنمية الاجتماعية و الاقتصادية .
- يشجع من خلال برامج التربوية و الثقافية و النشاطات الاجتماعية و الحضارية خاصة بالنسبة لنمو المستوى المحدود و الأميين.
- يشارك في عملية تزويد الأفراد بالمعلومات الحضارية المتعلقة بأمور حياتهم و بظروفهم المعقدة و مشاكلهم اليومية ، إضافة إلى زرع القيم و تنمية الممارسة الإيجابية و خصائص السلوك الجيد بحيث تؤثر هذه القيم تأثيرا إيجابيا .
- الإعلام المحلي وسيلة لمعالجة الممارسات الضارة و التنبيه بأخطارها و انعكاساتها على المجتمع.⁴¹

ثالثا - أهداف الإعلام المحلي :

- يمثل الإعلام المحلي بكافة وسائله المباشرة و غير المباشرة أداة أساسية للوصول إلى انشغالات المجتمعات المحلية ذات الأوضاع الخاصة - مناقشة المشكلات الحية و محاولة إيجاد حلول لها و الاهتمام بالتنمية .
- نقل الأحداث للجماهير و تشجيع الأفراد على التعبير بأنفسهم حول مستقبل مجتمعهم .

- تلبية الحاجات الثقافية والإعلامية للمجتمع المحلي ودعم القيم الفردية و الجماعية على المستوى المحلي.

رابعاً - وسائل الإعلام المحلي :

أ - التلفزيون المحلي : عرف التلفزيون المحلي في الجزائر إلى إنشاء مجموعة من المحطات العمومية للقطاع العمومي تقوم ببث برامجها المشتركة مع التلفزيون الوطني و هي محطة قسنطينة ، محطة وهران ، محطة ورقلة و محطة بشار و للتلفزيون المحلي دور كبير في تدعيم برامج التنمية و تنمية الريف بصورة خاصة بهذا يعتبر التلفزيون الوسيلة الإعلامية المثالية للتوعية من مخاطر التلوث و حماية البيئة لأنها وسيلة تثير اهتمام الجمهور.⁴²

ب - الإذاعة المحلية : الإذاعة المحلية أحد روافد الإعلام المحلي الذي ينبثق من بيئة معنية و محدودة و يوجه إلى جماعة بعينها، بحيث يصبح الإعلام مرتبطا ارتباطا وثيقا بحاجة هؤلاء الناس و متصلا بثقافة البيئة المحلية و ظروفها الواقعية ، كما تضطلع بدور الاقتراب من المواطن و إشباع دوافعه المتعددة و التي من بينها العيش في بيئة نظيفة و صحية إلى جانب ضمان فاعلته مواردها لأجيال الحاضرة و المستقبلية.⁴³

ج- الصحافة المحلية : الصحافة المحلية هي تلك الصحافة التي تركز على الأخبار و القضايا و المشاكل اليومية للمجتمع المحلي مع إمكانية تطرقها لبعض المواضيع الوطنية و العالمية ، باعتبار المجتمع المحلي هو البيئة التي تستقي منها الصحافة المحلية مادتها الأولية في التفاف الجمهور حولها و ارتباطهم بها و على أية حال فإن الصحف المحلية لا يمكنها الإسهام بدور فعال في ما لم تكون هناك ثقة متبادلة بينها و بين قرائها ، بحيث تستطيع الصحافة المحلية أن توضح العديد من القضايا البيئية و كيفية التخفيف من حدتها و خطة الدولة للتغلب عليها و دور الفرد في ذلك.⁴⁴

رابعاً- أهمية الإعلام المحلي في مواجهة المشاكل البيئية :

يعتبر الإعلام المحلي المهتم بقضايا و شؤون البيئة جزء من السياسة البيئية المحلية و ليست مجرد أداة لإعلان سياسة بيئية جاهزة ، كما أنه يهدف إلى تنمية الوعي البيئي لدى قطاعات المجتمع المختلفة من السكان حتى تكون لها فرصة

المشاركة بفعالية في تطور السياسة البيئية ومراقبتها ومراجعتها وتهيئ للجمهور والمسؤولين دعم تنفيذ السياسات والتدابير البيئية.⁴⁶

VI - إذاعة المسيلة المحلية ودورها في مواجهة ظاهرة التصحر:

شكلت الإذاعات المحلية تجسيد لممارسة المواطن الحق في إعلام خاص به وبمنطقته يعبر عن ثقافته وعاداته وتقاليده وكما يتناول المشاكل الخاصة به وبمنطقته، و يأتي إنشاء إذاعة المسيلة الجهوية ضمن مخطط وطني يهدف إلى إعلام جوارى يهتم ويتفاعل مع انشغالات المواطنين اليومية في مختلف مجالات التنمية والحياة الاجتماعية، و الخدمة العمومية المنبثقة من إرادة وطنية جسدتها الإذاعة الجزائرية من خلال تحويل مبدأ حق المواطن في الإعلام إلى واقع ملموس تؤكد عشرات الإذاعات الجهوية المنتشرة عبر ربوع الوطن.

1- نبذة تاريخية عن إذاعة المسيلة: بدأ التجسيد الميداني لمشروع إذاعة المسيلة الجهوية بداية 2002 و خلال يوم 07 أكتوبر 2003 تم افتتاح إذاعة الحضنة الجهوية بالمسيلة كإذاعة محلية تساهم في فك العزلة الاجتماعية لبعض المناطق النائية و كانت في البداية تبث على مدار 4 ساعات في اليوم و لكن بفضل تحديث التقنيات و أجهزة الإرسال و الإنتاج السمعي البصري الجيد تم تمديد ساعات البث في كل الإذاعات المحلية إلى أكثر من 8 ساعات، و كلها تسعى لخدمة مواطن تلك المنطقة و طرح إنشغالاته في شتى المجالات الاجتماعية و الاقتصادية و التنموية و الثقافية الخ، من خلال البرامج المتنوعة التي يتم بثها عبر الأثير. تبث برامجه باللغة العربية على موجة أف أم 102.10 شهدت إذاعة المسيلة المحلية منذ انطلاق بثها تطورات ومراحل عدة خاصة فيما يتعلق بتنوع الشبكات البرمجية إضافة إلى الحجم الساعي للبث اليومي و هو ما توضحه النقاط التالية:

- انطلاق البث بشبكة برمجية على مدى 04 ساعات يوميا من 09.00 صباحا إلى 13.00 ظهرا وذلك من تاريخ 07 أكتوبر 2003 إلى 04 جويلية 2004 .
- ثم تطور الحجم الساعي للبث اليومي ليرتفع بتاريخ 05 جويلية 2004 إلى 08 ساعات بث يوميا من الساعة 8.00 صباحا إلى 16.00 مساء .
- و بتاريخ 15 جوان 2006 تقرر توسيع حجم البث الساعي إلى 12 ساعة بث يوميا من الساعة 07:00 صباحا إلى الساعة 19:00 مساء .

حاليا البث اليومي يقارب 13 ساعة يوميا من الساعة 06:40 صباحا على 19:30 مساء وفق شبكة برامجية متنوعة.⁴⁷

2- **هيكلها التنظيمي** : مثل كل الإذاعات ، توجد بإذاعة المسيلة المحلية عدة أقسام تتكامل فيما بينها لتضمن استمرارية البث والمادة الإذاعية حيث تتكون من خمسة أقسام تتكامل فيما بينها لتضمن استمرارية البث والمادة العلمية. وتتضمن هذه الأقسام في :

1- **قسم الإدارة** : ويحتوي على : مديرة الإذاعة بصفته المشرف العام على الإذاعة ، ورئيس مصلحة مكلف بالدراسات . مكلف بالإشهار . ملحقين إداريين . كاتبين إداريين. 5 أعوان أمن. 3 سائقين.

2- **قسم الأخبار** : ويحتوي هذا القسم على 09 صحفيين يقومون بتقديم الفقرات التالية:

- تقديم الموجز الإخباري على رأس كل ساعة.
- إعداد الروبورتاجات الميدانية لنشرة الأخبار المحلية اليومية.
- استقبال المراسلات من مختلف دوائر وبلديات الولاية.
- تقديم نشرة الأخبار المحلية يوميا.
- تقديم برامج مختلفة حول القضايا المحلية التي تشغل المواطن المسيلي .
- 3- **قسم الإنتاج** : ويتكون من المخرجون حيث تتلخص مهامهم في النشاطات

التالية:

- الإشراف على البث المباشر.
- ضمان مختلف التسجيلات للبرامج والفقرات.
- المساهمة في إعداد وتقديم البرامج أسبوعيا.
- ويحتوي هذا القسم على 11 منشط و تتحدد مهامهم وفق برنامج عمل اليومي الذي يتضمن ما يلي :

- ضمان الفترة التنشيطية اليومية - إعداد وتقديم البرامج الأسبوعية.

كما يقوم قسم الإنتاج:

- إعداد وتنفيذ مختلف الإعلانات - إعداد الفواصل الإشهارية - إعداد فقرات بين مختلف البرامج .

4- القسم التقني :

يحتوي على مهندس و 04 تقنيين ويعملون وفق المهام التالية :

- ضمان البث اليومي المباشر- ضمان مختلف التسجيلات الداخلية والخارجية - القيام بمختلف عمليات التركيب والمزج التي يتطلبها العمل الإذاعي- المراقبة اليومية للأجهزة والوسائل وصيانتها.

5- شبكة البرامج : يتم تحضير وإعداد شبكة البرامج بقسم الإنتاج تحت الإشراف المباشر لمدير المحطة وينبغي مراعاة الشروط التالية:

- الطابع المحلي لأغلب البرامج.
- التنوع في المحتوى من جميع شرائح المجتمع وأطيافه.
- مراعاة التقسيم الزمني للبرامج بما يتوافق مع مقاييس العمل في الإذاعات المحلية.
- التركيز على البرامج التشاركية مع المستمع.

وبالإضافة للعمال الدائمين هناك العمال بالقطعة وهم المراسلين والصحفيين من مختلف دوائر ولايات الوطن من أجل التغطية الإخبارية اليومية.

3- المعالجة الإعلامية بإذاعة المسيلة المحلية و ظاهرة التصحر :

لقد أصبح الاهتمام بالمواضيع البيئية و التنمية عبر وسائل الإعلام المحلية يأخذ موقعا هاما ضمن شبكة البرامج المحلية التي تهتم بالقضايا و المشكلات البيئية التي تعاني منها المناطق و المدن ، و في هذا الاتجاه لعبت الإذاعة المحلية بالمسيلة دورا كبيرا و هاما فيما يتعلق بالمواضيع التي تشغل المواطن المسيلي من جهة و فئة الفلاحين من جهة ثانية بحكم أن هذه الولاية تتمتع بالطابع الفلاحي بالدرجة الأولى و في إطار تفعيل و تنوع البرامج التي تتعلق بالتنمية المحلية و كذا القضايا البيئية الذي يدخل ضمن مخطط إعلامي تنموي يهتم باحتياجات الجمهور المحلي بهدف تنمية و ترسيخ مبادئ التوعية و التثقيف البيئي التنموي الموجه خاصة إلى السلطات المحلية و شريحة الفلاحين و مربي المواشي و الدواجن . تم إعداد أجندة اعلامية تتضمن مواضيع و قضايا تتعلق بالبيئة و التسلط الضوء على التحديات التي يعاني منها سكان المنطقة خاصة منها ظاهرة التصحر و زحف الرمال الذي امتد

- إلى الأراضي الزراعية و المناطق العمرانية . تهدف مضامين البرامج الإذاعية المتعلقة بموضوع ظاهرة التصحر والتحديات التي تعاني منها المنطقة إلى ما يلي :
- تنمية الوعي البيئي لدى الأفراد بخصوص الآليات المتخذة لمواجهة المشكلات البيئية وظاهرة التصحر على وجه الخصوص .
- تشجيع المواطنين و لاسيما المرأة الريفية بالمشاركة في المشاريع الموجهة لمكافحة التصحر من خلال استغلال الأراضي الزراعية وإعادة تأهيل الأراضي البور.
- إعطاء توجيهات و إرشادات فلاحية و بيئية لاسيما لفئة مربّي المواشي و الفلاحين على الخصوص .
- الوقوف على الأسباب الحقيقية لظاهرة التصحر وانعكاساتها على حياة الفرد لشكل خاص. كما قامت إذاعة المسيلة في العديد من المناسبات بإضافة ممثلي محافظة الغابات بولاية المسيلة ، و خبراء في مجال البيئة للحديث عن موضوع التصحر وفتح النقاش المباشر مع المواطنين للإستفسار عن هذه خطورة على الأراضي وعلى المحاصيل الزراعية و تربية الحيوانات ⁴⁷.

أولا - إذاعة المسيلة المحلية وظاهرة التصحر/ أدوات المعالجة الإعلامية

- تعتبر برامج البيئة من أولويات الإهتمام الإذاعي المحلي خاصة ابتداء من سنة 2007 إلى غاية اليوم من القضايا التي تولي إذاعة الحضنة اهتماما كبيرا موضوع التصحر ومخاطره و سبل مكافحته وآليات الوقاية منه :
- الاعداد الجيد و المهني لصحفي الاذاعة للمواد المكتوبة و المذاعة، بجوانبها المختلفة - العمل على استعراض الإعداد الجيد من خلال البرامج الوثائقية بالريف المحلي بالمسيلة مثلا - استخدام الوسائط المتعددة في إعداد البرنامج والمتمثلة بالنص والصوتيات بمؤثراتها ومصادرها المختلفة والصور الرقمية من خلال الكاميرات الرقمية الخاصة وأجهزة المسح الضوئي والأرشيف الرقمي والكلمات الحية المصحوبة بالصوت بشكل يجسد التكامل بين أكثر من صورة لتوصيل الأفكار أو في التعليم و التربية و التسلية بالمجتمع الريفي و الحضري .
 - الاستعانة ببنك المعلومات التي تخص المناطق المتضررة من ظاهرة التصحر، والشبكة الرقمية ممثلة بأجهزة الحاسوب.

- الكتابة بالترابط الفني والتحريري والتعبير الصوتي للعمل الإذاعي معززين في ذلك بأمثلة عديدة من الواقع المناطق التي تعاني من ظاهرة التصحر .
- وضع سيناريو الحديث للبرنامج التنموي البيئي ، حتى يسير بأسلوب سهل ومقبول ونقاش مفيد يعكس لغة مشتركة و مفهومة بين ضيوف البرنامج وبأسلوب جذاب وممتع يترك انطباع متميز للمتابعة المستمرة والفائدة المرجوة من البرنامج .

ثانيا : إذاعة المسيلة المحلية وظاهر التصحر : الأهمية والاهتمام

نال موضوع التصحر على مستوى ولاية المسيلة اهتماما كبيرا من خلال كافة الجهود الإعلامية الإذاعية المحلية على وجه الخصوص ، و ذلك في إطار المخطط الولائي لمكافحة التصحر ، لكن هذا الإهتمام لا يزال ضئيلا من حيث تخصيص مساحات إعلامية أكثر على أثير الإذاعة الحضنة مقارنة بالمواضيع التي تطرحها هذه الإذاعة على مستوى شبكتها البرامجية ، حيث تطرح قضية التصحر من البرامج سواء تحقيقات و ريبورتاجات إذاعية أو ضمن الأخبار المحلية بالتنسيق مع محافظة الغابات و محافظة تطوير السهوب و مديرية الفلاحة و غيرها من الهيئات و المجتمع المدني الذي يهتم بهذا الإتجاه . و قد تم بث العديد من الحصص و البرامج الإذاعية التي ترتبط مباشرة بالتداعيات ظاهرة التصحر وتأثيرها على الإنسان و على البيئة على حد سواء .

و حسب المقابلات التي أجريناها مع الطاقم الصحفي للإذاعة المحلية بالمسيلة حول إهتمام هذه الأخيرة بالبرامج الإذاعية التي تتعلق بالتحديات البيئية التي تعيشها المنطقة منها مشكلة التصحر تحديدا أن مثل هذه المواضيع ما تزال لم تأخذ حيز كبير ضمن الشبكة البرامجية بحكم أن الإعلام البيئي لا يمثل سبق صحفي من جهة و هناك فئة قليلة جدا تهتم بهذا الجانب ، و هذه الفئة تستفيد أكثر من مخططات الإتصال الذي يخضع للإرشاد و التوجيه في الميدان بحضور خبراء و متخصصين في الميدان . و عن نصيب و موقع قضية التصحر ضمن البرامج الإعلامية المحلية للإذاعة مسيلة أكد لنا صحفي الإذاعة أن هناك استراتيجية إعلامية موجهة تدخل ضمن السياسة الإعلامية التي تهتم بالمواضيع و القضايا التي ترتبط بالتنمية المستدامة منها المواضيع البيئية على الخصوص و التي ترتبط بشرائح إجتماعية منها

المرأة و الطفل و الفلاح و صانعي القرار و ذلك بهدف توعية و توجيه و إعلام الرأي العام نحو هذه القضايا التي ترتبط بحياتهم و صحتهم على حد سواء. و من بين العوائق التي تطرح في مجال ضعف الإهتمام الإعلامي بمواضيع ترتبط بالبيئة منها التصحر و من بين التحديات التي تطرح غياب صحفيين متخصصين في المجال البيئي حيث تستعين الإذاعة بمهندسين في مجال الإرشاد الفيلاحي و في قطاع الغابات .

ثالثا - اختيار عينة الدراسة و تحديد فئات التحليل : قمنا بجمع بيانات و معلومات الدراسة من خلال الإستماع و متابعة البرامج الإذاعية في محطة الحضنة من جهة و من خلال المقابلات التي قمنا بها طيلة فترة الدراسة التي امتدت من سنة 2015 - 2016 .

أ- اختيار العينة: على أساس إختيارنا لمنهج تحليل المضمون قمنا بتحديد سنة كاملة لدراسة محتويات و برامج التي عالجت و تطرقت لموضوع التصحر خلال الفترة الممتدة من جانفي 2015 إلى غاية جانفي 2016 . حيث تقدم إذاعة الحضنة المحلية برامج تنموية و بيئية بصفة دائمة و دورية منها :

- **برامج أسبوعية :** تقوم إذاعة الحضنة ببث برامج تتعلق بموضوع التصحر يدخل ضمن الأخبار المحلية و الوطنية .

- **برامج نصف الشهرية:** و هذه البرامج تبث مرة خلال نصف شهر حول مواضيع ترتبط بالبيئة و التصحر .

- **برامج شهرية:** أي متابعة و تحليل البرامج التي كانت تبث كل شهر التي تتعلق بموضوع التصحر محل دراستنا .

ب- تحديد فئات التحليل: تمثل عملية تحديد فئات التحليل أهم خطوة يجب أن يوليها الباحث اهتماما كبيرا، نظرا لأهميته و لما كشفت عنه بعض الدراسات التي أجريت في مجال تحليل المحتوى، و التي توضح منها أن الإعداد الجيد الواضح لفئات التحليل يؤدي إلى التوصل إلى نتائج عملية متميزة.

و فيما يلي فئات التحليل:

أولا. فئات التحليل من حيث الشكل (فئات كيف قيل؟)

و تشمل كل من:

1- مدى حجم الاهتمام بالبرامج البيئية من خلال البرامج الشاملة لإذاعة الحضنة المحلية. وهي القيمة التي أولاهها القائمون بتسيير و إنتاج البرامج العامة بإذاعة الحضنة المحلية من منح اهتمام و مساحة أكبر لموضوع التصحر على غرار البرامج العامة في البرمجة.

2- التوقيت الذي شغلته برامج المخصصة لموضوع التصحر بإذاعة الحضنة المحلية

و هو الوقت المخصص لبرامج المخصصة لموضوع التصحر على الخصوص مقارنة بالوقت الإجمالي للبرامج العامة في البث الإذاعي بإذاعة الحضنة المحلية ، و قمنا بحسابه عن طريق حساب عدد الدقائق في كل برنامج متعلق بالموضوع التصحر .

3- دورية بث برامج تتعلق بموضوع التصحر بإذاعة الحضنة المحلية و نقصد بها بث البرامج الإذاعية و التي تهتم بظاهرة التصحر بولاية المسيلة بصفة دورية و متزامنة، كما حددنا دوريات البث فيما يلي:

- دورية البرنامج يومية - دورية البرنامج أسبوعية - دورية البرنامج نصف شهري
- دورية البرنامج شهري - أخرى

4- الأيام الأسبوعية التي تبث فيها برامج المتعلقة بموضوع التصحر بإذاعة المسيلة المحلية : و هي أيام البث الإذاعي المعتمدة في إذاعة الحضنة بالمسيلة، و التي تخص كل أيام الأسبوع ، و هي ملائمة للموضوع المدروس

5- طبيعة القائم بالإتصال المخصص بالبرامج المتعلقة بموضوع التصحر بإذاعة المسيلة المحلية : نقصد بقائم بالإتصال ، هم الصحفيين المعنيين بتقديم البرامج المتعلقة بالبيئة و التصحر على وجهة الخصوص، فطبيعة الصحفي من خلال تكوينه و مهارته ينعكس على المضمون و الأداء على حد سواء . و قد قمنا بتحديد طبيعة القائم بالإتصال على أساس متغير الجنس في الميدان الإعلامي الإذاعي و هما : بجنسين أساسيين في العمل الإعلامي الإذاعي وهما :

- صحفي / إعلامي : جنس ذكر
- صحفية / إعلامية : جنس أنثى

6- الأشكال والقوالب الفنية التي بثت بها برامج تتعلق بموضوع التصحر بإذاعة

المسيلة المحلية : نقصد بالأشكال الإعلامية أو الفنون الإذاعية التي تم من خلال مناقشة ومعالجة وبث الأخبار والمعلومات حول موضوع التصحر بولاية المسيلة وأهم المناطق التي تعاني من هذه الظاهرة :و قمنا بتحديد العناصر التالية من حيث القوالب الأكثر استخداما في إذاعة الحضنة المحلية لتغطية البرامج التي عاجلت و ناقشت موضوع التصحر وهي كالآتي:

- الحديث الصحفي أو المقابلة الصحفية ،الأخبار ،التقارير،الروبورتاجات ،التحقيقات ،أنواع أخرى غير محددة

ثانيا- فئات التحليل من حيث المضمون أو الموضوعات (فئات ماذا قيل؟) وتشمل

كل من:

1- طبيعة ونوعية المواضيع التي ترتبط بظاهرة التصحر بإذاعة المسيلة المحلية

هي تلك المواضيع التي تطرح في سياق القضايا و التحديات البيئية و تحديدنا لموضوع التصحر يأتي من خلال مايلي :

- المواضيع التنموية ،المواضيع الاقتصادية ،المواضيع الصحية و الطبية ،المواضيع الفلاحية ،المواضيع البيئية.

2- تحديد الجمهور المستهدف من خلال بث برامج المرأة الريفية بإذاعة المسيلة

المحلية عند تحديد الجمهور المستهدف و نقصد به في هذه الدراسة ، كل جمهور يهتم بالبيئة و التصحر على وجه الخصوص ، حيث تشير أغلب الدراسات إلى أن استراتيجيات "الإعلام والتعليم والاتصال" لا تستوعب ما أُصطلح على تسميته "الجمهور العام" وذلك لأن نشاطات الاستراتيجية يجب أن تتعامل مع جمهور محدد تحديدا دقيقا، و هنا نحدده بالدقة الجمهور المستفيد من برامج البيئة و التصحر بالمسيلة، وقد حددنا هذه الفئات:

• المواطنين ،الفلاحين ،المستثمرين في المجال الزراعي،الأسرة الريفية ،مربو المواشي والأبقار،مرشدي الفلاحة .

3- خصائص اللغة المستعملة في البرامج المتعلقة بموضوع التصحر بإذاعة

المسيلة المحلية : نركز في هذا الإتجاه خصائص اللغة المستعملة في تقديم هذه البرامج الموجهة إلى جمهور محدد حيث قمنا بتحديد

أكثر من ثلاث مستويات هي كالآتي:

- اللغة العربية الفصحى ، اللهجة العامية المحلية لولاية المسيلة ، الجمع بينهما اللغة العربية واللهجة العامية ، لغة فرنسية.

4- مدى الاستعانة بالضيوف في تقديم البرامج المتعلقة بموضوع التصحر بإذاعة المسيلة المحلية : حيث ركزنا خلال متابعتنا للبرامج المتعلقة بالظاهرة التصحر من خلال اعتماد هذه البرنامج على القائم بالإتصال فقط و الاستعانة بالضيوف سواء كانوا خبراء و متخصصين في مجال البيئة أو في مجال مكافحة التصحر .

5- صفة و تخصص ضيوف البرامج المتعلقة بموضوع التصحر بإذاعة المسيلة المحلية : حيث قمنا بدراسة في تخصص هؤلاء الضيوف سواء تعلق الأمر بالتكوين الميداني ، أو الدراس ، أو الخبرة :

- تخصص بيئة
- تخصص إرشاد فلاحي
- تخصص في مجال الغابات
- تخصص في مجال التصحر
- تخصص الجغرافيا و الأرض
- تخصصات أخرى

6- الاستمالات الإقناعية المعتمدة في إقناع جمهور موضوع التصحر بإذاعة المسيلة المحلية : هي تلك الأساليب و المهارات التي يعتمد عليها الإعلاميون و منتجو البرامج الإذاعية بإذاعة الحضنة في إقناع الجمهور المستهدف من خلال استخدام هؤلاء الإعلاميين الإذاعيين المحليين بإذاعة الحضنة المحلية للألفاظ و الكلمات و العبارات و حيث قمنا بتحديد الأساليب التالية للإقناع:

- أساليب الاحصائيات و البيانات .
- أساليب تقديم الحجج و البراهين.
- أساليب التوعية
- أساليب التأثير

الخاتمة -

يصنف التصحر من أكبر المشكلات البيئية التي تهدد دول العالم ككل لاسيما دول إفريقيا و الدول التي تعاني من الجفاف و ندرة الأمطار و التي تشكل الصحراء لديها أغلبية المساحة ، و الوضع اليوم يدق ناقوس الخطر أكثر من ذي قبل في ظل ضعف الإمكانيات المالية و التقنية للتصدي لهذه الظاهرة . و تعتبر الجزائر و البلدان العربية من أكثر الدول تأثرا أكثر من غيرها سواء بحكم موقعها الجغرافي و جفاف و قلة الأمطار و قد تبنت الجزائر كغيرها من الدول عدة مشاريع و مخططات تنموية كان أولها المشروع الكبير للسد الأخضر و غيرها من المشاريع الكبرى التي مست أكثر الولايات تضررا من هذه الظاهرة .

و رغم تعدد العوامل و الأسباب سواء الطبيعية منها و البشرية في تطور و توسع هذه الظاهرة تساهم العديد من الهيئات و الجهات و المؤسسات في تنفيذ و تطوير هذه الإستراتيجيات قصد تطويق و الحد من انتشار و توسع هذه الإشكالية البيئية .

ولاية المسيلة بحكم موقعها الجغرافي باعتبارها بوابة الصحراء يعاني سكانها بشكل خاص من هذه الظاهرة و في هذا الاتجاه سعت محافظة الغابات بالنسيق مع المصالح المحلية لرصد هذه الظاهرة و تجسيد المشاريع و المخططات سواء المتعلقة بالتشجير و استصلاح الأراضي الفلاحية و حفر الآبار كحل بديل تطوق هذه الظاهرة .

و لاشك أن الإعلام المحلي و لاسيما الإذاعات المحلية تلعب دورا كبيرا في تشكيل الرأي العام المحلي في القضايا الهامة و التي تتعلق بشؤون حياتهم ، و قد لعبت إذاعة المسيلة دورا كبيرا في هذا المجال بهدف ترسيخ الوعي و الثقافة البيئية و نقل المعارف و المعلومات الموضوعية للمواطن من أجل نشر الثقافة الإيكولوجية و دفع المواطن للمشاركة في المخططات التنموية و البيئية لاسيما المخططات الموجهة لمكافحة ظاهرة التصحر .

الهوامش -

- 1- الطيب عيساني رحيمة ،مدخل إلى الإعلام والاتصال المفاهيم الأساسية والوظائف الجديدة في عصر العولمة الإعلامية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،الأردن. 2008، ص 52.
- 2- الرحباني عبير ،الإعلام رسالة و مهنة ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2013 ، ص 09.
- 3- برباج راضية ، مغرمي نهاد ، دور الإعلام المحلي في تحقيق التنمية المحلية ، دور إذاعة قائمة الجهوية ، مذكرة ماستر في تنظيمات سياسية و اقتصادية ، حوكمة محلية و تنمية اقتصادية و سياسية ، قسم العلوم السياسية ، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة 08 ماي 1945، 2014، ص 19.
- 4- سويقات لبنى ، الإعلام المحلي و أبعاده التنموية في المجتمع ، دراسة وصفية تحليلية للخطاب الإعلامي ، إذاعة ورقلة نموذجا ، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام و الاتصال ، قسم الإعلام و الاتصال ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة وهران ، 2010 ، ص 30.
- 5- فاروق حسنت خالد ، الإعلام و التنمية المعاصرة ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2011، ص 43،
- 6- العبد عاطف عدلي ، نهى عاطف العبد ، الإعلام التنموي و التغير الاجتماعي ، الطبعة الخامسة، القاهرة :دار الفكر العربي، 2007، ص 10.
- 7- الجبور محمد سناء ، الإعلام البيئي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2011، ص 56.
- 8- الأمم المتحدة ، اللجنة الاقتصادية لإفريقيا ، مكتب شمال إفريقيا ، مكافحة التصحر و الجفاف في شمال إفريقيا ، طنجة ، المغرب ، 2003 ، ص 5.
- 9- محمد عبد الفتاح القصاص ، التصحر ، تدهور الأراضي في المناطق الجافة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، دار المعرفة ، 1999 ص 5.
- 10- أحمد ملحة ، مكافحة التصحر تجربة الجزائر ، وزارة الفلاحة ، الجزائر ، 2001، ص 11
- 11- اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية لغربي آسيا ، تقرير اجتماع التنفيذ الإقليمي التابع للجنة الاقتصادية و الاجتماعية لغربي آسيا حول موضوع التصحر ، 2011 ، ص 25.
- 12- محمد عبد الفتاح القصاص ، التصحر ، تدهور الأراضي في المناطق الجافة، مرجع سبق ذكره ، ص 09.
- 13- الأمم المتحدة ، المؤتمر العلمي الثاني لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر ، لجنة العلم و التكنولوجيا ، الدورة الاستثنائية الثالثة ، البرازيل ، 2013، ص 4.
- 14- الأمم المتحدة ، اللجنة الاقتصادية لإفريقيا ، مرجع سبق ذكره ، ص 07.

- 15- نبيل فتحي قنديل ، البيئة و التصحر ، معهد بحوث الأراضي و المياه و البيئة ، مركز البحوث الزراعية ، مصر ، 2011، ص 16.
- 16- الأمم المتحدة ، المؤتمر العلمي الثاني لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر ، مرجع سبق ذكره ، ص 12.
- 17- نبيل فتحي قنديل ، البيئة و التصحر ، مرجع سبق ذكره ، ص 18.
- 18- عدنان هزاع البياتي ، البيئة والتنمية في الوطن العربي ، مشكلات وحلول ، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1998، ص 63.
- 19- الأمم المتحدة ، مرجع سبق ذكره، ص 15.
- 20- أحمد ملحة ، الرهانات البيئية في الجزائر ، مطبعة النجاح، الجزائر ، 2008، ص 25.
- 21- محمد عبد الفتاح القصاص، مرجع سبق ذكره، ص 56.
- 22- عدنان هزاع البياتي ، البيئة والتنمية في الوطن العربي، مرجع سبق ذكره، ص 21.
- 23- سعيد محمد الحفار ، مشكلة التصحر في الوطن العربي ، عرض ، تحليل ، حلول ، كلية الإنسانيات و العلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، 1989 ، ص 32
- 24- شروق محمد الدوسري ، التصحر ، كلية العلوم و الدراسات الإنسانية ، جامعة سلمان بن عبد العزيز ، المملكة العربية السعودية ، 2013، ص 9.
- 25- عدنان هزاع البياتي، مرجع سبق ذكره ، ص 29.
- 26- المرجع نفسه ، ص 33.
- 27- أحمد ملحة ، مرجع سبق ذكره، ص 36.
- 28- كالة الأنباء الجزائر ، الجزائر مجندة لمكافحة ظاهرة التصحر ، مقال منشور يوم 17- 06- 2011 على موقع www.djazairiss.com/aps/205863
- 29- نش عزوز ، آليات الاتصال لدى محافظة الغابات لمكافحة التصحر ، مذكرة ماجستير في الاتصال البيئي ، قسم الاتصال ، كلية الإعلام و الإتصال ، جامعة الجزائر 3 ، ص 88.
- 30- سعد الدين رياض ، مشروع الحزام الأخضر لدول شمال إفريقيا "الخطا الإقليمية لمكافحة التصحر في دول شمال إفريقيا" ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أكتوبر 1999 ، ص 48.
- 31- نش عزوز ، آليات الاتصال لدى محافظة الغابات لمكافحة التصحر، مرجع سبق ذكره، ص 210.
- 32- المرجع نفسه ، ص 219.
- 33- المرجع نفسه ، ص 212.
- 34- المرجع نفسه ، ص 220.
- 35- سنوسي سميرة ، التصحر في زيبان و انعكاساته على التهيئة ، ولاية بسكرة ، مذكرة

- ماجستير في التهيئة الإقليمية ، قسم التهيئة الإقليمية ، كلية علوم الأرض و التهيئة الإقليمية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2006 ، ص 181.
- 36- تقرير حول نشاطات محافظة الغابات بالمسيلة، جوان 2009، ص 14.
- 37- نش عزوز، مرجع سبق ذكره، ص 222.
- 38- المرجع نفسه، ص ص 224 - 226.
- 39- ناجح مخلوف ، الإعلام المحلي المسموع و دوره في مواجهة العنف الأسري في الوسط الحضري ، إذاعة المسيلة نموذجا ، أطروحة دكتوراه العلوم في ديموغرافيا الحضرية ، قسم علم الاجتماع ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة محمد أمين دباغين ، سطيف ، 2015 ، ص 19.
- 40- أسماء بوساق ، تأثير الإعلام المحلي على تقدير الذات لدى طلبة الإدارة و التسيير الرياضي ، بجامعة محمد بوضياف المسيلة ، دراسة نفسية ، إعلامية من خلال برامج إذاعة المسيلة الجهوية ، مذكرة ماجستير في الإعلام الرياضي ، معهد التربية البدنية و الرياضية لسيدى عبد الله ، جامعة الجزائر ، 2008، ص 85
- 41- سويقات لبنى ، الإعلام المحلي و أبعاده التنموية في المجتمع ، دراسة وصفية تحليلية للخطاب الإعلامي ، إذاعة ورقلة نموذجا، مرجع سبق ذكره، ص 125
- 42- طارق السيد أحمد الخلفي ، الإعلام المحلي في عصر المعلومات ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، 2010، ص 126.
- 43- ناجح مخلوف ، الإعلام المحلي المسموع و دوره في مواجهة العنف الأسري في الوسط الحضري، مرجع سبق ذكره، ص 98.
- 44- نش عزوز، مرجع سبق ذكره، ص 236.
- 45- العبد عاطف عدلي ، نهى عاطف العبد ، الإعلام التنموي و التغير الاجتماعي، ص 189.
- 46- فاروق حسنان خالد ، الإعلام و التنمية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص 102.
- 47- نش عزوز، مرجع سبق ذكره، ص 192.



الملاحم والفتن كتابا للنبي دانيال وابن المنادي أنموذجا

ياسر محمد ياسين البدري الحسيني

مركز البحوث والدراسات التربوية

صلاح الدين - العراق

d.yaserabadre@gmail.com

الملخص -

لقد تنوعت مؤلفات القوم، واتخذت أشكالا مختلفة، فتارة يخصص لها البعض باباً أو فصلاً من كتابه، وتارة أخرى يفردها بالتأليف بشكل مستقل، ويعد كتاب الفتن (Seditions) لكل من ابن حماد، والداني، وابن المنادي، وابن إسحاق، والسليبي، وأبو نعيم الأصفهاني، وابن كثير، من أبرز المؤلفات المشهورة عند أهل السنة في هذا المضمار.

وتعد كتب الفتن والملاحم من أبرز المصادر التي تناولت موضوع مهدي آخر الزمان (Mahdi last era) عليه السلام؛ ومن الكتب التي تناولت موضوع الإمام وأحواله كتاب "الملاحم" للمحدث المشهور "ابن المنادي" المتوفى سنة (336هـ) والذي تم تأليفه في القرن الثالث الهجري، ولما كان الكتاب المنسوب لدانيال والمعروف "بملحمة دانيال" أحد المصادر المهمة التي رجع إليها ابن المنادي في تأليفه لهذا الكتاب؛ لذا فإننا سنتناول هذين الكتابين معاً بالتعريف، والنقد، والوقوف على الخلفية التاريخية لهما، وصولاً للهدف المرجو والغاية المنشودة من هذه الدراسة ألا وهو الحق الصواب. ولما كانت مكتبتنا العلمية تفتقر لدراسة أكاديمية مستقلة تعنى بهذا الشأن، وتوضح اللبس الحاصل في هذين المؤلفين؛ لذا كان هذا الدافع هو السبب الذي حفزني لاختيار هذا الموضوع المهم، وقد حاولت جاهداً الوقوف عليه في هذه الدراسة التعريفية النقدية

الكلمات الدالة -

الملاحم، بملحمة دانيال

HEROICS AND SEDITIONS

IS BOOK The propht Danial and Ibn Al- munadi are example

Summary –

The Book Of Sedition For Each Of Ibn Hammad, Al-Dani, Ibn Al-Manadi, Ibn Ishaq, Al-Salili, Abu Naim Al-Asfahani And Ibn Katheer , One Of The Most Famous Works Of The Sunnis In This Field.

Among The Books That Dealt With The Topic Of The Imam And His Conditions Is The Book "Al-Mallaham" By The Well-Known Scholar Ibn Al-Mawadi, Who Died In 336 AH, Which Was Written In The Third Century AH. Since The Book Attributed To Daniel Known As "The Epic Of Daniel" Is One Of The Important Sources To Which Ibn Al-Mandi Returned To This Book. Therefore, We Will Deal With These Two Books Together In Terms Of Definition And Criticism, And To Find The Historical Background To Them, To Reach The Desired Goal And Objective Of This Study, Which Is The Right One.

Since Our Scientific Library Lacks An Independent Academic Study On This Matter, And The Confusion In These Authors Is Explained, It Was This Motivation That Motivated Me To Choose This Important Subject, And I Tried Hard To Stand Up To It In This Critical Monetary Study.

Key Words –

Al-Mallaham, The Epic Of Daniel

فهرس الموضوعات

ت	الموضوع	الصفحة
1	• فهرس الموضوعات	
2	• المقدمة	
3	• المبحث الأول : التعريف بمصطلحات الدراسة	
4	أولاً : مفهوم الملحمة	
5	1- الملحمة في اللغة	
6	2- الملحمة في الاصطلاح	
7	ثانياً : مفهوم الفتن	
8	1- الفتن في اللغة	
9	2- الفتن في الاصطلاح	
10	ثالثاً : وقفة مع التعاريف	
11	• المبحث الثاني : نبي الله النبي دانيال عليه السلام سيرته وكتابه	
12	أولاً : سيرته	
13	ثانياً : تاريخ الكتاب ومصادره	
14	ثالثاً : نسخ الكتاب ومواضيعه	
15	• المبحث الثالث : ابن المنادي وكتابه الملاحم	
16	أولاً : سيرته	
17	ثانياً : كتاب الملاحم وموضوعاته	
18	ثالثاً : قيمة الكتاب وصلته بكتاب النبي دانيال عليه السلام	
19	• الخاتمة	
20	• المصادر والمراجع	

المقدمة -

الحمد لله المنجي من مضلات الملاحم (Heroics) والفتن والمحن. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد النعم والمنن. وبعد: لاشك بأنه يعد تاريخ كتابة الملاحم والفتن والتنبؤ بالإحداث المستقبلية قديماً قدم الأديان الإلهية على وجه هذه الأرض؛ لذا تتمتع " الملاحم والفتن " بمكانة متميزة في المؤلفات الإسلامية، لاسيما وأنها تعد بمثابة استقراء لما هو آت من الزمان. وإخبار عما ستؤول إليه الأمور أو تنجم عنه الأحداث ؛ لذا أبدى المؤلفون المسلمون عناية فائقة بها منذ القدم. فتناولوها بالتفصيل والإطناب تارة، وبالإيجاز والاختصار تارة أخرى.

لقد تنوعت مؤلفات القوم، واتخذت أشكالاً مختلفة. فتارة يخصص لها البعض باباً أو فصلاً من كتابه، وتارة أخرى يفرد بها بالتأليف بشكل مستقل.

ويعد كتاب الفتن لكل من ابن حماد. والداني. وابن المنادي. وابن إسحاق. والسليبي. وأبو نعيم الأصفهاني. وابن كثير. من أبرز المؤلفات المشهورة عند أهل السنة في هذا المضمار.

وتعد كتب الفتن والملاحم من أبرز المصادر التي تناولت موضوع مهدي آخر الزمان عليه السلام؛ ومن الكتب التي تناولت موضوع الإمام وأحواله كتاب "الملاحم" للمحدث المشهور "ابن المنادي" المتوفى سنة (336هـ) والذي تم تأليفه في القرن الثالث الهجري. ولما كان الكتاب المنسوب للنبي دانيال والمعروف "بملحمة النبي دانيال" أحد المصادر المهمة التي رجع إليها ابن المنادي في تأليفه لهذا الكتاب؛ لذا فإننا سنتناول هذين الكتابين معاً بالتعريف. والنقد. والوقوف على الخلفية التاريخية لهما. وصولاً للهدف المرجو والغاية المنشودة من هذه الدراسة ألا وهو الحق الصواب. وقد جاء هذا البحث بعد اكمال نسخ ومقابلة كتاب الملاحم والفتن لابن المنادي الذي هممت بتحقيقه على بركة الله، وإثناء ذلك اطلعت على بحث باللغه الفارسيه بنفس الموضوع الا انني وجدت هفوات ونواقص فيه بعد ترجمته. وكذلك بحثي عن ملحمة النبي دانيال المفقود حيث ما وجد غير كتاب الرمل والحساب باسم النبي دانيال وكذلك وجدت خلطاً بين دانيال النبي وبين آخر ذكره اليهود يسمونه دانيال الأصغر.

هذا وبالرغم من أن النبي دانيال عليه السلام يعد من رسل بني إسرائيل، إلا أن أصالة كتابه - ملحمة النبي دانيال - وما ورد فيه، هو محل جدل كبير، ومما حكا مثيرة بالاهتمام والتأمل؛ لذا فهو يحتاج لدراسة وافية للوقوف على صحته ومصداقيته.

وأما فيما يخص كتاب ابن المنادي، فلا يمكن الإدعاء أيضاً بقوته وأصالته لدرجة كبيرة، وذلك لاحتوائه على موضوعات لا سند لها في بعض الأحيان، ولم ترد في غيره من المصادر في أحيان أخرى. وقد تحمل الشيعة مسؤولية تحقيق ونشر هذا الكتاب، بيد أن مؤلفه هو من رجال أهل السنة، وفقاً لبعض القرائن والأدلة التي تم طرحها في هذا البحث.

ولما كانت مكتبتنا العلمية تفتقر لدراسة أكاديمية مستقلة تعنى بهذا الشأن، وتوضح اللبس الحاصل في هذين المؤلفين؛ لذا كان هذا الدافع هو السبب الذي حفزني لاختيار هذا الموضوع المهم. وقد حاولت جاهداً الوقوف عليه في هذه

الدراسة التعريفية النقدية، فجاءت دراستي موسومة بـ (الملاحم والفتن - كتابا النبي دانيال وابن المنادي أنموذجا). وبعد جمع المادة العلمية من مضائنها، أملت على المنهج العلمي المتبع لدى الباحثين تقسيم الدراسة على ثلاثة مباحث تسبقها هذه المقدمة وتتلوها الخاتمة.

تناولت في المبحث الأول : التعريف بمصطلحات الدراسة ؛ وفي الثاني تعريف بسيرة النبي دانيال ودراسة كتابه الملاحم وموضوعاته ؛ وكست المبحث الثالث لدراسة سيرة ابن المنادي وكتابه الملاحم وقيمه ؛ وقد أودعت الخاتمة خلاصة النتائج التي خرجت بها الدراسة، فإن كنت قد وفقت فذاك بفضل الله وحده ، وإن كنت قد أخطأت أو قصرت فمني وحدي ، وعذري أنني ما قصدت إلا إصابة الحق والوصول للصواب ، والله هو الهادي للرشاد والسداد .

المبحث الأول : التعريف بمصطلحات الدراسة

أولاً : مفهوم الملحمة (Heroic) :

للقوف على ماهية الملحمة ومعرفة معانيها لا بد من المرور على معناها اللغوي والاصطلاحي، وذلك وفقاً لما يأتي:

1- الملحمة في اللغة : لفظة مشتقة من مادة لَحَمَ الذي يدلّ على التداخل⁽¹⁾، فيقال: اسْتَلْحَمَ الرَّجُلُ - إذا احتوشه العدو وأزهقه في القتال، وجمعها ملاحم. واللّحيم: هو القتيل⁽²⁾.

2- الملحمة في الاصطلاح: عرفت الملحمة في الاصطلاح بتعاريف متعددة ، ولا يخرج واحد منها عن المعنى اللغوي لها، لذا قيل: هي الوقعة العظيمة والقتال في الفتنة⁽³⁾، وقيل: هي الحرب ذات القتال، ومنها قولهم : ألحمت القوم - إذا قاتلتهم حتى صاروا لحمًا، بحيث تقطعت لحومهم بالسيوف⁽⁴⁾.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 238/5.

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، 68/5؛ الجوهري، الصحاح، 2027/5.

(3) الأزهري، تهذيب اللغة، 68/5؛ الجوهري، الصحاح، 2027/5.

(4) الفراهيدي، العين، 245/3؛ الأزهري، تهذيب اللغة، 68/5.

هذا وسميت الحرب ملحمة لمعنيين : أحدهما ، تلاحم الناس ، وتداخلهم بعضهم في بعض؛ والآخر أن القتلى صاروا كاللحم الملقى⁽⁵⁾. وقد وردت لفظة الملحمة في أشعار العرب قبل الإسلام ، فقد أشار إليها عبد المطلب بن هاشم ، جد الرسول ﷺ وهو يمدح سيفه العطشان ، فقال:

مَنْ خَانَهُ سَيْفُهُ فِي يَوْمِ مَلْحَمَةٍ ❖ ❖ ❖ فَإِنَّ عَطْشَانَ لَمْ يَنْكُلْ وَلَمْ يَخْنِ⁽⁶⁾
ثانياً : مفهوم الفتن :

1. الفتن في اللغة: جمع مفردتها فتنة (Sedition). وهي لفظة مأخوذة من الفعل فتنَ، فالفاء والتاء والنون أصلٌ صحيح يدل على الابتلاء والامتحان والاختبار والعذاب. يقال : فتنت أفتن فتناً، وفتنت الذهب بالنار إذا صهرته وامتحنته لتمييز الرديء فيه من الجيد ، فهو مفتون وفتين⁽⁷⁾.

2. الفتن في الاصطلاح : لا يخرج المعنى الاصطلاحي للفتنة عن المعنى اللغوي لها ، فهي عبارة عن المحنة والاختبار واختلاف الناس في الآراء ، وما يبيلون به من زينة الدنيا ، بحيث يكون القتل والحروب بينهم إذا تحزبوا⁽⁸⁾.

كما وردت لفظة الفتن بهذه المعاني في العديد من آيات القرآن الكريم ، قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۗ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ⁽⁹⁾ ، وقال أيضاً: إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ⁽¹⁰⁾.

وعلى هذا فالفتنة كالبلاء تستعمل فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، فتارة تستعمل في المحنة وإدخال الناس في النار والعذاب، لتحويلهم عن رأيهم

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 238/5.

(6) محمد بن حبيب، المنق من أخبار قريش، ص411؛ ابن منظور، لسان العرب، 319/6. والبيت من البحر البسيط.

(7) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 473/4؛ الزبيدي، تاج العروس، 492/35.

(8) ابن سيده، المحكم والمحيط، 502/9؛ الزبيدي، تاج العروس، 493/35.

(9) سورة الأنبياء / الآية (35).

(10) سورة البروج/ الآية (10).

ودينهم ، وقارة تستعمل في الاختبار والرمي في الشدة ، وهذا المعنى هو الأظهر والأكثر استعمالاً⁽¹¹⁾. هذا وقد وردت لفظة الفتن بهذه المعاني في العديد من آيات القرآن الكريم ، فقد وردت لفظة الفتن بهذا المعنى على ألسنة شعراء العرب ، فقد أشار إليه أحدهم ، فقال :

لَيْتَ شِعْرِي أَوَّلَ الْهَرَجِ ❖ ❖ ❖ هَذَا أَمُّ بَلَاءٍ مِنْ فِتْنَةٍ غَيْرِ هَرَجٍ⁽¹²⁾
ثالثاً : وقفة مع التعاريف :

مما سبق يتضح لنا مفهوم الملاحم والفتن في اللغة والاصطلاح عند العلماء ، بيد أن معظم كتاب الشيعة على ما يبدو قد استعملوا في أغلب الأحيان عنوان "الملاحم" ، وذكروا أحداث آخر الزمان وعلامات الظهور في الكتب بعنوان "الملاحم" دون الفتن ، وبعد التتبع والاستقراء يتضح لنا بأنه قد تم ذكر أكثر من عشرين كتاباً تحت عنوان الملاحم في فهرسي النجاشي ، والشيخ الطوسي ، ولم يرد تعبير "الفتن" إلا في موضعين : أحدهما ، كتاب الفتن والملاحم لجعفر بن محمد الفزاري ؛ والآخر هو كتاب الفتن للحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني⁽¹³⁾ ، وقد أوضح النجاشي بعد تعريف هذا الكتاب أن المقصود منه هو الملاحم .

كما يبدو لنا بأن عنوان "الفتن" كان يتمتع بخصوصية عند أهل السنة ، كذلك كان لعنوان "الملاحم" خصوصية لدى المؤلفين من الشيعة ، بحيث أن كلاً من الفريقين قد التفتوا إلى هذه الخصوصية في اختيارهم لأسماء كتبهم . ويمكن إرجاع أسباب هذه الخصوصية إلى اختلاف الرؤية لكل من مؤلفي الشيعة والسنة فيما يخص النظام الحاكم ؛ حيث أن أكثر الثورات التي قام بها الشيعة ضد جهاز الخلافة (بالمعنى العام) ، تعد فتناً من وجهة نظر أهل السنة .

هذا ولم يشذ عن هذه الخصوصية أحد من مؤلفي الطرفين على ما نظن خلا كتابين يستثنيان من ذلك ، هما : كتاب السيد ابن طاووس (ت: 664هـ)

(11) الراغب الأصفهاني. المفردات، ص 623 : الزبيدي ، تاج العروس ، 35 / 492.

(12) ابن دريد، جمهرة اللغة ، 1/ 469. والبيت من البحر الخفيف .

(13) النجاشي. رجال النجاشي ، ص 37، 121.

المعروف بالملاحم، واسمه الأصلي هو "التشريف بالمنن في التعريف بالفتن" (14)، والآخر هو كتاب الملاحم لابن المنادي (ت: 336هـ) (15).

ونكاد نجزم بأن تبرير هذه التسمية واضح، حيث يشتمل كتاب ابن طاووس على ثلاثة كتب للفتن لمؤلفين من السنة وهي: كتاب الفتن لابن حماد؛ والفتن للسليبي؛ والفتن لزكريا بن يحيى. ومن هذا المنطلق فإن اسم المجموعة قد تم اختياره وفقاً لأسلوب أهل السنة. كذلك الحال فيما يخص كتاب ابن المنادي، حيث قام بتسمية كتابه وفق الأسلوب المعتاد لدى الشيعة، مع الأخذ في الاعتبار كونه ليس شيعياً، وربما يرجع ذلك إلى تأثره بكتاب ملاحم النبي دانيال.

ومن ناحية أخرى، فإن لفظة ملاحم هي جمع لكلمة "ملحمة"، وهي لفظة مشتقة من جذرين، يعود كلاهما إلى أصل واحد: الأول لحم؛ والآخر لحم. فإن كانت لفظة الملحمة مشتقة من الكلمة الأولى؛ فتكون معناها الحرب التي يشتبك فيها المقاتلون ويلتحمون فيها بعضهم ببعض؛ وإن كانت مشتقة من الكلمة الثانية، فتكون بمعنى المقتل - المكان الذي يتم فيه القتل - كناية عن لحوم أجساد البشر التي تتساقط فيه، كما مر معنا في التعاريف السابقة. وعلى كلا المعنيين تتضمن الملاحم معاني البلاء والمحن والموت والهلاك بشدة.

وعلى أية حال فالمقصود من الملحمة هنا هي الأحداث والحروب الدامية التي تحدث في المستقبل (16)، وبناء على ذلك يمكن أن يكون اختيار اسم الملاحم لكتب الشيعة في مقابل الفتن، إشارة منهم إلى عدم وصفهم للوقوف أمام الحكام الغاصبين والظالمين - والذي سيقتل فيه الخارجون بين أيديهم حتماً - بالفتنة.

المبحث الثاني / نبي الله دانيال عليه السلام سيرته، وكتابه
أولاً: سيرته: (17) :

(14) ابن طاووس. الملاحم والفتن، ص 1.

(15) سمى بعضهم كتابه المذكور هنا بـ (المقتص على محدثي الأعوام لنبا ملاحم غابر الأيام)

(16) ابن منظور، لسان العرب، 537/12.

(17) للمزيد من الاطلاع على سيرة نبي الله النبي دانيال عليه السلام والاطلاع على الأحداث التي وقعت في عهده، يمكن الرجوع إلى الكتاب المقدس سفر النبي دانيال وكذلك مصادر

يعد نبي الله دانيال عليه السلام ⁽¹⁸⁾، من ابرز أنبياء بني إسرائيل، الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد. ووفقاً لما ورد في رواية الكتاب المقدس والمصادر التاريخية، فقد ذكروا: بأن ملك بابل - نبوخذ نصر - بختنصر كان قد أسر عدداً كبيراً من شعب مصر وفلسطين وساقهم إلى بابل، وكان من بينهم نبي الله دانيال ⁽¹⁹⁾.

حضى النبي دانيال بمنزلة رفيعة بعدما قام هو وأصحابه بتفسير حلم الملك، حتى اكسبه مكانة كبيرة لديه فقربه وأدناه وجعله مستشاره، فأوغر ذلك صدور أعدائه وأصابتهم الغيرة والحسد، لذا سعوا للوشاية به عند الملك، فنقلوا عنه كلاماً سيئاً كان سبباً في إبعاده عن حاشية الملك ومن ثم سجنه، حتى قيل: أن الملك حفر له ولأصحابه أخدوداً فألقاهم فيه وألقى معهم سبعا ضارياً ليفترسهم، إلا أنه لم يلحق بهم الأذى وأنجاهم الله من بطشه ⁽²⁰⁾، وقد اشتهر أمر هذا البئر في بني إسرائيل حتى عرف عندهم بجب النبي دانيال ⁽²¹⁾.

هذا وقد روى الشيخ الصدوق أن هذا النبي عليه السلام ظل أسيراً في يد نبوخذ نصر مدة تسعين عاماً، وعندما رأى في منامه أن ملائكة من السماء تأتي إلى الأرض، وتذهب إلى البئر الذي سجن فيه النبي دانيال، شعر بالندم من فعلته، وأطلق سراحه، واعتذر له وترك له الحكم في الأمر ⁽²²⁾.

وبعد مجيء الإسلام كان لتاريخ النبي دانيال وجه آخر، حيث ذكر الإخباريون وأهل السير. بأن أبا موسى الأشعري كان يعبر من منطقة السوس -

التاريخ الإسلامية منها: سيرة ابن إسحاق وتاريخ بغداد وتاريخ دمشق والمسالك والممالك وأعلام النبوة وأحسن التقاسيم والجواب الصحيح وهداية الحيارى والبداية والنهاية وسير أعلام النبلاء.

(18) الدينوري. الأخبار الطوال. ص 23.

(19) الطبري. تاريخ الرسل والملوك، 539/1.

(20) ابن الأثير. الكامل في التاريخ، 266/1 - 267.

(21) المسعودي. مروج الذهب ومعادن الجوهر. 1/ 247.

(22) الشيخ الصدوق. كمال الدين وتمام النعمة. 157/1 - 158.

شوش - أثناء فتح إيران ، فوجد حجرة فيها تابوتاً من الرخام وفيه جسد مسجى، ولما سأل عنه ، قيل له أنه النبي دانيال عليه السلام، وأن أهل بابل كانوا يستسقون به كلما عمهم القحط . وقد سأل أهل السوس التابوت من أهل بابل ففعلوا وبقي عندهم حتى بعد مجيء الإسلام . فكتب أبو موسى بخبر اكتشاف هذا لخليفة المسلمين آنذاك ، فأمر عمر بتكفين ودفن ذلك الجسد ⁽²³⁾.

وذكر ابن الأعمش في الفتوح : بأن الخليفة قد طلب العون من الصحابة، وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام هو الشخص الوحيد الذي كان على معرفة بالنبي دانيال، وقد أرشد عمر فيما يخص هذا الأمر، وأمر بأن يطلق عليه ماء النهر ليتدفق فوق قبره، حتى لا يصل إليه الأعداء. ففعل المسلمون ذلك. وغيب الجسد الشريف هناك ⁽²⁴⁾.

ثانياً : تاريخ الكتاب ومصادره:

لا شك أن العديد من المصادر الإسلامية قد أشارت إلى كتاب النبي دانيال (The book of Danials prophet) بالذكر دون الدخول في التفاصيل والمضامين؛ لذا لم يتم عرض أية مصادر أو مراجع لكتاب النبي دانيال في المصادر الإسلامية التي ذكرته .

وأما تاريخ العثور عليه . فيقال بأن كتاب النبي دانيال كان قد تم العثور عليه مع جسده في مدينة السوس كما ذكرنا آنفاً، وإلى هذا أشار العديد من الإخباريين . فقد روي عن مطرف بن مالك القشيري أنه قال: كنت حاضراً مع أبي موسى الأشعري أثناء فتح السوس، وعندما وجدنا جسد النبي دانيال، كانت هناك إلى جواره لفائف من كتان ، وكان يوجد في إحداها كتاب النبي دانيال، وقد بعناها إلى شخص مسيحي ووهبنا له الكتاب ⁽²⁵⁾.

(23) البلاذري. فتوح البلدان، ص 267 - 268 : المقدسي. البدء والتاريخ، 187/5 - 188.

(24) الفتوح، 174/2.

(25) الصنعاني. المصنف، 111/8؛ ابن أبي شيبه. المصنف، 4/7.

كما روى عن مطرف بن مالك القشيري - أحد الذين حضروا فتح السوس - أيضاً أنه قال: عدنا كعب الأخبار⁽²⁶⁾ خلال زيارتنا لبيت المقدس، فكان واقفاً بين جمع من الناس، وكان كبير اليهود يسأله حول سبب دخوله إلى الإسلام، فطلب منا كعب أن نجيب عليه، وقام شخص من بيننا وكان أفضلنا، يعرض كتاب على الجمع، وقد أثر هذا الكتاب فيهم، وكان سبباً في دخولهم الإسلام، فقال: بأن هذا الكتاب هو كتاب النبي دانيال الذي اشتراه يوم فتح السوس بعشرين درهماً⁽²⁷⁾.

ويمكن لهذين الخبرين أن يخلقا تصوراً بأن كتاب النبي دانيال قد تم العثور عليه وقت اكتشاف جسده - أي حوالي عام (21هـ) لكن هناك روايات أخرى تشير إلى أن كتاب النبي دانيال قد اشتهر قبل ذلك أيضاً، وأنه كان بحوزة بعض الأشخاص. فقد ورد وفقاً لبعض أخبار الشيعة، بأن أبا بكر وعمر كانا قد أدركا بأن حكم رسول الإسلام ﷺ سيكون خالداً، وذلك من خلال اطلاعهما على هذا الكتاب؛ لذا كان ذلك سبباً في التحاقهما به⁽²⁸⁾.

كما ورد في خبر آخر عن جرير بن عبد الله البجلي أنه قال: بعثني النبي ﷺ إلى ذي الكلاع، وعند عودتي من مهمتي، قابلت راهباً، وحدثته عن رسول الله، فقال: لقد مات هذا الرسول. فقلت: من أين علمت بوفاة؟ قال: إنكم قبل أن تصلوا إليّ كنت أنظر في كتاب النبي دانيال، فمررت بصفة نبيكم ونعته وأيامه واجله، فوجدت أنه في هذه الساعة يتوفى. قال جرير: فرجعت فإذا رسول الله قد توفى في ذلك اليوم⁽²⁹⁾.

(26) كعب بن ماته الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأخبار كان من أهل اليمن فسكن الشام أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم في خلافة أبي بكر وقيل: في أيام عمر، وهو من كبار التابعين توفى في آخر خلافة عثمان سنة: 32. أنظر، ابن حجر، تهذيب التهذيب، 438/8 - 439: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 472/4: ابن كثير، البداية والنهاية، 34/1 - 35.

(27) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 491/3 - 493.

(28) ابن طاووس، كشف المحجة، ص 114.

(29) الراوندي، الخرائج والجرائح، 517/2 - 518.

وعلى هذا فلو أردنا قبول أمر اكتشاف جسد النبي دانيال وكتابه في عهد الخليفة الثاني، فإننا سنقول أن ما تم العثور عليه إلى جانب الجسد، كان نسخة من كتاب النبي دانيال، وأن هذا لا يعني بأن الكتاب لم يكن متاحاً قبل ذلك. فقد صرح ابن طاووس بأن هذا الكتاب كان بحوزة اليهود⁽³⁰⁾.

كما ذكر ابن طاووس أيضاً، بأنه وقف على نسخة من كتاب النبي دانيال المختصر من كتاب الملاحم، وصرح بأنه في حوزته⁽³¹⁾، إلا أنه لم يوضح أين قام بالعثور عليه؟ وما الدليل على ذلك؟ ومن هم رواة هذا الكتاب؟ وبناء على ذلك، فليس من الواضح لنا مصدر هذا الكتاب. ولا من أين جاء أصله؟ كما أنه من غير الممكن أن نعد هذا الكتاب هو نفس الجزء الذي ورد في الكتاب المقدس؛ لأن الموضوعات التي تم نقلها عن هذا الكتاب، تختلف عما ورد في الكتاب المقدس.

هذا فضلاً عن المكانة التي يتمتع بها هذا الكتاب عند اليهود والنصارى، وما ذكر عن المسيحيين بأنه

كان لديهم علامات على ميلاد السيد المسيح عيسى عليه السلام من خلال هذا الكتاب⁽³²⁾، فإن المصادر الإسلامية أيضاً تنسب موضوعات إلى كتاب النبي دانيال، وتعتبر الروايات الخاصة بها جديرة بالبحث والدراسة.

وبالتأكيد فإن أصل هذه المعلومات ينبع من مصادر غير إسلامية؛ لذا فقد قيل بأن هناك شخص كان يكتب كتاب النبي دانيال في عصر الخليفة الثاني، وعندما وصل الأمر إلى سماع الخليفة، وبخه وقام بمنعه، وأرشده إلى الآية الكريمة في قوله تعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ الْقُرْآنُ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ⁽³³⁾، وقال: أفقصص أحسن من كتاب الله؟⁽³⁴⁾

(30) ابن طاووس. كشف المحجة، ص114.

(31) المصدر نفسه، ص114.

(32) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: 596/1.

(33) سورة يوسف/ الآية (3).

(34) البلاذري، انساب الأشراف، 371/10.

كذلك يمكن الاستشهاد بما نقله الطبري في خبر استعانة عمرو بن سعيد - الوالي الأموي على المدينة - بعبد الله بن عمرو بن العاص، بشأن ابن الزبير، حيث ذكر: بأن عبد الله قد اطلع على كتاب النبي دانيال وقرأه في مصر عندما كان مرافقاً لأبيه هناك ؛ لذا فقد كانت قريش إذ ذاك تعدّه عالماً⁽³⁵⁾، كما أن اطلاع الوليد بن يزيد - الخليفة الأموي - على حكم بني العباس في المستقبل من خلال كتاب النبي دانيال، يعد نموذجاً آخر في هذا الشأن⁽³⁶⁾، كما أن هناك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً، قد وردت في بعض كتب الشيعة، تذكر: بأنه عليه السلام كان يوضح أحكام نجوم بعض الأيام من شهر محرم نقلاً عن كتاب النبي دانيال⁽³⁷⁾.

وعلى أية حال فتعتبر أهم الأخبار التي تم نقلها عن كتاب النبي دانيال من المصادر الإسلامية لاسيما ابن المنادي في كتابه الملاحم، هي أخبار الحوادث في آخر الزمان أو حكومة المهدي⁽³⁸⁾، وإن أقدم مصدر يشتمل على موضوعات حول كتاب النبي دانيال، هو كتاب الملاحم لابن المنادي، الذي سنتناوله لاحقاً بإذن الله .

ثالثاً : نسخ الكتاب ومواضيعه:

لا شك بأن كتاب الملاحم المنسوب لنبي الله دانيال هو كتاب ذو قيمة معرفية كبرى. وذلك بما يتضمنه من معان ومعارف ومواضيع متنوعة، تقدم خدمة جليلة لأصحاب الشأن والاختصاص ممن يعنى بتلك المعارف والعلوم؛ والتي - حتماً - لا تخلو من فائدة تذكر.

هذا وقبل الخوض في مضمون الكتاب، ومعرفة مواضيعه وقيمه العلمية، لا بد لنا من الوقوف ملياً عند صحة نسبة هذا الكتاب لمؤلفه، لنعرف مدى المصداقية والواقعية التي يتسم بها، ولا يتسنى لنا الوصول لهذه الغاية إلا بدراسة عقلية معمقة، ونقدية فاحصة، تتسم بالتجرد من كل العواطف، أو

(35) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 576/5 - 577.

(36) ابن النطاح، أخبار الدولة العباسية، ص 169-170.

(37) المجلسي، بحار، 330/58.

(38) ابن حجر، فتح الباري، 213/13 - 214.

الجنوح للعجلة في إصدار الأحكام المسبقة ولا يتأتى لنا ذلك إلا بعد الوقوف على القواعد العلمية المنهجية الرصينة المتبعة لدى الباحثين، وتنزيلها على الكتاب ومؤلفه، وحينها سنبحث الخطى ونكون مطمئنين في الوصول إلى الغاية والهدف المنشودين من هذه الدراسة.

وبعد التتبع، والاستقراء، والتمحيص في الكتاب، وعناوينه، ونسخه، ومؤلفه، وما تضمنه من مواضيع متنوعة، يمكن لنا القول بأن ما عرف، واشتهر، وتم تداوله بين الناس باسم كتاب النبي دانيال، ما هو في الحقيقة إلا جزء من العهد القديم، بيد أن المصادر الإسلامية أحياناً تتحدث عن كتاب يتناول علوم غريبة، كعلوم الرمل والنجوم والتنبؤ بالمستقبل، فيخيل للقارئ وحدة الموضوع فيها، والحقيقة غير ذلك، فهذه المواضيع تختلف عما ورد في التوراة، وعلى أية حال، فلا يمكن إنكار الصلة بين الاثنين؛ لأن ما ورد من موضوعات في المصادر الإسلامية حول مستقبل العالم وعلامات آخر الزمان، قد تم الإشارة إليه أيضاً في الجزء الأخير من كتاب النبي دانيال في العهد القديم⁽³⁹⁾.

ومن الجدير بالذكر إن جميع الذين نقلوا عن كتاب النبي دانيال، نسبوا له هذا الكتاب؛ لذا فالتشابه الاسمي، أو نسبة الكتاب لشخص له نفس اسم ذلك النبي، أمر غير وارد هنا، ومن هذا المنطلق فإننا سنقف بروية عند مسميات هذا الكتاب، وبذل الوسع للوصول إلى ماهية الكتاب قدر المستطاع؛ لأن ما يشتهر اليوم، أو يتم تداوله بين الناس، ومحاولة طبعه كرات ومرات يولد لدى القارئ انطباعاً مفاده صحة ما نسب في كتاب الملاحم للنبي دانيال، والحقيقة مغايرة للواقع، وإنما الكتاب هو كتاب تفسير الأحلام للنبي دانيال، وليس كتاب الملاحم كما يروج له، ومن خلال الوقوف على الكتاب وجدنا أنه قد ينشر معه تفسير ابن سيرين أحياناً، أو تفاسير منسوبة إلى الإمام السادس جعفر الصادق عليه السلام أحياناً أخرى. وبعد التتبع لكل النسخ المعنونة والمنتشرة تحت عنوان ملاحم النبي دانيال، والموجودة في بعض المكتبات الموثوقة، فقد حاولنا جاهدين الاعتماد في هذه الدراسة على أقدم النسخ الموجودة، وقد عثرنا على أبرزهما وهما النسختان التاليتان :

(39) الكتاب المقدس، سفر النبي دانيال / الإصحاح: 1، 11، 14.

1- ملحمة النبي دانيال: وتعد هذه النسخة من أبرز النسخ المعروفة والمتداولة بين الناس والمنتشرة على نطاق واسع بينهم. وهي في حقيقتها عبارة عن مذكرة صغيرة، انتشرت منذ عدة عقود. وذلك بواسطة المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، حيث تم طبعها طبعة حجرية، وكتب عليها: "ملحمة النبي دانيال المنسوبة إلى دانيال النبي".

وبعد الوقوف عليها ملياً يتضح لنا: بأن هذه النسخة تقتصر إلى أبسط قواعد التوثيق العلمي المتبع؛ حيث خلت من المعلومات والضوابط الواجب توفرها في معامل التوثيق مثلها. فليست لها أية بيانات تذكر، حيث خلت من اسم المؤلف، والناسخ، والناظم لها، كما خلت من تاريخ التأليف أو النسخ، وأن كل ما وجدناه مثبت عليها هو ما ورد في بدايتها، وهذا نصّه: "لقد نقل النبي دانيال هذه الموضوعات عن الكتب التي كان قد حفظها آدم في الغار وكان هذا الكتاب في صندوق، وكان الصندوق يتم فتحه مرة كل عام يوم عاشوراء".

وأما بالنسبة للموضوعات التي تناولتها هذه النسخة، فإنها في الغالب تدور حول أشهر العام، والنبؤات الفلكية، وهي تتحدث عن الشهر الفلاني إن كانت خصائصه كذا؛ فإن الأحداث التي ستقع فيه هي كذا وكذا... وهكذا، وحينما نقرأ في الورقة الخامسة من هذه النسخة - على سبيل المثال - نجد ما نصّه: "قال النبي دانيال: يكون في بغداد حال كثير وتزيل العيون وتكثر الأمطار في غير وقتها...". كما نجد في الورقة الثانية والعشرون منها ما نصّه: "قال دانيال: إن كان طالع السنة بالميزان، وطالع بالزهرة وله نواحي من القبلة وأكثر بلاد المغرب؛ فتشتد الرياح السموم، وتكون الخسوف والزلازل".

وخلاصة القول فيها: إن هذه النسخة فاقدة لكل مقومات التوثيق وطرقه ووسائله؛ لذا فهي لا ترتقي لدرجة الصحة من التوثيق العلمي، الذي نقطع فيه بصحة العنوان الذي تحمله؛ وعليه فلا يصح نسبتها إلى النبي دانيال.

2. "ملهمة" النبي دانيال ⁽⁴⁰⁾: وهذه النسخة الثانية أيضاً تعد من أبرز النسخ المتداولة والمعروفة بين الناس على وجه العموم، وفي الأواسط العلمية على وجه الخصوص. وهي نسخة منسوبة إلى العلامة المجلسي، وقد تم طبعها منذ سنوات بواسطة المكتبة الإسلامية في طهران، بأسلوب الطباعة الحجرية، وبعد التتبع والاستقراء والتمحيص تبين لنا: بأن موضوعات هذه النسخة ليست سوى كتاب التفليسي، المتوفى سنة (629هـ) وذلك للأسباب الآتية:

أ. ليس للعلامة المجلسي كتاب يحمل هذا الاسم، فلم يذكر المؤلفون شيئاً عن تأليفه لهذا الكتاب في المواضع التي ذكرت فيها ملحمة النبي دانيال، سواء كان ذلك في كتاب بحار الأنوار أو الذريعة، أو غيرها من الكتب المعروفة.

ب. لقد تم ذكر اسم العلامة المجلسي على الغلاف فقط، ولم يذكر اسم المؤلف داخل الكتاب، بل كتب على هامش الصفحة ما نصّه: "وفق إحدى الآراء أن المؤلف هو نجيب الدين الأصفهاني".

ج. وردت في مقدمة هذه النسخة نفس الكلمات التي ذكرها آغا بزرك في مقدمة نسخة التفليسي ⁽⁴¹⁾. وتشير الدراسة المعمقة إلى أن سبب انتساب هذا الكتاب للعلامة المجلسي؛ هو أن هوامش إحدى طبعات كتابه الاختيارات، والذي تم تأليفه حول موضوع النجوم ⁽⁴²⁾، كانت قد احتوت على كتاب بعنوان أصول الملحمة، وقد نُقل في آخر كتاب الاختيارات من الهوامش إلى النص، ثم تم نسبته بعد ذلك إلى المجلسي؛ اعتماداً على كتاب الاختيارات. وبعد الرجوع إلى هذه النسخة يتضح لنا: بأن ملحمة النبي دانيال على خلاف التصور الذي يظهر من اسمه؛ لأنه في الحقيقة هو عبارة عن كتاب في موضوع النجوم، وليس له صلة بالتنبؤات، أو الملاحم.

(40) وردت بيانات الطبعة على النحو الآتي: طبعة حجرية، 52 صفحة، منشورات: المكتبة الإسلامية، طهران. والصحيح (ملحمة)، لكن كتبت على هذا الكتاب وداخله (ملهمة) لأن الإيرانيين يلفضون الحاء هاء.

(41) آغا بزرك الطهراني، الذريعة، 201/22.

(42) تم طبع هذا الكتاب طبعة حجرية عام (1357هـ). ولم يتسن لنا الوقوف عليه.

ومن جهة أخرى فهناك أمر مهم يجب التنبيه له والوقوف عليه بتأمل. وهو أن مصنفى الفهارس القدماء، لم يذكروا كتاب النبي دانيال بوصفه كتاباً ضمن المصادر الإسلامية. بل أوردوه كجزء من الكتاب المقدس؛ لذا فقد ذكر ابن النديم كتاب النبي دانيال الذي هو جزء من التوراة⁽⁴³⁾. بينما لم يذكر كتاب النبي دانيال الذي يرون عنه، والذي ورد في المصادر الإسلامية، كذلك من المصنفين كحاجي خليفة، وأغا بزرك. قد ذكروا كتاباً باسم ملحمة النبي دانيال، لمؤلفه كمال الدين أبو الفضل إبراهيم بن حبش التفليسي (629هـ) وهو طبيب وفلكي ومنجم معروف⁽⁴⁴⁾.

ويعد هذا الكتاب من أقدم الكتب التي تم نسبته بشكل واضح إلى النبي النبي دانيال، والتي تدور موضوعاته حول النجوم.

ومن الجدير بالذكر أنه لم يرد حديث يذكر عن هذا الكتاب، أو موضوعاته في المصادر الشيعية القديمة والمعتمدة، كالكتب الأربعة، أو مؤلفات كبار رجال الشيعة ككتب الشيخ المفيد، وأن ما يوجد منها ويذكر إنما هو يتعلق بالقرون المتأخرة. فقد كتب ابن طاووس (664هـ) في كتابه كشف المحجة ما نصه: "ووقفت أنا على كتاب النبي دانيال المختصر من كتاب الملاحم وهو عندنا الآن"⁽⁴⁵⁾. ويستفاد من عبارة: "وهو عندنا الآن" بأن هناك على الأقل ملخص لكتاب النبي دانيال كان في حوزته.

كما كتب الميرزا عبد الله أفندي صاحب كتاب رياض العلماء في رسالة كان قد أرسلها إلى أستاذه العلامة المجلسي، وقد وردت في خاتمة كتاب بحار الأنوار وجاء فيها: "من ضمن الكتب التي من الجيد إلحاقها ببحار الأنوار، كتاب الملاحم للنبي دانيال، الذي قام السيد ابن طاووس بتلخيصه في كشف المحجة. وأنه كان موجوداً في مكتبته"، ثم يضيف أفندي قائلاً: "إن هذا الكتاب من بين الكتب التي اشتريته لكم - أي للمجلسي"⁽⁴⁶⁾.

(43) ابن النديم، الفهرست، ص 38.

(44) حاجي خليفة، كشف الظنون، 201 / 22.

(45) ص 114.

(46) المجلسي، بحار الأنوار: 110 / 172؛ أغا بزرك الطهراني، الذريعة: 188 / 22.

وبالرغم من ذلك يبدو بأن المجلسي لم يكن يثق كثيراً في مثل هذه الكتب التي لم يقف على مصدرها، فقد أورد في بحار الأنوار رواية حول النجوم للإمام الصادق عليه السلام عن كتاب النبي دانيال⁽⁴⁷⁾. وبالرغم من ذلك، فقد ذكر آغا بزرك: "بان ملحمة النبي دانيال المنسوبة للصادق كانت في حوزته وهي مشهورة، لكنه لا يعتمد عليها كثيراً"⁽⁴⁸⁾.

ومما تقدم يتضح : بأنه لا يوجد أي دليل علمي معتمد ، يدل على صحة كتاب الملحمة (أو الملهمه) للنبي دانيال ، بل على العكس من ذلك فهناك موضوعات فيه تشير إلى أن نسبته للنبي دانيال هي نسبة تخلو من الصحة.

كما أن النسخ السابقة لا توثق السلسلة المعتمدة للمؤلف من المصادر التي اعتمدها ، فقد تم الاكتفاء في نسخة النجف بكلمات محدودة ، هي: " ملحمة دانيال من الكتب الجليلة الصادقة" ، كما نقل في ظهر الورقة الأولى عن السيد نعمة الله الجزائري أنه قال: "إن هذه علامات قد أوضحها الله لنبيه دانيال ، ونحن جربناها ووجدناها صحيحة" .

ويبدو لي بأن ذكر مثل هذه العبارات عند من ينسبها للنبي دانيال يظنها دليلاً كافياً على صحة موضوعه ؛ لذا يتم استخدام بعض هذه التعبيرات داخل الكتاب ، ليدلل بها على صحة نسبته له ، أو ذكر تاريخ تأليف النبي دانيال له، كالعبارات السابقة ، أو كعبارة "ستة قرون قبل الميلاد" وغيرها.

وبناءً على ما ذلك فلا أخالني مجانباً للصواب إذا ما قلت: بأن مثل هذه النقول والكتابات والعبارات المثبتة على غلاف هذه النسخ ، من دون أن تثبت صراحة نسبة الكتاب للمؤلف، والوقوف على مصادره التي استقى منها معلوماته بالأدلة العلمية القاطعة ؛ فإنها ستبقى عبارات دارجة ولا تدل على صحة النسخ أو الوثوق بها من قريب ولا من بعيد ، فما لم تنظم إليها الأدلة العلمية الرصينة، التي تستند إلى ضوابط التوثيق المعروفة لدى العلماء والباحثين ، فإنها ستبقى قابلة للتصديق والتكذيب ، وخاضعة للأخذ والرد، فإذا كانت كذلك فهي لا ترتقي حينها لدرجة الصحة والقبول ، وإن قلنا بغير ذلك جانبنا الصواب.

(47) بحار الانوار، 330/58.

(48) آغا بزرك الطهراني، 202/22.

وخالفنا القواعد العلمية المعروفة والمتبعة في التوثيق. وهذا بحد ذاته منقصة بحقنا وخيانة للأمانة العلمية، وهو عمل مرفوض وغير مقبول عند العلماء والباحثين الفضلاء جملة وتفصيلاً.

المبحث الثالث / ابن المنادي وكتابه الملاحم
أولاً : سيرته :

هو أبو الحسين. أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن أبي داود، البغدادي المعروف بابن المنادي (256-336هـ)، أحد محدثي أهل السنة المعروفين. وجده هو أبو جعفر محمد بن عبيد الله، أحد رجال الحديث المعروفين، وقد اشتهر هو أيضاً بـ (ابن المنادي). ويعد المؤرخ ابن العماد، جعفر بن محمد بن جعفر بن أبي داود عبيد الله هو صاحب لقب "المنادي"⁽⁴⁹⁾، فيكون قد أضاف اسم جعفر الثاني إلى نسب ابن المنادي، واعتبر عبيد الله هو نفسه أبو داود. لكن حديثه حول صاحب لقب المنادي ليس بصحيح؛ لأن جد المؤلف يشتهر بنفس اللقب أيضاً ويحمل نفس النسبة؛ لذا يجب اعتبار هذا اللقب متعلقاً بأجداده الأكثر قدماً.

لقد ذكر السمعاني مسميات كثيرة لحاملي نسبة المنادي. ويعد: محمد بن عبيد الله، وأحمد بن موسى، وأبو جعفر محمد، وابن ابنه أبو الحسين بن جعفر من أبرزهم⁽⁵⁰⁾؛ لذا يكون هذا اللقب متعلقاً بمحمد - جد مؤلف كتاب الملاحم. كما ذكر أيضاً: "بأن المنادي بضم الميم وفتحها هي نسبة إلى من ينادي على الأشياء التي تباع، أو المفقودة التي يطلبها أربابها"⁽⁵¹⁾.

لقد ترجم له الكثير من العلماء والمؤرخين. وأثنوا عليه ثناء جميلاً، لا سيما الخطيب البغدادي. فقد مدحه وأثنى عليه بالخلال الحميدة. فذكر بأنه: "كان ثقة أميناً، ثباتاً صدوقاً، ورعاً". كما ذكر مجموعة من شيوخه في الحديث، منهم جده محمد، وأبو داود السجستاني - صاحب السنن - المعروف وغيرهم⁽⁵²⁾.

(49) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 197/4.

(50) السمعاني، الأنساب، 335/9، 435/12 - 436.

(51) المصدر نفسه، 289/4 - 290.

(52) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 289/4.

كما ذكر الخطيب البغدادي قصة تشير إلى اهتمامه بصدق الرواة فيقول: "قال أبو الحسن بن الصلت، كنا نمضي مع ابن قاح الوراق إلى ابن المنادي لنسمع منه، فإذا وقفنا ببابه خرجت إلينا جارية له، وسألتنا عن عددنا، ويعد أن تخبره بالعدد، يؤذن لنا في الدخول ويحدثنا، فحضر معنا ذات مرة إنسان علوي ومعه غلام له، فلما استأذنا الجارية، سألتنا عن عددنا فقلنا: نحن ثلاثة عشر وما كنا حسبنا العلوي ولا غلامه في العدد، فدخلنا عليه، فلما رأنا خمسة عشر نفساً، أمرنا بالانصراف ولم يحدثنا. ثم عدنا إليه ثانية. فصرفنا أيضاً، فسألناه عن السبب الذي أوجب تركه التحديث لنا، فقال: كنتم تذكرون عددكم في كل مرة للجارية وتصدقون، ثم كذبتكم في المرة الأخرى، ومن كذب في هذا المقدار لم يؤمن أن يكذب فيما هو أكبر منه، قال: فاعتذرنا إليه، وقلنا: نتحفظ فيما بعد. ويضيف الخطيب البغدادي: "بأنه كان صلب الدين، خشنا شرس الأخلاق، فلذلك لم تنشر الرواية عنه"⁽⁵³⁾.

ولم تقتصر ترجمته على ما ذكرنا. بل غالباً ما يذكر في مصادر الرجال عند أهل السنة، وله روايات كثيرة وأحاديث جمة غفيرة منقولة عنه في كتب الروايات المعروفة عندهم. كذلك كان ابن المنادي على معرفة تامة بعلم الرجال، وقد نُقل عنه في كثير من المواضع الخاصة بجرح وتعديل الرواة⁽⁵⁴⁾. بيد أنه لم يرد له ذكر في كتب الرجال عند الشيعة، كما أنه لا يوجد توثيق حوله. أو تضعيف جدير بالاهتمام.

لقد ترجم ابن النديم له وجعله نزيل الرصافة في بغداد، وذكر: "بأن أغلب آثاره كانت في مجال العلوم القرآنية، وأنه ترك في العلوم المختلفة أكثر من (120) أثراً"⁽⁵⁵⁾، بينما ذكر بعضهم: "بأن عدد كتبه قد بلغت أكثر من (400)

(53) المصدر نفسه، 289/4 - 290.

(54) ينظر على سبيل المثال: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 361/15 وما بعدها.

(55) الفهرست، ص 59.

كتاباً⁽⁵⁶⁾ .والحق انه لم يبق من آثاره اليوم سوى "كتاب الملاحم" . و"متشابه القرآن" فهما الكتابان المتبقيان من آثاره⁽⁵⁷⁾ .

ثانياً: كتاب الملاحم وموضوعاته :

كما ذكرنا سابقاً فإن كتاب ابن المنادي قد اشتهر بعنوان الملاحم، وذلك على خلاف أسلوب أغلب محدثي أهل السنة. الذين استخدموا عنوان الفتن للكتابة في موضوع الأخبار والأحداث المستقبلية ، إلا أنه ليس من الواضح إن كان ابن المنادي هو من اختار هذا الاسم أم لا ؟ والأهم من ذلك هو أنه لم يتم نسبة مثل هذا الأثر إلى ابن المنادي، في الفهارس القديمة ، بينما ورد ذلك صراحة في مؤلفات عديدة ابتداء من القرن السادس الهجري على وجه التحديد. ويبدو بأن ابن بطريق الحلبي المتوفى سنة(600هـ) هو أول من ذكر هذا الكتاب ونسبه بصريح الاسم لابن المنادي. يقول السيد ابن طاووس: " كتب أحد علماء الشيعة كتاباً باسم "كشف المخفي في مناقب المهدي" وروى فيه مائة وعشرة أحاديث حول المهدي عن طريق أهل السنة، كان من بينها ثلاثة وأربعون حديثاً من كتاب الملاحم لابن المنادي"⁽⁵⁸⁾.

لم يذكر ابن طاووس مؤلف هذا الكتاب، لكن البعض يرجحون بأن كتاب كشف المخفي هو لابن بطريق(600هـ) والذي ذكر روايات المهدوية عن ابن المنادي من خلال كتاب المسند لابن حنبل⁽⁵⁹⁾. كذلك يعد ابن البطريق من السابقين في ذكر كتاب ابن المنادي . حيث ذكر اسمه ومؤلفه صراحة. وقد نقل في كتابه العمدة رواية عن ملاحم ابن المنادي⁽⁶⁰⁾.

(56) ابن أبي يعلى ، طبقات الحنابلة ، 3/2.

(57) كلا الكتابين مطبوع . فقد طبع كتاب الملاحم سنة (1998م) ويقع في (413) صفحة .

وأما كتب متشابه القرآن العظيم . فقد طبع سنة (1993م) طبعة دمنهور . دار لينة في

مصر بتحقيق عبد الله الغنيمان . ويقع في (246) صفحة .

(58) ابن طاووس، الطرائف، ص 179 - 180.

(59) آتان كولبرك. مكتبة ابن طاووس، ص 255.

(60) ابن البطريق. عمدة عيون صحاح الأخبار، 538/2.

وعلى أية حال فإن شرح ابن المنادي لروايات المهدوية، يعد أمراً جديراً بالاهتمام، وذلك مع الأخذ في الاعتبار كونه حنبلي المذهب⁽⁶¹⁾. كما يتضح أيضاً من مقدمة الكتاب، بأن مؤلفه قد كتبه لشخص كان يشكو من شذائذ الزمان، وكان يخاف عليه من الابتعاد عن مقام الرضى والتسليم⁽⁶²⁾.

هذا وقد قسم ابن المنادي مصنفه إلى كتب رئيسة، تناول في الأول منها الفتن، وفي الثاني الملاحم، وفي الثالث الزيادات في الفتن والملاحم الطارقات، ثم قسمه على أبواب موزعة بشكل جيد على جميع الكتاب، وفصل بين كل قسم من أقسامه بشكل واضح. ويتكون كتاب الملاحم من سبعة وأربعين باباً في موضوعات مرتبة بالشكل الآتي: ففي بداية الكتاب وبعد الإشارة إلى الآيات القرآنية الكريمة ذات الصلة بالبحث، وما روي في تفسيرها، مستفيداً بعدها من حديث منسوب للإمام الصادق عليه السلام، ثم شرع بذكر مروياته في الفتن، وخصص الباب الرابع بتنبؤات الكاهن سطيح، والبابان الخامس والسادس بكتاب النبي دانيال، وتشتمل الأبواب التالية على أحاديث حول الأحداث والفتن التي ستقع بعد الرسول عليه السلام، وذلك ابتداءً من الباب الحادي عشر، حيث تناول الكتاب علامات آخر الزمان، بحيث اقتصرت بعض الأبواب على مجرد الإشارة إلى مجموعة روايات قصيرة، ومن أبرز هذه الروايات ذكر الدجال، والسفياني (Al- Sufiany)، وفتح القسطنطينية، والحروب بين الأتراك والبربر، والأماكن الآمنة، وثورة زنوج البصرة، وفتنة بغداد، في حين اختص البابان الثاني والعشرون، والرابع والعشرون بالإمام المهدي عليه السلام، وذكر الروايات التي تدل على أنه سيكون من نسل السيدة فاطمة عليها السلام.

كما تناول بعدها علامات الظهور وذلك في الأبواب الخامس والعشرين، والرابع والثلاثين من كتابه، وتحدث عن الدجال بالتفصيل. كما ذكر المؤلف في جزء من الباب الخامس والعشرين قصة حول النزاع بين الحسن والحسين والسفياني⁽⁶³⁾.

(61) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة: 3/2.

(62) ابن المنادي، الملاحم، ص 18.

(63) ابن المنادي، الملاحم، ص 21 وما بعدها.

ويبدو بأن هذا النزاع كان تصوراً خاصاً به، قد تكون لديه من خلال بعض أحاديث أهل السنة؛ لذا تعد هذه القصة التي قام المؤلف بتوضيحها دون ذكر سندها ، بأن السفيناني سيقف ضد المهدي، إنما هي على خلاف الروايات المشهورة . كما يبدو لنا بأن ابن المنادي كان يعتقد بأن الحسيني هو أحد المهديين ؛ فكان يستخدم - أحياناً- تعبير المهدي الحسيني. والمهدي الحسيني أحياناً أخرى. ويتضح هذا الأمر تماماً من قصة انتصار الحسيني على السفيناني، لاسيما من العنوان الذي تم وضعه للباب الخامس والثلاثين. حيث تناول فيه نقل الروايات المشهورة عن رسول الله ﷺ حول الأئمة الخلفاء الإثني عشر، ووضع له عنوان "الخلفاء بعد الحسيني".

وبناء على ذلك، فإن ابن المنادي، لم يستطع - كباقي أقرانه من أهل السنة - إدراك عصور وأزمان حكم الخلفاء الإثني عشر. الذين تحدث عنهم الرسول ﷺ ؛ لذا فهو يقول في نفس هذا الباب: "لم أجد أحداً من شيوخنا الذين أدركناهم يدلنا على وقت هؤلاء الخلفاء الذين هم اثنا عشر قرشياً... فاستدلنا بما في كتاب النبي دانيال على أن هؤلاء القوم إنما يملكون الخلافة واحداً بعد واحد بعد موت المهدي"⁽⁶⁴⁾. كذلك تناول ابن المنادي في باقي الأبواب علامات أخرى كخروج الدابة، وأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، والقحطاني. هذا وقد طبع هذا الكتاب عام (1418هـ - 1998م) في مدينة قم. وقام بتحقيقه عبد الكريم العقيلي وذكر محققه: بأنه لم نوفق في الوقوف إلا على نسخة واحدة وحيدة تعود لعام (1270هـ)⁽⁶⁵⁾.

وقد من الله علي بان وجدت نسخة ثانية للكتاب ضمن مخطوطات مجلس الشورى الايراني بالرقم (1374/12165) ، وبعد نسخ المخطوط ومقابلته وتدقيقه مع النسخة التي اعتمدها الشيخ عبد الكريم العقيلي تبين ان النسخة التي اعتمدها الاستاذ العقيلي منقوله من نسخة مجلس الشورى، والتي يقدر تاريخ نساختها القرن الثامن الهجري. وقد شرعت العمل على تحقيقها على ضوء مصادر أهل السنة أسأل الله ان يعيننا على اتمامه.

(64) ابن المنادي ، الملاحم، ص 272.

(65) ابن المنادي ، الملاحم، ص 12.

ثالثاً : قيمة الكتاب ، وصلته بكتاب النبي دانيال:

لا شك أن قيمة كل كتاب تحددها مجموعة من الضوابط التي ينبغي توفرها في كل مؤلف سواء كان صغيراً أم كبيراً ، وتعد مصادر الكتاب التي يستسقي منها المؤلف نصوصه ، والتسلسل الزمني للروايات التي يبثها داخل مؤلفه ، فضلاً عن عما تتصف به من التوثيق والمصادقية على أرض الواقع ، وغيرها من الضوابط الأخرى هي الكفيلة بالحكم على قيمة الكتاب وصحته ، ولو تتبعنا كل الروايات التي حواها كتاب ابن المنادي ، فسيتضح لنا ما يأتي :

1. تعد إحدى المعايير التي تحدد قيمة الكتاب هي نقل الآخرين عنه ، وبالرغم من أن محدثي

أهل السنة وأحياناً الشيعة قد ذكروا ابن المنادي كثيراً ، ونقلوا أحاديثه في كتبهم ، إلا إنهم من النادر أن يشيروا إلى اسم كتابه الملاحم ، وحتى أن السيد ابن طاووس ، الذي كان ينقل عن مثل هذه الكتب ، كان لديه هذا الكتاب ، ولم ينقل عنه حديثاً مأخوذاً من روايته ⁽⁶⁶⁾ ؛ كما لم يرو أحد من علماء الشيعة المتقدمين أيضاً عن هذا الكتاب شيئاً .

2. يجب القول بأن ما ورد من أحاديث هذا الكتاب في المصادر الأخرى ، وقامت الأدلة على صحتها ، هي أحاديث مقبولة ، وأما ما انفرد به الكتاب من روايات - وهو غالب الأمر - فهو محل للدراسة والتأمل . فقد نقل ابن المنادي روايات بسندها عن العديد من الرواة ، ولم يذكر من مصادرها سوى كتاب النبي دانيال ، وحيث أن كتاب النبي دانيال يعد من أهم المصادر التي استند عليها ابن المنادي ، فقد أبدينا ملاحظتنا حوله فيما سبق فلا داعي لتكرارها ثانية .

3. من المعلوم للدارسين بان كل كتاب لا بد أن يكون له في غالب الأمر خلفية تاريخية تكون وثيقة الصلة به ، وترتبط أهمية الكتاب - غالباً - بهذه الخلفية التاريخية ، ومن المسائل المهمة حول أي كتاب ، هي مسألة الرواة الذين قاموا بروايته على مدار القرون الطويلة ، أو المواضع التي نقل منها الكتاب مادته

(66) ابن طاووس الملاحم والفتن ، ص 373 ، وقارن بينه وبين ما ورد في كتاب الملاحم لابن

المنادي ، ص 149 .

ونصوصه؛ ولأن كتاب ابن المنادي يتمتع بخاصية الاستقلالية في مروايته، حيث أنه لم يأخذ أو ينقل من كتب ومصادر أخرى؛ لذا فقد افتقر كتابه لمثل هذه الخلفية التاريخية. وإلى هذا المعنى أشار ابن المنادي، فقال: "أخبرني أبو سليمان الجواليقي، قال: أخبرني رجل من أهل الكتاب موصوف بجمع الملاحم، بأن هذا الكتاب عندهم مسموع من كبارهم؛ لا يكادون يدفعونه إلا إلى من يثقون بكتمه؛ لعرفتهم بما يتضمنه من عجائب الملاحم"⁽⁶⁷⁾.

4. وهكذا أبهم ولم يفصح هذا الكاتب - الذي وصفناه بأنه أقدم راوي روى روايات تفصيلية حول أخبار الملاحم عن النبي دانيال - عن سلسلة الرواة ولا عن مسمياتهم، فلم يقدم لأقواله أي نوع من أنواع الإسناد الموثوق بها، كما أنه لم يذكر المصادر التي اعتمدها في كتابه. ولا الخلفيات التاريخية لها؛ مما جعلنا من ثم في جهل تام عن كل ذلك. ولعل أبرز رواية ظفرنا بها في جزء من كتابه، هي رواية مكونة من ست وثلاثين صفحة ينقلها عن كتاب النبي دانيال، ثم يذكر لنا سندها على النحو الآتي: "أخبرني أبو سليمان عبد الله بن جرير الجواليقي، قال: "أخبرني رجل من أهل الكتاب، موصوف بجمع الملاحم"⁽⁶⁸⁾. فهذا هو كل ما قدمه لنا ابن المنادي من إسناد وتوثيق لخبر تفصيلي من كتابه. وهو لا يسمن ولا يغني من جوع. ولا يصمد أمام قواعد التوثيق ومناهجه العلمية⁽⁶⁹⁾.

5. من الواضح الجلي أن كتاب الملاحم لابن المنادي قد كتب بمنهج غير شيعي، فرواياته هم في الجملة من أهل السنة. وحتى في بعض الموضوعات التي تناولها الكتاب كالبابين الرابع والخامس، فإن جميع الروايات الواردة فيهما هي روايات موقوفة، ولا يصل سندها إلى أحد الأئمة الاثني عشرية. ومن الطبيعي أن مثل هذه الروايات التي تم نقلها عن الصحابة والتابعين، والتي تقتصر على توضيح أحاديثهم، لا تعد موضع ثقة عند المحدثين الشيعة.

6. لا يوجد أي أوجه للشبه بين ما ورد في مخطوطة ملحمة النبي دانيال، وما نقله ابن المنادي في كتابه الملاحم، لقد خصص ابن المنادي أكثر من

(67) ابن المنادي، الملاحم، ص76.

(68) المصدر نفسه، ص76.

(69) ابن العديم، بغية الطلب، 502/1.

خمسين صفحة. شكلت فصلين من كتابه لموضوع النبي دانيال؛ وتناول في البداية القيمة العلمية لكتاب النبي دانيال، ثم سرد نبوءاته حول علامات آخر الزمان والمهدي. وقد ارتبطت الأخبار التي ذكرها في أهمية كتاب النبي دانيال وقيمتها، بالصحابة والتابعين، وقد نال كعب الأخبار من بين تلك المرويات مكانة مرموقة في الكتاب.

7. ويبدو لنا بأنه عندما يرد ذكر كتاب النبي دانيال أيضاً في المصادر الأخرى، فإن اسم كعب الأخبار ينال أهمية أكثر من غيره في هذا الموضوع. وليس من الواضح إن كان الإكثار من ذكره يزيد من قيمة كتاب النبي دانيال، أم هو يقلل من شأنه؟ والحقيقة أنه لم يكن لكعب الأخبار - كعب بن ماتع، من أهالي اليمن، من قبيلة حمير - مكانة في عصر النبي ﷺ، بل أنه أسلم في عهد الخليفة الثاني، وجاء إلى المدينة، ووجد مكانة عظيمة لدى الخليفة الثاني. وقد اختلفت الروايات عند الشيعة بشأن مكانته ومنزلته فعده بعضهم كذاباً ومخالفاً لأهل البيت. وإلى ذلك أشار ابن أبي الحديد، فقال: "روى جماعة من أهل السير إن علياً عليه السلام كان يقول عن كعب الأخبار أنه لكذاب. وكان منحرفاً عن علي عليه السلام" (70).

بينما عده البعض الآخر منهم بأنه من خواص أمير المؤمنين عليه السلام، وإلى هذا المعنى أشار ابن طاووس، فقال: "إن عبدالله بن سلام وكعب الأخبار كانا من خواص مولانا علي عليه السلام" (71).

8. لقد كان كعب الأخبار موضع ثقة عند المسلمين لقرون طويلة، وقد امتلأت كتب التفاسير والتاريخ برواياته. وبالرغم من ذلك فإن العلماء اليوم بما فيهم علماء أهل السنة يشكون في رواياته. ويعدونه من الأشخاص الذين يعود لهم السبب في وضع الإسرائيليات وانتشارها بين أهل الإسلام، فقد أورد الطبري مثلاً على ذلك واستشهد بموضوع خلق الشمس والقمر، فقال: "لقد غضب ابن

(70) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4/77.

(71) الملاحم والفتن، ص 80.

العباس من رواية كعب. وقال ثلاث مرات: لقد كذب كعب...بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام⁽⁷²⁾.

9. لقد أشار ابن المنادي في كتابه الملاحم من كتاب النبي دانيال، إلى خلافة المعتمد العباسي ومن بعده من الحكام، كما تطرق بالتفصيل إلى ظهور السفيناني واستقامة الأمر له على معظم البلدان. وتوليته لابنه عنبسة على خراسان، كما ذكر نزاعه بعد ذلك مع الحسن⁽⁷³⁾.

10. وبعد التتبع والاستقراء والمقارنة بين تلك الروايات الواردة بشأن السفيناني والحسن عند ابن المنادي والشيعة، يتضح لنا بأن تلك الروايات إما: أن تكون نادرة الذكر في روايات الشيعة؛ أو أنها لم تذكر أصلاً من الأساس. وحتى التي ورد ذكرها عند متأخريهم كابن طاووس وغيره. فقد أوردوها وفقاً لأسلوبهم المعتاد. فمن ذلك ما أورده ابن طاووس في كتابه الملاحم - التشریف بالمنن - فقد نقل فيه عن الكثير من مصادر العامة لاسيما عن كتاب الفتن لنعيم بن حماد⁽⁷⁴⁾. بحيث توجد فيه بعض الموضوعات المتشابهة والمنسوبة أيضاً إلى كتاب عقد الدرر للشافعي السلمي⁽⁷⁵⁾. وبالرغم من معاصرة ابن طاووس للسلمي. وتشابه الموضوعات لكل منهما بهذا الشأن. إلا أن ما أورده ابن طاووس إنما كان وفقاً لأسلوب الرواية الشيعية المتبع.

11. وبناءً على كل ما تقدم نقول: بأن مثل هذه الوثائق، والمستندات، والعبارات الواردة في كتاب ابن المنادي دون تثبت، تعد أمراً مرفوضاً، وغير مقبول في التوثيق العلمي جملة وتفصيلاً؛ لذا يتضح لنا بأن الموضوعات التي ذكرها ابن المنادي في كتابه نقلاً عن النبي دانيال، وعدّها حياً إلهياً، هي في حقيقتها ليست كذلك؛ لأنها تفتقر إلى أبسط مقومات التوثيق المطلوب. فليس لها أي مصدر معتمد. ولا سند موثق متصل يذكر؛ لذا فهي لا تعدو أن تكون موضوعات أشبه بالقصص منها إلى الملاحم، كما يمكننا التأكيد: بأن

(72) تاريخ الرسل والملوك، 65/1.

(73) ابن المنادي، الملاحم، ص 200.

(74) الملاحم والفتن، ص 100.

(75) السلمي الشافعي، عقد الدرر، ص 137 - 164.

قصاصي القرون الأولى هم الذين صنعوها، وانتحلوها، وأطلقوا عليها تلك المسميات وألصقوها بالنبي دانيال؛ وذلك لأسباب عديدة، يعود بعضها إلى الرفع من شأنها وتوثيقها لتكون أدعى للقبول؛ فتحظى برضى الناس وتأييدهم، أو للوصول بها لغايات مادية أو مكاسب سياسية. ومثل هذا الصنيع ليس ببعيد ولا بمستغرب، بل هو شائع ومعروف بين الكتاب والقصاص والأدباء منذ القدم. وقد أشار الإخباريون إلى ذلك، فذكروا: "بأن رجلاً من أهل بغداد قد اشتهر باسم "النبي دانيالي"، كان يزعم بامتلاكه لكتب قديمة، تعود نسبتها إلى النبي دانيال. وكان يعتمد كتابتها بحيث تكون شبيهة بتلك التي كتبت بالخطوط القديمة، ويذكر فيها أسماء الأشخاص بالرموز والإشارات وما يتمنونه، حتى شاع أمره ووجد قبولاً ومكانة لاسيما لدى رجال البلاط. وأورد الإخباريون نماذج عديدة من حيله، التي كان يهدف من خلالها الوصول بأحد أصدقائه إلى الوزارة⁽⁷⁶⁾.

الخلاصة -

وبعد الفراغ من كتابة هذا البحث تخلص الدراسة إلى نتائج كثيرة يمكن إجمالها بما يأتي :

- 1- تأتي لفظة الملاحم والفتن في اللغة والاصطلاح لمعان متعددة، لذا تعد الوقعة العظيمة والحرب والقتال في الفتنة من أبرز معاني الملحمة، كما يعد الابتلاء والاختبار والامتحان والعذاب والمحنة من أبرز معاني الفتن عند العرب.
- 2- تعد كتب الملاحم والفتن من أبرز المصادر التي تناولت الأحداث المستقبلية (Futurism events) لاسيما موضوع مهدي آخر الزمان عليه السلام. كما يبدو بأن عناوين الملاحم والفتن قد استأثرت مؤلفي الشيعة والسنة على حد سواء؛ لذا استخدمت الملاحم عند الشيعة مقابل الفتن عند السنة.
- 3- يعد كتاب الملاحم لنبي الله النبي دانيال عليه السلام من أبرز المصادر المعتمدة عند ابن المنادي في كتابه الملاحم. وقد تم العثور على كتابه مع جسده بعد مجيء الإسلام، وذلك في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عام (21هـ) في منطقة

(76) الطبري، تاريخ: 11 / 266 - 267.

الشوش⁽⁷⁷⁾ في إيران خلال عمليات الفتوح الإسلامية ، ويعد كتابه في الحقيقة جزء من العهد القديم ، فهناك صلة وثيقة بينهما ، لاسيما فيما يتعلق حول علامات آخر الزمان .

4. هناك نسختان مشهورتان من ملحمة النبي دانيال عند الشيعة. طبعت إحداهما بالمطبعة الحيديرية في النجف الأشرف، وتعرف الأخرى بملهمة النبي دانيال وهي منسوبة للعلامة المجلسي. وبعد التدقيق تبين بأنها ليست سوى كتاب التفليسي المتوفى سنة (629هـ) في علم النجوم.

5. يعد كتاب الملاحم لابن المنادي المتوفى سنة (336هـ) من أبرز المصادر الإسلامية التي تناولت الملاحم والفتن والتي اعتمد فيها على كتاب النبي دانيال.

6. قسم ابن المنادي مصنفه على ثلاثة كتب. تناول في الأول منها الفتن. وفي الثاني الملاحم. وفي الثالث زيادات الملاحم. ثم قسمه إلى أبواب وفصول. وضم الكتاب (47) باباً موزعة على فصول الكتاب. تناولت فيها مواضيع متنوعة كالأحداث المستقبلية ، وقد اختص البابان (22، 24) بذكر مهدي آخر الزمان عليه السلام، بينما ضم البابان (25، 34) علامات الظهور.

7. يتضح بان الموضوعات التي تناولها ابن المنادي في كتابه الملاحم عن النبي دانيال وعدها وحياً إلهياً، ليست كذلك بل هي عبارة عن قصص ، ليس لها مصدر ولا سند موثق يعتمد عليه ، وربما هي من صنع قصاص القرون الأولى .

8. اعتمد ابن المنادي في كتابه الملاحم على روايات أهل السنة ، لذا فما ورد في هذا الكتاب من روايات قد وثقتها روايات أخرى من مصادر شيعية أخذت بها ، وما انضرد به لا يعد موضع ثقة عند الشيعة .

(77) السوس بالفارسية شوش مدينة إيرانية تقع في محافظة خوزستان بجنوب إيران، ومدينة شوش هي عاصمة مقاطعة الشوش ، وفيها قبر النبي دانيال والمدينة واحدة من أقدم المدن في إيران حيث كانت عاصمة لايران في عهد داريوس وخلفاءه. انظر، ابن حزم، المحلى، 327/7؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 280/3 .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر :

- ابن الأثير، أبو الحسين، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني ت(630هـ).
- 1- الكامل في التاريخ (دار صادر - بيروت - لبنان - 1965م).
- الأزهري، محمد بن أحمد ت(370هـ).
- 2- تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب (دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - 2001م).
- ابن البطريق، شمس الدين، يحيى بن الحسن الحلبي ت(600هـ).
- 3- عمدة عيون صحاح الأخبار، تحقيق: مالك المعموري، وإبراهيم البهادري (ط3 - مطبعة أوفسيت - طهران - إيران - 1412 هـ).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر ت(279هـ).
- 4- انساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض الزركلي (دار الفكر - بيروت - لبنان - 1996م).
- 5- فتوح البلدان (دار ومكتبة الهلال - بيروت - لبنان - 1988م).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد ت(393هـ).
- 6- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور (ط4 - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - 1987م).
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني ت (1067هـ).
- 7- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (مكتبة المثنى - بغداد - العراق - 1941م).
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ت (852هـ)،
- 8- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دار المعرفة - بيروت - لبنان - 1379هـ).
- ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله بن محمد ت(656هـ).
- 9- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمرى (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1998م).
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت ت(463هـ).
- 10- تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1417هـ).
- ابن دريد، محمد بن الحسن ت(321هـ)،
- 11- جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي (دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - 1987م).
- الدينوري، أحمد بن داود ت(282هـ).

- 12- الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال (مطبعة عيسى بابي الحلبي وشركاه - القاهرة - مصر - 1960م).
- الذهبي، أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن قايمة (748هـ).
- 13- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون (ط3 - مؤسسة الرسالة - القاهرة - مصر - 1985م).
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (502هـ)،
- 14- المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي (دار القلم - بيروت - لبنان - 1412هـ).
- الراوندي، أبو الحسين، قطب الدين سعيد بن هبة الله (573هـ).
- 15- الخرائج والجرائح: إشراف: السيد محمد باقر المرتضى (مؤسسة الإمام المهدي - المطبعة العلمية - قم - إيران - 1409هـ).
- الزبيدي، مرتضى محمد بن عبد الرزاق (1205هـ)،
- 16- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية - القاهرة - مصر - د/ت).
- السلمي الشافعي، يوسف بن يحيى بن علي المقدسي (685هـ)،
- 17- عقد الدرر في أخبار المنتظر وهو المهدي عليه السلام، تحقيق: مهيب صالح البوريني (ط2 - مكتبة المنار للطباعة والنشر - الزرقاء - الأردن - 1989م).
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (562هـ).
- 18- الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن يحيى اليماني (دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد - الدكن - 1962م).
- ابن سيده، علي بن إسماعيل (458هـ)،
- 19- المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندواي (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 2000م).
- ابن أبي شيبه، عبدالله بن محمد (235)،
- 20- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار - مصنف ابن أبي شيبه، تحقيق: كمال يوسف الحوت (مكتبة الرشد - الرياض - السعودية - 1409هـ).
- الشيخ الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (381هـ)،
- 21- كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: حسين الأعلمي (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - 1991م).
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (211هـ).
- 22- المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي (ط2 - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان - 1403هـ).
- ابن طاووس، رضي الدين علي بن سعد الدين بن موسى بن جعفر (664هـ).

- 23-التشريف بالمنن في التعريف بالفتن - الملاحم والفتن - تحقيق: مؤسسة صاحب الأمر (مطبعة نشاط - كلبهار - أصفهان - إيران - 1416هـ).
- 24-الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف (مطبعة الخيام - قم - إيران - 1400هـ): ص 179 - 180.
- 25-كشف المحجة لثمرة المهجة، تحقيق: محمد الحسون (ط2 - مكتب الإعلام الإسلامي - قم - إيران - 1417هـ).
- الطبري، محمد بن جرير (310هـ).
- 26-تاريخ الرسل والملوك - تاريخ الطبري (ط2 - دار التراث - بيروت - لبنان - 1387هـ).
- ابن الأعمش، أبو محمد، أحمد بن الأعمش الكوفي (314هـ).
- 27-كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري (دار الأضواء للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - 1991م).
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (1089هـ).
- 28-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارناؤوط (دار ابن كثير - بيروت - لبنان - 1986م).
- ابن فارس، أحمد بن زكريا (395هـ).
- 29-معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر - بيروت - لبنان - 1979م).
- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)
- 30-كتاب العين تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت).
- ابن النديم، أبو نوح، محمد بن إسحاق بن محمد (438هـ).
- 31-الفهرست، تحقيق: إبراهيم بيضون (ط2 - دار المعرفة - بيروت - لبنان - 1997م).
- النجاشي، أبو العباس، أحمد بن علي (450هـ)،
- 32-فهرست أسماء مصنفی الشيعة - رجال النجاشي (شركة الأعلمی للمطبوعات - بيروت - لبنان - 2010م).
- ابن النطاح، محمد بن صالح بن مهران (252هـ).
- 33-أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبدالعزيز الدوري، وعبد الجبار المطليبي (دار الطليعة للطباعة - بيروت - لبنان - د/ت).
- محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (245هـ)،
- 34-المنق من أخبار قریش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، 1405 هـ - 1985 م.
- ابن المنادي، أحمد بن جعفر بن محمد (336هـ).

- 35- الملاحم، تحقيق: عبد الكريم العقيلي (دار السيرة - قم - إيران - 1998م).
- 36- متشابه القرآن العظيم، تحقيق: عبد الله الغنيمان، طبعة دمنهور، دار لينة في مصر، (1993م).
- المجلسي، محمد باقر بن محمد ت(1111هـ).
- 37- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تح: محمد تقي اليزدي (ط3 - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - 1983م).
- المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين ت(346هـ).
- 38- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: اسعد داغر (دار الهجرة - قم - إيران - 1409هـ).
- المقدسي، المطهر بن طاهر ت(355هـ)،
- 39- البدء والتاريخ (مكتبة الثقافة الدينية - بورسعيد - مصر - د/ت).
- ابن منظور، محمد بن مكرم ت(711هـ).
- 40- لسان العرب (ط3 - دار صادر - بيروت - لبنان - 1414هـ).
- ابن أبي يعلى، أبو الحسين، محمد بن محمد ت(526هـ).
- 41- طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي (دار المعرفة - بيروت - لبنان - 1952م).
- مراجع:
- آتان كولبرك.
- 42- مكتبة ابن طاووس - كتيخانه ابن طاووس - ترجمة: قوائى وجعفرىان (مكتبة المرعشى - قم - إيران - 1371هـ).
- الطهراني، آغا بزرك ت(1388هـ).
- 43- الذريعة إلى تصانيف الشيعة (ط2 - دار الأضواء - بيروت - لبنان - 1403هـ).



منطقة وادي ريغ من خلال المصادر الغربية (الحقبة الاستعمارية)

بن صغير حضري يمينية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة غرداية

bensghryami@gmail.com

الملخص -

تعتبر الدراسات و الأبحاث التي قام بها الغربيون أثناء وجود الاستعمار الفرنسي حول منطقة وادي ريغ من أهم المصادر التي يمكن الرجوع إليها أثناء دراسة هذه الرقعة الجغرافية ، بالرغم مما تحويه من نقائص ، حيث حاولوا من خلال هذه الدراسات معرفة نقاط قوة هذه التجمعات ، وسر استمرارها في هذه المناطق الصحراوية الصعبة ، وفي نفس الوقت دراسة نقاط الضعف ، فركزوا في دراساتهم على جوانب معينة في حين أهملوا جوانب لم يروا أنها مهمة بالنسبة لهم ، ومجموعة هذه المصادر متنوعة بين تقارير عسكرية ، ودراسات تاريخية ، ودراسات أنثربولوجية، ورحلات وغيره، و ذلك لاختلاف القائمين بها ، وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية ذكر البعض منها .

الكلمات الدالة -

وادي ريغ - قصور - المصادر - الغربية - الحقبة الاستعمارية - دراسات .

Wadi Righ Region According To Western Resources (Colonialism Period)

Abstract -

The Studies And The Research Which Were Done By Occidentals; During The French Colonization About « Wadi Righ » Were Considered As One Of The Most Interesting Resources, On Which We Can Depend On ; Although Its Deficiencies. They Tried From These Studies To Recognize , The Strength Of These Assemblies And The Secret Of Its Going On In These Deserted And Difficult Regions .At The Same Time They Studied Its Weak Points They Focused On Such Sides Such As : The Military Reports ,Historic Studies And Archaeological Ones....Etc ;However They Neglected Other Sides They Considered It Less Important. Let Us Study These Differences .

Key Words -

Wadi Righ – Castles – Resources – Western - Colonialism Period– Studies

مقدمة -

إن القيام بدراسة منطقة وادي ريغ من خلال ما جاء في المصادر الغربية يمكن الباحث من تكوين صورة عن الإطار الجغرافي لهذا الإقليم ،ومعرفة التسميات المختلفة له ، وأهم المميزات التي يمتاز بها دون غيره ، كما أن تناول المصادر لهذه المنطقة دليل على مدى أهميتها عبر التاريخ ،اقتصاديا، وسياسيا ،وثقافيا ،وقد ارتأينا أثناء تعرضنا إلى ذكر المنطقة من خلال المصادر إلى اعتماد التسلسل التاريخي لها حتى يمكن معرفة التغيرات، والوقوف على أهمية هذا الإقليم عبر التاريخ في مختلف مجالات الحياة ، فكثرت الكتابات الفرنسية مع بداية الاحتلال الفرنسي للمنطقة، لمحاولة معرفة هذه المناطق النائية تشكل أهمية لا يستهان بها، فعملوا على دراسة كل صغيرة ، و كبيرة لهذا كان معظم من كتب عن المنطقة يشغلون وظائف في الحكومة الفرنسية سواء كانوا

ضباطا ،أو جنودا ،أو إداريين ، أو رحالة دون أن إهمال دور رجال الدين خاصة مع بداية التبشير المسيحي بالجنوب الجزائري ، وهذا ما يمكن الوقوف عليه من خلال الاطلاع على الأرشيف المختلف بالمركز الثقافى للوثائق الصحراوية بغرداية.

التعريف بمنطقة وادي ريغ :

تشغل منطقة وادي ريغ الجهة الشمالية الشرقية من الصحراء الجزائرية على مسافة 600 كلم جنوب شرق عاصمة البلاد الجزائر، والمنطقة عبارة عن منخفض يبدأ من منحدر أم الطيور، و بالضبط من عين الصفراء⁽¹⁾ على بعد 80 كلم من بلاد الزاب إلى بلدة قوق على مسافة 30 كلم جنوب تقرت، ليمتد بذلك على مسافة من الشمال إلى الجنوب قدرت بحوالي 160 كلم، و امتداد أفقي (العرض) ما بين 30 و 40 كلم⁽²⁾.

ليضم بذلك مساحة قدرت بحوالي 12000 كلم²، يحده من الشمال بلاد الزاب ، ومن الجنوب وادي مية، و من الجهة الشرقية وادي سوف ، ومن الغرب منطقة الحجيرة ، وهو بذلك يقع ما بين خطي طول 2°، 54° شرق خط غرينتش، وخطي عرض 34°، 09° شمال خط الاستواء⁽³⁾.

- المصادر الغربية:

كانت صحراء المغرب الإسلامي بالنسبة للأوروبيين منطقة مجهولة إلى بداية استعمارهم لهذه البلدان، و قد ازدادت معرفة الفرنسيين بالصحراء الجزائرية مع تزايد العمليات العسكرية خلال القرن 13هـ/ 19م، فزار الكثير منهم

(1) عين الصفراء موضع بجانب شط مروانة و يعتبر الحدود الطبيعية لمنطقة وادي ريغ أنظر قادري (عبد الحميد) ، نظرة مختصرة على إقليم وادي ريغ، الجزائر، 1987، ص 04.

(2) Gouskov(N), la Géologie et les problèmes de l'eau en Algérie, Alger 1952,p10.

(3) Nesson (c),« structure Agraire et évolution sociale dans les oasis de T.I.R.S. T XXIV. 1^{ère} et 2^{ème} semestre, ALGER , l'oued Righ» 1965 , P 85

المناطق الصحراوية ،و كتبوا عنها ، فركز الرحالة و القادة العسكريون على دراسة الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والتاريخية لسكان قصور الصحراء عامة و قصور وادي ريغ خاصة، سواء من خلال ما وجدوه من مخطوطات محلية، أو من خلال معاشية السكان ، ليمكنوا بذلك من معرفة هذه الشعوب، و تحديد نقاط قوتها و ضعفها ،ومن ثم السيطرة عليها.

إن المصادر الغربية التي يمكن الاعتماد عليها لتعريف بإقليم وادي ريغ عبارة عن رحلات ،و تقارير لعسكريين فرنسيين ،أو مختصين في الفلاحة، أو الري، أو علم الاجتماع، أو الجيولوجيا و الجغرافيا ، لهذا جاءت كتاباتهم مختلفة يمكن الاطلاع عليها، إما كتباً مطبوعة ، أو تقارير مكتوبة بالآلة الرقنية، أو حتى بخط اليد ، تحوي أدق التفاصيل لمختلف جوانب الحياة في هذا الإقليم ، خاصة الجوانب التي تساعد الفرنسيين في السيطرة عليه كما سبق الذكر، فكتبوا عن جغرافيتها و تركيبها الجيولوجية لمعرفة ثرواتها من مياه، و كيفية استغلالها، كما اهتموا بدراسة، و معرفة أهم مورد اقتصادي بالمنطقة منذ القديم ،و هو أشجار النخيل، فكتبوا عنها ما لم يكتبه أي كاتب من قبل سواء من حيث الأنواع، و طرق الاستغلال، أو من حيث أنواع الأمراض التي تصيبها وسبل الوقاية منها... و غيره، و بطبيعة الحال أهم دراسة هي دراسة العنصر البشري بالمنطقة بدءاً من أجناسه إلى عاداته، و تقاليده، إلى أمراضه، و كل ماله علاقة بحياته، لهذا تكتسي هذه المصادر أهمية كبيرة لمعرفة أدق التفاصيل عن قصور منطقة وادي ريغ ووصفها، و عليه سنتعرض لبعض الكتابات التي تناولت هذا الموضوع.

1 - شارل فيرو (Ch) Feraud :

يعتبر شارل فيرو من أهم الكتاب الأجانب الذين تناولوا منطقة وادي ريغ سياسياً و اجتماعياً، و اقتصادياً، و جغرافياً ، أما تاريخياً فقد تناولت جل كتابته تاريخ بني جلاب ،و مملكتهم إلى درجة يمكن تسميته بمؤرخ بني جلاب ، فقد تناول تاريخ هذه الإمارة بالاعتماد على مخطوط محلي أشار له ضمن ما كتبه في أعداد متسلسلة للمجلة الإفريقية بين سنة 1878 - 1887 ، هذا المخطوط

الذي لم يتمكن من العثور عليه ، و مما ذكره شارل فيرو عن منطقة وادي ريغ في مواضع مختلفة " يطلق اسم وادي ريغ على مجموعة الواحات الممتدة بالتقريب من حدود بسكرة إلى واحة بلدة عمر ⁽⁴⁾ ، و أشهر واحة في هذا الحوض تقرت ⁽⁵⁾ التي يطلق عليها العرب بطن الصحراء " ⁽⁶⁾ ، و في موضع آخر : " أول الواحات التي تشكل حدود منطقة وادي ريغ على بعد حوالي مئة و عشرون كيلومتر شمال تقرت تسمى وريز و نسيغة ، اللتان تقعان على حافة الطبقة الشاسعة لسط ملغيغ أحد أجزاء الحوض المسمى بالبحر الداخلي، و الذي يلمع تحت أشعة الشمس كالمرآة، بقيت لوقت طويل قليلة السكان للخطر الذي يشكله البدو قطاع الطرق، فلا نشاهد سوى غابات النخيل " ⁽⁷⁾ .

2 - القيادة الفرنسية:

إن هذا المصدر عبارة عن تقارير للقيادة الفرنسية لمختلف المناطق في الجزائر يضم معلومات في مختلف المجالات، و قد جاء ذكر المنطقة في هذا التقرير كما يلي " إن منطقة وادي ريغ تمتد على مسافة مئة و عشرون كلم ، و عرض عشرون كلم يحدها جنوبا وادي مية، و إغرغار، و يشغل هذا الوادي مجموعة من السبخات التي تحيط بها الكثبان الرملية لتحدد معالم أقدم حوض جاف، والذي هو في نفس الوقت منطقة غنية بالمياه الجوفية التي استغلت منذ القديم، هذه الآبار الطبيعية التي تعرف بشريات ، و التي يتم حفرها

(4) اسمها القديم "تين باماطوس وأجلو تقع جنوب شرق تقرت على مسافة 30 كلم أنظر بن صغير حضري يمينة :قصور منطقة وادي ريغ قصر تمرنة القديمة نموذجا ما بين القرن 8 هـ - 13 هـ / 14 م - 19 م ،دراسة تاريخية أثرية ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار، جامعة الجزائر ،2014، ص ص 266 - 267 .

(5) يشكل قصر تقرت العاصمة السياسية لمنطقة وادي ريغ خاصة بعد قيام سلطنة بني جلاب خلال القرن 9 هـ / 15 م ، و التي امتد حكمها زهاء ثلاثة قرون و نصف ،كما عرف هذا القصر باسم البهجة .أنظر المرجع السابق، ص ص 271 - 272 .

(6) Feraud (ch), Histoire des Sultans de Touggourt, et du sud Algérien , édition Grand Alger¹ Alger, 2006, p 15 .

(7) Ibid, P47.

بالوصول إلى الطبقة الغنية بالماء، وهي طبقة جييرية رمادية على عمق يتراوح ما بين ثمانون متر و مائتين متر، يحد المنطقة من الشمال حوض وادي جدي، و من الغرب هضبة دعاس و من الجنوب شط ملاح و الشقة (تحت 100م)، مما شكل ممرات رعوية وفلاحيه يتم استغلالها من طرف البدو مثل منطقة المارة⁽⁸⁾، و يشغل الجهة الشرقية للمنطقة العرق الشرقي الكبير مشكلا بحرا للرمال تتكون من كثبان رملية تتأثر بالرياح التي تعرفها المنطقة⁽⁹⁾.

3 - بوفانس ج: (j.j) Pevennes

تناول هذا المصدر نظام الزراعة، و الري في منطقة وادي ريغ خلال الفترة الاستعمارية، و قد ركز فيه على التركيبة الجغرافية، و الجيولوجية للمنطقة، بالإضافة إلى الفلاحة، و كل ما له علاقة بأشجار النخيل، و المحاصيل التي تتوفر بالمنطقة، و المياه و مشاكلها، فكان الكتاب على شكل تقرير ثري بالمعلومات في هذا المجال، و مما ذكره: "وادي ريغ يأخذ اتجاهه جنوب شمال يحده من الغرب أراضي مزاب، و من الشرق العرق الشرقي الكبير، و يتعلق هنا بحوض يعود في تكوينه إلى العصر الجيولوجي الرابع يتربع على مساحة تقدر بسبعمئة و عشرون ألف كيلومتر مربع، و يمكن تسجيل توجه حوض وادي ريغ جنوب- شمال من خلال بقايا واديين هما وادي مية القادم من التاسيلي، و وادي أغرغار القادم من الأهقار، هذين الواديين اللذان يلتقيان على بعد ثلاثون كيلومتر جنوب تقرت بوادي ريغ ليصبان في شط مروانة"⁽¹⁰⁾.

عبارة عن تجمع سكاني يتشكل من قبيلة أولاد مولات على مسافة 30 كلم غرب مدينة (8) جامعة .

(9) Commandement en chef des forces en Algérie, Antenne de documentation géographique Exprovence, Atlas Régionale des départements Sahariennes,

Avril, 1960, Paris, P171.

(10) Pevennes(J.J), structures agraires et colonisation les oasis de l'Oued Rhir, Paris, 1961, P08.

4 - نيسون: (c) Nesson

هو من القادة العسكريين الذين اهتموا بدراسة إقليم وادي ريغ، مختص في الري و الفلاحة، فتناول بالدراسة مصادر المياه و التركيب الجيولوجية للمنطقة بالإضافة إلى الجانب الجغرافي، المناخ، وكل ما له علاقة بالفلاحة وزراعة النخيل، فكانت له عدة مؤلفات في هذا المجال، و مما جاء في كتابه تحت عنوان "واحات وادي ريغ ما يلي : "وادي ريغ ليس اسم لواد، ولكنه اسم لبلد يمتد من الجنوب إلى الشمال على مسافة مئة و خمسون كيلومتر ما بين خطي طول 42 و 23 شمالا و خطي عرض 9 و 43 شرقا ، في ظروف مناخية أكثر من ستة أشهر درجة حرارتها المتوسطة تتجاوز عشرين درجة، و كمية الأمطار لا تزيد عن مئة مليمتر في السنة على بعد ستمائة كيلومتر من الساحل الجزائري.

كل المنطقة في وسط حوض مائي واسع يتكون من مجموعة من الطبقات الجوفية المتراكمة و من بين هذه الطبقات الجوفية الأقل عمقا، والتي سمحت باستغلالها لمئة سنين، و منطقة وادي ريغ عبارة عن حوض مستحاثي يعود في تكوينه إلى الزمن الجيولوجي الرابع (الرمال الجيري) تتخلله سبخات مملوءة شتاء، و تمتد على حواف الوادي واحات طبيعية تمتد من الجنوب إلى الشمال ، و بالجهة الشرقية للوادي عرق يتكون من كثبان رملية تعود في تكوينها إلى الزمن الجيولوجي الرابع، و كل قصر على طول وادي ريغ يتكون من واحة مساحتها حوالي عشرة آلاف هكتار ، وعدد النخيل بوادي ريغ مليون و سبعمائة ألف نخلة⁽¹¹⁾.

5 - مؤلف مجهول (إداري عسكري):

إن هذا المصدر عبارة عن تقرير مكتوب بالآلة الرقانة، يحتوي على العنوان دون ذكر كاتب التقرير يحتوي على خمسة و عشرين صفحة يتناول المنطقة منذ سنة 1933م بأدق التفاصيل ، وقد جاء هذا التقرير في عدة أبواب ، و لكل باب

(11) Nesson (c), « Structure Agraire et évolution sociale dans les oasis de l'Oued Righ », Travaux de l'institut de recherches Sahariennes, Tome XXIV, 1^{ère} et 2^{ème} semestre, Alger, 1965, P 85

عنوان منفصل ، و مما كتب حول منطقة وادي ريغ: "إن منطقة وادي ريغ ما هي إلا الحوض النهائي لمجرى وادي أغرغار الذي يأتي من الهقار ليصب في شط ملغيغ⁽¹²⁾ على الحدود الجنوبية للأوراس، و وادي ريغ لم يعد يجري على سطح الأرض منذ زمن بعيد و لكنه حافظ على علامات مجراه، و شارع النخيل الذي يبدأ من قوق⁽¹³⁾ بالجنوب إلى أورير⁽¹⁴⁾ بالشمال بعرض قدر بخمسين كيلومتر حسب جذوره من الغرب و الشرق، لهذا يصل عرضه في مناطق أخرى عشرة كيلومتر فقط، و هذا ما يؤهله أن يكون من أكبر الأنهار، كما يتباين مستوى ارتفاعه من منطقة إلى أخرى، فيصل خمسة و ثمانون متر تحت مستوى سطح البحر بقوق، و أقل من عشرة أمتار عن مستوى سطح البحر بأورير، لتتوزع على جوانبه حوالي أربعين واحة⁽¹⁵⁾ بمختلف المساحات تمتد من الجنوب إلى الشمال بمليون و نصف نخلة ، و تبلغ مساحة الأراضي المزروعة اثنتا عشر ألف هكتار بمعدل مئة و ثلاثون نخلة في الهكتار، و خارج هذه الواحات مباشرة الصحراء بكل مواصفاتها. إن عدد هذه الواحات مرتبط تقريباً بعدد القصور المختلفة، فأصغرها تضم عشرون عائلة ، و أكبرها يفوق عدد سكانها خمسة آلاف ساكن أي ما مجموعه أربعين ألف يعيشون موزعين حول غاباتهم ، ولكن هذه الأرقام بعيدة عن الحقيقة ، لأن الذين يعيشون على دخل واحات النخيل أكثر بكثير، فالبدو مثلاً يشكلون يد عاملة أثناء جني التمور، و المتاجرة بها، لهذا يمكن تقدير

(12) من أشهر الشطوط ببلاد المغرب تشكل نتيجة انحدار حوض وادي ريغ من الجنوب الى الشمال حيث تجمعت مياهه في منخفض كبير بالجهة الشرقية على مستوى يتراوح ما بين 22 و 35 م تحت مستوى سطح البحر، وهو يمتد حتى الأراضي التونسية أنظر بن صغير حضري (يمينية)، المرجع السابق، ص 26 .

هي قرية صغيرة قرب بلدة عمر بها ضريح سيدي بوحنية أنظر قادري (عبد الحميد)، المرجع السابق، ص 01 . (13)

(14) أول واحات وادي ريغ من جهة الشمال .

ارتبطت الواحة بالقصور ومع ذلك وجدت بوادي ريغ واحات بدون قصر . (15)

عدد سكان وادي ريغ بستين ألف على أقل تقدير، يعيشون على مليون و نصف نخلة⁽¹⁶⁾.

6 - لاب(J): Labbe(J)

هذا المصدر عبارة عن يوميات في الصحراء الجزائرية لعدة شهر ، حاول فيها المؤلف تدوين كل ما رآه ، و سمعه في مختلف المناطق الجنوبية التي مر بها، و مما جاء في هذه المذكرة حول منطقة وادي ريغ: " بعد مرورنا بشط مروانة دخلنا منطقة وادي ريغ، و على طول الطريق تنتشر الواحات و إن صح التعبير غابات رائعة لأشجار النخيل في وسط أرض رملية، و من أوريير انتقلنا إلى المغير⁽¹⁷⁾ و منه إلى وغلانة⁽¹⁸⁾ أين استضافونا أهلها بتقديم غزال مشوي بالرغم من أننا طيلة الطريق لم نلتق بأي حيوان، و بعد الظهر نزلنا إلى مجرى وادي ريغ أين لاحظنا طبقة مائية في البداية ضننا أنه سرابا، و لكن باقترابنا وجدناه ماء حقيقي، و السطح يبدو متموجا نتيجة الرياح التي بدأت تعصف، و بعد مسيرة ضننا أنها لن تنتهي لقوة الرياح ظهرت لنا مئذنة تقترت⁽¹⁹⁾ من بعيد⁽²⁰⁾ .

(16) Administrateur: Echecs et avenir de l'Oued Ghir, 18 Mai 1951, centre culturel du documentation saharien, N° Doc.c.IV155,p02.

(17) عبارة على قصر يقع بالجهة الشرقية لوادي ريغ على بعد 16 كلم عن قصر جامعة عمر من طرف الشيخ مبارك الصائم 937 هـ / 1530 م يتربع على مساحة 25 هكتار يتوسطه جامع سيدي لخضر أنظر بن صغير حضري (يمينة)، المرجع السابق، ص ص 247 - 248 .

(18) الاسم القديم لهذا القصر توغلانت يبعد عن قصر جامعة بحوالي 15 كلم ، وهو من أشهر القصور خلال القرن 2 هـ / 8 م ، إذ كان مركزا علميا جد مهم لأتباع المذهب الإباضي . أنظر المرجع السابق، ص ص 251 - 252 .

(19) لم يحدد مئذنة أي مسجد يقصد لأنه كان بقصر تقترت جامعين واحد إباضي هدم في عهد الاستعمار الفرنسي، و جامع بني جلاب الذي مازال قائم إلى اليوم .

(20) Labbe(J), un mois dans le Sahara, Alger, 1898, P 132.

7 - فيرنو فيليب: Fernand Philipe

هذا الكتاب عبارة عن مذكرة طريق روى من خلالها كل شاردة ، و واردة عن المناطق الصحراوية التي مر بها بالجزائر من بسكرة⁽²¹⁾ حتى أقصى الجنوب سجل خلالها كل ملاحظاته اجتماعيا، و ثقافيا، و عمرانيا، و طبيعيا ، و مما جاء في وادي ريغ: " دخلنا وادي ريغ فكان على يسارنا واحة أورير، و نسيغة⁽²²⁾، و حوالي بعد الظهر وصلنا إلى المغير، و بهذا وطأت أقدامنا تراب وادي ريغ ، هذا البلد الذي اشتق اسمه من ريغة أحد القبائل البربرية التي تنتشر بالجزائر، خاصة بالقرب من مليانة⁽²³⁾ و سطيف، واحة تقرت تقع على بعد مئة و خمسة كيلومتر من بسكرة ، فوق سطح ينخفض بعشرة متر عن سطح البحر ، بها أربعة آلاف و ستمائة نخلة ،تسقى بثمانية آبار ارتوازية ،وسبعة آبار تقليدية⁽²⁴⁾ تزود الواحة بعشرة آلاف لتر في الدقيقة أي ما قدره خمسة عشر مليون لتر في الأربعة و عشرين ساعة ، وتوجد بالمنطقة المياه الجوفية على عمق يتراوح ما بين

(21) عاصمة بلاد الزاب و أشهر واحات الصحراء قديمة النشأة عرفت الإسلام على يد عقبة بن نافع استولى عليها الفرنسيون سنة 1844 ، و هي بلاد زراعة حيث تتميز بأنواع مختلفة من التمور التي كانت تنقل الى تونس و بجاية . أنظر ابن سعيد المغربي ،كتاب الجغرافيا ،الطبعة الثانية «ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982، ص 126 أنظر أيضا العوامر (ابراهيم محمد الساسي) ،(الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،تعليق العوامر الجيلاني بن ابراهيم ،منشورات تالة ،الجزائر ، 2007، ص 31 .

(22) أنسيغة قصر بني خلال القرن 10 هـ / 16 م يتوسطه ضريح سيدي محمد بن عيسى بن صغير حضري (يمينة) ،المرجع السابق ،ص 246

(23) مدينة شمالية قريبة من التنس تعود نشأتها إلى الفترة القديمة ،عرفت بآبارها و أنهارها جددها الزيري بن مناد أنظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان، المجلد الخامس ،دار صادر، بيروت، 1977 ،ص 196 .

(24) اشتهر سكان وادي ريغ بقدرتهم على حفر الآبار مند القديم ،و مع الاستعمار جفت معظمها نتيجة حفر الآبار الارتوازية انظر ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1981 ، ج 7 ، ص 119 .

سبعين و تسعين متر ،مياها عذبة دافئة تلمع كالكرستال ،و بدرجة حرارة ثابتة قدرة بثلاثة و عشرون درجة⁽²⁵⁾.

8 - كوسكوف نيكولاس: (Gouskov Nicolas)

اهتم نيكولاس في كتابه بالري في الجزائر و مشكلة المياه، لهذا تناول فيه العديد من المناطق الجزائرية، و من ضمنها منطقة وادي ريغ ، و ذلك لما كانت تشكله هذه المنطقة من أهمية في زراعة أشجار النخيل ، وما تحويه من كميات كبيرة من المياه جوفية ، و قد ورد ذكر منطقة وادي ريغ بقوله: " منطقة وادي ريغ تأخذ الاتجاه شمال جنوب تمتد من أورير إلى تماسين⁽²⁶⁾ ، و إلى أبعد من ذلك (قوق) على طول مئة و خمسون كيلومتر، عرضه يتراوح ما بين عشرين و ثلاثين كيلومتر، و وادي ريغ ليس اسم لواد يجري، و لكن العلماء يقولون بأنه كان فيما مضى، ولم يبق منه اليوم سوى آثار هذا الوادي من خلال شطوط صغيرة تمتلئ بالمياه، من مياه الطبقة الجوفية (فرياتيك) ، تتجمع مياهاه في شط مروانة ، و هي بقايا مياه الواحات، و التي تدل على أن الوادي لو كان يجري بشكل طبيعي لكان مصدر جد مهم للمياه، إن حوض وادي ريغ يعود في تكوينه إلى الزمن الجيولوجي الرابع، و أغلب أجزائه تعود الى حقبة آليون، و هو منطقة تجمع مياه وادي أغرغار القادم من الجنوب ،كما تغطي هذه المنطقة رمال تشكلت في حقبة الجفاف، و الحدود الشرقية لوادي ريغ تنتهي بشط ملغيغ ،وهو يبدو بشكل واضح كحاجز بين وادي سوف، و بين المنطقتين يوجد العرق الشرقي الكبير الذي يميل باتجاه الشمال، و بعض الواحات التي تتوزع متفرقة على طول

(25) Fernand(Phillipe), étapes sahariennes, Alger,1880 ,PP15-16

(26) يعتبر قصر تماسين العاصمة الدينية لوادي ريغ يقع على بعد 12 كلم جنوب شرق تقرث، اختلفت الروايات في تاريخ بنائه إلا أنه كان سابق لحكم بني جلاب ، بني على ربوة من جذوع النخيل باتجاه الجنوب الشرقي يحيط به سور و خندق .أنظر بن صغير حضري (يمينه) ، المرجع السابق، ص ص 278 - 279 .

الوادي تحصل على مياهها من الطبقة الجوفية، وهذه المنطقة يمكن ملاحظة التداخل بين الطبقات لحوض وادي ريغ و وادي مية" ⁽²⁷⁾.

9 - ديرو (ج، ش) : (Durand (J.H

حاول ديرو تسليط الضوء على الفلاحة بمنطقة وادي ريغ ، والإمكانيات المتوفرة والمشاكل التي تعاني منها، وقبل تناوله لذلك عمل على تعريف وادي ريغ بقوله: "ناحية وادي ريغ على شكل حوض واسع جاف محدود المعالم بسبخات تحصر فيما بينها واحات النخيل في الشرق، وهذا المنخفض محدد بجرف يصل عمقه من عشرة إلى خمسة عشر متر، في حين باتجاه الشرق نجد ماء ظاهر جغرافيا عبارة عن حوض من الماء عميق محدد ببعض البحيرات، يرتبط بشبكة محددة من الكثبان الرملية ، وحسب الروايات المحلية ، فإنه كان هناك واد أزاله الله لمعاقبة سكان المنطقة على خطيئتهم ، فسمي وادي ريغ بمعنى الوادي المدفون" ⁽²⁸⁾.

10 - العقيد دوماس (C) : Daumas

يعتبر دوماس من بين الرحالة العسكريين الذين زاروا إقليم وادي ريغ و كتبوا عنه في مختلف مجالات الحياة ، ومما قاله حول المنطقة مايلي : « بالمغير تبدأ واحة ثقرت (وادي ريغ) ، والتي تتبعها خمسة وثلاثون قرية تحت شريط النخيل الذي يسميه العرب نهر الرواغة باسم سكان وادي ريغ ، إنه حوض خصب في وسط الرمال جاف من المياه ، ومقسم إلى غابات أو بساتين يعيش عليها عدد كبير من سكان الخمسة وثلاثون قرية ، والتي تشكل مملكة عاصمتها ثقرت، وتماسين أقربها إلى ثقرت ، وهي مستقلة عنها ، وهي تشكل محطات للقوافل التجارية، وبلد الرواغة تسقى صناعيا، إذ أنها ليست نهر ، ومنابع المياه قليلة، ولكنها غنية بالمياه الجوفية ، فهي

Gouskov (Nicolas), La géologie et les problèmes de l'eau en Algérie, Alger, 1952, p61 ⁽²⁷⁾

Durand (J ,H) , « l'irrigation des cultures dans l'oued Rir », Travaux de ⁽²⁸⁾
l'institut de recherches sahariennes, tome 13 1^{ere} et 2^{eme} semestre, Alger, 1955, P77.

بحر يستغله السكان المحليين في السقي بحفر الآبار على عمق يتراوح ما بين خمسمائة، وأربعمائة متر»⁽²⁹⁾.

الخاتمة -

وخلاصة ما جاء أن وجود منطقة وادي ريغ في الصحراء لم يمنع المؤرخين، و الجغرافيين العرب والغربيين من الاهتمام بها، و ذكرها في العديد من مصادرهم، لكونها من المناطق المهمة تاريخيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ... وغيره، استعانوا في كتاباتهم بما عثروا عليه من مخطوطات، أو كتابات، أو روايات شفوية محلية ، كتبوها بطريقتهم، و أضافوا إليها ما يريدون من معلومات، لهذا اختلف محتوى هذه المصادر ، كما أنها لا تخلوا في بعض الأحيان من المبالغة أو التقليل ، ومع هذا تبقى مصادر مهمة يجب الرجوع إليها لما تحويه من معلومات ثرية ، ومتنوعة في مختلف مجالات الحياة بهذه المنطقة، مع الاجتهاد على التمييز بين ما هو حقيقي، وما هو مبالغ فيه من خلال التحليل والمقارنة .

⁽²⁹⁾ Daumas (C), le Sahara algérien, études Géographiques, statistiques, et histoire, Paris , 1845,p123 .



العقل الفقهي النوازلي في الأندلس خلال القرن الثامن الهجري - مقارنة معرفية لفكر ابن لبّ وتلميذه الشاطبي -

طاهر بن علي

جامعة غرداية

ص ب 732 مركز الفرز الجهوي غرداية 47000

ezzahirit@gmail.com

ملخص: يكتسي العقل الفقهي النوازلي خصائص تميّزه عن العقول الأخرى. فهو ليس عقلا تجريديا خالصا، وليس عقلا نظريا صرفا، ولكنه يجمع إلى ذلك الوظائف التطبيقية لمنصوصاته ويصنع اجتهادا معرفيا من خلال إسقاط معارفه على الواقع المتحرّك وفق منهجية دقيقة. إنّه يجمع العلوم والمعارف، ويدقق في النصوص، ويفحص التجارب، وينظر في الاجتهادات، من أجل تحقيق مواءمة الحكم للحال. ويتحوّل بذلك إلى عقل علمي وتجريبي، له كلّ مقوّمات المخبري الذي تملؤه الفكرة، ويستغرقه التأمل. والمقال مقارنة في بنيته المعرفية لاكتشاف تشكيله المنهجي.

الكلمات المفتاحية -

العقل، الفقه، النوازل، ابن لبّ، الشاطبي، الأندلس.

Juriaprudence Mind In AL Andalous During The Eight Hidjri Century Knowledge, Approach To Ibn-Lubb Ans His Disciple El-Shatibi Tought.

The Abstract-

Jurisprudence Mind Has Specific Characteristics Wich Discriminate It Form The Other Reason. It Is Neither An Absolute Abstract Mind Nor Theoretical However. It Combines The Practical Functions Of Its Texts, Makes Knowledge's Effort Throughout Dropping The Acquisitions On The Moving Reality Through Precise Method Jurisprudence Mind, Combines Sciences And Acquisitions In The Text. It Examines The Experiments And Takes A Look To The Effort In Order To Get Adequacy. Due To The Situation It Becomes. Scientific Mind And Experimental That Contains All The Components Of The Informer Who Deals With The Idea And Meditation. The Arrival Is An Approach In The Knowledge's Structure For Discovering Its Methodical Formation.

Key Words -

Mind, Jurisprudence, Ibn-Lubb, El-Shatibi, Al-Andalus.

توطئة وملحوظة منهجية

يمثل أبو سعيد بن لبّ و أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي في القرن الثامن الهجري الشهود الحضاري على فترة ينعكس همها اليومي على فكريهما الفقهيين انشغالا مبعثه استدعاء الوحي إلى الزمني ليتحقق معنى التدين، فيسافرا من ذاتيهما إلى مجتمعهما من خلال فتاويهما، التي تحمل الانشغال صورا معرفية مؤطرة لتوجهات هذا التدين في صفائق الحياة، فيتأكد شهودهما بحضورهما العلمي، ومقدارهما الاجتماعي. ويتكوّن حينئذ المشهد التاريخي بأدق تفاصيله. ويرتسم المنظر السوسيوثقافي المميّز للمجتمع في فترة زمنية معينة. وليس هذا إلّا للعقل الفقهي النوازلي الذي يجمع بين التجريد والتاريخ، وبين النظري والتطبيقي، ويكوّن منظومة معرفية لها خصوصياتها، وميزاتها. ولكي نجلي هذا وجب علينا أن نتناول كلّ واحد من النموذجين على حدة، وألّا نجزئ المنظومة فيه إلى مباحث ليكتمل التصوّر عنها. لذلك يخلو المقال من

التجزئة، لضرورة منهجية، حيث لا يمكن الفصل بين النواحي المتداخلة في تشكيل هذا العقل.

1- أبو سعيد بن لبّ (ت782هـ/1380م)

نال ابن لبّ حظوة ولاية الخطابة بالجامع الأعظم بغرناطة، ولّاه إياها الأمير يوسف⁽¹⁾، فصار بذلك صدرا في تشكيلة غرناطة، ومبرّزا بين علمائها، فهو "شيخ شيوخ غرناطة"⁽²⁾، بل "شيخها وفتاها"⁽³⁾، "معظّما عند الخاصة والعامة"⁽⁴⁾. ولما يقتضيه منصبه "كان إليه المفزع في الفتوى"⁽⁵⁾، وصدرت إليه الإشكالات الفقهية والاجتماعية، ليهيئ لها التوافق بين الاندفاع النفسي والاضطرار الاجتماعي من جهة، والتأطير الشرعي من جهة ثانية، ليحصل للناس التناغم بين النزوع المتكوّن على مستوى النفس حاجة وجودية، ومراد الله في كينونتهم. كما صدرت منه البناءات الفكرية للمقتضى المعرفي الحاصل في الجدل القائم بين الديانات، في القضايا الأساسية في المعتقدات، من جهة،⁽⁶⁾ وفي علم الكلام الإسلامي من جهة أخرى،⁽⁷⁾ وخاصة المتعلّق بالحياة والمصير وعلاقتهما بالقضاء والقدر، ومقدار الإيمان فيهما. فحاز في غرناطة مقدارا اجتماعيا مميّزا.

فكان بذلك "إمامها وعالمها ومفتيها"⁽⁸⁾، و"انفرد برئاسة الفتوى"⁽⁹⁾، حتّى أطلق عليه لقب "المفتي بغرناطة"⁽¹⁰⁾، و"مفتي الحضرة"⁽¹¹⁾، و"شيخ الخطابة والفتوى بغرناطة"⁽¹²⁾. ولعظم شأنه العلمي، وصدارته في الفتوى لقب بالأستاذ⁽¹³⁾ الشهير⁽¹⁴⁾، و"الأستاذ الكبير"⁽¹⁵⁾، و"الأستاذ الجليل"⁽¹⁶⁾، و"أستاذ الأساتذة"⁽¹⁷⁾، و"شيخ علماء الأندلس وآخرهم"⁽¹⁸⁾. ومن موقعيته هذه تتبدّى محورية فكره في التصدي للمشكلات اليومية التي تطرأ على حركة الناس في تفاعلاتهم وعلاقاتهم.

وعن حضوره العلمي في الأندلس، فقد "انفرد برياسة العلم"⁽¹⁹⁾، "يقف أهل زمانه عندما يقول"⁽²⁰⁾، من "غزارة حفظه، وقيامه على الفقه، وإطلاعه بالمسائل"⁽²¹⁾، فهو "شيخ الجماعة الشهير ذكره في الأقطار، الشائع علمه في الأمصار، مفتي الأندلس وقودتها"⁽²²⁾.

تألفت مشيخته العلمية من تكويناته المعرفية التي حازها تحصيله الموسوعي، فقد شارك في الفنون⁽²³⁾، و"كان عارفا بالعربية واللغة"⁽²⁴⁾، "قائما على القراءات"⁽²⁵⁾ حتى "تصدّر للإقراء"⁽²⁶⁾. مع "التبريز في التفسير، والمشاركة في الأصولين- أصول الفقه وأصول الدين"⁽²⁷⁾ - والفرائض والأدب"⁽²⁸⁾، "جيد الخط، والنظم، والنثر"⁽²⁹⁾.

وكانت مروياته من مدونات العلوم كثيرة، وطرق إسنادها عديدة⁽³⁰⁾، فتكوّنت لديه أصول المعارف، واجتمعت عنده تقييدات العلماء. فروى الكثير، وحدّث بإسهاب، وأجاز للجم، فصدرت عنه العلوم، وصار سلف رواتها، والمشتغلين عليها⁽³¹⁾. فحصل له منها لقب "قطب الكمالات"⁽³²⁾.

ولقد قيّد لنا أبو إسحاق الشاطبي، وهو أحد أساطين العلم بغرناطة على عهد ابن لبّ، كثيرا من تخريجاته العلمية، ووقفاته المنهجية، واستدراكاته على العلماء المحققين، ومعرفته بدقائق من العلوم يشارك فيها مشاركة الخبير، فألح إلى مكنون علم، حفظا، وفهما، وبناء⁽³³⁾.

وأما لسان الدين بن الخطيب، فقد عرفه تعريف المعجب، رغم ما يقع بين الأقران من الوحشة والتحاسد، فدلّ ذلك على رفعة ابن لبّ التي بلغها بين معاصريه بما أوتيته من أدوات العلم، ومناهج المعرفة.

قال ابن الخطيب في ابن لبّ: "سابق ركض ملء عنانه، وشارق طلع في أفق أوانه. أوري له زند الذكاء اقتداحا، أجال في كلّ فنّ قداحا، فجلى في ميدان الإجابة وبرز، وطرق المجالس وطرز. فإن نقل أوضح العبارة وصقل، وإن نظر وبحث، نشر رسم المعاني وبعث، وإن بينّ وعلم، أقرّ له المنازع وسلم"⁽³⁴⁾.

وبهذا المذهب في تناول العلوم وتمثّلها، انتهت إليه في غرناطة "رياسة الفتوى في العلوم"⁽³⁵⁾. وكان اتّجاهه في البحث ينحو منحى أصوليا، ليس على مستوى العلوم فحسب ولكن على مستوى بنائية المعرفة. واستقرّ في منهجه أنّ التععيد اللغوي، والتصريف الأدبي أساس المفاهيم القائمة مصطلحات في العلوم والمعرفة.

وقد كان زمن التحصيل والتأهيل، وهو يحاول العلوم أخذاً في كلّ فنٍّ، أن مال إلى "مجالس الأدب واللغة والعروض والبيان، حيث كان ينتصب للإقراء فيها شيوخ عرفوا بمهاراتهم في هذه المعارف وتمكّنهم منها"⁽³⁶⁾.

فجاءت تصانيفه تؤكد قيامه في التلقي، كما تؤكد اتّجاهه في البحث والمدارسة، والتقييد. فاهتمّ بشرح جمل الزجّاجي، وشرح تصريف التسهيل⁽³⁷⁾، لينهد منه المنهج إلى سبيل تقعيدي متين.

وله تأليف صغار في مسائل عدّة⁽³⁸⁾، أشكلت على المتلقي أو أشكلت في تمثّلاته المدرسية أو المعرفية لها، مثل رسالة "الطريق الممتاز لسلوك مسألة ابن الموّاز"⁽³⁹⁾، و"مسألة الدعاء إثر الصلوات على الهيئة المعروفة"⁽⁴⁰⁾، و"كتاب في الباء الموحّدة"⁽⁴¹⁾، والردّ على ابن عرفة في مسألة القراءة بالشاذ⁽⁴²⁾.

ومنهجه في الكتابة ردّ المشكل إلى البيان، والغموض إلى الوضوح، وهما المنهجان اللذان يقوم عليهما الدرس العلمي. وبنائيته المعرفية أن يتجلى المنهج من خلال البيان، فيتفتّح العقل المتلقي على النسق المعرفي المتكوّن في النظر، فيحصل في النفس العلم بالشيء وإدراكه.

وإدراك الشيء ترادف البيان على الإشكال، فتتّضح المسائل المتكوّنة في مناهج العلوم، أو الطارئة على بناء الدرس، مثل تعقّب الكلام الذي بني عليه المعطى المعرفي، ثمّ نقد الكلام المؤسّس عليه بغموض الفكرة أو الالتباس الحاصل من بنائيتها في المفهوم، بالإطلاق أو التعميم أو التلخيص، ثمّ إيراد ما "يجلّي الرؤية ويطرّد الغبش"⁽⁴³⁾.

ونسقية التوجّه المعرفي في تأليف ابن لبّ، أن يسحب البيان على المسألة بتوضيح معالم المنهج التي صدر عنها البناء المعرفي لتتأسّس المنطلقات عند المتلقي كما تأسّست بداية عند المكوّن لها، فيكون الناتج من عملية الدرس مطابقاً للناتج من عملية التكوين، أي أنّ الدرس⁽⁴⁴⁾ إعادة تكوينية المعرفة.

وقد أوضح ذلك بقوله: "فإنّي سئلت عن مسألة من الإيمان ونصّت لابن الموّاز على وجه الغموض وعدم البيان... فأوضحت طريقها الذي امتاز بسلوكها عليه، وأشار بسديد نظره إليه... وإنّما هو شيء أبديته ليظهر، ومدرك رسمته لينظر"⁽⁴⁵⁾. فتبيّن من قوله منهجه في سبيل تكوين المعرفة.

ويوضح هذا ما نقله الشاطبي وهو أحد علماء المالكية الكبار حينما قال: "كنت يوما سائرا مع بعض الصحاب إذ لقينا شيخنا الأستاذ المشاور أبا سعيد بن لبّ - أكرمه الله - بقرب المدرسة... فدعانا إلى الدخول معه إلى المدرسة، وقال: (أردت أن أطلعكم على بعض مستنداتي في الفتوى الفلانية، وما شاكلها، وأبين لكم وجه قصدي)... فأرانا مسائل... وبسط لنا فيها... وكنت قبل ذلك المجلس تترادف عليّ وجوه الإشكالات في أقوال مالك وأصحابه، فلما كان بعد ذلك المجلس، شرح الله بنور ذلك الكلام صدري، فارتفعت ظلمات تلك الإشكالات دفعة واحدة، لله الحمد على ذلك. ونسأله تعالى أن يجزيه عنا خيرا وجميع معلمينا بفضلهم" (46).

هكذا يكون التكيف المنهجي في بنائية معرفية خالصة، حيث تكون الفرضية العلمية واقعا عقليا يتكوّن من إشكالات أفرزها غموض يتغشّى حيز المسألة في مساحة الإدراك والنظر، ويقضي بيانها لبتأسس منهج التفاعل مع القضايا المتشكلة بالمعطى أو بالنسق، وتكون الغاية تكوين عقل، وتأسيس نظر يحتوي المعرفة بالمنهج.

ويتكوّن تكيف منهجي مغاير بالمعطى، فتتغير بنائية المعرفة حيث يكون الواقع فرضية، تحوّلها المسألة النوازلية إلى إشكال يتطلب التكيف الفقهي التطبيقي لحركية نفسية أو اجتماعية. ومنه يكون الواقع - الفرضية تاريخا محكيا بإحداثيات التدين القائمة في النفس والمجتمع.

هذه الإحداثيات كوّنّت مجموع معادلات نظرية انتظمت فتاوى، تلازمت فيها الصيغة الاجتماعية للحدث وانعكاسه على الفكر الفقهي، فأعطت مدوّنة من وثائق الحياة اليومية المتكوّنة في نسبة الزمن والثقافة المهيمنة على الفعل وآفاقه (47).

وبمقداره العلمي ومشيخته فيه، التي بلغت مكانة الأستاذية لدى العلماء، إذ "قلّ بالأندلس في وقته من أئمتّها الجلّة من لم يأخذ عنه" (48)، نالت فتاويه الاهتمام لدى الناس، فتناولوها مدوّنة (49)، لما فيها من منتخبات التأصيل المذهبي، ولاحتوائها اختيارات خارجة عن مشهور المذهب (50)، فلا يتكلّم في "توجيه مسألة فقهية أو قياس، إلا كان له... الظهور" (51)، مع استشارات أقرانه في المسائل

المهمة، إذ "كان بينه وبين عصريه ابن عرفة مراجعات فتاوى وأحكام بين غرناطة وتونس"⁽⁵²⁾.

وحاز بها التقدم على غيره من لداته، ونظم بها سياق المدرسة المالكية التقليدية⁽⁵³⁾، التي كان ابن رشد من قبله أحد أساطينها، وهو المنهج الذي ارتضاه شيوخ المذهب المتشبهون بالسلفية المالكية، الذين عرفوا في الأندلس بالتعصب لتوجهات المذهب، فقال المواق (ت897هـ/1492م): "شيخ الشيوخ أبو سعيد بن لب، الذي نحن على فتاويه في الحلال والحرام"⁽⁵⁴⁾.

ومن اختياراته فيها منهجه في التزام قاعدة عدم التشديد على المستفتي⁽⁵⁵⁾، فقال: "أردت أن أنبهكم على قاعدة في الفتوى وهي نافعة جداً ومعلومة من سنن العلماء، وهي أنهم ما كانوا يشددون على السائل في الواقع إذا جاء مستفتياً"⁽⁵⁶⁾.

فانتظمت فتاويه نوازل حسنة التأليف⁽⁵⁷⁾، ونالت حظوة الاهتمام بها جمعاً⁽⁵⁸⁾، وشرحا وتدويناً⁽⁵⁹⁾. وساق الوثنريسي في مدونه المعيار ما يربو على مائتي نازلة، فقد كانت "مسائله أكثر من مسائل غيره"⁽⁶⁰⁾ من علماء غرناطة. وسيقت مسائله شواهد استنادية، ومشاكلات فقهية في مدونات النوازل التي جاءت من بعده⁽⁶¹⁾. وكانت بمجموعها حقلاً معرفياً فقهياً تستخلص منه التوجهات المذهبية⁽⁶²⁾، ولونا فكرياً تستعلم منه البنيات المعرفية⁽⁶³⁾، وخلاصة تركيبية يستمد منها النسق المنهجي في تناول القضايا بالمنهج المالكي الأندلسي⁽⁶⁴⁾. كما سيق في منهج التاريخ وثائق قيمة عن جزئيات الحياة اليومية، ومفردات الثقافة الدينية، وخصائص المرحلة بكل مقوماتها التاريخية.

2- أبو إسحاق الشاطبي (ت790هـ/1388م)

كما تنعكس الفترة في القرن الثامن على فكر تلميذه أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت790هـ/1388م)، الذي كان له حضور علمي بما جمع من العلوم، وحصل من المعارف، حتى قيل "الإمام الجليل، العلامة، المحقق، القدوة، الحافظ، الأصولي، المفسر، المحدث، الفقيه، النظار، اللغوي، البياني، الثبت، الثقة..."⁽⁶⁵⁾.

أسس للعلم بإتقان علوم اللغة فهي مدخل المفاهيم، ووعاء البلاغ، ومنها تشكل المبنى في كل معنى مراد. فقرأ فيها الدواوين المشهورة، والكراريس

المضبوطة، نظماً ونثراً، واستوفى منها منهج الاستقراء الظاهري للنص المحرر في أصول العلوم.

حفظ من المتون المقررة؛ ألفية ابن مالك (ت672هـ/1274م)⁽⁶⁶⁾ وكتاب سيبويه (ت180هـ/796م)⁽⁶⁷⁾، وأتقنهما، محدثاً بهما، مسنداً⁽⁶⁸⁾ عن أئمة العربية في وقته⁽⁶⁹⁾، من طريق الإمام النحوي أبي عبد الله البيري⁽⁷⁰⁾، و"رئيس علوم اللسان الشريف أبي القاسم السبتي"⁽⁷¹⁾. ثم أقرأهما تدريساً، وأجاز فيهما رواية⁽⁷²⁾، وألف في فئهما تحريراً⁽⁷³⁾. كما قرأ "تيسير أبي عمرو الداني، والشاطبية... وتسهيل ابن مالك، وجمل الزجاجة"⁽⁷⁴⁾، وكان بذلك من أكابر المتفنين فيها⁽⁷⁵⁾.

ولما كان النصّ الدليل الأول من القرآن، وكانت القراءة فيه من توجهات المنهج في الاستدلال به لغة واصطلاحاً، عمد إلى إتمام خبرته بالعربية بإتقان القراءات المتواترة عن مصدر الوحي حيث قام المفهوم الأول في العقول من استقامة اللفظ في المسموع، الذي جاء على نحو السليقة في ثقافة المجتمع الأول، فأتقن القراءات السبع على شيخه أبي عبد الله محمد بن الفخار⁽⁷⁶⁾.

وأسلمه المنهج في تدرج العلوم من مقاييسات اللغة في دلالاتها إلى مقاييسات الفقه ودلالات أصوله، فأتقن مختصر ابن الحاجب (ت646هـ/1249م)⁽⁷⁷⁾ في أصول الفقه⁽⁷⁸⁾. وقرأ كتاب "منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، وحفظ الموطأ"⁽⁷⁹⁾ برواية يحيى بن يحيى الليثي (ت234هـ/848م)⁽⁸⁰⁾، فحصل له النظر في علوم الشريعة، والافتباس فيها.

وجلس إلى أئمة الفنون في زمنه مثل "الشريف أبي عبد الله التلمساني، والعلامة أبي عبد الله المقرئ، وقطب الدائرة شيخ الشيوخ أبي سعيد بن لب، والعلامة المحدث الخطيب بن مرزوق، والمحقق الأصولي أبي علي منصور بن محمد الزواوي، والمؤلف المفسر أبي عبد الله البلسني، والحاج الخطيب أبي عبد الله جعفر الشقوري"⁽⁸¹⁾.

وسمع "صحيح البخاري... والترمذي، والنسائي... وكتاب الحقائق والرقائق لأبي عبد الله المقرئ... والأحكام الصغرى لعبد الحق، والشفاء لعياض... وعلوم الحديث لابن الصلاح..."⁽⁸²⁾.

وهذه كلّها نصوص في تأسيسات العلوم، محرّرة في مناهجها، مبسّطة في ميادينها، أظهرها العلماء والمشايع بمدرسية فائقة في بناء المعرفة وتشكيلها في نفس⁽⁸³⁾ أبي إسحاق الشاطبي، فوهبته ذهنية فقهية أصولية، لها مقوّمات الاجتهاد، وإمكانية التنظير، كما لها كفاءة النظر، والكلام والجدل.

وصار بمجمل هذه القراءات "الإمام المحدث المتبحر، والمحدث الأصولي، والنظار الجهد"⁽⁸⁴⁾، ومن "أفراد المحققين الأثبات، وأكابر المتفنين فقها، وأصولاً"⁽⁸⁵⁾، و"عالم بلاد المغرب ومحدثها... ومن العلماء البارعين، والفقهاء المحدثين"⁽⁸⁶⁾.

كما بوّأت قراءاته مكانة عظيمة، حيث "فاق الأكابر، والتحق بالأئمة الكبار، وبألف في التحقيق، وتكلّم مع الأئمة في المشكلات، وجرى له معهم أبحاث ومراجعات أجلت عن ظهوره فيها وقوة عارضته وإمامته"⁽⁸⁷⁾.

هذه المراجعات هي نوع من المدارس التي اتّخذها الفقهاء نهجا في عرض المسائل بينهم للبحث والمناقشة، لتستبين سبل الاجتهاد، وطرق الاستنباط في تحرير المسائل من النصوص بتأصيل علمي على قواعد مالكية.

ومنها "مسألة مراعاة الخلاف في المذهب بحثها مع الإمامين القباب⁽⁸⁸⁾ وابن عرفة"⁽⁸⁹⁾، الذي كانت له معه مراجعات وأبحاث عدّة⁽⁹⁰⁾. و"مسألة الدعاء عقب الصلاة... مع القاضي الفشتالي"⁽⁹¹⁾ وابن لب⁽⁹²⁾.

وكان من محرّر هذه الذهنية الفقهية الباحثة والمراجعة، كتاب "عنوان التعريف بأسرار التكليف"⁽⁹³⁾، المشهور بالموافقات، وكتاب "شرح الألفية"⁽⁹⁴⁾، وكتاب "أصول النحو"⁽⁹⁵⁾، وكتاب "الاعتصام"⁽⁹⁶⁾، وهو كتاب في الحوادث والبدع⁽⁹⁷⁾، وكتاب "عنوان الائتفاق في علم الاشتقاق"⁽⁹⁸⁾، وكتاب "الإفادات والإنشادات"⁽⁹⁹⁾، "صغير فيه ظرف، وتحف، وملح"⁽¹⁰⁰⁾.

ومن توجّهاته المنهجية والعملية التأكيد على طريقة اختيار النصوص المؤسّسة لبناءات المعرفية، أو الواردة في الاستدلال، أو المختارة للقرينة، حيث يؤكّد الشاطبي على توجّه منهجي معيّن في تحقيق المسائل، يقوم على وجوب الرجوع إلى كتب المتقدمين من أهل العلم.⁽¹⁰¹⁾

وهذا في العلوم كلها، العملية أو النظرية. وسبب ذلك أن المتقدمين أقعد به من غيرهم من المتأخرين... وعلومهم في التحقيق أقعد⁽¹⁰²⁾. فكان أن صارت كتب المتقدمين، وكلامهم، وسيرهم، أنفع لمن أراد الأخذ بالاحتياط في العلم، على أي نوع كان، وخصوصا علم الشريعة...⁽¹⁰³⁾.

هذا الاحتراز في تحقيق أصول العلوم المنهجية، والذي فرّق بين كتب المتقدمين والمتأخرين، أدّى بالشاطبي إلى اعتبار "انكباب الناس على المختصرات دون غيرها مما يضعف الاستفادة في المسائل النازلة"⁽¹⁰⁴⁾.

ومن توجهاته العملية اختيار المشهور من الأقوال، فيقول: "حسبنا فهم أقوال العلماء والفتوى بالمشهور منها"⁽¹⁰⁵⁾، إذ "مراعاة الأقوال الضعيفة أو غيرها شأن المجتهدين من الفقهاء"⁽¹⁰⁶⁾. لذلك يرى أن "العمل إنّما يكون في المسائل الخلافية على ما هو المشهور"⁽¹⁰⁷⁾.

ومع هذا الحرص على تحرّي المشهور، وهو منهج أصيل في تثبيت المفتي على نهج قويّم في الفتوى، وتثبيت المستفتي على تحرّي الأقوى سداً للذريعة، واحتياطاً للتدين، فإن الشاطبي إذا حزبه مسألة ولم يجد لها نصّاً، ركن إلى المعنى الذي استقرّ في ذهنه من أقوال العلماء إذا لم يعرف مكانه من المدونات⁽¹⁰⁸⁾، أو ركن إلى المقاصد إذا غاب النصّ أساساً، قال في فتاويه: "لا أذكر في هذه المسألة نصّاً عن أحد، لكنّ المقاصد أرواح الأعمال"⁽¹⁰⁹⁾.

كما أن للشاطبي استقلالية خاصة توحى بأن له مذهباً خاصاً به في اختياراته، فهو يؤكّد في فتاويه على ذلك بمقالات، منها قوله: "هذا مقتضى المذهب عندي"⁽¹¹⁰⁾، وقوله "وقد عرفتم مذهبي"⁽¹¹¹⁾، وقوله: "هذا أقرب ما يظهر لي في المسألة"⁽¹¹²⁾، وقوله: "فإن رضيت بهذا النظر من غير نصّ أستند إليه في المسألة، وإلا فأنتم أعلم"⁽¹¹³⁾.

وأما قوله: "وربّما يخالفني في ذلك بعض الشيوخ، ولكنّ ذلك لا يصدني عن القول به، ولي فيه أسوة"⁽¹¹⁴⁾، ففيه دلالة واضحة على استقلاليته التي جعلته على نهج خاصّ في تناول القضايا الفقهية تأصيلاً وفتوى. وكان في كثير من اتجاهاته على طرف نقيض مع علماء عصره، حتّى قال المواق: "...وشيخ الشيوخ

ابن لبّ وسيدي ابن سراج وسيدي المنتوري وأشياهما، سيدي القيجاطي وسيدي الحفاري يستخفون ما استثقله الشاطبي، ويستثقلون ما استخفه الشاطبي⁽¹¹⁵⁾.
فصار له اتجاه فقهي في النظر والاستدلال، ينحو نحوه كثير ممن آمن بنهجه، واستقام على طريقته، رغم أن كل ذلك كان في إطار مالكي صرف. وقد صار الذين ينتهجون نهجه يوسمون بالشاطبيين كما نصّ على ذلك المواق⁽¹¹⁶⁾.

ومن خلال استقراء فتاويه التي بيّنا اتجاهه في تناول قضاياها، فإنّ المحصل المعرفي عندنا أنّ بنية الفكر المقاصدي المتداخلة مع المنهج الأثري في فكر الشاطبي تطرح إشكالا ابستمولوجيا في معرفة فقهية متطورة، احتوت التوجّه السلفي المحارب لكل طارئ غير تاريخي أو منصّوص عليه، مع اعتماد المقاصدية في النظر إلى التكوين المعرفي الفقهي الجامع بين الحال والمآل، وبين ظاهر النصّ ومقاصده بإوالية المصلحة التي يؤمّها الشرع بنحو الحكم.

وعلى هذين القطبين ابن لبّ والشاطبي تكوّنت مدرستان فقهيتان في غرناطة⁽¹¹⁷⁾، الأولى المدرسة التقليدية، وهي مدرسة الدراية ويترأسها الشيخ ابن لبّ، والثانية مدرسة أنصار السنّة، وهي مدرسة الرواية، ومن أعلامها الشاطبي⁽¹¹⁸⁾.

الخاتمة -

نخلص في الأخير إلى أنّ العقل الفقهي النوازلي يتميّز في تشكيله عن العقول المعرفية الأخرى. كما يتميّز عن العقل الفقهي العام الذي تتكوّن ملكته في إدراك أصول الفقه، أو حفظ المسائل، أو إتقان المناهج في تخريج الفروع عن الأصول. فهو عقل متيقّظ ابستمولوجيا، متحفّز معرفيا، مؤطّر تاريخيا، يتفاعل باستحضار كلّ هذه المزايا لينشئ معرفة يمنحنا إياها وفق أحكام، شطرها فقه يحتوي نصوصا وبناءات واجتهادات، وشطرها وجود يحتوي واقعا وتاريخا. إنّهُ العقل الذي يمدّ حقول المعرفة في بحث الإنسان بكلّ المعطى من المعرفة العلمية الخالصة للفقه، والمعرفة الثقافية الخالصة للتفكير، والمعرفة الاجتماعية الخالصة للحياة، والمعرفة الاقتصادية الخالصة للحركة والعيش.

الهوامش -

- (1) إسماعيل بن يوسف بن الأحمر أبو الوليد (ت807هـ/1404م): **نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان**، تحقيق محمد رضوان الداية، ط 01، مؤسسة الرسالة، بيروت 1396هـ/ 1976م، ص 186.
- (2) أحمد بن محمد بن أبي العافية ابن القاضي (ت1025هـ/1616م): **درة الحجال في غرة أسماء الرجال**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1423هـ/ 2002م، ص 414.
- (3) إسماعيل بن الأحمر، المصدر السابق، ص 187.
- (4) عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت911هـ/1505م): **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 02، دار الفكر 1399هـ/ 1979م، ج 02، ص 243.
- (5) ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد (ت799هـ/1397م): **الديباج المنهّب في معرفة أعيان علماء المنهّب**، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنّان، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1417هـ/ 1996م، ص 316.
- (6) أنظر: حياة قارة: حوار الديانات في الأندلس: بين الجدل الديني والخلاف الكلامي من خلال تقييد لابن لبّ في القضاء والقدر، AlAndalus Magreb، ع 16، كاديز، إسبانيا 2009، صفحات 185 - 208.
- (7) أنظر:
- Justin (Stearns) : Contagion in : theologie and law : ethical considerations in the writings of two 14th century scholars of Nasrid Granada, in: Islamic Law and Society, V 14, No 1-3, Brill, Royaume-Uni 2007, pp 109-129.
- (8) أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ/1626م): **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق أبو يحيى عبد الله الكندري، ط 01، دار ابن حزم، بيروت 1422هـ/ 2002م، ص 275.
- (9) علي بن عبد السلام التسولي أبو الحسن (ت1258هـ/1842م): **البهجة في شرح التحفة**، د ط، دار الفكر، بيروت 1416هـ/ 1996م، م 02، ص 243.
- (10) أحمد بن محمد بن أبي العافية ابن القاضي (ت1025هـ/1616م): **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد**، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجّي، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1417هـ/ 1996م، ص 694.
- (11) بدر الدين القرافي (ت946هـ/ 1533م): **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق أحمد الشتيوي، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1403هـ/ 1983م، ص 126.
- (12) أحمد بن يحيى الوثريسي (ت914هـ/1508م): **وفيات الوثريسي**، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجّي، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1417هـ/ 1996م، ص 694.
- (13) محمد بن عبد الملك أبو عبد الله المنتوري (ت834هـ/1430م): **فهرسة المنتوري**، تحقيق محمد بنشريف، ط 01، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط 1432هـ/ 2011، صفحات 66، 71، 141.

- (14) القرافي، المصدر السابق، ص 126.
- (15) إبراهيم بن موسى الشاطبي أبو إسحاق (ت 790هـ / 1388م): **الإفادات والإنشادات**، تحقيق محمد أبو الأضفان، ط 01، مؤسّسة الرسالة، بيروت 1403هـ / 1983م، ص 109.
- (16) نفسه، ص 154.
- (17) أحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ / 1626م): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، ط 01، تحقيق بإشراف عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط 01، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا 1398هـ / 1989م، ص 358.
- (18) ابن مريم محمد بن محمد المديوني أبو عبد الله (ت 1014هـ / 1605م): **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق محمد بن أبي شنب، د ط، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1326هـ / 1908م، ص 175.
- (19) ابن القاضي، درة الحجال، ص 414.
- (20) أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، 275.
- (21) مجهول: **طبقات فقهاء المالكية**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 3928 د، ص 425.
- (22) محمد المجاري أبو عبد الله الأندلسي (ت 862هـ / 1456م): **برنامج المجاري**، تحقيق محمد أبو الأضفان، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982، ص 91.
- (23) شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ / 1449م): **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، تحقيق محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 01، حيدرآباد، الهند 1388هـ / 1968م، ج 02، ص 77.
- (24) السيوطي، بغية الوعاة، ج 02، ص 243.
- (25) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 357.
- (26) محمد بن محمد بن الجزري (ت 833هـ / 1429م): **غاية النهاية في طبقات القراء**، بعناية المستشرق برجستراسر، ط 03، دار الكتب العلمية، بيروت 1402هـ / 1982م، ج 02، ص 08. و البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي (1438هـ / 1841م):
- جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالفتن والحكام**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2002، ج 06، ص 255.
- (27) محمد أبو عبد الله التاودي (ت 1209هـ / 1795م): **حلى المعاصم لفكر ابن عاصم**، مطبوع على هامش البهجة في شرح التحفة، د ط، دار الفكر، بيروت 1416هـ / 1996م، م 02، ص 243.
- (28) ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ / 1374م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق عبد الله عنان، ط 01، مكتبة خانجي، القاهرة 1393هـ / 1973م، م 04، ص 24.
- (29) السيوطي، بغية الوعاة، ج 02، ص 243.
- (30) المنتوري محمد بن عبد الملك أبو عبد الله (ت 834هـ / 1430م):

- فهرسة المنتوري، تحقيق محمد بنشرية، ط 01، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط 1432هـ/2011م، صفحات 66، 71، 72، 83، 88، 94، 140، 173، 176، 184، 190.
- (31) في حوصلة مروياته، أنظر: المجاري، المصدر السابق، ص 99، 118، 127. والمنتوري، الفهرسة، ص 114.
- (32) بدر الدين القرافي: توشيح الديباج، ص 126.
- (33) أنظر: الشاطبي، الإفادات والإنشادات، صفحات 93، 94، 114، 119، 154، 166.
- (34) لسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ/1374م): أوصاف الناس في التواريخ والصلوات، تحقيق محمد كمال شبانة، د ط، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د ت، ص 32 - 33.
- (35) المقرئ أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت 1408هـ/1988م، ج 05، ص 513.
- (36) حسن الوراكلي: الفقيه الغرناطي أبو سعيد فرج بن لبّ والأدب، حوليات كلية اللغة العربية، ع 04، مراكش نوفمبر 1992، ص 22.
- (37) المقرئ: نفع الطيب، ج 05، ص 513.
- (38) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج، ص 359.
- (39) فرج بن قاسم بن لبّ أبو سعيد الغرناطي (ت 782هـ/1380م): نوازل ابن لبّ، مخطوط مكتبة الحرم المدني، رقم 151/255، لوحة 92 ظهر، الوثنريسي، المعيار، ج 02، ص 50.
- (40) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج، ص 359.
- (41) العسقلاني أحمد بن علي بن محمد بن حجر (ت 852هـ/1449م):
- إنباء الفهر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 01، حيدرآباد، الهند 1388هـ/1968م، ص 77.
- (42) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج، ص 359.
- (43) فرج بن قاسم بن لبّ أبو سعيد الغرناطي (ت 782هـ/1380م): ينبوع العين الثرة في تفريع مسألة الإمامة بالأجرة، تحقيق قطب الريسوني، ط 01، دار ابن حزم، بيروت 1426هـ/2005م، ص 45.
- (44) التأليف درس عام، والدرس تأليف خاص.
- (45) أحمد بن يحيى الوثنريسي (ت 914هـ/1508م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق بإشراف محمد حجّي، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1401هـ/1981م، ج 02، ص 50 - 51.
- (46) الشاطبي، الإفادات والإنشادات، صفحات 152 - 154.
- (47) يجب أن ينظر إلى النوازل أنّها الوثائق التي انتظمت بتلقائية وعفوية، نظّمها المجتمع، وأطرتها الظروف، لذلك آتت حاجة نفسية واجتماعية، انعكس عليها الحدث، الذي صورّها بدقة من خلال الالتزام الديني. ومن نصوصها يرتسم خط التاريخ، وخط الثقافة.

- (48) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج، ص 358.
- (49) المقرئ، نفع الطيب، ج 05، ص 513.
- (50) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج، ص 358.
- (51) إسماعيل بن الأحمر، المصدر السابق، ص 187.
- (52) محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت 1376هـ/1956م): **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، تحقيق عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، د ط، المكتبة العلمية، المدينة المنورة 1397هـ/1977م، ج 02، ص 248.
- (53) مصطفى الصمدي: **الفقيه أبو سعيد فرج بن القاسم بن أحمد بن لبّ (ت 783هـ) ومنهجه في الفتوى من خلال نوازل، الذخائر**، ع 15 - 16، س 04، بيروت 1424هـ/2003م، ص 33. وسمّاها كذلك مدرسة الدراية.
- (54) محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري المعروف بالمواق (ت 897هـ/1491م): **سنن المهتدين**، تحقيق محمد بن سيدي محمد بن حمّين، ط 01، مطبعة بني يزناسن، سلا، المغرب 2002، ص 99.
- (55) رغم التزام ابن لبّ بنصوص المذهب التي كوّنّت المدرسة المالكية الأندلسية، إلّا أنّه نهج فيها نهجا خاصا بناه على التيسير على المستفتي. وهذا دليل على مبلغ علم ابن لبّ من جهة، ثمّ دليل على المجتمع الذي كان يمرّ بمرحلة صعبة من مراحل التاريخ. كما أنّه دليل على مقدار التدين والالتزام لدى المجتمع الأندلسي في زمن ابن لبّ.
- (56) الشاطبي، الإفادات والإنشادات، ص 153.
- (57) ابن القاضي، درة الحجال، ص 414.
- (58) المقرئ، نفع الطيب، ج 05، ص 514.
- (59) مصطفى الصمدي: **الفقيه أبو سعيد**، ص 33.
- (60) أبو الفضل ابن طركاظ: **مجموع ابن طركاظ**، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم 1747 د، ص 46.
- (61) عيسى بن علي الحسني العلمي (القرن 12هـ/18م): **كتاب النوازل**، تحقيق المجلس العلمي بفاس، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1403هـ/1983م، ج 01، ص 140، ج 02، ص 26، وج 03، ص 64.
- (62) فرج بن قاسم بن لبّ أبو سعيد الغرناطي (ت 782هـ/1380م): **تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد**، تحقيق حسين مختاري وهشام الرامي، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ/2004م، ج 02، صفحات 52، و113 - 114.
- (63) ابن لبّ، النوازل، لوحات 44 - 48، تقريب الأمل البعيد، ج 01، ص 166.
- (64) ابن لبّ، النوازل، لوحات 82 - 84، تقريب الأمل البعيد، ج 01، صفحات 151 - 153، وج 02، ص 52.

- (65) أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 92.
- (66) محمد بن عبد الله، أحد الأئمة في علوم اللغة، ولد بالأندلس وانتقل إلى دمشق، له كتاب الألفية، وتسهيل الفوائد. ترجمته في: خير الدين الزركلي: الأعلام، ط 07، دار العلم للملايين، بيروت 1986، ج 06، ص 233.
- (67) عمرو بن عثمان بن قنبر، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، لزم الخليل بن أحمد وألف كتابه الذي لم يصنع مثله. ترجمته في: الزركلي، الأعلام، ج 05، ص 81.
- (68) الإسناد في متون العلوم من علو الهمة، وإتقان الحفظ.
- (69) يوسف إلياس سركيس: معجم المطبوعات العربية، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ت، ج 01، ص 1090.
- (70) محمد المجاري، المصدر السابق، ص 116.
- (71) أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 92.
- (72) محمد المجاري، المصدر السابق، ص 116.
- (73) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، ج 01، ص 18.
- (74) محمد المجاري، المصدر السابق، ص 120.
- (75) الحجوي الثعالبي، الفكر السامي، ج 04، ص 82.
- (76) محمد المجاري، المصدر السابق، ص 119.
- (77) عثمان بن عمر ابن الحاجب، فقيه مالكي، من علماء العربية، صنف الكافية، والشافية. الأعلام، ج 04، ص 211.
- (78) محمد المجاري، المصدر السابق، ص 116.
- (79) محمد المجاري، المصدر السابق، ص 116.
- (80) يحيى بن يحيى بن كثير، أندلسي من رواة الموطأ، يطلق عليه لقب فقيه الأندلس، تولى القضاء، وكان من عوامل انتشار مذهب مالك في الأندلس. ترجمته في: ابن الفريسي، ج 02، ص 176.
- (81) أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 92.
- (82) محمد المجاري، المصدر السابق، ص 120.
- (83) لدى الباحث اعتقاد جازم في كون المعرفة بناء في النفس البشرية. وإنّ الدرس العلمي ليس تلقينا فحسب، فما لم تتمثل النفس بقوتها الإدراكية لا يستطيع العقل تحصيله، أو الإحاطة به. لذلك تفشل المنظومات التربوية إذا لم تمكن النفس من بلوغ المعرفة، أو تمكن المعرفة من بلوغ النفس. وعلماء النفس والإبسمولوجيون يدركون المفاهيم التي طرحها جان بياجيه في مثل هذه القضايا.

- (84) عبد الحي بن عبد الكبير الكتّاني، فهرس الفهارس، ج 01، ص 191.
- (85) الحجوي الثعالبي، الفكر السامي، ج 04، ص 82.
- (86) محمود حسن التونكي: معجم المصنفين، د ط، مطبعة وزكوغراف طّبارة، بيروت 1344هـ/1925م، ج 04، ص 448.
- (87) أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 92.
- (88) أبو العباس القباب (ت778هـ/) إمام فقيه، تولى الفتيا بفاس، وكان من المراجعين للمسائل مع علماء وفته، وله فتاوى نقلها الونشريسي والبرزلي. ترجمته في: مخلوف محمد بن محمد: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، د ط، دار الفكر، بيروت، د ت شجرة النور الزكية، ص 235.
- (89) أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 93.
- وابن عرفة هذا هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (ت803هـ/1400م)، إمام تونس وعالمها، له كتاب "المختصر الكبير" و"المبسوط". ترجمته في: نيل الابتهاج، ص 463.
- (90) ابن مريم، البستان، ص 195.
- (91) محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي (ت777هـ/1375م) قاضي فاس، من فقهاء المالكية، ممن مدحهم لسان الدين بن الخطيب، له كتاب في الوثائق. ترجمته في: الأعلام، ج 05، ص 328.
- (92) أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 93.
- (93) إسماعيل باشا بن محمد البغدادي: **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، ج 02، ص 127.
- (94) التونكي، المرجع السابق، ج 04، ص 449.
- (95) البغدادي، هدية العارفين، ج 01، ص 18.
- (96) الكتّاني عبد الحي بن عبد الكبير: **فهرس الفهارس والأثبات**، تحقيق إحسان عباس، ط 02، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1402هـ/1982م، ج 01، ص 191.
- (97) أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 93.
- (98) البغدادي، هدية العارفين، ج 01، ص 18.
- (99) الكتّاني، المرجع السابق، ج 01، ص 191.
- (100) أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 93.
- (101) إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشاطبي (ت790هـ/1388م): **الموافقات في أصول الشريعة**، تحقيق عبد الله دراز، د ط، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د ت، ج 01، ص 97.
- (102) نفسه، ج 01، ص 97.

- (103) نفسه، ج 01، ص 99.
- (104) مبارك جزاء الحربي: نماذج من جهود فقهاء المالكية المغربية في تدوين النوازل الفقهية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ع 64، الكويت صفر 1427هـ/ مارس 2006م، ص 293.
- (105) إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشاطبي (ت 790هـ/ 1388م): فتاوى الإمام الشاطبي، تحقيق محمد أبو الأصفان، د ط، طيباوي للطبع والنشر، الجزائر، د ت، ص 119.
- (106) نفسه، ص 119.
- (107) نفسه، ص 127.
- (108) نفسه، ص 157.
- (109) نفسه، ص 214.
- (110) نفسه، ص 164.
- (111) نفسه، ص 168.
- (112) نفسه، ص 153.
- (113) نفسه، ص 149.
- (114) نفسه، ص 150.
- (115) المواق، المصدر السابق، ص 99.
- (116) نفسه، ص 325.
- (117) يمكن للبحث الفقهي أو البحث، أو البحث التعليمي ان يحضر في نصوص النوازل ليستبين معالم هذه المدارس، مع تقرير أساطينها الذين بينوا مباحثهم واتجاهاتهم وهم يؤدون واجب الفتوى، كما فعل الشاطبي.
- (118) محمد بن شريفة: من أعلام أواسط العصر الغرناطي: المنتوري، بحوث الملتقى الإسباني المغربي الثاني "التاريخ، العلم والمجتمع"، غرناطة نوفمبر 1989، ص 33.
- المصادر والمراجع**
- ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف أبو الوليد (ت 807هـ/ 1404م):
- نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، ط 01، مؤسسة الرسالة، بيروت 1396هـ/ 1976م.
- البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي (1438هـ/ 1841م):
- جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2002.
- البغدادى إسماعيل باشا بن محمد:

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.
ت.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.
ت.
- بنشريعة محمد: من أعلام أواسط العصر الغرناطي:
- المنتوري، بحوث الملتقى الإسباني المغربي الثاني "التاريخ، العلم والمجتمع"، غرناطة
نوفمبر 1989.
- التاودي محمد أبو عبد الله (ت 1209هـ/1795م):
- حلى المعاصم لفكر ابن عاصم، مطبوع على هامش البهجة في شرح التحفة، د ط، دار
الفكر، بيروت 1416هـ/1996م.
- التسولي علي بن عبد السلام أبو الحسن (ت 1258هـ/1842م):
- البهجة في شرح التحفة، د ط، دار الفكر، بيروت 1416هـ/1996م.
- التبكتي أحمد بابا (ت 1036هـ/1626م):
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق أبو يحيى عبد الله الكندري، ط 01،
دار ابن حزم، بيروت 1422هـ/2002م.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط 01، تحقيق بإشراف عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط 01،
منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا 1398هـ/1989م.
- التونكي محمود حسن:
- معجم المصنفين، د ط، مطبعة وزنكوغراف طبرة، بيروت 1344هـ/1925م
- الثعالبي محمد بن الحسن الحجوي (ت 1376هـ/1956م):
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، تحقيق عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، د ط،
المكتبة العلمية، المدينة المنورة 1397هـ/1977م.
- ابن الجزري محمد بن محمد (ت 833هـ/1429م):
- غاية النهاية في طبقات القراء، بعناية المستشرق برجستراسر، ط 03، دار الكتب العلمية،
بيروت 1402هـ/1982م.
- الحربي مبارك جزاء:
- نماذج من جهود فقهاء المالكية المغاربة في تدوين النوازل الفقهية، مجلة الشريعة
والدراسات الإسلامية، ع 64، الكويت صفر 1427هـ/مارس 2006م
- حياة قارة:

- حوار الديانات في الأندلس: بين الجدل الديني والخلاف الكلامي من خلال تقييد لابن لبّ في القضاء والقدر، AlAndalus Magreb، ع 16، كاديز، إسبانيا 2009.
- ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/1374م):
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان، ط 01، مكتبة خانجي، القاهرة 1393هـ/1973م.
- أوصاف الناس في التواريخ والصلوات، تحقيق محمد كمال شبانة، د ط، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د ت.
- خير الدين الزركلي:
- الأعلام، ط 07، دار العلم للملايين، بيروت 1986.
- سركيس يوسف إلياس:
- معجم المطبوعات العربية، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ت
- السيوطي عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين (ت 911هـ/1505م):
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 02، دار الفكر 1399هـ/1979م.
- الشاطبي إبراهيم بن موسى أبو إسحاق (ت 790هـ/1388م):
- الإفادات والإتشادات، تحقيق محمد أبو الأحفان، ط 01، مؤسسة الرسالة، بيروت 1403هـ/1983م.
- فتاوى الإمام الشاطبي، تحقيق محمد أبو الأحفان، د ط، طيباوي للطبع والنشر، الجزائر، د ت.
- الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، د ط، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د ت.
- الصمدي مصطفى:
- الفقيه أبو سعيد فرج بن القاسم بن أحمد بن لبّ (ت 783هـ) ومنهجه في الفتوى من خلال نوازل، الذخائر، ع 15-16، س 04، بيروت 1424هـ/2003م.
- ابن طركاظ أبو الفضل:
- مجموع ابن طركاظ، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم 1747 د.
- العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (ت 852هـ/1449م):
- إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ، تحقيق محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 01، حيدر آباد، الهند 1388هـ/1968.

- العلمي عيسى بن علي الحسني (القرن 12هـ/18م):
- كتاب النوازل، تحقيق المجلس العلمي بفاس، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1403هـ/1983م.
 - ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد (ت 799هـ/1397م):
 - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1417هـ/1996م.
 - ابن القاضي أحمد بن محمد بن أبي العافية (ت 1025هـ/1616م):
 - درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1423هـ/2002م.
 - لقط الفرائد من لفاظة حق الفوائد، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجّي، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1417هـ/1996م.
 - القرافي بدر الدين (ت 946هـ/1533م):
 - توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق أحمد الشتيوي، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1403هـ/1983م.
 - ابن لبّ فرج بن قاسم أبو سعيد الغرناطي (ت 782هـ/1380م):
 - تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد، تحقيق حسين مختاري وهشام الرامي، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ/2004م.
 - نوازل ابن لبّ، مخطوط مكتبة الحرم المدني، رقم 255/151.
 - ينبوع العين الثرة في تفريع مسألة الإمامة بالأجرة، تحقيق قطب الريسوني، ط 01، دار ابن حزم، بيروت 1426هـ/2005م.
 - المجاري محمد أبو عبد الله الأندلسي (ت 862هـ/1456م):
 - برنامج المجاري، تحقيق محمد أبو الأجنان، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982.
- مجهول:
- طبقات فقهاء المالكية، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 3928 د.
 - ابن مريم محمد بن محمد المديوني أبو عبد الله (ت 1014هـ/1605م):
 - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، د ط، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1326هـ/1908م.

مخلف محمد بن محمد:

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، د ط، دار الفكر، بيروت، د ت.
- المقري أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م):**
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت 1408هـ/ 1988م.
- المنتوري محمد بن عبد الملك أبو عبد الله (ت 834هـ/1430م):**
- فهرسة المنتوري، تحقيق محمد بنشرية، ط 01، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط 1432هـ/ 2011م.
- المواق محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري (ت 897هـ/1491م):**
- سنن المحدثين، تحقيق محمد بن سيدي محمد بن حمّين، ط 01، مطبعة بني يزناسن، سلا، المغرب 2002.
- الوراكلي حسن:**
- الفقيه الغرناطي أبو سعيد فرج بن لبّ والأدب، حوليات كلية اللغة العربية، ع 04، مراكش نوفمبر 1992.
- الونشريسي أحمد بن يحيى (ت 914هـ/1508م):**
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق بإشراف محمد حجّي، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1401هـ/ 1981م.
- وفيات الونشريسي، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجّي، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1417هـ/ 1996م.

Justin (Stearns) :

- Contagion in : theologie and law : ethical considerations in the writings of two 14th century scholars of Nasrid Granada, in: Islamic Law and Society, V 14, No 1-3, Brill, Royaume-Uni 2007.



الثقافة العربية الإسلامية على خارطة بث الفضائيات العربية دراسة ميدانية من وجهة نظر الشباب الجامعي في الجزائر

سلطان بلغيث

جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر

ملخص -

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة واقع حضور الثقافة العربية الإسلامية على خارطة بث الفضائيات العربية من وجهة نظر عينة من الشباب الجامعي الجزائري، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، ومن مجموع 950 طالبا وطالبة، طبقت الدراسة على عينة من (100) مبحوث، يمثلون مختلف التخصصات في الجامعة الجزائرية. كما استخدم الباحث أدوات الملاحظة والاستمارة في جمع البيانات.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

70% من المبحوثين يفضلون القنوات العربية، ويرى 82% من المبحوثين أن الفضائيات العربية ساهمت بدرجات متفاوتة في دعم مكتسباتهم اللغوية، في حين يرى 82% أن الفضائيات العربية تسهم في ربط المشاهد بجذوره الثقافية العربية الإسلامية، بينما 98% من المبحوثين يرون أن الفضائيات العربية تتناول مواد تتعلق بالتاريخ العربي الإسلامي.

الكلمات المفتاحية -

الفضائيات، الثقافة، الثقافة العربية الإسلامية، الشباب، الشباب الجامعي، الجامعة.

Arab Islamic Culture On The Map Of Broadcasting Arab Satellite Channels A Field Study From The Perspective Of University Youth In Algeria

Abstract-

The Study Aimed To Know The Reality Of The Presence Of Arab Islamic Culture On The Map Of The Broadcast Of Arab Satellite Channels From The Point Of View Of A Sample Of Algerian University Youth. The Researcher Used Descriptive Analytical Method. Of The Total Of 950 Students, The Study Was Applied To A Sample Of 100 Respondents, University Of Algeria. The Researcher Also Used The Observation Notes And The Form In The Data Collection.

The Study Reached The Following Results:

Seventy-Two Percent Of The Respondents Prefer Arab Channels, And 82% Of The Respondents Believe That The Arab Satellite Channels Contributed To Varying Degrees In Supporting Their Language Acquisition. 82% Of The Respondents Believe That Arab Satellite Channels Contribute To Linking The Viewer To His Arab-Islamic Cultural Roots, While 98% It Deals With Articles Related To Arab And Islamic History.

Keywords -

Satellite TV, Culture, Arab Islamic Culture, Youth, University Youth, University.

1- خلفية الدراسة ومشكلتها -

يعيش العالم مع مطلع القرن الواحد والعشرين على وقع ثورة في مجال تكنولوجيا الاتصال، فقد حرر البث المباشر المشاهدين من الانكفاء حول البرامج المحلية، وفتح لهم بدائل واسعة لتجسيد أذواقهم وميولهم، مما جعلهم يندفعون، وبشراهة أحياناً، للإقبال على ثقافة الآخر المغاير أو المساير، والتفتح على ضروب مختلفة من المعارف والمعلومات التي أضحت تتيحها حضارة الصورة ويوفرها مجتمع المعلومة.

وعلى الرغم من أن القنوات العربية سجلت حضورها ضمن هذا الزخم من الفضائيات المتعددة المشارب الفكرية والإيديولوجية، إلا أن هذا الحضور يكاد يكون حضور وسيلة أكثر منه حضور رسالة. وتؤكد اليونسكو في دراساتها أن "التلفازات العربية تستورد من الدول الأجنبية ما بين 40% و60% من مجموع البرامج التي تروج ضمن التلفاز" (نهوند، 2008)، ذلك أن الهيئات المتنفذة في العالم العربي الإسلامي تنفق بسخاء على القنوات كوسيلة، ويتردد الكثير منهم في دعم القنوات كرسالة حضارية، بكل ما تحمله من أبعاد فكرية وثقافية، "مما جعل الإعلام العربي يبدو في أغلب ممارساته وكأنه صيد سهل المنال لأحبولة الاختراق الثقافي الأجنبي الذي يستغل كثرة القنوات وقلة المحتويات لتمرير رسالته للجمهور العربي، وتشويش آلية الإدراك والتصور والسلوك الاجتماعي... والتشويش على نظام القيم، وتوجيه الخيال، وتنميط الذوق، وقولبة السلوك، والهدف تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع تشكل في مجموعها ما يُمكن أن نطلق عليه ثقافة الاختراق" (الجابري، 1998، ص17).

فالمعلومات هي القوة المرنة التي باتت في الظروف الراهنة تتوب عن مناجم الذهب والفضة، وتشكل عوامل الهيمنة والتبعية على الصعيد الكوني. إن إدخال الثقافة إلى حلبة الصراع العالمي جعلها تقفز لتكون في صدارة المواجهة ضمن المشهد السمعي - البصري العالمي. ومن ثمة فإن ضمان الحضور المُشرف لثقافتنا في عصر الثورة الرقمية، لن يتأتى إلا بالمشاركة الإيجابية الفاعلة في تصميم المجتمع الراهن؛ حتى تكون للثقافة العربية الإسلامية بصماتها، وتحقق حضورها في تشييد وإنجاز المشهد العالمي الراهن رؤية وتصورا، ممارسة وعملاً، من خلال تجسيد ذلك في عملية الإنتاج كرهان تتسابق عليه دول العالم.

إن القنوات الفضائية الأجنبية التي تمطر المشاهدين بوابل من المعلومات، تحمل مضامين فكرية وسياسية وأيديولوجية متباينة، قد لا تتفق في أغلب الأحيان مع عادات وتقاليد مجتمعنا العربي - الإسلامي مما يجعل وجود بدائل إعلامية لامتناهات أوقات الفراغ لدى المشاهدين ولاسيما فئة الشباب أكثر من

ضرورة. من خلال تبصير الشباب العربي ولاسيما الجامعي منه بحقيقة الذات الحضارية العربية- الإسلامية وتوعيته بما يجري حوله من تطورات.

ومن ثمة فإن تكريس وسائل الإعلام الثقيلة متمثلة في الإعلام المرئي للاستفادة من خدماتها وإمكاناتها المعرفية والثقافية أمر في غاية الأهمية، إذ إن استثمار الفضائيات العربية بمنهجية ممكن في التعريف بالثقافة العربية الإسلامية ونشرها على نطاق واسع بين الشباب العربي ولاسيما الجامعي منه. ولعل توجهاً كهذا من شأنه أن يسهم في دفع عجلة الثقافة خطوات إلى الأمام، لاسيما بعد التصالح بين الفعل الثقافي والعمل الإعلامي الذي يتيح حضوراً لا بأس به للمادة الثقافية على الركح الإعلامي.

ونظراً للتزايد الملحوظ للفضائيات العربية، وعدم توفر دراسات علمية أكاديمية تهتم بمعالجة الملف الثقافي في وسائل الإعلام المرئية العربية في حدود اطلاعنا. وبالنظر إلى أن الشباب عامة والشباب الجامعي خاصة يمثل نسبة كبيرة من المجتمع الجزائري، وبناء على أهمية هذه الشريحة في المجتمع حاضراً ومستقبلاً. فإن هذا البحث يتبنى محاولة تهدف إلى استكشاف دور الفضائيات العربية في خدمة الثقافة العربية- الإسلامية من وجهة نظر الشباب الجامعي، إذ إن الدراسة تتوخى معرفة مدى اعتماد الشباب الجامعي على الثقافة التلفازية التي تتيحها الفضائيات العربية كمصدر للمعرفة والثقافة الإسلامية. وكذا مدى تفاعل الشباب الجامعي كفئة مثقفة مع تراثه وثقافته كرافد من روافد بناء هويته الثقافية، وصيانتها والاعتزاز بها في مواجهة التحديات الوافدة.

2- أسئلة الدراسة:

1- هل معدل إقبال الشباب الجامعي على التلفاز يفوق معدل تعرضه لوسائل الاتصال الأخرى (صحافة، إذاعة، فيديو، كتب، انترنت)؟

2- هل التعرض للفضائيات العربية ينمي رصيد الشباب الجامعي في اللغة العربية؟

3- هل تسهم الفضائيات العربية في تعريف الشباب الجامعي بتراثه العربي الإسلامي؟

4- هل متابعة القنوات الفضائية العربية له علاقة بإدراك الشباب الجامعي لأحداث التاريخ الإسلامي؟

5- هل تعرض الشباب الجامعي للفضائيات العربية يؤدي إلى زيادة وعيه الديني؟

3- أهداف الدراسة:

1- معرفة مدى اعتماد الشباب الجامعي على الثقافة المرئية التلفازية كمصدر من مصادر المعرفة والثقافة الإسلامية.

2- الاطلاع على مستوى الثقافة العربية الإسلامية لدى طلبة الجامعة .

3- تجلية دور الفضائيات العربية في زيادة معلومات المشاهدين حول التاريخ العربي الإسلامي.

4- معرفة مدى تفاعل الشباب الجامعي مع تراثه كرافد من روافد مواجهة الاختراق الإعلامي والغزو الثقافي.

5- إيضاح دور الفضائيات العربية في تنمية وعي الشباب الجامعي بالدين الإسلامي.

4- التعريفات الإجرائية للبحث:

الفضائيات العربية : هي القنوات الفضائية المملوكة لدول، أو أشخاص، أو هيئات عربية، يخضع بعضها للحكومات العربية، بينما يُدار بعضها الآخر من خلال رأس المال الخاص، سواء كانت عامة أو متخصصة، تبث برامجها من داخل العالم العربي أو خارجه، وتذيع برامجها باللغة العربية، وتستقبلها الأطباق الهوائية في الجزائر.

الثقافة العربية -الإسلامية : هي تلك المعلومات والأفكار وأنماط السلوك التي حصل عليها، أو تعلمها ، أو تمثلها المبحوث من خلال مشاهدته للقنوات الفضائية العربية، والتي تسهم في تنمية معارفه ذات الصلة بمكونات هذه الثقافة (الدين الإسلامي، اللغة العربية، التراث العربي الإسلامي، التاريخ الإسلامي...).

الشباب الجامعي: فئة من الطلبة الجامعيين تتراوح أعمارهم بين 18- 30 سنة، ذكوراً وإناثاً، من كل التخصصات العلمية في الجامعة الجزائرية، يزاولون تعليمهم في السنة الأخيرة من دراستهم الجامعية.

الجامعة: مؤسسة تعليمية تضم عدداً من الكليات (أو المعاهد) والأقسام، تقدم لطلابها تعليماً عالياً نظرياً وعملياً، وتتولى إعدادهم للتعامل مع الحياة العملية بكل متطلباتها وتحدياتها من خلال تطوير قدراتهم وتنمية معارفهم وصقل مواهبهم، وتمنحهم درجات، وشهادات في مختلف المجالات العلمية.

5- المنهج المستخدم في البحث:

بالنظر إلى طبيعة الدراسة والأهداف التي تتوخى تحقيقها، والمتمثلة في معرفة واقع الدور الذي تضطلع به الفضائيات العربية في نشر الثقافة العربية- الإسلامية في أوساط الشباب الجامعي؛ فإن المنهج الأكثر ملاءمة في دراسة هذا النوع من الظواهر هو المنهج الوصفي التحليلي، إذا ما تعلق الأمر بالجانب النظري، أو الميداني من خلال جمع البيانات المتعلقة بآراء المبحوثين، وكذا تحليل هذه البيانات وتفسيرها والتعليق عليها والمقارنة بينها، لاستخلاص دلالاتها وأبعادها السوسيوولوجية، والتوصل إلى النتائج التي تدعمها.

6- العينة وطريقة اختيارها:

بعد حصر أعداد طلبة السنوات النهائية في مختلف أقسام الجامعة، والبالغ عددهم 950 طالبا وطالبة، وبالنظر لتجانس مجتمع البحث، تم سحب عينة ممثلة بطريقة عشوائية طبقية. بنسبة 10% تتكون من 100 طالب وطالبة.

7- محددات الدراسة:

- 7-1 المحدد الجغرافي: جامعة الشيخ العربي التبسي، الواقعة بولاية تبسة
- 7-2 المحدد البشري: طلاب وطالبات جامعة تبسة
- 7-3 المحدد الزمني: السنة الجامعية 2015- 2016 .

8- أدوات جمع البيانات :

8-1 استمارة البحث

تتكون الاستمارة من ناحية الشكل من أربعة محاور في ثلاثين سؤالاً، فضلا عن أسئلة البيانات الشخصية. وقد بدأت بأسئلة حول حجم إقبال المبحوثين على الفضائيات؛ ثم أسئلة لمعرفة دور الفضائيات العربية في تنمية معلومات المبحوثين الخاصة بلغتهم العربية.

لنخلص في النهاية إلى رصد الدور الذي لعبته هذه الفضائيات في بث الوعي الديني لدى المبحوثين ونمو معارفهم الدينية.

وقد تمت المراجعة النهائية للاستمارة من أساتذة مختصين، إذ أقر هؤلاء الخبراء بصلاحيّة الاستمارة لقياس ما وضعت لقياسه، وبالتالي فقد اعتمدنا على صدق المحكمين، ومادامت الاستمارة صادقة فهي ثابتة.

8-2- الملاحظة بالمُعاشية:

أفادتنا هذه الأداة في التعرف عن كثر على المستوى الثقافي واللغوي، وملاحظة الكثير من الأنماط السلوكية التي تصدر عن المجتمع الطلابي الجامعي، ورصد مدى انسجامها مع روح الثقافة الإسلامية.

9- الدراسات السابقة:

هناك العديد من الأبحاث التي تناولت الفضائيات العربية: دراسة عبدالله بوجلal (بوجلal، 1994) بعنوان: الشباب الجزائري وبرامج التلفاز الأجنبي التي هدفت إلى معرفة عادات وأنماط تعرض الشباب الجزائري لبرامج القنوات التلفازية الأجنبية، والآثار التي تحدثها تلك البرامج على اتجاهات الشباب ومعارفهم وقيمهم وسلوكياتهم. وقد كان حجم العينة 664 شاباً ثانوياً ذكوراً وإناثاً، واستخدم الباحث منهج المسح الوصفي والمنهج السببي المقارن، كما تم استخدام استماراتي الاستبانة والمقابلة. وقد أظهرت النتائج ما يأتي:

أجاب (5997، %) من المبحوثين بأنهم يشاهدون برامج القنوات الأجنبية. جاءت الألعاب في المرتبة الأولى، تلتها الأفلام وأخذت المنوعات الموسيقية والغنائية المرتبة الموالية، ثم البرامج العلمية تلتها المسلسلات ثم الأخبار ثم البرامج الثقافية.

أما دراسة البطريق (البطريق، 1996) بعنوان القنوات الفضائية الدولية والهوية الثقافية العربية، فقد حاولت الإجابة عما إن كانت الفضائيات الدولية بكل محتوياتها تهدد الهوية الثقافية والذات الوطنية. وقد تكونت عينة الدراسة من 150 مفردة من مختلف الفئات الاجتماعية، واستخدمت الباحثة منهج المسح الاجتماعي بشقيه الوصفي والتحليلي، مع صحيفة الاستقصاء؛ وخلصت

الدراسة إلى أن نسبة مشاهدة الفضائيات الأوروبية (355، %)، كما جاء المضمون الترفيهي والترويحي في المرتبة الأولى ضمن البرامج المفضلة من عينة الدراسة بنسبة (43 %). كما لوحظ تراجع عادة القراءة لدى الإناث بنسبة أكبر من الذكور.

ومن جهتها هدفت دراسة عبد القادر بن الشيخ و محمد حمدان (ابن الشيخ وحمدان، 1997) بعنوان: الجمهور العربي والبنث التلفازي المباشر عبر القنوات الفضائية. إلى رصد الانعكاسات الثقافية والاجتماعية للبنث التلفازي المباشر. وتكونت عينة الدراسة من 400 مفردة مأخوذة من أربعة أقطار بطريقة العينة الحصصية (Quota).

واستخدم منهج المسح الاجتماعي والمنهج المقارن. ووظف صحيفة الاستبانة؛ وقد بينت النتائج: انخفاض حجم مشاهدة القنوات الوطنية مقابل القنوات العربية والأجنبية.

التعامل مع البرامج الدينية في أغلب التلفازات العربية يختلف من قطر لآخر، إذ تنخفض نسبة المتابعة لدى المبحوثين إلى ثلث المستجوبين، ولا سيما الشباب، وتقتصر متابعتها على الكهول، أما المضامين التربوية فهي أقل حظاً مقارنة بحجم المشاهدة التي تحظى بها البرامج الدينية.

في حين هدفت دراسة بلغيث (بلغيث، 1998) بعنوان: جمهور المعلمين والفضائيات إلى معرفة عادات وأنماط مشاهدة المعلمين لبرامج الفضائيات، ومدى تأثير المشاهدة على بعض الأنشطة الأخرى التي يمارسها المعلم كالقراءة والاستماع إلى الراديو وارتياح السينما، وهل للمشاهد حصانة ثقافية إزاء ما يتعارض مع قيمه الحضارية من رسائل إعلامية أجنبية؟ وقد تكونت عينة الدراسة من 100 مفردة، واستخدم الباحث منهج المسح الوصفي، وكذا أدوات الاستمارة، المقابلة، الملاحظة؛ وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

تصدر دافع الانفتاح على العالم الخارجي والاحتكاك الثقافي مع الحضارات الأخرى، أسباب الإقبال على مشاهدة الفضائيات بنسبة 78 % من العينة المدروسة.

تحتل القنوات العربية المرتبة الأولى ضمن تفضيلات المشاهدة، تليها القنوات الفرنسية ثم تأتي القنوات الناطقة بلغات أخرى مثل الإنجليزية والألمانية والتركية والإيطالية.

يشاهد المبحوثون الفضائيات لزيادة معلوماتهم في المقام الأول بنسبة (93 %) ويأتي دافع التسلية في الدرجة الثانية بنسبة (44 %).
التعليق على الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة تناولت عادات وأنماط مشاهدة الجمهور للفضائيات العربية بصورة عامة دون التركيز على دور بعينه كالدور الثقافى، أو السياسى، أو التربوي...الخ.

أغلب الدراسات تتفق حول الدور الذي أدته الفضائيات العربية في تغيير عادات وأنماط المشاهدة لدى الجمهور بمختلف أطيافه. وإيقاظ جزء من وعيه الخامل من خلال لفت اهتمامه ببعض القضايا والمشكلات التي كانت مغيبة عنه ضمن أجندة الإعلام الرسمي لسنوات خلت.

اختلفت الدراسات السابقة بشكل نسبي بشأن طبيعة وحجم التحول الذي طرأ على عادات وأنماط المشاهدة التلفازية، وكذا تفضيلات المشاهدين بين القنوات العربية والقنوات الأجنبية، وتراتبية البرامج بالنسبة للمتلقي، وآثار ذلك على قيم المجتمع العربي الإسلامي.

عدم تسليط الضوء العلمي حول واقع التعامل الذي يبديه المجتمع الجامعي، ولاسيما طلبة الجامعة إزاء الرسالة التنويرية التثقيفية للفضائيات العربية كمتغير إعلامي له وقعه المؤثر في المشهد السمعي - البصري العربي والعالمي.

لقد استفادت الدراسة الراهنة من الدراسات السابقة في تحديد بعض المفاهيم، والأهداف، وبلورة بعض الفرضيات. وكذا بعض الاقتراحات والتوصيات التي شكلت نقطة الانطلاق لبلورة إشكالية الدراسة الحالية. إلا أن هناك اختلافا بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية يتمثل فيما يأتي:

الدراسة الحالية تحاول استكشاف واقع الدور الذي تضطلع به الفضائيات العربية في نشر الثقافة العربية الإسلامية، وهو توجه نوعي في البحث يتوخى

رصد دور الفضائيات العربية من زاوية طبيعة الزاد الثقافى الذي تقدمه لمشاهديها.

10- الدراسة الميدانية:

1- هل معدل إقبال الشباب الجامعي على التلفاز يفوق معدل تعرضه للوسائل الإعلامية الأخرى؟
جدول (1): يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً للوسيلة الإعلامية المفضلة لديهم في الحصول على المعلومات.

النوع			ذكور			إناث			المجموع		
وسائل الإعلام المفضلة	ك	%	ت	%	ك	ت	%	ك	ت	%	ك
التلفاز	17	19.10	1	25.17	36	1	25.17	53	22.84	1	53
الإنترنت	13	14.60	6	20.97	30	2	20.97	43	18.53	2	43
الكتاب	16	18	2	17.48	25	3	17.48	41	17.67	3	41
الصحيفة	15	16.85	3	13.98	20	4	13.98	35	15.08	4	35
الإذاعة	14	15.73	4	13.98	20	4	13.98	34	14.65	5	34
الفيديو	14	15.73	4	8.39	12	6	8.39	26	11.20	6	26
السينما	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
مجموع التكرارات	89	100	-	143	100	-	100	232	100	-	-

❖ - يلاحظ في بعض الجداول ومنها الجدول أعلاه - زيادة عدد التكرارات على عدد المبحوثين، وذلك بسبب طبيعة الأسئلة ذات الخيارات المتعددة، أو الأسئلة المفتوحة، التي تستدعي أكثر من إجابة للسؤال الواحد أحياناً، لذلك وجب التنبيه إلى أن المجموع في بعض الجداول يمثل عدد الإجابات وليس عدد المبحوثين.

يتضح من خلال البيانات الواردة في الجدول رقم (01): أن التلفاز يحتل المركز الأول ضمن تفضيلات أفراد العينة من الجنسين (22.84%)، أما الإنترنت

فقد احتلت المركز الثاني (18.53%) في حين جاء الكتاب في المرتبة الثالثة (17.67%)، تليه الصحيفة والإذاعة والفيديو والسينما على التوالي.

وتشير النتائج أعلاه إلى المكانة التي يحتلها، والحظوة الاجتماعية التي ينفرد بها ضمن اهتمامات المبحوثين، فمشاهدة التلفاز باتت عادة تلازم الحياة اليومية للإنسان المعاصر، وهذا ما يُرشحه لأن يقوم بدور مميز، من حيث قدرته على التأثير، والمساهمة في تشكيل الأفكار والرؤى والقيم.

وتتسق هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسات أخرى على الصعيدين العربي والعالمي من أن "الانتشار الكبير للوسائل السمعية البصرية أدى إلى تحول مهم من ثقافة المكتوب إلى ثقافة الصورة... وأصبح المسلك الرئيسي للثقافة يمر عبر الوسائل السمعية البصرية" (عنايت، 1984، ص 132).

جدول (2): يبين توزيع عينة الدراسة حسب القنوات التي يفضلون

مشاهدتها.

النوع القنوات المفضلة	ذكور			إناث			المجموع		
	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت
قنوات عربية	20	66.66	1	50	71.42	1	70	70	1
قنوات وطنية	06	20	2	15	21.42	2	21	21	2
قنوات أجنبية	04	13.33	3	05	7.14	3	09	9	3
المجموع	30						70		
							100		

تبين معطيات الجدول رقم (02). أن القنوات الفضائية العربية تعد أكثر القنوات التي تفضل عينة الدراسة مشاهدتها، إذ بلغت نسبة مشاهديها 70%، أما القنوات الوطنية فقد جاءت في المركز الثاني بنسبة 21 % لتحل القنوات الأجنبية في المرتبة الثالثة بنسبة 9 % . وتفسير ذلك أن الانتشار المتنامي للفضائيات العربية، ولاسيما الخاصة والمتخصصة منها، ينعكس على تنوع البرامج والمضامين وتوفر البدائل الإعلامية الأمر الذي فتح أعين المشاهدين على كثير من القضايا الحساسة التي عاشت ردىاً من الزمن في طي الكتمان.

وتنسجم هذه المعطيات مع النتائج التي خلصت إليها الدراسة الميدانية التي قام بها معهد الدراسات الإستراتيجية الشاملة بالجزائر على عينة من المشاهدين الجزائريين في مطلع التسعينيات، والتي اتضح من خلالها أن 72 % من المبحوثين يتابعون برامج الفضائيات، كما ذكر 82.8 % من المبحوثين أن الفضائيات تُقدم إعلاماً أكثر من القناة الوطنية (INESG, 1993)، بمعنى أن ظاهرة الانفتاح الإعلامي وتعدد بدائل المشاهدة تمثل بالنسبة للمشاهد لحظة مفصلية في الانعتاق الفكري، أنهت حقبة من الانكفاء حول قناة واحدة ورأي واحد ولون واحد حرم المشاهد من توسيع افقه الإعلامي والثقافي.

جدول (3): يبين توزيع أفراد العينة وفقاً للقنوات التي يُفضل المبحوث مشاهدتها باستمرار.

النوع القنوات المُشاهدة*	ذكور			إناث			المجموع		
	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت
اقرأ	08	26.66	2	21	30	1	29	29	1
الجزيرة	12	40	1	11	15.71	4	23	23	2
سورية	03	10	4	17	24.28	2	20	20	3
MBC	-	-	-	13	18.57	3	13	13	4
العربية	03	10	4	08	11.42	5	11	11	5
MBC2	04	13.33	3	-	-	-	04	04	6
المجموع	30	-	-	70	-	-	100	-	-

❖ تجدر الإشارة إلى أنه مع كثرة القنوات العربية و صعوبة عرض أسمائها في الاستمارة، فقد طُلب إلى المبحوث أن يذكر خمس قنوات تحظى بأفضلية المشاهدة بالنسبة إليه، تاركين له الحرية في الاختيار دون تزويده بأسماء قنوات معينة.

حسب بيانات الجدول أعلاه فقد جاءت قناة اقرأ في المركز الأول في الترتيب العام بنسبة 29 %، في حين حلت الجزيرة في المرتبة الثانية بنسبة 23 %، ويعكس هذا الإقبال الشبابي الكثيف على قناة اقرأ كقناة يغلب على برامجها الطابع الديني التوعوي، إلى حاجة ملحة لدى المبحوثين للتشبع بالكثير من المعلومات المتصلة بالقضايا الإسلامية، التي يوجد الكثير منها في الجزيرة أيضا؛ مما يجعل

مسؤولية الفضائيات العربية كبيرة في ترقية الوعي الجماهيري، والمساهمة الإيجابية في البناء الاجتماعي. ولا شك أن اعتماد المبحوثين بكثافة على قنوات إخبارية مثل: الجزيرة، والعربية وأخرى دينية مثل: اقرأ، وأخرى متنوعة مثل: MBC، سورية، يغذيه نُزوع المبحوثين إلى إذكاء معارفهم، فهذه القنوات تطرح قضايا سياسية واجتماعية وثقافية ودينية متنوعة، وتتناول مسائل ذات صلة بالدين والحياة والمجتمع، مما يسهم في إثراء معارف المشاهد.

جدول (4): يبين توزيع أفراد العينة وفقاً لطبيعة البرامج المشاهدة من

الفضائيات العربية.

النوع البرامج المشاهدة	ذكور			إناث			المجموع	
	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
الأخبار	18	16.36	1	22	14.66	1	40	15.38
الحصص الخاصة	15	13.66	2	20	13.33	3	35	13.46
الأفلام	14	12.72	3	20	13.33	3	34	13.07
المسلسلات	12	10.90	6	22	14.66	1	34	13.07
الموسيقى	12	10.90	6	20	13.33	3	32	12.30
ألعاب	13	11.81	5	18	12	6	31	11.92
أفلام وثائقية	12	10.90	6	16	10.66	7	28	10.76
الرياضة	14	12.72	3	12	8	5	26	10
المجموع	110	100		150	100		260	100

من خلال قراءة بيانات الجدول رقم (4). تتكشف لنا النتائج الآتية:

حظيت الأخبار بالأفضلية الأولى في المشاهدة بالنسبة للبرامج المفضل مشاهدتها من قبل عينة الدراسة بنسبة 15.38% من العينة، بينما جاءت الحصص الخاصة في المرتبة الثانية ضمن البرامج المفضل مشاهدتها لدى المبحوثين بنسبة 13.46%، في حين حلت المسلسلات في المركز الثالث بنسبة 13.07%؛ مع تفوق لنسبة الإناث المتابعين للمسلسلات 14.66% مقارنة بالذكور 10.90%. مما يؤكد أن المسلسل يعد واحداً من أكثر المواد التلفزيونية التي تلقى إقبالا لدى عينة الدراسة. ويتفق هذا مع ما جاء في دراسة أجريت في

الكويت أظهرت "أن 97.5 % من مجمل الأفراد الذين يشاهدون التلفزيون يتابعون التمثيليات أو المسلسلات التي يقدمها التلفاز" (إمام، 1975، 137).

ومن جهتها، جاءت الأفلام في الصف الثالث بنسبة 13.07 %، وفي المرتبة الرابعة جاءت الموسيقى بنسبة 12.30 %، أما المركز الخامس فكان من نصيب الألعاب بنسبة 11.92 % ؛ وحصلت الأفلام الوثائقية على المرتبة السادسة بنسبة 10.76 % . كما حظيت البرامج الرياضية بالترتيب السابع بنسبة 10 %.

ولا يخفى علينا أن المواد البرمجية المذاعة عبر الفضائيات عبارة عن أوعية تنصهر داخلها المعاني ثم يُعاد إنتاجها اجتماعياً عبر جملة المحتويات التي يتلقاها الجمهور، مما ينعكس في بناء السلوك الثقافي ويؤثر في اتجاهات المشاهدين، هذا الإعلام يمارس فعله الاجتماعي والنفسي والسياسي، ويترك آثاره وبصماته الظاهرة والخفية على المجتمعات.

جدول (5): يُبين توزيع عينة الدراسة وفقاً لمدى تأثير مشاهدتهم للفضائيات

على بعض الأنشطة الأخرى.

نوع التأثير الأنشطة المتأثرة	ذكور			إناث			المجموع		
	سلبا	إيجابا	لم يؤثر	سلبا	إيجابا	لم يؤثر	سلبا	إيجابا	لم يؤثر
المطالعة	18	12	-	46	22	02	64	34	02
%	60	40	-	65.71	31.42	2.85	64	34	2
النوم	22	08	-	55	05	10	77	13	10
%	73.33	26.66	-	78.57	7.14	14.28	77	13	10
العلاقات مع الأصدقاء	10	20	-	22	40	08	32	60	08
%	33.33	66.66	-	31.42	57.14	11.42	32	60	8
العلاقات الأسرية	08	18	04	22	38	10	30	56	14
%	26.66	60	13.33	31.42	54.28	14.28	30	56	14

توضح قراءة بيانات الجدول رقم(5): أن 64 % من المبحوثين يقرون أن مشاهدتهم للتلفاز أثرت سلباً على المطالعة، بينما قال 34 % أنها أثرت إيجاباً، في حين ذكر 2 % أنها لم تؤثر.

أما الذين قالوا بأن مشاهدة التلفاز أثرت سلباً على النوم، فقد بلغت نسبتهم 77 %، في مقابل 13 % قالوا إنها أثرت إيجاباً، بينما ذكر 10 % أنها لم تؤثر.

في حين ذكر 60 % من المبحوثين أن مشاهدة التلفاز أثرت إيجاباً على العلاقات مع الأصدقاء، في مقابل 32 % قالوا إنها أثرت سلباً، بينما ذكر 8 % أنها لم تؤثر.

أما الذين قالوا إن مشاهدة التلفاز أثرت إيجاباً على العلاقات الأسرية، فقد بلغت نسبتهم 56 %، في مقابل 30 % قالوا إنها أثرت سلباً، في حين رأى 14 % أنها لم تؤثر.

وهكذا تكون عملية المشاهدة مدعاة لتقوية الألفة الاجتماعية، وتنمية فن التواصل والصداقة، والتعارف الاجتماعي الهادف والمفيد بين الأفراد في المجتمع، لاسيما إذا ما علمنا أن الأسرة العربية على خلاف الأسرة الغربية تمتاز بقوة الروابط العائلية بين أفرادها، وتعد صلة الرحم من القيم التي تحظى بالتبجيل في المجتمع الجزائري على الرغم من التأثيرات الوافدة التي حاولت الإضعاف من التجذر الاجتماعي لهذه القيمة، وربما هذه واحدة من الإنجازات التي تُحسب للقنوات العربية، وهي أنها أسهمت بمضامينها ولو جزئياً في تطويع سلطة المرئي لصالح تعزيز آليات انتماء الفرد لأسرته ومجتمعه والارتباط به.

2- هل التعرض للفضائيات العربية ينمي رصيد الشباب الجامعي في اللغة

العربية؟

جدول (6): يبين توزيع أفراد العينة وفقاً لاستجاباتهم بشأن الأثر اللغوي لمشاهدة الفضائيات العربية.

النوع		ذكور			إناث			المجموع	
الاستجابة	حول الأثر اللغوي للفضائيات العربية	ك	%	ت	ك	%	ت	%	ت
إلى حد ما		20	66.66	1	30	42.85	1	50	1
نعم		08	26.66	2	24	34.28	2	32	2
لا		0	-	-	10	14.28	3	10	3
دون رأي		02	6.66	3	06	8.57	4	8	4
المجموع		30	100		70	100		100	

يبين الجدول رقم (5): أن 50 % من المبحوثين يرون أن الفضائيات العربية وفقت إلى حد ما في دعم مكتسباتهم اللغوية، في حين قال 32 % أن الفضائيات العربية وفقت في نشر اللغة العربية، أما نسبة الذين نفوا أن يكون للفضائيات أي إسهام في نشر اللغة العربية فقد بلغت 10 % . وقد بلغت نسبة الذين امتنعوا عن الإدلاء برأيهم 8 % .

ويمكن تفسير هذه الأرقام على الشكل الآتي:

ذكر المبحوثون الذين قالوا بأن الفضائيات العربية لها أثر في مستواهم اللغوي ، بأنهم تمكنوا من خلال المشاهدة من معرفة مفردات لغوية جديدة في العربية، لاسيما من خلال مشاهدة بعض حصص المسابقات والألعاب الفكرية والمسلسلات التاريخية، ونشرات الأخبار، وبعض الحصص التي تسلط الأضواء على قضايا لغوية وأدبية ،مثل "أوراق أدبية" (المجد)، "لألي الشعر" (أبيات مختارة من عيون الشعر العربي)، "بحر اللغة" (المحور)، "برنامج افتح يا سمسم" ، "مدينة القواعد" ، "لغتنا الجميلة" ، "كلمات ودلالات" ، "فرسان الشعر" ... الخ. ومن ثمة فإن نسبة 82 % من المبحوثين تقرر بوجود مرودية لغوية لظاهرة الفضائيات العربية.

جدول (7): يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لأسماء البرامج والقنوات التي

يرون أن لها إسهاماً في نشر العربية الفصحى.

المجموع			إناث			ذكور			النوع	البرامج
ت	%	ك	ت	%	ك	ت	%	ك	القنوات	
1	18.88	27	4	12.24	12	1	33.33	15	الجزيرة	الشريعة والحياة
2	13.99	20	1	20.40	20	-	-	-	اقرأ	مشكلات من الحياة
2	13.99	20	1	20.40	20	-	-	-	سورية	الكواسر والجوارح
2	13.99	20	1	20.40	20	-	-	-	أبو ظبي	من سيربح المليون
5	12.58	18	5	10.20	10	3	17.78	08	العربية	نقطة نظام
6	6.99	10	5	10.20	10	-	-	-	الجزيرة	بلا حدود
6	6.99	10	-	-	-	2	22.22	10	الجزيرة	الاتجاه المعاكس
8	5.59	08	-	-	-	3	17.78	08	الجزيرة	حصاد اليوم
	6.99	10	7	6.12	06	5	8.89	04	-	دون رأي
		143			98			45		مجموع التكرارات

جاء برنامج الشريعة والحياة (قناة الجزيرة) في المركز الأول ضمن قائمة البرامج التي يرى المبحوثون أن لها إسهاماً في نشر العربية الفصحى بنسبة 18.88 %، يليه برنامج مشكلات من الحياة (قناة اقرأ) بنسبة 13.99 %، كما احتل برنامج من سيربح المليون (قناة أبو ظبي) هو الآخر المركز الثاني بنفس النسبة، وكذا برنامج الكواسر والجوارح (قناة سورية)، في حين جاء برنامج نقطة نظام (قناة العربية) في المرتبة الخامسة بنسبة 12.58 %، بينما احتل برنامج الاتجاه المعاكس (الجزيرة) المرتبة السادسة إلى جانب برنامج بلا حدود بنسبة 6.99 %، واحتل برنامج حصاد اليوم (الجزيرة) المرتبة التاسعة بنسبة 5.59 %، في حين امتنع 6.99 % عن الإدلاء بأرائهم حول هذا السؤال.

ولاشك أن هذه القنوات وتلك البرامج أسهمت مع غيرها في إغناء لغة المبحوثين بمعلومات جديدة، فهم يرون أن مسلسلات من قبيل الكواسر والجوارح فتحت مجالات خصبة لإنتاج المعاني، وفتح دوائر النقاش والحوار بشأن جوانب مهمة من تاريخ المجتمع العربي الإسلامي. والخروج من روتين مسلسلات

الصالونات التي تتطرق للمسائل الاجتماعية المتعلقة بالحياة اليومية والتي تركز أكثر على اللهجات المحلية.

جدول (8): يُبين توزيع أفراد العينة وفقاً لأسماء البرامج ♦ والقنوات التي يرون أنها تسهم في نشر اللهجات المحلية.

البرامج	النوع القنوات	ذكور			إناث			المجموع		
		ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت
السينما والناس	روتانا	15	29.41	1	25	25	2	40	26.50	1
الفهامة	الجزائر	10	19.61	3	25	25	2	35	23.17	2
جل البرامج	LBC	-	-	-	30	30	1	30	19.86	3
جل المسلسلات	مصر	12	23.52	2	10	10	4	22	14.57	4
مرايا	سورية	08	15.69	4	-	-	-	08	5.30	5
دون رأي	-	06	11.77	5	10	10	4	16	10.60	
مجموع التكرارات		51			100			151		

♦ - بالنظر لكثرة برامج القنوات القضائية العربية صعوبة عرض كل أسمائها في الاستمارة، فقد طُلب إلى المبحوث أن يذكر القنوات التي يرى من وجهة نظره أنها تُسهم في نشر العامية واللهجات المحلية، تاركين له الحرية في الاختبار دون تزويده بأسماء برامج معينة.

حسب معطيات الجدول رقم (8). فقد احتل برنامج السينما والناس الذي تبثه قناة روتانا في مقدمة البرامج التي يرى المبحوثون أنها تُسهم في نشر اللهجات المحلية بنسبة 26.50 % ، يليه في الصف الثاني برنامج الفهامة القناة الجزائرية 23.17 % . يليه في الصف الثالث جل البرامج في القناة اللبنانية LBC 19.86 % ، وفي المرتبة الرابعة جل المسلسلات في القناة المصرية 14.57 % ، يليه برنامج مرايا في القناة السورية بنسبة 5.30 % . في حين امتنع 10.60 % من المبحوثين عن الإجابة.

فالبرامج المذكورة آنفاً تغلب اللهجة المحلية فيها على اللغة العربية، واستُغلت الفضائيات من بعض الأشخاص لتكون منابر لتسويق هذه اللهجات،

رغبة في سيادة النزعة القطرية على النزعة القومية حتى يبدو للمتابع وكأن هذه الفضائيات تتنافس في توسيع نطاق انتشار العاميات على حساب اللغة العربية الفصحى!

2- هل تسهم الفضائيات العربية في تعريف الشباب الجامعي بالتراث العربي الإسلامي

جدول (9): يُبين توزيع أفراد عينة البحث وفقاً لآرائهم حول مدى إسهام الفضائيات العربية في الارتباط بالجذور الثقافية والحضارية العربية الإسلامية.

النوع الآراء	ذكور			إناث			المجموع	
	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
إلى حد ما	18	60	1	40	57.14	1	58	58
نعم	06	20	2	18	25.71	2	24	24
لا	06	20	2	12	17.14	3	18	18
المجموع	30	100		70	100		100	100

حسب الجدول (9). يرى أغلب المبحوثين بنسبة 58 % أن الفضائيات العربية تسهم إلى حد ما في ربط المشاهد بجذوره الثقافية العربية الإسلامية، في حين أكد نسبة 24 % بإجابة نعم أن الفضائيات العربية تسهم إلى حد ما في ربط المشاهد بجذوره الثقافية العربية الإسلامية، بينما قال 18 % أن الفضائيات العربية لا تسهم في ربط المشاهد بجذوره الثقافية العربية الإسلامية.

وتؤكد هذه النتائج أن الفضائيات لها دور مهم في ربط الصلة بين أبناء المجتمع العربي، وتاريخهم الثقافي والحضاري، مما يترجم أهمية النظام الإعلامي كمعلم لنقل التراث الاجتماعي من جيل إلى الجيل التالي، بما يتضمنه هذا التراث من أنماط سلوكية، ومعلومات وعادات وتقاليد معينة يكاد يكون لها قوة القانون.

جدول (10): يبين توزيع أفراد العينة وفقاً للبرامج والقنوات العربية التي يرون

أنها ساهمت في إحياء التراث العربي الإسلامي.

البرامج	النوع القنوات	ذكور			إناث			المجموع	
		ك	%	ت	ك	%	ت	%	ت
الشرعية والحياة	الجزيرة	20	0.924	1	30	25.86	1	25.12	1
على خطى الحبيب	اقرأ	18	21.69	3	30	25.86	1	24.12	2
دنيا ودين	مصر	20	24.09	1	25	21.55	3	22.61	3
روائع القصص	اقرأ	-	-	-	20	17.24	4	10.05	4
عُظماء في التاريخ	الشارقة	15	18.07	4	-	-	-	7.53	5
كان يا ما كان	اقرأ	-	-	-	11	9.48	5	5.52	6
سجايا عربية	اليمن	10	12.04	5	-	-	-	5.02	7
مجموع التكرارات		83			116			199	

كما توضح بيانات الجدول (10). فقد جاء برنامج الشرعية والحياة (الجزيرة) في الصف الأول بنسبة 25.12%، يليه برنامج على خطى الحبيب (اقرأ) بنسبة 24.12%، ثم يأتي برنامج دنيا ودين (مصر) بنسبة 22.61%، وجاء في المرتبة الرابعة برنامج روائع القصص (اقرأ) بنسبة 10.05%، وفي الصف الخامس جاء برنامج عُظماء في التاريخ (الشارقة) بنسبة 7.53%، في حين احتل برنامج كان يا ما كان (اقرأ) المرتبة السادسة بنسبة 5.52% بينما جاء برنامج سجايا عربية (اليمن) في المرتبة السابعة بنسبة 5.02%.

فكل من هذه البرامج التي ذكرها المبحوثين تقدم جرعات ثقافية، وتنفض الغبار عن جوانب من التراث العربي الإسلامي عليها تسهم في تنمية وعي الأجيال الشابة على الخصوص بأهمية الالتفات إلى تراثهم العريق والاهتمام به.

4- هل متابعة الفضائيات العربية له علاقة بإدراك الشباب الجامعي

لأحداث التاريخ العربي الإسلامي

جدول (11): يبين توزيع أفراد العينة وفقاً لآرائهم حول ما إذا كانت الفضائيات العربية تتناول مواد تتعلق بالتاريخ العربي الإسلامي.

النوع الآراء	ذكور				إناث		المجموع	
	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
بعضها	14	46.66	2	35	50	1	49	49
القليل منها	16	53.33	1	25	35.71	2	41	41
أغلبها	-	-	-	08	11.42	3	08	08
لا واحدة	-	-	-	02	2.86	4	02	02
المجموع	30			70			100	

جاءت نسبة الذين قالوا إن بعض من الفضائيات العربية تتناول مواد برامجية تتعلق بالتاريخ العربي الإسلامي في المركز الأول بنسبة 49 %، في حين بلغت نسبة الذين قالوا إن القليل منها تتناول مواد برامجية تتعلق بالتاريخ العربي الإسلامي 41 %، فيما قالت نسبة 8 % من المبحوثين إن أغلب الفضائيات العربية تتناول مواد برامجية تتعلق بالتاريخ العربي الإسلامي، في حين بلغت نسبة من قالوا لا واحدة من الفضائيات العربية تتناول مواد تتعلق بالتاريخ العربي الإسلامي 2 %.

وبناء على هذه المعطيات يمكن القول أن:

أغلبية المبحوثين 98 % يرون أن الفضائيات العربية تتناول مواد تتعلق بالتاريخ العربي الإسلامي، مع التفاوت حول حجم البرامج والقنوات المساهمة في ذلك.

جدول (12): يبين توزيع أفراد عينة البحث وفقاً للبرامج والقنوات العربية التي يرون أن لها إسهاماً في فهم وإدراك أحداث التاريخ الإسلامي.

البرامج	النوع القنوات	ذكور			إناث			المجموع		
		ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت
فيلم الرسالة	جل القنوات العربية	30	37.5	1	60	34.28	1	90	35.29	1
قصص الأنبياء	اقرأ	25	31.25	2	50	28.57	2	75	29.41	2
الأئمة الأربعة	دبي	15	18.75	3	30	17.14	3	45	17.64	3
أهل الكهف	اقرأ	-	-	-	20	11.42	4	20	7.84	4
رابعة العدوية	مصر	-	-	-	15	8.57	5	15	5.88	5
رجل الأقدار	جل القنوات	10	12.5	4	-	-	-	10	3.92	6
مجموع التكرارات		80			175			255		

جاء فيلم الرسالة الذي بثته أغلب القنوات العربية في صدارة المحتويات الدرامية التي يرى المبحوثون أن لها إسهاماً في فهم وإدراك أحداث التاريخ الإسلامي بنسبة 35.29%. يليها قصص الأنبياء (اقرأ) بنسبة 29.41 %، ثم الأئمة الأربعة (دبي) بنسبة 17.64 %، وفي المرتبة الرابعة أهل الكهف (اقرأ) بنسبة 7.84 %، يليه رابعة العدوية (مصر) بنسبة 5.88 %، وأخيراً رجل الأقدار (جل القنوات) بنسبة 3.92 %.

وفي ذلك دلالة على أن الفضائيات العربية تمكنت من خلال بعض محتوياتها على الأقل من إشباع حاجة المشاهد إلى الاطلاع على بعض الجوانب المهمة من التاريخ الإسلامي المليء بالدروس والعبر.

5- هل تعرض الشباب الجامعي للفضائيات يؤدي إلى زيادة وعيه الديني؟

جدول (13): يبين توزيع أفراد العينة وفقاً لآرائهم حول إسهامات البرامج الدينية في الفضائيات العربية.

المجموع			إناث			ذكور			النوع إسهامات البرامج الدينية في الفضائيات العربية
ت	%	ك	ت	%	ك	ت	%	ك	
1	40	62	1	41.23	40	1	37.93	22	تنمية معلومات المشاهد حول سيرة الرسول(ص)
2	32.25	50	2	30.92	30	2	34.48	20	تعميق الصلة بكتاب الله
3	27.74	43	3	27.83	27	3	27.58	16	التعرف على بعض الأحكام الفقهية المهمة
	100	155		100	97		100	58	مجموع التكرارات

يرى 40% من المبحوثين أن البرامج الدينية التي تبثها الفضائيات العربية تسهم في تنمية معلومات المشاهد حول سيرة الرسول(ص)، بينما يرى 32.25% أنها تؤدي إلى تعميق الصلة بكتاب الله، في حين يرى 27.74% أنها تفيد التعرف على بعض الأحكام الفقهية المهمة. ولعل كل هذه المزايا التي تتوفر عليها برامج الفضائيات العربية بإمكانها أن تسهم في تنمية معارف المشاهد حول ثقافته، وتوسيع مداركه حول عقيدته، وسيرة رسوله، وتوفير له المزيد من المعلومات حول قضايا الساعة في إطار الرؤية الشرعية حتى يتعامل مع واقعه انطلاقاً من الإطار المرجعي الثقافي الذي يحكمه.

جدول (14): يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لآرائهم بشأن الفضائيات العربية التي نجحت في نشر بعض القيم الإسلامية.

المجموع		الشارقة		الفجر		المجد		اقرأ		القنوات القيم
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
100	94	4.25	4	2.12	2	22.34	21	71.27	67	التوبة وزيادة الإقبال على العبادات
100	83	10.84	9	2.40	2	19.27	16	67.46	56	الزيادة الملحوظة لارتداء الحجاب الشرعي
100	78	11.53	9	2.56	2	23.07	18	62.82	49	الالتزام الديني لدى الشباب
255			22		6		55		172	مجموع التكرارات

جاءت قناة اقرأ في مقدمة القنوات التي نجحت في نشر قيمة التوبة وزيادة الإقبال على العبادات بنسبة 71.27 %، وقيمة الزيادة الملحوظة لارتداء الحجاب الشرعي بنسبة 67.47 %، وقيمة الالتزام الديني لدى الشباب بنسبة 62.82 %.

تليها قناة المجد بنسبة 22.34 % في نشر قيمة التوبة وزيادة الإقبال على العبادات، و19.27 % بالنسبة لقيمة الزيادة الملحوظة لارتداء الحجاب الشرعي، و23.07 % بالنسبة لقيمة الالتزام الديني لدى الشباب. فيما احتلت قناة الشارقة المركز الثالث بنسبة 11.53 % في نشر قيمة الالتزام الديني لدى الشباب و10.84 % لقيمة الزيادة الملحوظة لارتداء الحجاب الشرعي، و4.25 % بالنسبة لقيمة التوبة وزيادة الإقبال على العبادات، وحلت قناة الفجر في الصف الرابع بنسبة 2.12 % لقيمة التوبة وزيادة الإقبال على العبادات ونسبة 2.40 % لقيمة الزيادة الملحوظة لارتداء الحجاب الشرعي ونسبة 2.56 %، لقيمة الالتزام الديني لدى

الشباب؛ والحقيقة أن هذه القيم السابقة تصب كلها في خانة الالتزام بالدين من خلال الإقبال على مختلف الطاعات والعبادات التي تعكس التزام المبحوثين بمنهج الإسلام عبر تشبعهم بالثقافة الإسلامية، وهي من القيم الإلزامية في عموميات الثقافة التي يدل تمسك الأفراد المبحوثين بها على مدى التزامهم بالقيم الروحية والعقائدية في ثقافتهم العربية الإسلامية، وهذا يدل على أن بعض القنوات العربية وإن كانت قليلة إلا أنها أدت دوراً مهماً في نشر التوعية الإسلامية لدى المشاهد، والتأثير الإيجابي على فكر المتلقي وبناء ثقافته الإسلامية من خلال إقناعه بضرورة العودة إلى الدين والالتزام به كمنهج حياة. جدول(15): يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً للقيم التي يرون أن الشباب تعرفوا عليها عبر الفضائيات العربية.

المجموع			إناث			ذكور			النوع القيم	
1	17.47	47	1	18.64	33	1	15.21	14	التعاون	قيم اجتماعية
6	9.66	26	6	6.77	12	1	15.21	14	الأمانة	
4	11.89	32	3	13.55	24	5	8.69	08	الإخلاص	
2	13.38	36	3	13.55	24	4	13.04	12	الصدق	
6	9.66	26	6	6.77	12	1	15.21	14	التراحم	
10	1.48	04	-	-	-	10	4.34	04	الشجاعة	
5	10.78	29	5	11.86	21	5	8.69	08	الكذب	قيم سلبية
9	5.57	15	8	5.08	09	7	6.52	06	الأنانية	
3	12.26	33	2	15.25	27	7	6.52	06	اللامبالاة	
8	7.80	21	6	8.47	15	7	6.52	06	الظلم	
		269			177			92	مجموع التكرارات	

كما يوضح الجدول أعلاه فقد حازت قيمة التعاون على المرتبة الأولى بنسبة 17.47 %، مع تفوق نسبة الإناث 18.64 % على الذكور 15.21 %؛ ولا غرو في ذلك فالتعاون قيمة راسخة في المجتمع الجزائري المسلم، الذي يُمثل التعاون بمثابة الإسمنت المسلح الذي يقوي اللحمة الاجتماعية ويوحد الأحاسيس

والمشاعر، أما قيمة الصدق فقد حلت في الصف الثاني بنسبة 13.38%، ويظهر أن نسبة الإناث 13.55% متقدمة على نسبة الذكور 13.04%.

وقد احتلت اللامبالاة المرتبة الثالثة ضمن قائمة القيم التي يرى المبحوثون أن الشباب تعرفوا عليها من خلال الفضائيات العربية بنسبة 12.26 % ، مع تسجيل تفوق نسبة الاناث 15.25% على الذكور 6.52%.

وجاءت قيمة الإخلاص في المرتبة الرابعة بنسبة 11.89 % ، ويلاحظ أن نسبة تأكيد الإناث لهذه القيمة 13.55% أكبر من نسبة تأكيد الذكور 8.69 % .

وفي المرتبة الخامسة جاء الكذب بنسبة 10.78%، مع تفوق نسبة الإناث 11.86 % القائلات بأن الشباب تعرف على الكذب من خلال متابعته لبرامج الفضائيات العربية على نسبة الذكور 8.69 % . ولاغرو في ذلك فجّل المسلسلات و الأفلام تطفح بسيل من القيم السلبية، ومن بينها الكذب الذي يصور في هذه الأعمال الدرامية على أنه ذكاء وفطنة وحيل مشروعة للخروج من المأزق في كثير من الأحيان.

وحلت الأمانة والتراحم في المرتبة السادسة، يليه الظلم فالأنانية، فالشجاعة. والواقع أن مسألة التأثير الذي تحدثه الفضائيات قضية نسبية، صعبة القياس، تتباين من فرد لآخر ومن بيئة ثقافية لأخرى، ولذلك فإن الحديث عن تأثير برنامج ما على المشاهدين، مسألة تخضع لطبيعة الاختلافات الموجودة بين البشر، مما يتطلب التزام الحيطة والحذر أثناء تعميم بعض الأحكام المتصلة بآثر برامج ومضامين التلفاز على المشاهد.

جدول (16): يبين توزيع أفراد عينة الدراسة تبعاً لمحتويات الفضائيات العربية التي أثرت في تفكيرهم وغيرته.

البرامج	النوع	ذكور			إناث			المجموع	
		ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
قبل أن تُحاسبوا	اقرأ	10	12.5	4	33	27.5	1	43	21.5
صُناع الحياة	اقرأ	15	18.75	2	27	22.5	2	42	21
ونلقى الأحبة	اقرأ	20	25	1	09	7.5	4	29	14.5
الشرعية والحياة	الجزيرة	15	18.75	2	09	7.5	4	24	12
كلام من القلب	اقرأ	-	-	-	21	17.5	3	21	10.5
تجويد القرآن	المجد	10	12.5	4	09	7.5	4	19	9.6
دنيا ودين	مصر	10	12.5	4	03	2.5	8	13	6.5
صفوة الصفوة	الشارقة	-	-	-	03	2.5	8	03	1.5
دون رأي	-	-	-	2	06	05	7	06	03
مجموع التكرارات		80			120			200	

حسب الجدول (16). جاءت قناة اقرأ في المركز الأول من خلال استئثارها بجل البرامج التي أثرت في تفكير عينة البحث وغيرته من خلال المضامين الآتية: قبل أن تحاسبوا 21.5 % ، صُناع الحياة 21 % ، نلقى الأحبة 14.5 % ، كلام من القلب 10.5 % ، ليكون إجمالي الذين عبروا عن تأثرهم من خلال متابعة هذه البرامج 67.5 % ، وتشكل هذه النسبة الأغلبية المطلقة من المبحوثين. مما يجعل قناة اقرأ رائدة القنوات التي تحظى بأولوية المشاهدة لدى العينة المدروسة.

وتأتي برامج قناة الجزيرة في الصف الموالي، ولاسيما منها برنامج الشرعية والحياة بنسبة 12 %، يلي ذلك برنامج تجويد القرآن الذي تبثه قناة المجد بنسبة 9.6 % ، وفي الصف الموالي يأتي برنامج دنيا ودين الذي تبثه قناة مصر بنسبة 6.5 % ، وفي المرتبة الأخيرة يأتي برنامج صفوة الصفوة الذي تبثه قناة الشارقة بنسبة 1.5 % ، أما نسبة الذين امتنعوا عن الإدلاء بأرائهم فقد كانت 3 % .

وتفسير ذلك أن مشاهدة برامج الفضائيات العربية لم تكن مجرد فرجة ترفيهية عابرة هدفها ترفيهية أوقات الفراغ وحسب، بل إن تأثير هذه المشاهدة

تعدى إلى حث عينة الدراسة على قراءة واقعهم في ضوء ما تلقوه من معلومات، وولد فيهم الرغبة الجامحة في تغيير هذا الواقع، وهكذا تمت ترجمة الرغبة في التغيير من فكرة إلى سلوك وممارسة لدى المبحوثين.

جدول (17): يبين توزيع عينة الدراسة وفقاً للاقتراحات التي يرونها كفيلة بتحسين الأداء الثقافي للإعلام العربي المرئي المعاصر للنهوض بالثقافة العربية الإسلامية.

النوع			ذكور			إناث			المجموع		
ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت
16	45.71	1	36	41.37	1	52	42.62	1			
05	14.28	3	15	17.24	2	20	16.40	2			
08	22.85	2	12	13.79	4	20	16.40	2			
04	11.42	4	09	10.34	5	13	10.65	5			
02	5.71	5	15	17.24	2	17	13.93	4			
35			87			122					

كما تعكسه بيانات الجدول أعلاه فإن نسبة مرتفعة من المبحوثين 42.62 %

يقترحون زيادة حجم البرامج ذات الطابع الديني بغرض الإسهام في توعية المشاهدين، ولاسيما الشباب منهم والتقليل من مخاطر تفشي الآفات الاجتماعية في أوساطهم.

كما اقترح 16.40 % ضرورة زيادة حجم البرامج التي تلقي الضوء على التاريخ والحضارة الإسلامية في محاولة لربط جيل الشباب بتراثهم العريق والتخفيف من آثار الإغصاء الإعلامي الوافد الرامي إلى اقتلاع الأجيال من ذاتهم وتغريبهم عن أصالتهم. واقترح 16.40 % أيضاً ضرورة تأهيل كوادر إعلامية شابة متشعبة بالفهم الصحيح لروح الإسلام مع فقه وفهم لمفردات

الواقع المعيش، قوامه الإلمام بالثقافة العربية الإسلامية فكراً وممارسة، في حين امتنع 13.93 % من المبحوثين عن الإدلاء باقتراحاتهم حول هذه النقطة. وإجمالاً فكثرة القنوات الفضائية لا يعني بحال بلوغ المتلقي مرحلة الإشباع الثقافي والإعلامي، وتطوير معارفه، لاسيما مع تدافع موجات الثقافة الاستهلاكية في الفضائيات العربية الساعية إلى توسيع دائرة المتعاملين معها من خلال جاذبية الشكل وسطحية المضمون.

11- نتائج الدراسة:

- جاءت الإنترنت 43% والتلفاز 41% في مقدمة المصادر الإعلامية التي يثق المبحوثون في معلوماتها. مما يرشحها لأن تكون أكثر تأثيراً في صناعة المعرفة الاجتماعية، وتوجيه السلوك العام، من خلال زخم المعلومات والمعارف الذي تقدمه.

- نسبة 70 % من المبحوثين الذين شملتهم الدراسة يفضلون القنوات العربية، فيما يحرص 21 % على متابعة القنوات الوطنية (الرسمية)، ويشاهد 9 % القنوات الأجنبية. وهو ما يجعل من الفضائيات العربية جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية للمشاهد العربي. وبالتالي يكون لها دورها في بناء وبرمجة وعي المتلقي.

- جاءت قناة اقرأ في المرتبة الأولى من بين القنوات التي تحرص عينة الدراسة على مشاهدتها باستمرار، بنسبة 29 % تليها قناة الجزيرة القطرية بنسبة 23 %. وحلت القناة السورية في الصف الثالث بنسبة 20 %، وقناة MBC في المركز الرابع بنسبة 13 %، وقناة العربية في المرتبة الخامسة بنسبة 11 %، وقناة MBC₂ في المرتبة السادسة بنسبة 4 %.

- احتلت الأخبار صدارة البرامج المفضلة من المبحوثين بنسبة 15.38 %، تليها الحصص الخاصة بنسبة 13.46 % ثم الأفلام والمسلسلات بنسبة 13.07 %، وجاءت بعدها الموسيقى بنسبة 12.30 % ثم الألعاب بنسبة 11.92 %، فالأفلام الوثائقية بنسبة 10.76 %، وأخيراً الرياضة بنسبة 10 %.

- على قلة البرامج ذات المحتوى الثقافي الخصب في الفضائيات العربية، فإن المبحوثين يسجلون إقبالاً على بعض البرامج الجادة ذات الزخم المعلوماتي، في

بعض القنوات العربية من مثل برنامج فتاوى على الهوى، صنّاع الحياة (قناة اقرأ) 20%، الاتجاه المعاكس (قناة الجزيرة) 15.79%... وغيرهما.

- ترى نسبة 51% من المبحوثين أن خطاب الفضائيات يغلب عليه خليط من اللهجات، مسجلين جملة من المآخذ على لغة بعض الفضائيات العربية كتفشي الأخطاء اللغوية باستمرار، واستعمال العامية الفجة. ومع ذلك يُقر 82% من المبحوثين أن للفضائيات العربية أثراً لغوياً على مشاهديها، بينما يرى 40% منهم أن الفضائيات مكنتهم من تعلم مهارات جديدة في اللغة العربية، مما يؤكد أن المبحوثين يوظفون مشاهدتهم للفضائيات العربية في دعم وتعزيز مكتسباتهم اللغوية والمعرفية.

ويأتي برنامج الشريعة والحياة في صدارة البرامج 18.88% التي كان لها إسهام في نشر العربية الفصحى من خلال حسن التقديم ومهارة استخدام اللغة، وحُسن اختيار الضيوف. وكذا مسلسل الكواسر والجوارح بنسبة 13.99%. وغني عن البيان أن هذه المقومات التاريخية للهوية الثقافية من لغة، وتراث... لن تكتسب حيويتها وفاعليتها بالتغني بها لفظياً فحسب، بل بإعادة استدامتها عملياً كي تُصبح مركبات أساسية ومرتكزات حية فاعلة في صياغة الواقع الاجتماعي الثقافي الراهن للمجتمع العربي الإسلامي. وتتحمل الفضائيات العربية العبء الأكبر في ترجمة وصياغة هذا الواقع.

- ترى نسبة 82% من المبحوثين أن الفضائيات العربية تُسهم من خلال المحتويات التي تبثها في ربط المتلقي بتراثه الثقافي والحضاري، وذكر 66% أن معلوماتهم حول التراث العربي الإسلامي زادت بمشاهدتهم للفضائيات العربية. وهذا مؤشر إيجابي يُحسب لصالح القنوات العربية التي شكلت - من خلال بعثها للتراث وإحياء عناصر القوة فيه وتفعيلها - الجسر الموصل لبناء الحصانة الثقافية لدى الشباب، وتأمين التعامل الرشيد مع مشروع التنميط الثقافي العالمي للأجيال الناشئة.

- ترى نسبة 98% من المبحوثين أن بعض البرامج في بعض القنوات العربية تقدم إسهاماً في تعريف المشاهد بالتاريخ الإسلامي. وتتباين مستويات هذا الإسهام بين المبحوثين؛ لأن هذه الطفرات الإيجابية في عمل الفضائيات العربية

يجب أن تلقى بظلالها على تلك الإفرازات السلبية في حياتنا الثقافية الناجمة عن الانفتاح غير العقلاني على الثقافة الإلكترونية (عبر الفضائية) والتي وسعت المسافة بين الثقافة والإعلام، وأذكت من حدة التعصب للثقافات المحلية في مرحلة البث الفضائي المفتوح، وهي عصبية لا تكتفي بتوسيع رقعة المسافة بين ثقافة عربية وثقافة عربية أخرى، أو بين ثقافة نخبة وثقافة نخبة أخرى وإنما زادت توتراً وصراعاً.

- بعض القنوات العربية، وإن كانت قليلة، إلا أنها أدت دوراً مهماً في نشر التوعية الإسلامية لدى المشاهد، والتأثير الإيجابي على فكر المتلقي وبناء ثقافته الإسلامية من خلال إقناعه بضرورة العودة إلى الدين، والالتزام به كمنهج حياة. وبمقارنة حصيلة القيم الإيجابية بالقيم السلبية الواردة في الجدول (15) يتضح أن المبحوثين يرون أن إيجابيات الفضائيات العربية تفوق في مجملها سلبياتها. ويتضح ذلك من خلال تنامي تيار الوعي الديني في المجتمع، لأن مظاهر التدين الخالية من الوعي الديني تحول دون تمكن القلب البشري من استشفاف المقدس في صفحات الكون وفي ذات الإنسان.

12- التوصيات:

- توسيع دائرة البحث والدراسة الخاصة بتأثير الفضائيات العربية على الصعيدين الإقليمي والعالمي، بهدف الرصد الدقيق لدور الفضائيات في أداء رسالتها الثقافية على تلك الأصعدة. ودعم المبادرات الإنتاجية الجادة مادياً، وترشيدها فكرياً.

- العمل على تلبية حاجات الشباب الترفيهية والثقافية بما ينسجم مع قيمه الثقافية والحضارية.

- وضع مخططات منظمة وواضحة الأهداف. تتوخى نشر الثقافة الإسلامية والدفاع عنها في ظل تفاعلات وتحديات البيئة الدولية الراهنة والمستقبلية.

- تأهيل القنوات العربية وجعلها في مستوى قادر على منافسة الفضائيات الغربية، وتطوير الوظائف التي يضطلع بها التلفاز حتى يتكامل مع غيره من وسائل الاتصال التقليدية والحديثة في القيام بدوره التثقيفي في عصر المعلومات

وذلك من خلال تفعيل دوره في إحياء كل مقومات الثقافة الإسلامية من لغة وتاريخ، وزبي، وأثاث، والتزام الآداب الإسلامية في مختلف علاقات الإنسان بالآخرين وجعلها تسري في حياة المجتمع.

- تـثمين إيجابيات الفضائيات العربية ودعمها في نفوس الناشئة، والعمل على تحجيم السلبيات والتقليل من انعكاساتها على المشاهدين.

- ضرورة ارتقاء الفضائيات العربية بذوق المشاهد العربي، من خلال التزامها بمتواضعات الأسرة العربية ذات التقاليد الإسلامية، وتعزيز القيم الإيمانية، فالتربية الراشدة لهذا الجيل هي صمام الأمان في عصر العولمة.

المراجع -

- 1- نهوند، القادري عيسى(2008). قراءة في ثقافة الفضائيات العربية الوقوف على تخوم التفكيك، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- 2- الجابري، محمد عابد(1998). العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، مجلة المستقبل العربي، ع228، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص17.
- 3- بوجلal، عبد الله(1994). الشباب الجزائري وبرامج التلفزيون الأجنبي، مجلة بحوث، ع3، الجزائر، معهد الإعلام والاتصال.
- 4- البطريق، نسمة احمد(1996). "القنوات الفضائية الدولية والهوية الثقافية العربية"، القاهرة، مجلة البحوث والدراسات العربية، ع26.
- 5- ابن الشيخ، عبد القادر و حمدان. محمد(1997)، الجمهور العربي والبرق التلفزيوني المباشر عبر القنوات الفضائية، تونس، سلسلة منشورات اتحاد إذاعات الدول العربية.
- 6- بلغيث، سلطان (1998). "جمهور المعلمين والفضائيات"، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة قسنطينة، الجزائر.
- 7- عنايت راجي(1984)، هذا الغد العجيب، القاهرة: دار الشروق، ص132.
- 8- INESG(1993); Les enjeux de la Télévision Satellitaire en Algérie. Algérie
- 9- إمام، إبراهيم(1975). الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، القاهرة: دار الفكر العربي، ص137.



الإيديولوجيا وبناء النظرية الاجتماعية

رابح بن عيسى

جامعة الوادي

Rabah.benaissa@gmail.com

الملخص -

يعتبر الفكر والمبدأ والعقيدة المرتكزات الأساسية التي تبنى عليها أغلب النظريات السوسيولوجية، إن لم نقل جلها، فالنظرية عند بناءها ووضعها، أو انطلاقها لا بد أن تستحضر كنه وجوهر القضايا وتطلق أحكاما عليها فإن كانت متماشية مع أفكارها طورتها ونمتها، أو عدلت ما تريد منها، وإن كانت على النقيض حاربتها، وناهضتها، وحاولت الرد عليها وتكذيبها، وهكذا أردنا من خلال مقالاتنا هاته أن نبين و نوضح أن علماء الاجتماع في بناء نظرياتهم انطلقوا من أفكار وعقائد ومبادئ في بناء نظرياتهم أو بالأحرى انطلقوا من ارتباطاتهم الايديولوجية وتصوراتهم لهذه الظواهر و القضايا الموجودة في مجتمعاتهم لبناء الإطار العام لنظرياتهم. وسنتحدث عن ثلاثة من رواد علم الاجتماع وهم إميل دور كايم، و كارل ماركس، و ماكس فيبر.

الكلمات المفتاحية-

الايديولوجيا، النظرية الاجتماعية، الأفكار، العقيدة.

Abstract -

Thought, Principle, And The Doctrine Are The Basic Pillars Upon Which Most Of The Sociological Theories Are Built. To Formulate, Set, Or Lanch A Theory Demands You To Bring The Core Issues So As To Declare Provisions On It. If These Issues Were In Line With The Theory Ideas, It Be Grown Up, Developed, Or Adjusted What They From It. If They Were In Contrast With The Theory, It Will Be Fought And Refuted. In This Abstractor Article, We Want To Shons That Social Scientists Started From Ideas, Beliefs And Principles In Order To Set A Theory. In Other Term, They Began From Their Affiliations And Perceptions For The Social Issues To Set The General Frame Work Of Their Theories. We Will Talk About Three Of The Pioneers Of Sociology As Emile Durkheim, Karl Marx, And Max Weber.

Key Words-

The Ideology, Social Theory, Ideas, Creed

الإيديولوجيا وبناء النظرية الاجتماعية

تعريف الإيديولوجيا:

إن الإنسان يتخير الأشياء و يؤول الوقائع بكيفية تظهرها دائما مطابقة لما يعتقد أنه الحق.

تجدر الإشارة إلى أن كلمة الإيديولوجيا هي كلمة دخيلة على جميع اللغات الحية، تعني لغويا في أصلها الفرنسي علم الأفكار، وقد استعارها الألمان وضمونها معني آخر. و العبارات التي يمكن أن تقابلها في اللغة العربية هي منظومة فكرية، عقيدة، دين، فلسفة، ذهنية، مبادئ...⁽¹⁾ ويمكن أن نعطي عدة تعريفات لمفهوم الإيديولوجيا كما يلي:

يعرفها عبد الله العروي: على أنها مجموع القيم والأخلاق والأهداف التي يرجى تحقيقها على المدى القريب و البعيد. ويرى أن النظرة الأيديولوجية، تعني أن المرء يتخير الأشياء و يؤول الوقائع بكيفية تظهر دائما مطابقة لما يعتقد أنها الحق⁽²⁾. ويرى العروي أن الفكر الإيديولوجي يتعارض مع الفكر الموضوعي ذاك الأول الذي يخضع للمحيط الخارجي، فيتشبع بقوانينه وأفكاره، ويسير على نهجه.

تعريف التوسير Althusser: الايديولوجيا هي نظام من التخييلات والأساطير والأفكار والتصورات التي تملك وجودا ودورا تاريخيا في المجتمع، وهي تتميز عن العلم من خلال تفوق وظيفة الممارسة الاجتماعية فيها على الوظيفة المعرفية. إن الايديولوجيا تشكل جزءا لا يتجزأ من هذا الكل الاجتماعي⁽³⁾.

تعريف روكيتش Rokeach: نظام من المعتقدات والاتجاهات ذات طبيعة دينية أو سياسية أو فلسفية، والذي ينشأ عن سلطة خارجية⁽⁴⁾.

تعريف كوربيت Corbett: تلك البنى الفكرية التي تحتوي على مجموعة من المعتقدات، حول طبيعة الإنسان، والعالم الذي يعيش فيه ودعوى التوافق بينهما، والمطالبة بمزاولة وممارسة هذه الاعتقادات والتسليم بذلك من قبل كل من يحسب على العضوية الكاملة لجماعة ما⁽⁵⁾.

الخلفية الإيديولوجية للنظرية السوسيولوجية عند دوركايم:

يشير بعض نقاد النظرية السوسيولوجية مثل أرفين زيتيلين إلى أن تفهم النظرية عند زعيم المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع يتطلب معرفة موقف ذلك المفكر من الفكر والتيارات السياسية في عصره خاصة الاشتراكية، فقد اهتم بها وبمشكلاتها وهو في 25 من عمره⁽⁶⁾.

ثم تحول اهتمامه من الاشتراكية إلى علم الاجتماع ثم إلى المشكلات الاجتماعية، لكن دوركايم كما أشار مارسيل موس لم يتخل عن منطلقاته الفكرية الأولى المناهضة للفكر الماركسي و الاشتراكي فقد حاول أن يعالج قضية الاشتراكية من المنظورين الموضوعي والسوسيولوجي، وقد اهتم منذ البداية بتحليل مختلف العوامل والدوافع والظروف التي أدت إلى ظهور الفكر الاشتراكي في العالم الغربي⁽⁷⁾.

كان دور كايم يكن عداء شديدا للفكر الاشتراكي _ على حد قول زيتيلين _ بالرغم من إيمان بعض أصدقائه بالفكر الماركسي. و يقول موس في هذا الشأن أن أكثر جوانب الاشتراكية بغضا لدى دوركايم هو الجانب الطبقي، أو تركيزها على التحليل الطبقي وما تتسم به من عنف ثوري، وما ترمي إليه من غايات سياسية⁽⁸⁾.

ونتيجة لهذا الموقف العدائي من الفكر الاشتراكي الماركسي فقد حاول دوركايم أن يقدم بعض الأفكار والتصورات في مواجهة الأفكار و التصورات الماركسية، وهذا ما أقر به العديد من علماء الاجتماع. ففي مقابل تصور بناء المجتمع وتغييره على أساس الطبقة والصراع قدم دوركايم نظريته في التضامن الاجتماعي، تلك النظرية التي تتجاهل إلى حد كبير قضية الطبقات و الانقسام الطبقي والصراع الاجتماعي والاقتصادي داخل المجتمعات.

وهذا ما يدل على أن دوركايم أراد أن يقدم نموذجا مغايرا ومناقضا للنموذج الذي قدمه ماركس للمجتمع و التغيير الاجتماعي والتحول التاريخي، الأمر الذي جعله يستثنى و يستبعد في نظريته التدرج الاجتماعي و الانقسام الاجتماعي، ومشكلة القوة والصراع السياسي⁽⁹⁾. وهذا الأمر يعاب على زعيم من زعماء علم الاجتماع بعدم استخدامه للمنهج الموضوعي في معالجة بعض القضايا نتيجة لتمسكه بإيديولوجيته مقابل الأيديولوجيات الأخرى وخاصة الاشتراكية.

وجاءت فكرة التضامن عنده انطلاقا من خوفه من الصراعات الاجتماعية والسياسية التي كانت محتدمة في عصره وخاصة الحركة الاشتراكية وقوتها، وما قدمتها للفكر الاشتراكي من تحليلات سوسيولوجية وحلول مقترحة لمشكلات المجتمع.

كان دوركايم كونتيا غير مستقر و محافظا وقد استعار من فكر سان سيمون، بقول آخر استمد أفكاره من تلك الجوانب المحافظة من فكر سيمون التي تتماشى مع نزعته المحافظة في حين أنه تجاهل الجوانب الراديكالية في ذلك الفكر تلك التي إعتد عليها ماركس لأن سان سيمون أسهم في ظهور فكرين متناقضين (ثوري ومحافظ)⁽¹⁰⁾.

من كل ما سبق يمكن اعتبار أن النظرية عند دوركايم كانت منطلقاتها من الأيديولوجية المحافظة التي كان يتبناها وتتماشى مع نزعته وتنعكس بجلاء الانحياز الإيديولوجي للاتجاه المحافظ وهو الأمر الذي قال به كل جولدنروزييلين.

ومن بين القضايا التي تعكس هذا الانحياز هي قضية الوجود الاجتماعي التي تحدد الوعي الاجتماعي وليس العكس، والذي يفترض فيها دور كايم أنها تلتقي مع النظرية الماركسية. لكن دور كايم كما يرى زيتلين وظف هذه الإدعاءات لهذه القضية خدمة لأهدافه النظرية والتي من بينها محاولة إرجاع الظواهر العقلية والوجدانية عند الإنسان إلى المجتمع وإضفاء طابع الإلوهية عليه، وذلك ضمن استراتيجية شاملة لدعم المجتمع بنظمه وتنظيماته، وفي محاولة منه لمواجهة كافة التغيرات الراديكالية⁽¹¹⁾.

وتظهر كذلك إيديولوجية ونزعتة المحافظة كذلك أثناء دراسته لتقسيم العمل الاجتماعي التي جاءت كرد فعل عن الماركسيين الذين يرون أن ظاهرة تقسيم العمل ونمو العلم والتكنولوجيا وقوى الإنتاج ظواهر حتمية ومستمرة تؤدي إلى حدة الانقسام الطبقي والصراع الاجتماعي والتناقضات الاقتصادية والسياسية والمصلحية داخل المجتمع، حيث اقترح النموذج النموذج الماركسي استحداث تغيرات بنائية في المجتمع وهذه الطروحات لا تخدم أهداف النظرية المحافظة التي نادى بها دوركايم مما اضطره للرد على ذلك. محاولة منه ومن أنصار علم الاجتماع البرجوازي إخفاء ظواهر عدم المساواة والاستغلال والصراع المتزايد في المجتمع الغربي الحديث حسب وجهة نظر الماركسيين⁽¹²⁾.

الخلفية الأيديولوجية للنظرية السوسيولوجية عند كارل ماركس:

نلمس الفكر الإيديولوجي للنظرية السوسيولوجية عند ماركس في الوجه أو البعد السياسي والأكاديمي لأعماله ودراساته، ويتجلى ذلك في كتابيه "البيان الشيوعي" و"رأس المال" الذي أصدرهما رفقة انجلز واللذين مولتهما لجنة أو عصابة من الشيوعيين أو بالأحرى جماعة النورانيين⁽¹³⁾، هذه الجماعة بدون شك تحمل إيديولوجية معروفة وتنطلق من مبادئ وأفكار ومعتقدات تسعى لتحقيقها، فكتاب البيان الشيوعي يطرح قضيتين، قضية نضالية ثورية، وقضية علمية أكاديمية، حيث أن الهدف من إصداره كان سياسيا بالدرجة الأولى خدمة للشيوعية التي تستهدف القضاء ومناقضة الرأسمالية غير أن مضمونه كان سوسيولوجيا. وضح فيه ماركس أن تاريخ المجتمعات ما هو إلا تاريخ الصراع بين الطبقات⁽¹⁴⁾. وهذه الأفكار الثورة و

الصراع _ كما بينها "وليام غي كار" في كتابه "أحجار على رقعة الشطرنج" هي أفكار ومعتقدات جماعة النورانيين اليهودية.

حيث يعتقد ماركس جازما أن التغير الاجتماعي لا يحدث إلا بالصراع الطبقي داخل المجتمع بين طبقتين رئيسيتين إحداهما تمثل نظام الإنتاج البائد - البرجوازية - ، والثانية تمثل النظام الآخذ في التكوين - البروليتاريا - ، وهذه الأفكار تنم عن وجود إيديولوجية إقتصادية سياسية تحرك فكر ماركس و توجهه.

في نقطة أخرى لم يقف ماركس عند وصف وتشخيص و تفسير ما هو كائن، وإنما تجاوزوه إلى تقرير ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع الإنساني، فجاءت دعوته إلى إقامة المجتمع الشيوعي باعتباره المجتمع النموذجي الذي تمحى فيه الطبقات.

يقول ماركس أن ليس وعي البشر هو الذي يحدد وجودهم بل إن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم⁽¹⁵⁾. والتي تؤكد أن الأفكار تمثل منتجا للظروف الاجتماعية، هذه المقولة تعكس فكر و إيديولوجية سياسية إقتصادية متطرفة، بمعنى أنه لا يمكن تغيير مجتمع معين بتغيير أفكاره و ونهجه وخطه أولا، بل يلزم لذلك تغيير الأفراد الذين يحكمون في هذا المجتمع قبل ذلك. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ضرورة وجود عامل الصراع و الثورة لحدوث هذا التغيير و هو الأمر الذي تدعو إليه الشيوعية.

هناك نقطة أخرى تبين أن للماركسية إيديولوجية تعتمد عليها وهي أنها تعتمد على المنطق الديالكتيكي الذي يعتبر بمثابة المنظار أو زاوية الرؤية التي تتخذها في تفسير الظواهر الاجتماعية و الطبيعية حيث يتشكل هذا المنطق من أربعة أصول وهي أصل التطور، تناقضات التطور، وقفزات التطور، و الارتباط العام.

حيث أنه في أصل التطور أو حركة التطور تلغي الماركسية إرادة الإنسان ويعتبرون التغيير وفق ما يقولون تغييرا جبريا، حتميا، لا إراديا وهي عبارة عن تصورات و تنبؤات و أفكار تأخذ بالاحتمالية التاريخية بدل أخذها بالواقع، وقد فندت هذه الأفكار بسبب إهمال عامل الإرادة، و أن الإنسان لا تجوز فيه الحتمية، ولا تتحكم فيه القوانين المادية⁽¹⁶⁾.

يعتقد ماركس ومن ورائه الماركسيون أن قيمهم ومقاييسهم وأفكارهم هي الصحيحة ولهذا السبب تشكل قاعدة مبررة للنقد الاجتماعي⁽¹⁷⁾.

ورغم أن ماركس اعتقد بأن نظريته لم تكن تحمل ما يجعلها إيديولوجيا، إلا أنه اعتبر عمله كشكل من الفعل السياسي و الأخلاقي، أي التعبير عن الأفكار التي سوف تقود البروليتاريا إلى النصر المحتوم⁽¹⁸⁾.

يقول عبد الله العروي أن الماركسية تمتاز على غيرها من المذاهب بأنها تقدم لنا نظرية عن الادلوجة، إنها تجيب عن السؤال التالي: ما هي الأسباب التي جعلت الفكر الإنساني في كل أدواره يرى الأشياء طبقا لدعواه هو لا طبقا لذاتها هي (الأشياء) في هذا الاستعمال يقابل مفهوم الادلوجة مفهوم الحق: الحق هو ما يطابق ذات الكون، والادلوجة ما يطابق ذات الانسان في الكون⁽¹⁹⁾.

من هنا يمكننا القول أن الماركسية إيديولوجيا بالمعنى الشمولي للكلمة، تعتمد العلم أساسا لها.

الخلفية الايديولوجية لأعمال ماكس فيبر:

يعطي ماكس فيبر إشارة إلى ماهية علم الاجتماع فيقول "بأنه العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي، لكي يتمكن من تقديم تفسير سببي لمجراه ونتائجه"⁽²⁰⁾.

هذه إشارة من فيبر على أن عالم الاجتماع يجب أن يتحلى في دراسته للظواهر الاجتماعية بالموضوعية، إلا أن بعض النقاد أعابوا عليه استخدام الذاتية في بعض دراساته للظاهرة الاجتماعية.

ففي دراسته للمذهب البروتستانتي أكد على أهمية هذا المذهب في التأثير العميق و الكبير على صياغة وبناء الروح الرأسمالية في المجتمعات الأوروبية. حيث أكد على أهمية الأخلاق والقيم و المعتقدات والأفكار التي ينشرها المذهب البروتستانتي في سبيل بناء مجتمع قوي ومتماسك. وقد بين الباحث رنهارت بندكس وهو باحث في أعمال فيبر، إلى أن هذا الأخير يرى أن هدف المجتمع الأوروبي المعاصر ليس السعي وراء تحقيق الأرباح بقدر سعيه نحو سيادة الأسلوب الرشيد في الإنتاج ونمو النموذج البيروقراطي داخل التنظيمات الاجتماعية⁽²¹⁾.

وفي هذا الشأن يشير غولدنر إلى أن مسعى فيبر لإعطاء تفسيرات دينية وقيمية لفهم بناء واستقرار المجتمع إنما جاءت محاولة لدحض الفرض الماركسي الذي يقول بسلطة العوامل الاقتصادية في التحكم ببقية العوامل الأخرى ومن ثم التحكم في تشكيل البنية الاجتماعية⁽²²⁾. حيث أعلى فيبر في تحليلاته وتفسيراته من قيمة النظام الديني وما يتمخض عنه من توجيهات قيمية وما يتضمنه من أفكار ومعتقدات كعامل فعال في تحديد طبيعة النظام الاقتصادي من جهة، وكمطلق لفهم بناء المجتمع ونظمه وعلاقاته وتغيره⁽²³⁾.

حيث لم تأتي أفكار فيبر انطلاقاً من موضوعية اجتماعية أو كما يقول بارسونز لتخفيف حدة الحتمية الاقتصادية عند أنصار الماركسية، وإنما جاءت النظرية السوسيولوجية الفيبيرية كما يرى غولدنر من أجل غاية تقديم نموذج تفسيري يناقض ذلك النموذج الماركسي⁽²⁴⁾.

بالإضافة إلى أن أعمال فيبر ونظريته عن التنظيم البيروقراطي جاءت محاولة لدحض مزاعم الماركسية القائلة بأن التنظيم الاشتراكي هو التنظيم الوحيد و الفريد الصالح للنسق الاجتماعي، والذي يساعده في مواجهة مشكلات الإنسان والحياة الاجتماعية مواجهة موضوعية وجذرية.

ويعاب كذلك على فيبر انحيازه للقومية الألمانية، حيث كان يؤمن بتقوية الدولة الألمانية، فقيمة القومية الألمانية هي القيمة الأساسية، أما القيم الأخرى فيمكن الضحية بها، فقد أخذ على عاتقه تعليم الألمان وإذكاء الروح القومية بينهم، حيث كان بيته مركزاً للحياة الفكرية في ألمانيا. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تمسك فيبر بالقيم والمعتقدات و الأفكار الألمانية ومحاولة نشرها وطغيانها على كافة الأفكار والقيم الأخرى متخذاً من أعماله ونظرياته أداة ومساراً لترويجها وتمكينها في أوساط المجتمعات⁽²⁵⁾.

كذلك كان فيبر يعتقد في الكثير من الأفكار القبلية والأحكام التي لا تعتمد على المنطق أو العقل، كنظرته إلى أنشطة الناس على أنها مدفوعة بالمصلحة الذاتية وهي مقولات وتحليلات سوسيولوجية أكثر عمومية⁽²⁶⁾. بل انه يقر بأن هناك مجموعة من الأحكام اللاعقلية التي لا تقل صدقاً عن الأحكام العقلية ذاتها. ففي خطاب إلى إمي بمجارتين E. BUMGARTEN يقول عن

الضمير الأخلاقي " وهنا نصل إلى حدود العقل الإنساني وندخل إلى عالم جديد كلية، حيث يصدر جزء مختلف عن عقلنا أحكاما على الأشياء ويدرك كل واحد منا أن أحكامه على الرغم من عدم استنادها على العقل إلا أنها أحكام واضحة وصحيحة تماما مثلها في ذلك مثل تلك الأحكام التي يصل إليها العقل⁽²⁷⁾.

يرى هابرماس أن فيبر يحلل ببراعة الجذور الدينية و الفكرية للتحديث مبينا كيف أن الإصلاح الكالفياني ساهم بكيفية تعميم أساليب سلوك وفكر لها قابلية التوسع الرأسمالي عند الشعوب الأوروبية. حيث يجعل الرأسمالية العامل الأساس في تحديث المجتمعات الغربية⁽²⁸⁾.

خاتمة -

و قصارى القول لما قلناه سابقا، هو أن ظهور علم الاجتماع كعلم يبحث في قضايا الفرد والمجتمع بموضوعية وعقلانية لم يحرر التفكير الاجتماعي من قيود الذاتية، أو بالأحرى الإيديولوجية، حيث مهما أراد رواده الأوائل التخلص من أحكامهم المسبقة، إلا أنهم وقعوا في شيء من الانحياز لأفكارهم، أو الرد على الآخرين، أو النقد لمن يناقضهم ويعارضهم في أفكارهم. متجاوزين في ذلك قواعد المنهج العلمي في دراسة الظواهر، و المواقف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مما يؤثر سلبا على صدق النظرية ودقتها.

قائمة المراجع:

- 1_ عبد الله العروي: مفهوم الايديولوجيا، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993، ص 9.
- 2_ نفس المرجع، ص 10.
- 3_ Raymon Boudon: L'idéologie L'origine Des Idées Reçues, Fayard, France, 1986, p 30.
- 4_ Milton Rockeach: Belief, Attitudes And Values, Tossy-Boss, 1972, p 124.
- 5_ Corbett Patrrck: Ideologies Philosophy at Work, Hutchinson, 1965, p 12.
- 6_ نبيل محمد توفيق السمالوطي: الايديولوجيا وقضايا علم الاجتماع _ النظرية والمنهجية والتطبيقية _، دار المطبوعات الجديدة، الاسكندرية، 1989، ص 524.
- 7_ نفس المرجع: ص 524.
- 8_ وسيلة خزار: الايديولوجيا وعلم الاجتماع _ جدلية الانفصال و الاتصال _، منتدى المعارف، بيروت، 2013، ص 142.
- 9_ نفس المرجع: ص 143.
- 10_ نبيل محمد توفيق السمالوطي: مرجع سبق ذكره، ص 525.
- 11_ وسيلة خزار: مرجع سبق ذكره، ص 145.
- 12_ نبيل محمد توفيق السمالوطي، مرجع سبق ذكره، ص 527.
- 13_ وليام غي كار: أحجار على رقعة الشطرنج، ترجمة سعيد جزائري، دار النفائس د ب، 1970، ص 17.
- 14_ نفس المرجع، ص 18.
- 15_ وسيلة خزار، مرجع سبق ذكره، ص 137.
- 16_ هادي المدرسي: نقد النظرية الماركسية، ط2، دار البيان العربي، بيروت، 1988، ص 23.
- 17_ محمد عبد الكريم الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع _ تمديد آفاق النظرية الكلاسيكية، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص 146.
- 18_ نفس المرجع، ص 147.
- 19_ عبد الله العروي، مرجع سبق ذكره، ص 10.
- 20_ صلاح مصطفى الفوال، معالم الفكر السوسيولوجي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982، ص 114.
- 21_ نبيل محمد توفيق السمالوطي، مرجع سبق ذكره، ص 531.
- 22_ أيوب سمير: تأثيرات الايديولوجيا في علم الاجتماع، دون دن، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1983، ص 172.
- 23_ وسيلة خزار، مرجع سبق ذكره، ص 153.
- 24_ نفس المرجع، ص 153.
- 25_ نبيل محمد توفيق السمالوطي، مرجع سبق ذكره، ص 534.
- 26_ محمد عبد الكريم الحوراني، مرجع سبق ذكره، ص 137.
- 27_ نبيل محمد توفيق السمالوطي، مرجع سبق ذكره، ص 535.
- 28_ ستيفان هابر: هابرماس والسوسيولوجيا، ترجمة محمد جديدي، منشورات ضفاف، بيروت، 2012، ص 82.



حوادث المرور بغرداية دراسة احصائية

قرليفة حميد

جامعة غرداية

monciegaloul@yahoo.fr

ملخص -

إن الإحصاءات المجموعة من عند المصلحة الولائية للأمن العمومي بولاية غرداية ما هي إلا دليل على أن ظاهرة حوادث المرور لا تزال تتطلب بذل الكثير من الجهد من قبل كل الجهات المعنية بالوقاية وتنسيق فاعليها لتتظافر جهودها، وبالتالي التمكن من تحقيق الأهداف المتوخاة، ألا وهي التقليل في عدد حوادث المرور، وتقليل عدد الضحايا التي تخلفها، فالتحرك بجدية وفعالية لمواجهة آفة حوادث المرور أصبح مطلبا ملحا يقتضي إشراك جميع القوى الفاعلة في المجتمع، لأن حماية الأرواح والممتلكات مسؤولية الجميع.

الكلمات المفتاحية -

حوادث المرور - ضحايا حوادث المرور - محيط المرور - الإنسان - المركبة.

Accident Of The Traffic In Ghardaia Statistical Study

In The Statistics Taken The Source State Of Security Public Of Ghardaia. It Is Only Evidence That The Phenomenon Of Accidents, Still Requires A Lot Of Effort By All Parties Concerned With Prevention And Coordination To Join Their Efforts And Theirs Be Ablest Achieve The Objectives Envisaged Only A Reduction In Number Of Accidents And Became An Urgent Requirement In That Involve All The Actors In Society Because The Protection Of Life And Property Is The Responsibility Of All.

Key Words-

Traffics Accidents - Victims Of Traffics Accidents - Circumference Of Traffic Human-Vehicle.

مقدمة -

إن حوادث المرور بما يترتب عليها من خسائر بشرية واقتصادية تعد من أبرز المشكلات التي تواجه تطور المجتمعات المعاصرة وتقف حجر عثرة في طريق تطورها، ويتضح ذلك بشكل جلي في المجتمع الجزائري. فالحوادث المرورية من أبرز مشاكل العصر الحديث نظرا لما ينجر عنها من مآسي وآثار على مستوى الفرد والمجتمع على حد سواء، هذا ما جعل مؤسسات الدولة الجزائرية تخصص أغلفة مالية ضخمة للحد من هذه الظاهرة وتخصص لذلك هيئات وطنية بكاملها، ومن أهم مهام هذه الهيئات مهمة إحصاء الحوادث وآثارها، و التكلم بلغة الأرقام المضبوطة هو المؤشر الدال و الذي يكسب الموضوع المصادقية ومن هنا، أدرجنا في هذه الورقة البحثية لغة الأرقام شاهدة على حجم هذه الظاهرة في مدينة غرداية.

يتضح لنا بعد الاطلاع على إحصائيات التي جمعناها و حصلنا عليها من عند المصلحة الولائية للأمن العمومي بولاية غرداية، أن المتسبب الرئيسي في حوادث المرور هو العنصر البشري حيث يتحمل القسط الأعظم من المسؤولية في وقوع الحوادث بنسبة تقدر سنة بـ 90 % من إجمالي أسباب حوادث المرور بينما الأسباب المتعلقة بحالة المركبة و المحيط فتقدر بنسبة 10 %، حيث تبقى سلوكيات الأفراد تؤثر بشكل مباشر على تصرفاتهم في الطريق خاصة في ظل التكوين المتواضع الذي يتلقونه في المدارس المتخصصة بتعليم السياقة، حيث تظهر الدراسات أن تداخل هذه التصرفات مع بعضها قد يتسبب في حوادث خطيرة.

و تحتل المركبة مكانا أساسيا بين عناصر النظام المروري الذي يشمل السائق والطريق، والبيئة التي تنظم العلاقة بين هذه العناصر، فالمركبة التي بها الخلل الميكانيكي و الذي عادة ما يصيب السيارات القديمة بسبب عدم فاعلية الصيانة لها، نظرا لعدم صلاحية بعض أجزائها، والتي تؤثر مباشرة على قطع الغيار المستبدلة، وكذلك من الأسباب انفجار الإطارات المطاطية لعدم مراقبة الضغط في العجلات، أو بسبب بقايا الزجاج، أو لدرجة الحرارة المرتفعة، أو لعدم

هذه العجلات. كما يعتبر المحيط عاملاً مساعداً على زيادة الحوادث حتى وإن لم يكن العامل الأساسي، حيث أن عدم صلاحية أجزاء من الطريق أو انعدام الإشارات و الإنارة قد يؤدي إلى وقوع حادث، خاصة عند سوء الأحوال الجوية كتهطل الأمطار وهبوب الرياح أو زوايا رملية، قد تغير من اتجاه السائق وتعيق التحكم في المركبة، فتهيئة الطريق عامل لا يستهان به، و تعزيزه بمختلف الإشارات والمخططات قد تساعد على تجنب الحوادث.

تحديد المفاهيم -

تعريف حادث المرور -

هو حدث اعتراضي يحدث بدون تخطيط مسبق من قبل مركبة واحدة أو أكثر مع مركبات أخرى أو منشأة أو حيوانات أو أجسام على طريق عام أو خاص، وعادة ما ينتج عن الحادث المروري تلفيات تتفاوت من طفيفة بالممتلكات والمركبات إلى جسيمة تؤدي إلى الوفاة أو الإعاقة المستديمة (1).

وبالتالي فالحادث المروري نتيجة غير مرغوب فيها ولم تكن لتحدث لو أن النظام المعين سار بالطريقة المستهدفة من طرف مصممه، يمكن اعتبار الحادث كثمرة لعدم عمل النسق و يتكون النسق هنا من ثلاثة عناصر هي الإنسان والمركبة، والمحيط.

خطورة الحوادث المرورية: تقاس خطورة حوادث المرور بعدة مؤشرات بعدد المتوفين و عدد المصابين بسبب حوادث المرور فهذه المؤشرات تعد من أهم المؤشرات لفهم خطورة الحوادث المرورية ، خاصة إذا تم مقارنتها بما يماثلها في الدول المتقدمة في مجال السلامة المرورية (2).

المعطيات الثانوية: نقصد بالمعطيات الثانوية مجموع المعطيات الموجودة مسبقاً و يستخدمها الباحث من أجل عملية التحليل، و قد تكون هذه المعطيات مادة إتصالية مكتوبة أو شفوية كما تكون مجموعة من الإحصائيات و مصادر المعطيات أو المعلومات متنوعة، ففي بحثنا هذا تحصلنا على المعطيات (الإحصائيات) من المصلحة الولائية للأمن العمومي بولاية غرداية.

المنهج الإحصائي: هو منهج يعتمد على جمع المعلومات والبيانات لظاهرة معينة وتنظيمها وتبويبها وعرضها جدوليا أو بيانيا ثم تحليلها رياضيا واستخلاص النتائج بشأنها والعمل على تفسيرها، كما يعتبر مجموعة من الأساسيات المتنوعة المستعملة لجمع المعطيات الإحصائية وتحليلها رياضيا لعرض إظهار الاستدلالات العلمية التي قد تبدو في الغالب غير واضحة (3).

إحصائيات امتحانات نيل رخص السياقة لسنة 2013 في ولاية غرداية (4).

جدول رقم (1): يبين إحصائيات امتحانات نيل رخص السياقة حسب أصناف

المترشحين

نسبة النجاح % RT/QT	المجموع		المترشحين الاحرار		مترشحي مدارس تعليم السياقة		اصناف المترشح ين	
	الناحجين RT= R1+R2	المترشحين QT=Q1 +Q2	R2 ناجح	Q2 مترشح	R1 ناجح	Q1 مترشح	صنف الرخص ة	
71	15	21	04	04	11	17	A	قانون المرور
56	5056	8958	11	17	5054	8941	B	
55	731	1713	/	/	731	1317	C	
60	301	504	/	/	301	504	D	
62	151	245	/	/	151	245	E	
57	6263	11045	15	21	6248	11024	المجموع	
61	11	18	04	05	07	13	A	الحر كات
60	4526	7496	13	16	4513	7480	B	
55	693	1257	/	/	693	1257	C	
64	298	462	/	/	298	462	D	
70	167	239	/	/	167	239	E	
60	5695	9472	17	21	5678	9451	المجموع	
89	16	18	02	03	14	15	A	السيا قة
60	6556	10949	12	14	6544	10935	B	
75	901	1201	/	/	901	1201	C	
61	296	488	/	/	296	488	D	
67	197	295	/	/	197	295	E	
61	7966	12951	14	17	7952	12934	المجموع	
60	19924	33468	46	59	19878	33409	المجموع العام	

من الجدول رقم (1) نلاحظ أن 60% من الممتحنين في شهادة السياقة قد نجحوا في سنة 2013 لنيل رخص السياقة و 40% لم ينجحوا، و من بين الذين نجحوا لنيل رخص السياقة نسجل من خلال الجدول 0.31% مترشحين أحرار. و من المعلوم أن اجتياز رخصة السياقة يمر عبر ثلاثة مراحل متتالية تتمثل في قانون المرور، والحركات، السياقة و شرط أن يجتاز الممتحن الامتحان الأول فينتقل الى الامتحان الثاني وإن رسب لا يستطيع الانتقال إلى المرحلة الموالية، و من خلال الجدول نلاحظ ما يلي:

20% من المترشحين نجحوا في اجتياز الامتحان الأول و الممثل في قانون المرور و هي عملية بسيطة تقوم على الحفظ و استرجاع المعلومات التي كونها المترشح سابقا أثناء الإمتحان، و عن عملية الامتحان فيقوم المترشح بترجمة بعض الرموز و الاشارات الى قوانين مرور و يبقى كل ذلك في مخيلة الممتحن. أما بالنسبة للحركات فنلاحظ من خلال الجدول رقم (1) أن 17% من المترشحين قد نجحوا في اجتياز الامتحان و هو الثاني و الإمتحان الثاني يختلف عن الامتحان الأول، حيث يقوم الممتحن في هذه المرحلة بتطبيق ما تعلمه في المرحلة النظرية، بمساعد معلم السياقة و لكن اثناء الامتحان لا يمكن أن يتدخل المعلم في تقديم المساعدة، بل يمتحن لوحده مع مهندس السياقة. و المرحلة الأخيرة نلاحظ من خلال الجدول رقم (1) أن 23% من الممتحنين قد نجحوا في اجتياز هذه المرحلة و هي مرحلة فعلية يقوم الممتحن بالسياقة الفعلية و عند نجاحه يتحصل على رخصة السياقة.

من خلال هذه الاحصائيات و هذه القراءة الاحصائية نستنتج أن الهدف من اجتياز اختبارات السياقة هو التوصل الى معرفة الخصائص الاجتماعية و النفسية للسائق، و على أساس تلك الخصائص يمكن اعداد مجموعة من الاختبارات النفسية تفيد عند استخدامها في اختيار السائقين المناسبين، و ينطلق هذا الهدف من المشاكل التي تترتب على عدم وجود نظام علمي خاص باختيار السائقين بناء على ما لديهم من قدرات و استعدادات ذهنية و انفعالية في المجتمع الجزائري.

ويقف على رأس هذه المشاكل الحوادث المرورية التي زادت في السنوات الأخيرة في المجتمع الجزائري بصفة عامة و في اقليم ولاية غرداية بصفة خاصة، بشكل يتطلب علاجا عاجلا لدرجة أن حجم القتلى و الجرحى، و لا تقتصر نتائج الحوادث على النواحي البشرية بل هناك الخسائر المادية (5) فولاية غرداية تخسر مبالغ ضخمة نتيجة الاصابات و التي تقوم بالإجراءات الخاصة بها من إعانات للتأمينات الى الاجتماعية و تلك الخسائر المادية و البشرية من أكبر العوامل التي تدفع الباحث للقيام بمثل هذه الدراسة.

احصائيات امتحانات نيل رخص السياقة للثلاثي الرابع 2014 في ولاية غرداية (6)

جدول رقم (2): الاحصائيات حسب أصناف المترشحين

نسبة النجاح RT/Q T %	المجموع		المترشحين الاحرار		مترشي مدارس تعليم السياقة		اصناف المترشحين	
	النجاحين RT= R1+R2	المترشحين QT=Q1+ Q2	R2ناجح	Q2 مترشح	R1ناجح	Q1 مترشح	صنف الرخصة	
71	05	07	/	/	05	07	A	قانون المرور
55	1233	2231	/	05	1230	2226	B	
50	243	483	/	/	243	483	C	
47	93	197	/	/	93	197	D	
67	49	73	/	/	49	73	E	
54	1623	2991	03	05	1620	2986		المجموع
83	05	06	/	/	05	06	A	الحركات
62	896	1436	02	04	894	1432	B	
64	232	365	/	/	232	365	C	
62	102	164	/	/	102	164	D	
74	38	51	/	/	38	51	E	
62	1273	2022	02	04	1271	2018		المجموع
100	04	04	/	/	04	04	A	السياقة
59	1074	1807	02	03	1072	1804	B	
79	261	332	/	/	261	332	C	
66	104	158	/	/	104	158	D	
69	34	49	/	/	34	49	E	
63	1477	2350	02	03	1475	2347		المجموع
59	4373	7363	07	12	4366	7351		المجموع العام

من الجدول رقم (2) نلاحظ أن 59% من المتقدمين في شهادة السياقة قد نجحوا في الثلاثي الرابع من سنة 2014 لنيل رخص السياقة و 41% لم ينجحوا، و من بين الذين نجحوا لنيل رخص السياقة نسجل من خلال الجدول 0.16% مترشحين أحرار، من خلال هذه الإحصائيات نلاحظ أن هناك تراجع في الإقبال للمشاركة لنيل رخصة السياقة مع سنة 2013، و نسبة هذا التراجع تقدر ب 3.05% في الثلاثي الواحد.

و عن مختلف الامتحانات فنلاحظ من خلال الجدول رقم (2) أن نسبة الارتفاع في عدد المترشحين الذين نجحوا في اجتياز الامتحان الأول و الممثل في قانون المرور قدرت ب 1.14% بالمقارنة مع سنة 2013 مع نفس فئة المترشحين الذين اجتازوا نفس الامتحان. و فما يخص امتحان الحركات فنلاحظ من خلال الجدول رقم (2) أن هناك ارتفاع في عدد المترشحين الذين نجحوا في اجتياز الامتحان الثاني و الممثل في الحركات و قدرت بنسبة 28.58% دائما مع نفس الفئة التي اجتازت نفس الامتحان خلال سنة 2013.

أما عن المترشحين الذين اجتازوا الامتحان الأخير و المتمثل في السياقة فقد سجلنا من خلال الجدول رقم (2) تراجع كبير قدرت نسبته ب 10.32% بالمقارنة مع سنة 2013.

إن التراجع في النجاح الخاص بامتحانات نيل رخصة السياقة لسنة 2014 راجع لعدة عوامل، نذكر أهمها مراجعة الكثير من القوانين الخاصة بالحصول على رخصة السياقة من طرف مختلف مؤسسات الدولة، بالإضافة الى الارتفاع الجنوني الذي عرفه سوق السيارات بالمقارنة مع السنوات التي كانت قبل سنة 2013.

و بالعود الى مراجعة الكثير من القوانين من طرف مؤسسات الدولة، فذلك راجع الى حوادث المرور المسجلة يوميا في اقليم ولاية غرداية، و كلها متعلقة بالسائق بالدرجة الأولى، وكون السائق هو العنصر العاقل والمتحكم في كيفية التعامل مع المركبة والطريق، فإن المسؤولية الأكبر تقع على عاتقه في تفادي أو الوقوع في حادث مروري، لذا وجب على المهتمين والمختصين في السلامة المرورية بحث ودراسة كيف يمكن مساعدة السائق في تفادي الوقوع في الحوادث المرورية وكذلك حمايته ومن معه من ركاب من شدة خطورة الحوادث، وهذا بسن قوانين جديدة أو تحديثها.

أما الارتفاع الجنوني لسوق السيارات فيرجع ذلك الى تضيق الدولة على مستوردي السيارات فهناك بعض السيارات لا تتوفر فيها شروط السلامة و الأمان، و بالتالي فالمركبة بصفة عامة (سيارة، حافلة شاحنة...) تكون من مسؤولية مالکها حيث عدم تأمين الصيانة المناسبة لها وعدم الالتزام بالناحية الفنية للمركبة وعدم توفير أسس السلامة والوقاية للمركبة تصبح هنا المركبة عبارة عن قنبلة موقوتة قابلة للانفجار في أي وقت وأي مكان مخلفة وراءها القتلى والجرحى والركام.

احصائيات امتحانات نيل رخص السياقة للثلاثي الرابع 2015 (7)

جدول رقم (3): الاحصائيات حسب اصناف المترشحين

نسبة النجاح % RT/QT	المجموع		المترشحين الاحرار		مترشحي مدارس تعليم السياقة		اصناف المترشحين	
	الناحجين RT= R1+R2	المترشحين QT=Q1+Q 2	R2 ناجح	Q2 مترشح	R1 ناجح	Q1 مترشح	صنف الرخصة	
66.67	04	06	/	/	04	06	A	قانون المرور
70.54	953	1351	/	/	953	1351	B	
75.80	661	872	/	/	661	872	C	
81.36	585	917	/	/	585	917	D	
63.51	221	348	/	/	221	348	E	
73.54	2424	3296	/	/	2424	3296	المجموع	
00	01	02	/	/	01	02	A	الحركات
64.93	637	981	/	/	637	981	B	
75.31	555	737	/	/	555	737	C	
70.98	433	610	/	/	433	610	D	
74.11	229	309	/	/	229	309	E	
70.29	1855	2639	/	/	1855	2639	المجموع	
00	03	05	/	/	03	05	A	السياقة
71.43	725	1015	/	/	725	1015	B	
81.98	655	799	/	/	655	799	C	
88.91	553	622	/	/	553	622	D	
82.99	278	335	/	/	278	335	E	
79.76	2214	2776	/	/	2214	2776	المجموع	
74.54	6493	8711	/	/	6493	8711	المجموع العام	

من الجدول رقم (3) نلاحظ أن 74.54% من الممتحنين في شهادة السياقة قد نجحوا في الثلاثي الرابع من سنة 2015 لنيل رخص السياقة و 25.46% لم ينجحوا، وفي هذه السنة لم نسجل مترشحين أحرار لنيل رخصة السياقة، من خلال هذه الإحصائيات نلاحظ أن هناك ارتفاع في نسبة المشاركة لنيل رخصة السياقة بالمقارنة مع سنة 2014 و تبقى النسبة مرتفعة في سنة 2013، و نسبة هذا الارتفاع تقدر ب 10.64% بالمقارنة مع سنة 2014.

و عن مختلف الامتحانات فنلاحظ من خلال الجدول رقم (3) أن نسبة الارتفاع في عدد المترشحين الذين نجحوا في اجتياز الامتحان الأول و الممثل في قانون المرور قدرت ب 19.54% بالمقارنة مع سنة 2014 مع نفس فئة المترشحين الذين اجتازوا نفس الامتحان.

و فما يخص امتحان الحركات فنلاحظ من خلال الجدول رقم (3) أن هناك ارتفاع في عدد المترشحين الذين نجحوا في اجتياز الامتحان الثاني و الممثل في الحركات و قدرت بنسبة 8.29% دائما مع نفس الفئة التي اجتازت نفس الامتحان خلال سنة 2014.

أما عن المترشحين الذين اجتازوا الامتحان الأخير و المتمثل في السياقة فقد سجلنا من خلال الجدول رقم (3) ارتفاع كبير هو الآخر قدرت نسبة ارتفاعه ب 16.76% بالمقارنة مع سنة 2014.

ان ارتفاع نسبة المشاركين في امتحانات نيل رخص السياقة و المسجل سنة 2015 تتحكم فيه عدة عوامل أهمها العامل الديمغرافي، حيث سجلت ولاية غرداية نموا ديمغرافيا و تزايد في نسبة الشباب مما دفع بهذه الفئة الاجتماعية الى الاقبال لاجتياز رخصة السياقة و الهدف الاساسي من وراء هذا الاقبال هو الحصول على رخصة سياقة من أجل اتمام ملف اداري بغية الحصول على سيارة في اطار مختلف الصيغ التي فتحتها مؤسسات الدولة أمام الشباب و المتمثلة في صيغ ensej.

فهناك الكثير من الصيغ التي فتحت أمام شباب ولاية غرداية من أجل دعم هذه الفئة قصد القضاء على البطالة المسجلة في اقليم الولاية، و لكن مختلف المصالح لا تشترط ان يكون المتقدم بالملف فرد يحترم قوانين المرور أو يتقن السياقة، و لكن من

بين الشروط الأساسية السن و رخصة السياقة و هذا ما سجل الاقبال الكبير لدى الشباب نحو مختلف هذه الصيغ، و حول موضوع اتقان السياقة فيرى احد موظفي هذه القطاعات أن قضية مراقبة السياقة و اتقانها هي من اختصاص المؤسسات الأمنية في الطرقات.

إن مثل هذه المظاهر أفرزت عدة ظواهر اجتماعية متعلقة بالسياقة كعدم احترام قوانين المرور و الذي بدوره ادى الى كثرة حوادث المرور في اقليم ولاية غرداية، سواء كان في داخل المناطق العمرانية أو خارج المناطق العمرانية، و في معظم الأحيان تسجل المصالح المختصة حوادث جسيمة تؤدي أحيانا الى الاعاقة أو حتى الوفاة. و انطلاقا من هذه الاحصائيات و مختلف الإحصائيات الاخرى سوف نحاول تقديم قراءة اجتماعية لحوادث المرور في اقليم ولاية غرداية مركزين على سنوات 2013 و 2014 و 2015.

الجدول رقم (4) يبين حصيلة حوادث المرور عبر الطرقات المسجلة بولاية غرداية خلال سنة 2015 (8)

التكرارات						التكرارات الشهور
الموتى		الجرحى		الحوادث		
8.33%	01	7.49%	23	7.40%	18	جانفي
8.33%	01	7.49%	23	8.23%	20	فيفري
16.66%	02	7.49%	23	8.23%	20	مارس
16.66%	02	8.79%	27	9.46%	23	أفريل
00	00	10.74%	33	8.64%	21	ماي
00	00	6.84%	21	6.58%	16	جوان
16.66%	02	5.21%	16	6.17%	15	جويلية
00	00	7.16%	22	6.17%	15	أوت
25%	03	9.44%	29	10.69%	26	سبتمبر
8.33%	01	12.70%	39	12.75%	31	أكتوبر
00	00	10.74%	33	8.23%	20	نوفمبر
00	00	5.86%	18	7.40%	18	ديسمبر
100%	12	100%	307	100%	243	المجموع

من خلال الجدول رقم (4) نلاحظ المؤسسات الامنية المختصة في أمن الطرقات قد سجلت 243 حادث مرور خلال سنة 2015، و قد أدت هذه الحوادث الى تسجيل 307 جريح و 12 وفاة خلال نفس السنة و بالعودة دائما الى نفس الجدول

نلاحظ أن المواسم التي كثرت فيها حوادث المرور كانت في فترة الدخول الاجتماعي و بالضبط في فصل الخريف و قد خلفت هذه الحوادث جرحى و موتى.

فقد سجلت أعلى نسبة من حوادث المرور خلال شهر أكتوبر و قدرت بنسبة 12.75%، كما سجلت كذلك أعلى نسبة من الجرحى خلال نفس الشهر من سنة 2015 و قدرت بنسبة 12.70% جريح أما النسبة الأكبر من الموتى فقد كانت في شهر سبتمبر من سنة 2015، و قدرت بـ 25% من الوفيات.

و بالمقابل نلاحظ دائما من خلال الجدول رقم (4) انخفاض في نسبة حوادث المرور في فصل الصيف فقد سجلت أخفض نسبة من حوادث المرور في شهري جويلية و أوت و قدرت بنسبة 6.17%، أما نسبة الجرحى فقد كانت بنسبة 5.21%، و لم نسجل أي وفاة خلال هذه الشهور من سنة 2015.

يعود كثرة حوادث المرور خلال فصل الخريف، الى كثرة الحركة المرورية و المرتبطة أساسا بعامل الدخول الاجتماعي، ففي هذه الفترة من السنة يعود أفراد المجتمع المحلي غرداية من عطلهم نحو وظائفهم، و الأطفال نحو دراستهم كما سجلنا كذلك خلال هذه الفترة من كل سنة حركة كبيرة للسياح نحو مدينة غرداية (السياحة الداخلية)، و العامل الذي يضاعف في عدد السيارات و حركة المرور.

و بالتالي قد شكلت الحوادث المرورية خلال هذه الفترة وبشكل كبير هاجسا وقلقاً لكافة أفراد المجتمع المحلي بغرداية، وأصبحت واحدة من أهم المشكلات التي تستنزف الموارد المادية والطاقات البشرية وتستهدف المجتمع في أهم مقومات الحياة والذي هو العنصر البشري إضافة إلى ما تكبده من مشاكل اجتماعية ونفسية وخسائر مادية ضخمة، مما أصبح لزاما العمل على إيجاد الحلول والاقتراحات ووضعها موضع التنفيذ للحد من هذه الحوادث أو على أقل تقدير معالجة أسبابها والتخفيف من آثارها السلبية.

وكما هو معلوم لدى الجميع، فإن العناصر التي تشترك في المسؤولية في وقوع الحوادث المرورية هي العنصر البشري والطريق والمركبة (9)، و عن أسباب

الحوادث المرورية فهي متعددة و تعود الى تعب و إرهاق السائق، أو انشغال السائق عن القيادة، أو عدم التقيد بأنظمة المرور، أو التهور في القيادة، أو عدم صيانة المركبة أو فحصها ،كما لأحوال الطريق (أعمال على الطريق، منحنيات خطيرة، عدم وجود عوامل السلامة) و أحوال الطقس (مطر، ضباب، رمال)، كذلك نصيب في حوادث المرور في مدينة غرداية.

و يعود انخفاض حوادث في فصل الصيف في اقليم ولاية غرداية الى المراقبة المكثفة في جميع الطرقات و مسالك الولاية، وهذا يدخل في اطار مخطط دلفي (10) الذي تعتمده مؤسسات الدولة خلال بداية فصل الصيف حتى بداية فصل الخريف، و هذا ما يخضع السائقون و المركبات الى المراقبة الصارمة من طرف المؤسسات المختصة في أمن الطرقات، و على هذا الأساس يمارس السائقون سياقتهم بحذر شديد و في كافة مساراتهم.

الجدول رقم (5) يبين حصيلة حوادث المرور حسب المناطق خلال سنة

2015(11)

التكرارات						التكرارات نوع المنطقة
الموتى		الجرحى		الحوادث		
50%	06	75.24%	231	79.42%	193	مناطق عمرانية
50%	06	24.76%	76	20.58%	50	خارج المناطق العمرانية
100%	12	100%	307	100%	243	المجموع

من خلال الجدول رقم (5) نلاحظ أن أعلى نسبة حوادث المرور قد سجلت في المناطق الحضرية أو العمرانية فقد سجلت سنة 2015 نسبة 79.42% حادث مرور من مجموع الحوادث، و هذا ما أدى الى تسجيل أعلى نسبة في عدد الجرحى و التي قدرت بنسبة 75.24%؛ أما نسبة الوفيات فقد قدرت بـ 50% من مجموع وفيات حوادث المرور في ولاية غرداية خلال سنة 2015، و عن الحوادث المسجلة خارج المناطق العمرانية فقد كانت بنسبة 20.58% و هي نسبة منخفضة بالمقارنة مع الحوادث التي وقعت داخل المناطق العمرانية خلال نفس السنة و مجموع هذه الحوادث التي وقعت سجلنا من خلال الجدول نسبة 24.76% جريح و 50% وفيات.

ترجع ارتفاع نسبة حوادث المرور في المناطق العمرانية الى عدة عوامل نذكر منها العامل الإقتصادي حيث يتحدد بتدفق عدد كبير من السيارات، وهذا ما يجعل شوارع مدن ولاية غرداية المحدودة الاستيعاب الى اكتظاظ بالسيارات، والعمل الثاني يتمثل في العامل العمراني- البيئي ويتضح من خلال هذا العامل غياب التخطيط لأي شكل من أشكال التنسيق بين النمو السكاني وما يتصل به من الحاجة المتزايدة إلى وسائل النقل، وبين معمارية المدن وما يتصل بها من تصميم سعة الشوارع وتنفيذ مشاريع الأنفاق والجسور، وبين الالتزام بمعايير المحافظة على البيئة من التلوث المناخي الذي يسببه تزايد أعداد السيارات، فكان التدفق لهذا الكم الهائل من السيارات خلال مدة زمنية قصيرة، بمثابة إعصار أجهز على ما تبقى من البيئة الحضرية في ولاية غرداية.

و العامل الثالث فهو نفسي اجتماعي يتمثل في النظر إلى هذه الفوضى المرورية بوصفها نتاجا لعدد من الخصائص النفسية المتحكمة في شخصية الفرد الغرداوي، بمعنى إنها مسطرة نفسية يمكن أن يقاس عليها مقدار ما يمتلكه هذا الفرد أو ما يفترقه من تسامح، وإيثار، وتفكير عقلاني، وروح مواطنة، وشعور بالمسؤولية الاجتماعية، واحترام للقانون، ووعي بالمصلحة العامة، أو كونها شكلا من أشكال السلوك الجمعي المتصل بسلوكيات الحشود المنفعلة، فمن خلال هذه العوامل الثلاث يتشكل نسق من العوامل التي تتسبب في حوادث المرور داخل المناطق العمرانية.

الجدول رقم (6) يبين حوادث المرور سنة 2014 (12)

طبيعة الحوادث	التكرار	النسبة
حوادث المرور الجسمانية	231	45.56%
الجرحي	264	52.07%
الوفيات	12	2.36%
المجموع	507	100%

من الجدول رقم (6) نلاحظ أن نسبة حوادث المرور التي خلفت الجرحى في سنة 2014 هي النسبة الأكبر و تقدر بـ 52.07٪، تليها نسبة حوادث المرور الجسمانية بنسبة 45.56٪، ثم حوادث المرور المميتة بنسبة 2.36٪.

إن الإحصاءات عن الحوادث المرور والمخالفات المرورية لسنة 2014 بولاية غرداية الملاحظة من الجدول تعطي تصور عن الوضع المروري في ولاية غرداية وتؤكد مسئولية العنصر البشري في المشكلات المرورية من حوادث ومخالفات التي تقع على الطرق والشوارع.

فكثرة حوادث المرور بغرداية يجعلنا نبحث دائما عن سبب من الأسباب الذي هو أكثر تسببا في حوادث السير، حتى اصطلح على تسميتها بإرهاب الطرقات أو حرب الطرقات نظرا للعدد القتل والجرحى (13) التي تحصدتها هذه الظاهرة فلا يكاد يمر يوم إلا ونسمع عن حادث مروع أودى بحياة الكثير من النفوس البشرية ناهيك عن ، الإعاقة التي يصاب بها الناجين من هلاك محتم لهذه الكوارث التي دائما اليد البشرية هي التي من وراءها .

ولما تطرقنا للسائق كونه العنصر البشري الذي يسبب حوادث المرور فيجب عدم إهمال العنصر البشري الثاني والذي قد يكون متهما بتسبب تلك الحوادث وهو عنصر المشاة، فعلى المشاة مسؤولية أيضا في التخفيف من حوادث السير اذا ما تم الالتزام بالسير على الرصيف وفي حالة عدم وجود رصيف فيجب السير في اقصى الجانب الايسر للطريق مواجهها للسيارات القادمة للتمكن من رؤية السيارات القادمة وفسح المجال لسائقي السيارات القادمة من رؤيته.

الجدول رقم (7) يبين الاسباب الرئيسية لحوادث المرور الجسمانية سنة 2014 (14)

طبيعة الحوادث	التكرار	النسبة
عدم احترام قواعد السياقة (العامل البشري)	230	99.56%
عامل مرتبط بالمركبة	01	0.43%
عامل مرتبط بالمحيط	00	-
المجموع	231	100%

من الجدول رقم (7) نلاحظ أن 99.56% وهي نسبة تمثل عدم احترام قواعد السياقة أي أن العنصر البشري هو المتسبب الرئيسي في حوادث المرور، تليها عامل مرتبط بالمركبة بنسبة 0.43%، أما العوامل المتعلقة بالمحيط فلم تسجل أي نسبة.

إن الزيادة في عدد المركبات الذي تشهده مدينة غرداية نتج عنه ارتفاع معدلات الحوادث المرورية وزيادة تكلفة هذه الحوادث الإنسانية والاقتصادية وترتب عليها العديد من المشاكل الاجتماعية والتي من أبرزها ترميل العائلات وفقدان الأبناء آباءهم، إما كلية أو جزئيا عند إصابته بعاة أجلسته أو أنهت على نصفه السفلي.

فعدم احترام قواعد السياقة من طرف الأفراد من مستعملي الطريق سواء كانوا سائقين للمركبات والدراجات أو مشاة على الطريق، أو راجلين، إذ يعتبر الإنسان السبب الرئيسي لكثير من الحوادث، فقد أثبتت الدراسات أن الإنسان يساهم وحده بأكثر من 90% من هذه الأسباب سواء كان منفردا أو مشتركا مع المركبة والطريق، وقد جاءت هذه النسبة العالية من التعامل الخاطئ مع الطريق ومع المركبة في نفس الوقت، كما أن نسب الأخطار التي يتعرض لها الإنسان تختلف بحسب الفئات العمرية ونوع الآلية المستخدمة وعوامل الطريق الأخرى، لذا فإن الأطفال هم أكثر الفئات تعرضا للحوادث المرورية لحدثة سنهم وكونهم أكثر المشاة على الطريق واقلهم إدراكا للخطر، إضافة إلى الشباب كونهم أيضا أكثر الفئات العمرية بين سائقي المركبات أو للدراجات مع قلة الخبرة والمهارة لديهم في تفادي الأخطار التي قد تواجههم.

و للسائق دور كبير في مجريات الحركة المرورية، إذ أن هناك العديد من العوامل التي تؤثر في ذلك الأمر منها على سبيل المثال عمر السائق، وثقافته وخبرته في القيادة وحالته الاجتماعية والنفسية، ومدى التزامه بأنظمة وقواعد المرور، فقد وجد أن السائقين في عمر الشباب تزيد مخالفاتهم لقواعد وأنظمة

المرور مما يؤدي إلى ارتفاع نسب الحوادث المرورية في أوساطهم خلافاً للأكبر سناً منهم.

جدول رقم (8) يبين عدد الحوادث لسنة 2013 (15)

2013		السنة أنواع الحوادث
النسبة	التكرار	
3%	11	حوادث المرور المميتة
88%	315	حوادث المرور الجسمانية
9%	32	حوادث المرور المادية
100%	358	المجموع

من خلال الجدول رقم (8) و خلال سنة 2013 نلاحظ أن أعلى نسبة لحوادث المرور المسجلة هي حوادث المرور الجسمانية و قدرت بنسبة 88%، تليها نسبة حوادث المرور المادية بنسبة 9%، ثم حوادث المرور المميتة بنسبة 3%.

كون السائق هو العنصر العاقل والمتحكم في كيفية التعامل مع المركبة والطريق، فإن المسؤولية الأكبر تقع على عاتقه في تفادى أو الوقوع في حادث مروري، فأسباب الحوادث المرورية التي تعرف بأنها حوادث جسيمة بولاية غرداية تنحصر فيما يتفق عليه أغلب القائمين على المؤسسات الأمنية المكلفة بالطرق بالمشكلات المرورية في أن النسبة الأكبر من الحوادث المرورية سببها العنصر البشري وأن أكثر العوامل التي تؤدي إلى الحوادث المرورية هي تجاوز السرعة المسموح بها ونقص كفاءة السائق نقص كفاءة وتجهيز المركبة، المخالفة المرورية نقص الانتباه والتركيز من السائق، القيادة في ظروف مناخية غير مناسبة، القيادة في حالات نفسية و انفعالية قوية.

سواء تبيننا النسيج الفردي أو النسيج الجمعي في تشريح الفوضى المرورية بمدينة غرداية، أي سواء قلنا أن سبب هذه الفوضى هو التباس يديه سائق المركبة في إدراكه لاتجاهات السواق الآخرين ودوافعهم نتيجة شكه بسلامة

مقاصدهم ونياتهم، أو قلنا هو سلوك ذو طبيعة حشدية هياجية نتيجة غياب الرقيب الخارجي (أي السلطة) وتهميش الرقيب الداخلي (أي الضمير)، ففي كلتا الحالتين يمكن الإشارة إلى أن ظاهرة الفوضى المرورية في ولاية غرداية لم تنتجها أحداث ومتغيرات آنية حسب، بل أنتجت بالأساس إحلال سياسة أقصى القوة بدل منطق الإقناع التربوي، ولذلك ليس من المتوقع أن يعثر قريبا شاغلو شوارع مدن غرداية من سواق ومارة على أسلوب طوعي لتنظيم واقعهم المروري على وفق أسس المصلحة العامة المشتركة، بل لا بد من إعادة فرض قوانين المرور بأبعادها الثوابية والعقابية معا على أسس تربوية وإنسانية، بالتوازي مع عملية إعادة بناء ثقة الفرد بمؤسساته وبنى مجتمعه.

جدول رقم (9) يبين فئات ضحايا حوادث المرور لسنة 2013 (16)

الضحايا الفئات	جرحي		قتلى	
	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
سواق ذكور	44.38%	158	27.27%	03
سواق اناث	00	00	00	00
ركاب ذكور	12.64%	45	18.18%	02
ركاب اناث	0.84%	03	00	00
مشاة ذكور	26.40%	94	36.36%	04
مشاة اناث	15.73%	56	18.18%	02
المجموع	100%	356	100%	11

من خلال الجدول رقم (9) نلاحظ أن أعلى نسبة من الضحايا الجرحى من حوادث المرور تمثلت في نسبة 44.38% وهم سائقي المركبات الذكور، في حين لم نسجل أي ضحايا جرحي عند الإناث السائقات للمركبات، وفي المقابل نلاحظ من خلال نفس الجدول أن الضحايا القتلى في حوادث المرور قدرت بنسبة 36.36% وهي نسبة خاصة بفئة الذكور المشاة، أما الضحايا القتلى من فئة الإناث المشاة في حوادث المرور قدرت بنسبة 18.18%.

لا يمكن فهم و تفسير هذه المعطيات الاحصائية بعيدا عن متغير النوع الاجتماعي (رجل - امرأة) فالعلاقة بين النوع الاجتماعي و حوادث المرور، التي ينشأ عنها بعض الصراعات ان صح التعبير، و سبب هذه الصراعات هو نمط تفكير كل نوع اجتماعي، و هكذا يحاول بذلك كل طرف فرض منطق خاص به حول السياقة، فالاختلافات الاجتماعية والثقافية للأدوار والوظائف لكل من الرجال والنساء والتي يمكن تفسيرها باختلاف المجتمعات والثقافات، ما نريد تفسيره هنا حول موضوع النوع الاجتماعي و السياقة هو التمييز بين الدور المكتسب والدور غير مكتسب، والدور المكتسب يستعمل أكثر ليثبت أن النوع أكثر دلالة كمفهوم اجتماعي، لأننا نولد ذكورا أو إناثا ونصبح رجالا أو نساء من خلال التوقعات الثقافية و الاجتماعية السائدة في المجتمع والمترتبة بأعضاء كل جنس وهذا التمييز في النوع هو الذي يحدد السلوك الاجتماعي من خلال التوقعات النوعية التي تسيطر على كيفية التعامل مع الجنس الآخر.

فالمرأة السائقة في مدن ولالية غرداية ينظر اليها بنوع من الدونية، من طرف الرجال و بالتالي تمارس عليها ضغوطات، قد تدفعها الى ارتكاب بعض حوادث المرور و تؤدي بحياة أشخاص اخرين، كما تكون كذلك ضحية قتل جراء حادث مرور، نتيجة لسياقة متهورة من طرف الرجال.

جدول رقم (10) يبين توزيع عدد الحوادث حسب أيام الاسبوع والتوقيت لسنة

2013 (17)

المجموع		18 سا إلى 00 سا		12 سا إلى 18 سا		06 سا إلى 12 سا		00 سا إلى 06 سا		الساعات الايام
44	100%	8	8.79%	17	14.40%	13	21.31%	6	10.90%	السبت
53	100%	15	16.48%	21	17.79%	9	14.75%	8	14.54%	الاحد
38	100%	13	14.28%	19	16.10%	9	14.75%	7	12.72%	الاثنين
57	100%	20	21.97%	19	16.10%	8	13.11%	10	18.18%	الثلاثاء
40	100%	12	13.18%	9	7.62%	7	11.47%	12	21.81%	الاربعاء
47	100%	10	10.98%	16	13.55%	10	16.39%	11	20%	الخميس
36	100%	13	14.28%	17	14.40%	5	8.33%	1	1.81%	الجمعة
315	100%	91	28.88%	118	37.46%	61	19.36%	55	17.74%	المجموع

التي تقع يوم الاحد من الساعة

من خلا الجدول رقم (10) نلاحظ أن اكبر نسبة لحوادث المرور بولاية غرداية قدرت بـ 37.46% تدعمها نسبة حوادث المرور التي تقع يوم الأحد من منتصف النهار إلى السادسة مساءً بنسبة 17.79%، ثم تليها نسبة 28.88%، والتي تدعمت بنسبة حوادث المرور التي وقعت يوم الثلاثاء في التوقيت من السادسة مساءً إلى منتصف الليل، بينما تسجل مدن ولاية غرداية نسب أقل في حوادث المرور حسب ما نلاحظه من نفس الجدول حيث كانت نسبة الحوادث منخفضة بنسبة 17.74%، و النسبة المنخفضة جدا كانت يوم الجمعة من منتصف الليل الى السادسة صباحا، كما نلاحظ كذلك ان هناك نسبة منخفضة تقدر بـ 19.36%، وقد كانت كذلك منخفضة يوم الجمعة من الساعة السادسة صباحا الى منتصف النعرو قد سجلت نسبة 8.33%.

ان ارتفاع أو انخفاض نسبة حوادث المرور راجع الى عدة عوامل اجتماعية خاصة اذا ربطناه بعامل الزمن أو الوقت.

فارتفاع نسبة حوادث المرور ييومي الأحد و الثلاثاء فهذان يومان عاديان يمارس فيهما أفراد المجتمع المحلي غرداية أنشطتهم الروتينية بصفة عادية، كما يجب الإشارة الى التوقيت بالضبط فارتفاع حوادث المرور يوم الاحد من منتصف النهار إلى السادسة مساءً، في هذه الفترة يعود أفراد المجتمع الى منازلهم بعد العمل ثم العودة الى العمل ثم الرجوع الى المنازل، أين تسجل حركة مروري خانقة في هذه الفترة مع التعب الذي يلقاه أفراد المجتمع بغرداية نلاحظ أن طابع التغالب هو أحد خصائص الشخصية الغرداوية، لسنا في إطار التبنى لهذه النظرة السوسيولوجية، إلا أن الملاحظة العلمية الدقيقة لما يجري في شوارع مدينة يجعلنا لا نستطيع أن نتجاهل نفاذ بصيرة أفراد هذا المجتمع، فعندما ينهمك كل سائق تقريبا في التقاطعات المرورية الملتحمة بالسيارات، بمحاولة التقدم ولو لشبر واحد إضافي داخل الحشد، مستخدماً كل مهاراته العدوانية في السياقة (لفظا وسلوكا)، حتى لو أدى ذلك إلى انغلاق السير لساعات بوجهه أو بوجه غيره من السواق، ودون أدنى مراعاة لآلية التريث لثوان أو لدقائق لفصح المجال لباقي المركبات في الاتجاهات الأخرى للمرور تباعاً بما يحقق انسيابية السير للجميع، ففي الغالب إننا أمام حالة متقدمة من سيكولوجية (إذا لم تكن ذئبا أكلت الثعالب) المصنفة بوصفها واحدة من أهم بنود شريعة الغاب ومع ذلك، يجدر بنا التريث قبل المصادقة على هذا الحكم النفسي الصارم على الفرد الغرداوي. تشير التنظيرات الحديثة في علم النفس الاجتماعي إلى وجود خاصية نفسية واسعة الانتشار وذات أثر حاسم في تحديد بعض مظاهر السلوك الاجتماعي، هي ما يطلق عليه بـ (الجهل بتعددية آراء الآخرين) أي جهل الفرد بالاتجاهات الحقيقية للناس حوله نحو موضوعات اجتماعية لها أهمية قصوى مشتركة.

فالسلوك الفوضوي للسائق الغرداوي يمكن تفسير نزعة التغالب لديه، والتي قد تصل إلى حد العنف والاعتداء، في ضوء جهله وإنكاره بأن للسواق الآخرين اتجاهات تسامحياً نحوه، متوهماً أن جميعهم (ذئاب) في دوافعهم، وينبغي عليه أن

(يتغذى بهم قبل أن يتعشوا به)، حتى لو أدى ذلك إلى الإضرار بمصلحته الذاتية في الشارع.

نتائج الدراسة -

- 60% من الممتحنين في شهادة السياقة قد نجحوا في سنة 2013 لنيل رخص السياقة و 40% لم ينجحوا.
- 59% من الممتحنين في شهادة السياقة قد نجحوا في الثلاثي الرابع من سنة 2014 لنيل رخص السياقة و 41% لم ينجحوا.
- 74.54% من الممتحنين في شهادة السياقة قد نجحوا في الثلاثي الرابع من سنة 2015 لنيل رخص السياقة و 25.46% لم ينجحوا.
- تكاثرت حوادث المرور في فترة الدخول الاجتماعي و بالضبط في فصل الخريف و قد خلفت هذه الحوادث جرحى بنسبة 12.70% و نسبة 25% وفاة وهذا خلال سنة 2015.
- ترتفع نسبة حوادث المرور في المناطق الحضرية أو العمرانية فقد سجلت سنة 2015 نسبة 79.42% حادث مرور من مجموع الحوادث في هذه السنة.
- نسبة حوادث المرور خلفت جرحى في سنة 2014 نسبة الأكبر و تقدر بـ 52.07%، تليها نسبة حوادث المرور الجسمانية بنسبة 45.56%، ثم حوادث المرور المميتة بنسبة 2.36%.
- 99.56% هي نسبة عدم احترام قواعد السياقة أي أن العنصر البشري هو المتسبب الرئيسي في حوادث المرور، تليها عامل مرتبط بالمركبة بنسبة 0.43%.
- أعلى نسبة لحوادث المرور المسجلة هي حوادث المرور الجسمانية و قدرت بنسبة 88%، تليها نسبة حوادث المرور المادية بنسبة 9%، ثم حوادث المرور المميتة بنسبة 3%، وهذا سنة 2013.
- أعلى نسبة من الضحايا الجرحى حوادث المرور هم سائقي المركبات الذكور، في حين لم نسجل أي ضحايا جرحى عند الإناث السائقات للمركبات.
- تكثر حوادث المرور بولاية غرداية يوم الأحد من منتصف النهار إلى السادسة مساء و يوم الثلاثاء في التوقيت من السادسة مساء إلى منتصف الليل.

خاتمة -

لم يشفع قانون المرور وسلسلة النصوص الردعية التي تضمنها من تراجع نسبة حوادث المرور في مدينة غرداية فحصول حوادث المرور المقدمة من قبل مصالح الأمن الوطني تؤكد ذلك، وهو ما تترجمه أيضا الإحصائيات، و من خلال هذه الأخيرة و التي أصبحت مخيفة تتضح لنا أهمية البحث في هذا الموضوع خاصة وأن أضراره جسيمة وآثاره وخيمة، فهي تهدد أحد أهم الموارد ألا وهو المورد البشري والذي يعود فقده بالخسارة على الفرد والمجتمع ككل.

ان النظرة تحليلية التي استنتجناها من خلال الجداول الاحصائية تكشف لنا أن جميع مسببات الحوادث سواء كانت أخطاء بشرية تسبب فيها السائق، أو أخطاء هندسية كان السبب فيها الطريق، أو أخطاء ميكانيكية كان السبب فيها السيارة، فإن جميع هذه المسببات يمكن حصرها في عاملين رئيسيين هما أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة، فرغم وجهة نظر هذا التقسيم، إلا أننا نرى أن الحادث من الناحية الواقعية يعود لعدة أسباب، والمختصون في هذا الشأن لا يشيرون إلا للأسباب الرئيسية الظاهرة كرفض الأولوية، التجاوز الخطير، الإفراط في السرعة، التوقف الخطير، عدم احترام الإشارات أو هندسة الطريق... الخ.

و أخيرا فالوقوف على حجم أثر هذه الظاهرة على البنية الاجتماعية و الاقتصاد بلغة الأرقام في مدينة غرداية يدفعنا إلى المقارنة بين النماذج الموجودة ومحاولة وضع مقترح لنموذج يمكن تطبيقه في غرداية وتكون نتائجه تقارب الواقع.

قائمة المراجع -

- 1- ياسر عبد الله العسيري وآخرون، حوادث السيارات في مدينة الرياض، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية دون تاريخ نشر، ص 05.
- 2 - عامر بن ناصر المطير، حوادث المرور في الوطن العربي، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية، 2006، ص ص 15 - 16.
- 3- عبد القادر حلبي، مدخل إلى الإحصاء ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994، ص 24
- 4- المصلحة الولائية للأمن العمومي بولاية غرداية.
- 5- علي عبد الله خلف، التكاليف الاقتصادية و الاجتماعية لحوادث المرور في العراق، الأكاديمية العربية في الدنمارك 2010 ، ص 8.
- 6- المصلحة الولائية للأمن العمومي بولاية غرداية.
- 7- المصلحة الولائية للأمن العمومي بولاية غرداية.
- 8- المصلحة الولائية للأمن العمومي بولاية غرداية.
- 9- علا عبد الرحمان البكري، الندوة العلمية حول حجم حوادث المرور في الوطن العربي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية، 2001.
- 10- طريقة دلفي بالإنكليزية Delphi méthode هي تقنية تواصل منظمّة، وضعت أصلا باعتبارها طريقة تنبؤ منهجية وتفاعلية تعتمد على لجنة من الخبراء. أنظر: يشال ألدن، إيريو زيغليو، التحديق في أوراكل: أسلوب دلفي وتطبيقه على السياسة الاجتماعية والصحة العامة، لندن، 1996.
- 11- المصلحة الولائية للأمن العمومي بولاية غرداية.
- 12- المصلحة الولائية للأمن العمومي بولاية غرداية.
- 13- راضي عبد المعطي السيد، الآثار الاقتصادية لحوادث المرور، جامعة نايف للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث الرياض، 2008، ص 126
- 14- المصلحة الولائية للأمن العمومي بولاية غرداية.
- 15- المصلحة الولائية للأمن العمومي بولاية غرداية.
- 16- المصلحة الولائية للأمن العمومي بولاية غرداية.
- 17- المصلحة الولائية للأمن العمومي بولاية غرداية.



القيم.. من الفكر الفلسفي إلى البحث السوسيولوجي

فخار إبراهيم

شعبة علم الاجتماع، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان.

حي 32 مسكن بلغنم / ص. ب رقم 43 - 47009 غرداية.

fekharbrahim@gmail.com

ملخص -

يهدف المقال إلى دراسة موضوع "القيم"، منذ ميلادها من رحم الفلسفة مجردة في عالم المثل. واقتصر تناولها في البداية من طرف الفلاسفة الذين اعتبروها أحد المباحث الأساسية بالإضافة إلى مبحثي الوجود والمعرفة، وقسموها من منظورهم إلى ثلاثة أقسام تضبط سلوكيات الأفراد وتحدد اتجاهاتهم وهي: الخير والحق والجمال. ثم تجرأ علماء النفس والاجتماع على تناولها بالدراسة والتحليل بكثير من الحذر، كونها مفهوما مجردا مطلقا من جهة، ولغموضه وصعوبة دراسته العلمية من جهة أخرى؛ مع إشكالية الوقوع في "حكم القيمة" من طرف الباحث حين يتأثر بمنظومته القيمية الخاصة. ومع انغماس القيم في كافة مجالات الحياة الاجتماعية أضحت الاهتمام بها يتزايد، خاصة مع تعقد الحياة في المجتمعات الحديثة التي تشهد اتساعا رهيبا لمساحة العولمة، وتنامي النزعات الثقافية المحلية، الأمر الذي يجعل دراسة موضوع القيم مثيرا ومتجددا. ويبقى التساؤل مستمرا: القيم إلى أين؟

الكلمات المفتاحية -

القيم، الفلسفة، الدراسات النفسية، الدراسات الاجتماعية، ابن خلدون، العولمة.

Values.. From Philosophical Thought To Sociological Research

Summary -

This Article Studies The Topic Of "Values", From Their Inception In The Core Of Philosophy, Abstract In A World Of Ideals. It Was Initially Studied Only By Philosophers Who Considered It To Be One Of The Basic Research Topics In Addition To Existentialism And Knowledge. This Topic Was Divided From Their Perspective Into Three Sections That Regulate The Individuals' Behaviour And Determine Their Tendencies Which Are Goodness, Integrity And Beauty. Then, Sociologists And Psychologists Dared Try To Study Them With Much Caution Because Their Concept Is Absolutely Abstract On The One Hand And The Ambiguity And Difficulty Of Their Scientific Study On The Other Hand, In Addition To The Problematic Of Falling In The "Value Judgment" Of The Researcher When He Is Affected By Its Own Values. When Values Infiltrated All The Spheres Of Social Life, Being Aware Of Them Has Grown More And More, Especially With The Complexity Of Life In Modern Societies Which Is Facing An Alarming Expansion Of The Area Of Globalization And The Growing Of Local Cultural Concerns. This Makes The Study Of The Subject Of The Values Exciting And Renewable And The Question: Remains Current: "Values: Where To?"

Keywords -

Values, Philosophy, Psychological Studies, Social Studies, Ibn Khaldoun, Globalization.

مقدمة -

إنّ تناول موضوع "القيم" بالبحث والدراسة ليس بالأمر الميسور والسهل، كما قد يتخيّله البعض، وهذه الصعوبة تكمن في غموض القيم من جهة، واختلاف المفكرين والعلماء في معناها، وتباين نظرتهم إليها من جهة أخرى؛ وهذا الاختلاف في تحديد مفهومها لم ينشأ بسبب طبيعة اختلاف المعنّيين بها والتي تشمل جوانب معرفيّة متعدّدة، أهمّها الفكر الفلسفيّ وعلم النفس وعلوم التربية وعلم الاجتماع فحسب، وإنّما نلاحظ هذا الاختلاف موجودا حتى بين الباحثين في المجال المعرفيّ نفسه.

إنّ دراسة القيم ليست شيئاً جديداً في ميدان المعرفة، فقد لقيت عناية واهتماماً كبيرين من رواد الفكر الفلسفيّ، وأقطاب الدراسات الأخلاقية القدماء والمعاصرين، ومع ذلك فمصطلح "القيم" بالمعنى المتداول الآن لم يستعمل إلا في الدراسات الحديثة، حين استقطب اهتمام علماء النفس والتربية وعلم الاجتماع. في هذا المقال نسلط الضوء على موضوع "القيم" بتحديد مفهومها، ومحاولة الإلمام بمعانيها المختلفة، وعرض أبعادها ودلالاتها المتعددة، وتتبع مسارها من خلال بعض الدراسات الفلسفية التي كان لها السبق في تناولها، ثم التعرّض لبعض الدراسات النفسية والاجتماعية التي انتقل إليها الاهتمام بها بعد ذلك.

• مفهوم القيم -

كلمة "القيمة" *valeur* من الكلمات الشائع استعمالها، فهي كثيرة التردد على ألسنة المفكرين والتربويين والمتقنين بل حتى عامة الناس، ومع هذا الشيوع والتداول الواسع تحتفظ بكثير من الغموض، وتبقى استعمالاتها فضفاضة كثيرة المرونة، وهذا التضارب والغموض الذي يكتنف موضوع القيم جعل عالم الاجتماع ألفين توفلر (A. Toffler) يصف القيم بأنها: "الطفل غير السعيد الذي يعاني من بؤس وشقاء عدم علمنا به"¹، في حين عبّر فون مرنج (V. Mering) عن ذلك قائلاً: "هناك في ميدان البحوث في القيم على وجه الخصوص جذب في النظريات المتناسقة وخصب في النظريات المتضاربة"².

1- القيم في اللغة:

- القيم: جمع كلمة "قيمة"، وهي مشتقة من الفعل الثلاثي "قام"، ومن مادة "قَوَم".
- الفعل "قام": اعتدل، ظهر واستقرّ، دام وثبت، تولى الأمر، تحدّث قيمته.
- القيمة: القدر، الثمن، الثبات والدوام.

¹ ضياء زاهر، القيم في العملية التربوية، مؤسسة الخليج العربي، (دم)، 1984، ص 10.

² الموضوع نفسه.

- القيم: السيد، سائس الأمر، الذي يقوم بشأن القوم، المستقيم، ذو القيمة¹.

يلاحظ أن مفهوم "القيمة" بالمعنى المتداول الآن لم يكن مستعملاً قديماً وإنّما هو مصطلح حديث دخل اللغة العربية عن طريق ترجمة المصطلح الأجنبي: *valeur*، فاستخدمه الباحثون والمفكرون مع اختلاف في تحديد دلالاته. إلّا أننا نجد في تلك التعاريف اللغوية ما نعدّه مرتبطاً بمفهوم "القيمة" أو "القيم"، فيتفق إلى حد بعيد مع ما ذكره الباحثون واعتمدوه في دراساتهم. فقد أشار علماء اللغة في تعريف القيمة إلى معنى الثبات والدوام، وهو ما أكده الباحثون من خصائص القيم، كما أنها تحمل معنى السياسة والقيادة، حيث أنّ القيم - حسب علماء النفس والاجتماع- هي التي توجّه سلوك الأفراد وتتحكّم في مسار المجتمعات.

ولعلّ استعراضنا دلالات المفهوم الاصطلاحي للقيم وتطوّره عبر الزمن لدى عدد من الدراسات الفلسفية والنفسية والاجتماعية يوضّح أكثر الجوانب التي تلتقي فيها هذه المعاني اللغوية مع تلك الدراسات باتجاهاتها المختلفة.

2- القيم في الدراسات الفلسفية:

بقي موضوع القيم - إلى عهد قريب- مقتصرًا على الفلاسفة، نظراً لكونه مفهوماً مجرداً مطلقاً من جهة ولغموضه ولصعوبة دراسته العلمية من ناحية أخرى؛ وتعدّ القيم أحد المباحث الأساسية التي اهتمّ بها الفلاسفة قديماً وحديثاً، بالإضافة إلى مبحثي الوجود والمعرفة، وهي من المفاهيم الفلسفية التي كانت ومازالت محورا لخلافات أساسية بين المدارس الفلسفية، وفي هذا يقول جون ديوي (J. Dewey) "إن الآراء حول موضوع القيم تتفاوت بين الاعتقاد من ناحية بأنّ ما يسمّى "قيماً" ليس في الواقع سوى إشارات انفعالية أو تعبيرات

1 إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، 1972، ط2،

صوتية وبين الاعتقاد في الطرف المقابل بأن القيم والمعايير ضرورية ويقوم على أساسها كل من الفن والعلم والأخلاق¹.

والقيم في المنظور الفلسفي تنقسم إلى ثلاثة أقسام تضم تحتها شتى المعاني التي تضبط سلوكات الإنسان وتحدد اتجاهاته في حياته، وهي: الخير والحق والجمال، ومقابل ذلك تأتي الأوجه الثلاثة المؤطرة لحياة الإنسان الواعية متمثلة في: الإدراك والسلوك والوجدان.

فالإدراك ينبغي أن يكون صحيحا لا مغلوطا، مصيبا لا مضللا حتى ينبني السلوك على أساس سليم؛ وهنا تبدو قيمة "الحق" المقابلة للإدراك، فالإنسان بفطرته ينشد الحق ويبني عليه معارفه.

أما السلوك فيقيس الإنسان صوابه واستقامته بمقياس "الخير" الذي هو قيمة ضرورية عنده، ليس له عنها غناء، حتى وهو يقترب الإثم أو يفعل الشر؛ هاتان قيمتان -حسب الفلاسفة- تمليهما على الإنسان فطرته: قيمة "الحق" كإدراك، وقيمة "الخير" كسلوك.

أما القيمة الثالثة: "الجمال" فهي حلقة وسطى بين الإدراك من ناحية والسلوك من ناحية أخرى، وهي ما يطلق عليه بالنشوة الجمالية، أو الحالة الوجدانية، وبغية المرء من خلال هذه الحالة أن تشيع فيه الطمأنينة والرضا، فتراه على هذا الأساس يختار ثيابه ومسكنه ومقتنياته².

وقد تطور البحث الفلسفي في هذه القيم الثلاثة، ليصبح ثلاثة مباحث فرعية، شبه مستقلة، وهي: المنطق والأخلاق والجمال، وهي تعدد علومها معيارية تبحث فيما ينبغي أن يكون، وليست علومها وضعية تقتصر دراستها على البحث فيما هو كائن.

وينقسم الفلاسفة بصفة عامة حول ما إذا كانت القيم تحدد بمعزل عن خبرة الناس بها في الحياة الواقعية، أم أنها ناتجة عن خبراتهم وتجاربهم إلى

1 محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون، التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1982، ص 223.

2 زكي نجيب محمود، فلسفة وفن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1963، ص 65.

قسمين وهذا بعد أن نستبعد بعض أصحاب المنهج الوضعي الذين حذفوا موضوع القيمة من دراساتهم وعدّوها مجرد إيماءات أو تعبيرات انفعالية عارضة. ويعدّ العالم النمساوي شليك (M. Schlick) مؤسس هذه الحركة الفلسفية وأول من دعا إليها ضمن جماعة من الفلاسفة أطلقت على نفسها جماعة "فيينا"¹.

أما القسمان الرئيسيان فهما:

- اتّجاه الفلسفات المثالية أو العقلية.
- اتّجاه الفلسفات الواقعية الطبيعية.

أ- اتّجاه الفلسفات المثالية:

اقترن الاتّجاه المثالي بالفلاسفة القدماء أفلاطون (Platon) وسقراط (Socrate) ويمثلها ضمن الفلاسفة المحدثين كانط (E. Kant) وهيجل

(F. Hegel)، أمّا في عصرنا المعاصر فترتبط بكل من كروتشه

(B. Croce) و جنتلي (C. Gentile)، ويعدّ هؤلاء فلسفتهم هذه نظرية كاملة للكون والحياة، التي تقوم على أساس الاعتقاد بوجود عالمين أحدهما مادي والآخر معنوي (سماوي)، وإنّ الإنسان الكامل يستمدّ قيمه من عالم السماء².

أمّا موقف الفلسفة المثالية العقلية من موضوع "القيم" فيقوم على أساس استقلال القيم، وانعزالها عن الخبرة الإنسانية، وهي بالتالي خارجة عنه وثابتة لا تتغيّر، لذلك - مثلاً - يمكن النظر إلى فلسفة أفلاطون على أنها تركز على ما يجب أن يكون، وما لا يجب أن يكون. ويرى أفلاطون أنّ مصدر القيم خارج عن الحياة الواقعية والخبرة الشخصية للإنسان، تلك الخبرة التي تشتقّ من هذا العالم الحسي المتغيّر والمتقلّب، لذلك يتحتّم أن يكون مصدر القيم هو عالم المثل السماوي الذي يمتاز بأنّه عالم أبديّ ثابت ومطلق.

1 محمد أحمد على الحاج، فلسفة التربية، دار المناهج، عمّان، الأردن، 2002، ط1، ص 40-41.

2 صلاح نصصرة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار التنوير، بيروت، لبنان، 1984، ص32.

ويرى الفيلسوف كانط أن مصدر كل من العلم أي الحق، والخير أي الأخلاق وكذلك الجمال هو العقل؛ ذلك لأن العقل هو الذي يعطي للخبرات الحسية شكلها الخاص الذي ندركه، حيث أن التركيب الداخلي للعقل يحتوي على مفاهيم هي مقولات الفكر، وهذه المفاهيم موجودة في العقل وجودا مستقلا عن الخبرة، وسابقا لها¹.

ب- اتجاه الفلسفات الواقعية:

اعترض الفلاسفة الواقعيون على منطلقات الفلسفة المثالية: واختلفوا معها اختلافا جذريا، فرفضوا أن يكون للقيم مكان خارج حدود الطبيعة والعالم الواقعي، أي عالم التجربة والخبرات اليومية.

ويمثل كل من أرسطو (Aristote) و هوبز (T. Hobbes) وغيرهم من الفلاسفة الواقعيين مثل بيرى (J. Perry) و هولت (J. Holt) تصوّرات هذه الفلسفة التي ترى أن قيم الأشياء ناتجة عن اتّصالنا بها وتفاعلنا معها وأنّها لا تنشأ في الفراغ، وهي بذلك ليست مجردة مطلقة ولا ثابتة أبدية. ومن هنا فإن أصحاب هذا الاتجاه يرون أن الأشياء ليست في ذاتها خيرا أو شرا، حقا أو باطلا، صحيحة أو خاطئة وإنما هي أحكام نصدرها من واقع تأثّرنا بها وتأثيرنا فيها، والقيمة عند هؤلاء هي القرار الذي يصدره الإنسان بالنسبة لأمر ما، بناء على منظومة من المبادئ والمعايير التي تميّز بين الجوانب القيمية الثلاثة التي تشملها الخبرة الإنسانية وهي: الحق والخير والجمال، كما تعلمها وتفاعل معها ومن هذه الزاوية يتّضح التقاء مفهوم القيمة مع مفهوم الخبرة الإنسانية مما يعني أن مجال القيم لدى هؤلاء يشمل كافة جوانب النشاط الإنساني².

يقول الفيلسوف أوجان نيدا (E. Nida): "إن قيمة جرس الحرية في أمريكا لا تتوقّف على صفات ذاتية فيه، فهو من هذه الناحية ذو قيمة نافهة لا تكاد تذكر، لأنّه جرس قديم مشروخ ولا يساوي شيئا، ومع هذا فهو لا يقدر

1 مساعد بن عبد الله المحيا، القيم في المسلسلات التلفازية، دار العاصمة، الرياض، م.ع.س، 1994، ص33.

2 المرجع نفسه، ص34.

بثمن، وله قيمة عالية كبرى في نظر الأمريكيين، لأنه رمز الحرية التي يقدسونها¹.

وقبل أن نتعرض لمفهوم القيم في الدراسات النفسية والاجتماعية، نشير بإيجاز لنظرية الفيلسوف الأمريكي رالف بارتون بري (R.B.Perry) المعروفة بالنظرية العامة للقيمة التي تتخذ مفهوم "الاهتمام" محورا وأساسا لتفسير القيمة ومحتوى هذه النظرية أن أي اهتمام بأي شيء يجعل هذا الشيء ذا قيمة، فالاهتمام في رأيه يعدّ ينبوع الأصلي والسمة المميزة، والخاصية الدائمة في جميع القيم، ويختصر فكرته في المعادلة البسيطة التالية:
س ذو قيمة = هناك اهتمام بـ س².

ذلك هو - باختصار - مفهوم القيم لدى الفلاسفة، وتلك هي نظرتهم لها، وتجدر الإشارة إلى أن الفلاسفة المتأخرين والمعاصرين، اعتمدوا كثيرا الاتجاه الطبيعي في دراساتهم للقيم، كما أن الدراسات النفسية والاجتماعية انطلقت من الاتجاه نفسه.

3- القيم في الدراسات النفسية:

تعدّ القيم من أهمّ الموضوعات التي تعنى بها الدراسات والبحوث النفسية في الوقت الحاضر، وذلك لارتباطها بعدة نواح نظرية وتطبيقية من ميدان علم النفس، خاصة منها علم النفس الاجتماعي والتربوي وحتى الإكلينيكي. والفضل في دراسة القيم سيكولوجيا يعود إلى باحثين اثنين من علماء النفس، الأول: هو السيكلوجي الألماني إدوارد سبرانجر (E. Spranger) الذي قدّم عام 1928م كتابا بعنوان: "أنماط الرجال"، بيّن فيه أن الناس يتوزعون بين ستة أنماط تبعا لسيادة واحدة من القيم التالية: النظرية، الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، الجمالية، الدينية؛ والثاني: هو السيكلوجي الأمريكي لويس ليون ترستون (L.L.Thurstone) الذي نشر عام 1954م مقالا بعنوان: "قياس القيم - منظور سيكولوجي"، قدّم فيه تصوّرا لمعالجة القيم في إطار البحث العلمي

1 فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ط2، ص35.

2 المرجع نفسه، ص36.

النفسيّ، ثمّ توالى بعد ذلك بحوث لدراسة القيم وخاصة ضمن موضوعات علم النفس الاجتماعي¹.

ويرى علماء النفس أنّ هناك ارتباطا وثيقا بين القيم والشخصيّة، فإذا عرفنا قيم الشخص عرفنا شخصيته، لأنّ قيم الفرد تمثّل إحدى المحدّات الهامّة لسلوكه. و"التنظيم القيميّ يكون في القمة من تنظيم الشخصية"².

وقد اهتمّ علماء النفس والباحثون السيكلوجيون والتربويون كثيرا بموضوع القيم، فوضعوا لها تعاريف متعدّدة بعضها يؤكّد الناحية الشعوريّة، وبعضها يؤكّد الناحية الوجدانيّة، وبعضها الآخر يؤكّد الناحية العمليّة؛ إلّا أنّها جميعا تؤكّد أنّ القيم أحكام يصدرها الفرد على العالم الإنساني والاجتماعي والماديّ الذي يحيط به³، وبالتالي فهي ذاتية فرديّة، ومن هذا المنطلق اعتبر علماء النفس موضوع القيم خاصّا بهم، وتناولوه بدراسات عديدة؛ وهذه عينّة من التعاريف الواردة في بعض من هذه الدراسات:

يذكر أحمد عبد اللطيف وحيد أنّ القيم "تنظيمات عقلية فعّالة تتضمّن أحكاما عقلية وتقويميّة إيجابيّة وسليبيّة، نحو الأشياء وأوجه النشاط المختلفة، وتكون إما صريحة أو ضمنيّة، نستنتجها من السلوك اللفظي وغير اللفظي"⁴، ويتفق معه عطية محمود هنا أنّ القيم تنظيمات عقلية لإصدار الأحكام ويضيف أنّ هذه الأحكام والتقديرية "امتداد يبدأ بالتقبّل ويمرّ بالتوقّف وينتهي بالرفض"⁵.

1 بشير معمريّة، بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، ج1، منشورات الحبر، الجزائر، 2007، ص43.

2 سعد المغربي، التنمية والقيم، مسلمات ومبادئ، مجلة علم النفس، ع7، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1988م، ص24.

3 سيد محمد خير الله ومصطفى زيدان، القدرات ومقاييسها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص248.

4 أحمد عبد اللطيف وحيد، علم النفس الاجتماعي، دار المسيرة، عمّان، الأردن، 2001، ص67.

5 عطية محمود هنا، التوجيه التربوي والمهني، المطبعة العالمية، القاهرة، مصر، 1959، ص187.

ويرى الباحثان شافير و سترونغ (shaver and strong) أنّ القيم مقاييس ومعايير نحكم من خلالها على أنّ الأشياء جيّدة مرغوب فيها أو على العكس من ذلك سيئة ومرغوب عنها¹.

في حين يرى ماسلو (A. Maslow) أنّ مفهوم القيمة مكافئ لمفهوم الحاجة².
ويصرّح كونتريل (Contril) أنّ القيم اتّجاهات³.
ويقرّر ثورنديك (E.L. Thorndike) أنّ القيم هي التفضيلات وتنقسم في نظره إلى قسمين:

- قسم إيجابي يجلب اللذة.

- قسم سلبي يجلب الألم⁴.

ويربط يونق (K. Young) القيم بالدوافع والأهداف فيعرّفها بأنها "تركيب من الأفكار والاتّجاهات التي تعطي مقياسا للتفضيل أو أولويّة للدوافع والأهداف، وكذلك لمجرى الفعل من الدافع إلى الهدف"⁵.

ويمنحنا أستاذنا محي الدين مختار (رحمه الله)، تعريفا جامعا لما مضى فيقول: "القيم عبارة عن تنظيمات عقلية انفعالية معمّمة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني وأوجه النشاط، والقيم موضوع الاتّجاهات، كما أنّها تعبير عن دوافع الإنسان، وتمثّل الأشياء التي توجّه رغباتنا واتّجاهاتنا نحوها؛ والقيمة مفهوم مجرد ضمنيّ غالبا، يعبر عن الفضل أو الامتياز"⁶.

1 ماجد زكي الجلاد، تعلّم القيم وتعليمها، تصوّر نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، دار المسيرة، عمّان، الأردن، 2007، ط2، ص22.

2 المرجع نفسه، ص24.

3 فوزية دياب، المرجع السابق، ص24.

4 نبيل محمد توفيق، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع، دراسة في علم الاجتماع الإسلامي، دار الشروق، جدة، م، ع، س، 1980، ط1، ص213.

5 محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2002، ص145.

6 محي الدين مختار، محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص196.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين تناولوا موضوع القيم من خلال مقارنة إسلامية، ويؤكد هؤلاء أن علم النفس قد استفاد كثيرا مما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية فيما يتعلق بالدراسات الخاصة بالقيم والاتجاهات¹.

تلك هي نظرة الباحثين السيكلوجيين والتربويين إلى القيم، رأيها باختصار من خلال تعريفاتهم المتباينة، ولابد من الإشارة هنا إلى أن اختلاف نظرتهم إلى القيمة لم تقتصر على موضوع التعريف فحسب بل تعدت ذلك إلى تقسيماتهم إياها، واختلافهم في ثباتها وتغيرها، ومستوى الإلزام فيها، وفي مصادرها، ومدى تأثيرها بثقافة المجتمع، إلّا أنهم أجمعوا أن موضوع القيم نفسي انفعالي بالدرجة الأولى.

لأنها ذاتية فردية، وأنهم أولى بدراستها من غيرهم.

4- القيم في الدراسات السوسولوجية:

على الرغم من أهمية القيم ومكانتها الجوهرية في الحياة الاجتماعية في كافة ميادين النشاط البشري فقد ظلت لفترة طويلة بعيدة عن رجال العلم من الباحثين في ميادين الدراسات السوسولوجية، لذا فإننا نلاحظ مثلا أن موسوعة العلوم الاجتماعية لم تشتمل على القيم كمادة مستقلة. ومن الغريب أن نجد عالما سوسولوجيا من رواد علم الاجتماع وهو ماكس فيبر (M.Viber) يقر بأن القيم طبيعتها نفسية فيقول: "... هي مجموعة من التصديقات السيكلوجية المتولدة عن الاعتقاد الديني، والممارسة الدينية التي تعطي توجيها للسلوك العملي الذي يلتزم به الفرد"².

يقول أحمد بيومي: "في الحقيقة أنه حديثا فقط جاء استخدام لفظة "قيمة" كمصطلح من المصطلحات السوسولوجية. و"القيمة" كمفهوم واضح قد استخدمت مبكرا في معان فنية محددة في ميدان علم الاقتصاد... وجدير

1 مساعد بن عبد الله المحيا، المرجع السابق، ص 39.

2 بن منصور اليمين، دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية، دراسة ميدانية حول المزابيين

المقيمين بمدينة باتنة، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الديني، جامعة باتنة،

2010/2009، ص 19.

بالإشارة هنا أنّ بعض علماء الاجتماع قد استعملوا ألفاظاً أخرى مثل: الطرائق الشعبية أو العرف، أو التصوّر الجمعيّ، للإشارة إلى الجوانب الثقافية التي لها صفة التقويم والتي يتطلبها أيّ مجتمع، ويمثل لها أعضاؤه¹.

ويعرّف ريمون بودون (R. Boudon) القيم سوسيولوجيا فيقول: "القيم هي التعبير عن المبادئ العامة والاتجاهات الأساسية، وقبل ذلك عن التفضيلات والاعتقادات الجماعية. تتحدّد الأهداف في المجتمعات ممّا هو مرغوب فيه، وتظهر في المقدّسات الجماعية. هذه القيم المرتبة تنتظم من خلال رؤية خاصّة للعالم ومجموعة متغيرات مستقلّة"².

ولعل السريّ إهمال دراسة القيم من جانب الباحثين في ميادين الدراسات الاجتماعية، أنّ الفلسفات العقلية قد جعلت "القيم" من خلال دراساتها عنصراً أساسياً في النسيج الفكريّ المجرد، ونأت بها من عالم الواقع؛ وفي هذا يقول أحد هؤلاء الباحثين وهو جاندي (E.C.Jandy): "كان علماء الاجتماع حتى عهد قريب يعتقدون أنّ دراسة موضوع القيم من شأن الفلاسفة وحدهم، ولذلك لم يعيروها أيّ اهتمام وتركوها للفلاسفة"، ثم يضيف مبدياً سبب ذلك: "وواضح أنّنا (يقصد علماء الاجتماع) مصابون بفوبيا اجتماعية من ناحية القيم، سببها الأساسي اعتقادنا أنّ القيم لا يمكن أن تكون علمية بمعنى الكلمة"³.

ويدعم هذا التعليل ليفي شتراوس (L. Strauss) فيقول: "فمردّد ذلك إلى أنّه عندما نتكلّم عن القيم، إنّما نتكلّم عن الانفعالات والعواطف والظواهر غير المنطقية، وبما أنّ أيّ علم مهمّته أن يعبر عن الظاهرة بأسلوب منطقيّ فإنّنا نخشى أن يفضي الكلام علمياً عن القيم إلى التناقض الحادث من تفسير بيانات

1 محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2002، ص139.

2 Raymond Boudon et autres, **Dictionnaire de sociologie**, Larousse, Paris, France, 2003, p243.

3 فوزية دياب، المرجع السابق، ص17.

غير منطقية بعبارات منطقية، فهذا من شأنه أن يهدم هذه البيانات ويشوّه طبيعة القيم¹.

وأول العلوم الاجتماعية التي التفتت إلى موضوع القيم، وتناولها بالدراسة هي علم الاقتصاد، باعتبار ارتباطه بنظرية القيمة أو الثمن أو السعر، فلقد تعمّق الدارسون الاقتصاديون في تحليلها ودراسة ما يتّصل بها من إشباع للحاجات والرغبات، حتى وُصف الاقتصاد بأنّه "علم القيمة"؛ وفي هذا يقول هرتزلي (Hertezler) : " إنّ علماء الاقتصاد وحدهم ينفردون من بين العلماء الاجتماعيين بما أولوه من اهتمام جدير بالذكر بدراسة القيم، ولذلك فهم يعدّون بحق رواد دراسة القيم في الميدان الاجتماعيّ، فقد عكفوا منذ قرن مضى على البحث فيها، وفي الدور الأساسي الذي تلعبه في تحديد الأسعار، وفي إنتاج السلع واستهلاكها وتوزيعها"².

• القيمة عند ابن خلدون:

إنّ ما توصّل إليه ابن خلدون - واضع أسس علم الاجتماع أو علم العمران البشري - حول موضوع القيمة يعتبر ذا أهمية كبيرة وجديراً بالبحث والدراسة. يقول في المقدمة: "اعلم أنّ الكسب إنّما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد إلى التحصيل؛ فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه"³، ويقول أيضاً: "فاعلم أنّ ما يفيد الإنسان ويقنتيه من المتموّلات إن كان من الصنائع فالمفاد المقتنى منه هو قيمة عمله... فقد تبين أنّ المفادات والمكتسبات كلّها أو أكثرها إنّما هي قيم الأعمال الإنسانية"⁴.

عند تحليلنا لهذه النصّين يتّضح أنّ مفهوم القيمة عند ابن خلدون محصور في مجال الاقتصاد، ويرتكز بشكل أساسي على "العمل"، فهو يربط قيمة المنتجات من سلع وخدمات بالعمل البشري، والكسب الحقيقي هو المحصّل عليه

1 الموضوع نفسه.

2 فوزية دياب، المرجع نفسه، ص 18.

3 عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 2004، ص 348.

4 الموضوع نفسه.

بالعمل المشروع؛ وبهذا يكون ابن خلدون قد منح أهمية كبيرة للعمل، فهو الذي يضيف على الأشياء والمكتسبات قيمتها.

• القيمة عند مدارس علم الاجتماع الحديث:

إذا تتبعنا مدارس علم الاجتماع الحديث المختلفة واهتماماتها المبكرة بموضوع القيم لوجدنا ظهور مفهوم القيمة ضمنا أو صراحة كان ابتداء من المدرسة الفرنسية -مهد علم الاجتماع الحديث- وخاصة عند إميل دوركايم (E. Durkheim) الذي حدّد مكوّنات الظاهرة الاجتماعية بأنّها نظم اجتماعية لها صفة الضغط والإلزام وتتكوّن من الرموز الاجتماعية والقيم والأفكار؛ وكان يؤكّد على مفهوم الضمير الجمعي في تحديد الضبط داخل المجتمع، وهو من العلماء الذين يعارضون موضوعية القيم فيقول: "لا توجد علاقة تماما بين خصائص الشيء المادية وبين القيمة التي تنسب إليه، فالمعبود -مثلا- قد يكون مجرد قطعة حجر أو خشب لا قيمة لها في حدّ ذاتها، ومع ذلك يشعر القوم نحوها بالتقديس والرهبنة... وما طابع البريد إلّا مربع صغير من الورق الرقيق، ليس فيه في كثير من الأحيان أيّ جمال فني، ومع ذلك ينفق الشخص مالا للحصول عليه، وكيف نفسّر ارتفاع قيمة اللؤلؤ والماس والفراء والدانتيل وغيرها من الملابس وأدوات الزينة؟ لا يمكن أن تكون طبيعة هذه الأشياء وخصائصها الكامنة فيها هي المسؤولة عن ارتفاع قيمتها"¹. لكن لم تظهر دراسات تناولت القيم كموضوع إلّا بعد وفاته بكثير.

أمّا المدرسة الإنجليزية ومن روادها هيرت سبنسر (H. Spencer) وما طرأ على النظرية العضوية التي تبناها من تغييرات أدّت إلى ظهور نظرية التطور التي تؤمن في أساسها بتعديل نسق التوقعات بين الوحدات، ولو تناولنا هذا المفهوم بالتحليل لوجدنا أنّ تحديد هذه التوقعات يعود بنسبة كبيرة إلى القيم السائدة في المجتمع كما أشار سبنسر إلى ذلك ضمنا؛ وهنا أيضا نلاحظ تأخّر الدراسات المتناولة لموضوع القيم.

1 Emile Durkheim, *Sociologie et philosophie*, Bibliothèque Paul Emil Boulet, Université du Québec, Chicoutimi, Canada, 1911, P7.

وإذا اتَّجهنا إلى المدرسة الألمانية فسنلاحظ أنَّها كانت الأسبق لتناول موضوع القيم بطريقة أكثر وضوحاً؛ فقد كان لها اهتمام صريح بتأثير القيم وتدخلها في تحديد مسار الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وظهر ذلك في بعض أعمال ماكس فيبر و كارل مانهايم (K. Mannheim) مثلاً.

أمَّا المدرسة الأمريكية فقد كانت أكثر جرأة في تناولها موضوع القيم بالدراسة، ولناخذ كلا من سوروكين (P. A. Sorokin)

و بارسونز (T. Parsons)، فسوف نجد الأول حاول تأطير بعض التعميمات عن التغير الاجتماعي والثقافي من خلال تاريخ الإنسانية كمؤشر محدد للقيم، وناتج عن التفاعل في إطار ظاهرة اجتماعية ذات أبعاد ثلاثة: - الشخصية - المجتمع - الثقافة؛ وبالتالي نبحث عن القيم من خلال تتبع الأشكال الثقافية، أمَّا بارسونز فنجد في نظريته عن الفعل الاجتماعي إقراره على أنَّ الموجهات الدافعية أو القيمية هي إحدى أركان الفعل الاجتماعي، فالقيم كامنة ومحتواة في الأدوار والمواقف أي الإطار المرجعي للفعل¹، ولكنه لا يركّز على القيم كموجهات لفعل الفاعل فحسب، بل هو مهتم بتأثيرها على النسق الاجتماعي ككل، فالقيم بالنسبة له هي: " النماذج المعيارية الموجهة للمرغوب فيه بالنسبة للنسق ككل، مستقلاً عن التخصيص لموقف أو وظيفة معينة داخل النسق"².

ويعتبر الباحثان توماس و زنانيك (Tomas et Znaniecki) من جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية أول من قام بدراسة سوسيولوجية أمبريقية في موضوع القيم بعنوان: "الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا"، وكان ذلك بين 1918م و1920م.

ومنذ ظهور تلك الدراسة أصبح علماء الاجتماع يستخدمون مفهوم القيم استخداماً متزايداً، وسرعان ما أضحت القيم تمثل موضوعاً محبباً لدى علماء الاجتماع إلى درجة أن صاغوا العديد من النظريات السوسيولوجية حولها واعتبروها محدداً رئيساً للسلوك الإنساني ومفتاح فهم الثقافة الإنسانية، كما

1 نويصر بلقاسم، التنمية والتغير في نسق القيم الاجتماعية، رسالة دكتوراه في علم

الاجتماع، جامعة منتوري قسنطينة، 2010/2011، ص 124 - 125.

2 Talcott Parsons, Theories of society- foundations of Modern Sociological Theory, the free press, New York, USA, 1965, p44.

اختلفت تعريفاتهم لها وتباينت، ولكي لا أتية بعيدا في خضم هذه التعريفات لدلالات القيمة أذكر ما سجله حميد خروف الذي يبدو لي أكثر وضوحا ودقة وتبسيطا لمفهوم القيمة حين يعرفها قائلا: " القيم مجموعة من المعتقدات الصريحة أو الضمنية التي تحدث في سياق اجتماعي وثقافي متميز، الأمر الذي يضيف عليها هوية ترتبط بطبيعة البناء الاجتماعي وتحرر ما هو مرغوب فيه أو عنه اجتماعياً، وتتسم القيم بالدينامية والاستمرار النسبي، فتنشأ عن التفاعل بين الأفراد والواقع الاجتماعي المحيط بهم، وتفصح القيمة عن نفسها من خلال التفضيل والاختيار بين البدائل المتاحة وتتحدد في الأنماط السلوكية المختلفة للأفراد وفي اهتماماتهم واتجاهاتهم"¹.

وهكذا انتقل تناول موضوع القيم تدريجيا من الفكر الفلسفي المجرد - بعيدا في عالم المثل- إلى البحث السوسيولوجي في الواقع الاجتماعي، كظاهرة اجتماعية لها علاقة وطيدة بحياة الناس وسلوكهم وتفاعلهم في المجتمع، وتم تناولها بدراسات ميدانية وإحصاءات كمية.

وقد شهدت الجامعات الجزائرية دراسات سوسيولوجية عديدة حول موضوع القيم، خاصة لدى الطلبة الباحثين في مذكرات ورسائل التخرج. وتجدر الإشارة إلى أنّ أول بحث تناول القيم بالدراسة كظاهرة اجتماعية، قدم في جامعة غرداية، كان ذلك الذي قمنا به في إطار مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع التربوي الديني، وكان بعنوان: "التعليم الجامعي والقيم السوسيو دينية للفتاة المزابية" خلال الموسم الجامعي 2011م/2012م.

5- مسار القيم إلى أين؟

إنّ لكلّ مجتمع منظومته القيمية الخاصة به، ومصدر هذه القيم هو ثقافة المجتمع بجميع مكوناتها. وتعتبر القيم بمثابة الجهاز المناعي الذي يحمي هوية المجتمع، ويحافظ على مساره، ويمنحه القوة على الصمود في وجه التغيرات الاجتماعية والتحوّلات الثقافية. فهل القيم لا تزال تحتفظ بتلك القوة

1 حميد خروف، فعالية القيم في العملية التربوية، رؤية سوسيولوجية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، عدد 10، 1998، ص 147 - 148.

والديناميكية في عصر تسارعت فيه وتيرة التغير الاجتماعي وتنامي فيه الاهتمام بالتطور التقني؟

إن كثيرا من الباحثين والفاعلين الاجتماعيين والتربويين يخشون انحطاط كل ما يعطي معنى عميقاً لأعمالنا وأنشطتنا، فتبدو الحياة بذلك غارقة في مادية تخلو من أي روح، وغير قادرة على توجيه أفعالنا ولا تقييم وزناً للتقيم والمعايير.

إن العولمة أنتجت أرضية جديدة تماماً، صارت معها الممارسات الحياتية القديمة قاصرة، تلك الممارسات المرتكزة أساساً على فاعلية القيم وتوجيهاتها التي شكلت إلى حد بعيد بوصلة أخلاقية. هل يعني ذلك أننا نسير نحو عالم يخلو من أي قاعدة سلوكية؟ ومجتمعات فاقدة لمناعتها؟ هل الإنسانية بذلك تسير نحو الهاوية؟ قد نقرأ ونسمع بعض التحاليل تخلص إلى هذه النتيجة "الكارثية"، لكن طرحاً آخر في الاتجاه المقابل يمكن أن يعيد بعض الأمل ويبعث على التفاؤل؛ فهذا الأمين العام السابق لمنظمة اليونسكو كويشوروماتسورا (K. Matsuura) يصرح قائلاً: "... لا أظن ذلك، فالتقييم موجودة دائماً، ويمكننا القول إنه في تاريخ الإنسانية، ومن دون أي شك، لم يكن هناك من القيم بالقدر الذي نشهده اليوم، أليس من أولى نتائج العولمة هو ما كشفت عنه من تنوع الثقافات وتعدد القيم التي كنا نجهلها سابقاً؟ فالغربة في ظاهرة العولمة لا تكمن إذن في غياب وهمي ومتصنع للتقيم... لا توجد أزمة قيم- وعندنا منها الكثير- بقدر ما توجد أزمة في تحديد معنى القيم وفي الاستعداد والأهلية لإدارة شؤوننا، فالمسألة الملحة تتلخص إذن في معرفة كيفية توجيهنا بين القيم¹."

1 كويشوروماتسورا، القيم إلى أين؟، مؤلف جماعي بإدارة جيروم بيندي، تر: زهيدة درويش

جبور، جان جبور، منشورات اليونسكو، قرطاج، تونس، 2005، ص 11 - 12.

الخاتمة -

هكذا تتبعنا مسار تناول موضوع القيم منذ ميلادها من رحم الفلسفة مجردة في عالم مثالي بعيد عن الواقع، ثم تطورت دراستها باعتبارها عنصراً أساسياً وفاعلاً في حياة الأفراد والمجتمعات. ولا يزال الاهتمام بها في أطراد حين أضحت انغماسها في كافة مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والأدبية والفنية واضحاً في نتائج البحوث والدراسات المختلفة. فإلى أين تسير بنا القيم في مجتمع أصبح عالمياً من جهة، وتنامت فيه النزعات الثقافية المحلية من جهة أخرى؟

وفيما نحن نتساءل: القيم إلى أين؟ علينا أن لا نتجاهل أسئلة أخرى: ما دورنا نحن؟ ما الذي يمكن أن نصنعه بالقيم على المدى البعيد؟ أليست الحاجة تتزايد لاستشراف المستقبل في وقت فرضت فيه العولمة على المجتمعات منطق "الزمن الواقعي"؟

أ- قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

• أولاً الكتب:

- 1- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1972.
- 2- أحمد عبد اللطيف وحيد، علم النفس الاجتماعي، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2001.
- 3- بشير معمري، بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، ج1، منشورات الحبر، الجزائر، 2007.
- 4- زكي نجيب محمود، فلسفة وفن، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، 1963.
- 5- سيد محمد خير الله ومصطفى زيدان، القدرات ومقاييسها، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، (د.ت.).
- 6- صلاح قنصرة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار التنوير، بيروت، لبنان، 1984.
- 7- ضياء زاهر، القيم في العملية التربوية، مؤسسة الخليج العربي، (دم)، 1984.
- 8- عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 2004.
- 9- عطية محمود هنا، التوجيه التربوي والمهني، المطبعة العالمية، القاهرة، مصر، 1959.
- 10- فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.
- 11- كويشبيروماتسورا، القيم إلى أين؟، مؤلف جماعي بإدارة جيروم بيندي، تر: زهيدة درويش جبور، جان جبور، منشورات اليونيسكو، قرطاج، تونس، 2005.
- 12- ماجد زكي الجلاد، تعلم القيم وتعليمها، تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، ط2، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2007.

- 13- محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2002.
- 14- محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2002.
- 15- محمد أحمد على الحاج، فلسفة التربية، ط1، دار المناهج، عمان، الأردن، 2002.
- 16- محمد خير الله ومصطفى زيدان، القدرات ومقاييسها، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، (د.ت.)
- 17- محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون، التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1982.
- 18- محي الدين مختار، محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- 19- مساعد بن عبد الله المحيا، القيم في المسلسلات التلفزيونية، دار العاصمة، الرياض، م.ع.س، 1994.
- 20- نبيل محمد توفيق، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع، دراسة في علم الاجتماع الإسلامي، ط1، دار الشروق، جدة، م.ع.س، 1980.
- ثانيا الدوريات:
- 1- حميد خروف، فعالية القيم في العملية التربوية، رؤية سوسيولوجية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، عدد 10، 1998.
- 2- سعد المغربي، التنمية والقيم، مسلمات ومبادئ، مجلة علم النفس، ع7، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1988.
- ثالثا الوثائق غير المنشورة:
- 1- بن منصور اليمين، دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية، دراسة ميدانية حول المزابيين المقيمين بمدينة باتنة، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الديني، جامعة باتنة، 2010/2009.
- 2- نويصر بلقاسم، التنمية والتغير في نسق القيم الاجتماعية، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة منتوري قسنطينة، 2010/2011.
- ب- قائمة المراجع باللغة الأجنبية -
- 1- Emile Durkheim, **Sociologie et philosophie**, Bibliothèque Paul Emil Boulet, Université du Québec, Chicoutimi, Canada, 1911.
- 2- Raymond Boudon et autres, **Dictionnaire de sociologie**, Larousse, Paris, France, 2003.
- 3- Talcott Parsons, **Theories of society- foundations of Modern Sociological Theory**, the free press, New York, USA, 1965.



مفهوم ومكانة العمل في المجتمع

قشار محمد

جامعة الجزائر 02

azer.kechar77@gmail.com

ملخص -

لقد اعتبر علماء علم الاجتماع وعلم النفس العمل ظاهرة إنسانية عامة، حيث بات نشاط العمل سمة أساسية وهامة تميز سلوك الأفراد والجماعات في كل المجتمعات الإنسانية، ومظهر للسلوك اليومي تدور حوله كافة أنشطة الإنسان الأخرى، وهو أسلوب من أساليب معيشة الإنسان بهدف تحقيق غاياته وغايات الجماعة.

لكن ما الذي يدفع الناس ويحفّزهم على العمل؟ أو لماذا يعملون؟ وكيف يدركون العمل؟ وهل فكر أحدنا أن مفهومه عن مصطلح العمل يمكن أن يختلف عن الآخرين، وبالتالي سيؤثر على سلوكه في العمل، بل وفي سلوك المجتمعات كلها، وفي أساليب أداء العمل نفسه؟

بالاعتماد على المنهج الوصفي الاستقرائي حاولنا تعقب أصل مصطلح العمل وكذلك تطور مفهومه مع تعاقب المراحل التاريخية، واختلاف المجتمعات البشرية، وتوصلنا إلى أن العمل كمفهوم ارتبط بالإنسان ككائن حي، وكان من الأسباب المباشرة لتأسيس التجمعات البشرية وتطور المجتمعات الحديثة والمعاصرة، كذلك على أساس نتائجه تقاس درجة تقدم الأمم والمجتمعات.

ودلالة مصطلح العمل تغيرت كثيرا مع تطور المجتمعات البشرية وأثرت على سيروية الحياة اليومية فيها، فقد ارتبطت بالبعد الاجتماعي والبعد الديني والاقتصادي، فمن كونه أساس للانضمام إلى الجماعة ثم مبرر للتقسيم الطبقي للمجتمع، إلى كونه عقاب من الله للتكفير عن الذنب، ثم أداة تعبدية للتقرب من الله، إلى أن أصبح أساس ملكية الثروة، وتوزيع الثروة، وتنظيم

العلاقات في العمل، كذلك أصبح للعمل بعد نفسي علاجي وهو تحقيق الذات واستغلال كل قدراتنا لتحقيق أهدافنا الحيوية، والإحساس بأننا نافعون، ومرغوب فينا، وذات مكانة اجتماعية، الأمر الذي يحقق لنا الرضا والسعادة، والصحة النفسية.

الكلمات الدالة -

العمل - مفهوم العمل - أصل العمل - مكانة العمل

Definition And Standing Of The Work In The Society

The Sociology And Psychologists Scientists Consider That Working General Human Phenomenon, So Business Activity Is An Essential And Important Feature Of The Behavior Of Individuals And Groups In All Human Societies,

Aspects Of Everyday Behavior, Turn Around All Other Human Activities, An It Is A Style Of Living Human Methods, In Order To Achieve The Goals And Objectives Of The Community.

But What Makes People And Motivates Them To Work? Or Why They Work? Or How Aware The Work? Does Any One Of Us Think , That The Concept Of The Term Work May Be Different From The Others, So Affect His Behavior At Work, And Also In The Behavior Of All Communities, And Even In The Performance Of The Work?

Depending On The Descriptive Approach Inductive, We Tried To Track Down The Origin Of The Term Work, As Well As The Development Of His Concept With The Succession Of Historical Stages, And The Different Human Societies, And Realized That Work Is As A Concept That Is Linked To The Man As A Human Being, And It Was One Of The Direct Causes To Found A Human Communities And The Evolution Of Modern And Contemporary Societies, As Well It Based On Its Results, To Measure The Degree Of Nations And Societies Progress .

And The Significance Of The Term "Work" Has Changed A Lot With The Development Of Human Societies, And It Has Affected On The Daily Life Process, It Has Associated With The Social, Economic And Religious Dimension, As It Become Based On To Join The Group And The Justification Of The Society Stratification, And As A Punishment From Allah To Atone For The Sins, Then Devotional

Tool, To Get Closer To Allah, And At The End It Became The Main Of The Ownership Of Wealth, And Wealth Distribution, And Regulating Job's Relations, As Well As It Become To The Work, A Psychological And Therapeutic Dimension Which Is Self-Realization And Exploitation Of All Our Capabilities To Achieve Vital Goals, And The Feeling That We Are Helpful, And We Possess A Social Status, Which Would Bring To Us Satisfaction And Happiness, And Mental Health.

Keywords -

Work - The Concept Of Work - The Origin Of The Work- The Value Of Work

تمهيد-

لقد اعتبر علماء علم الاجتماع وعلم النفس العمل ظاهرة إنسانية عامة في حياة الأفراد والمجتمعات، حيث بات نشاط العمل سمة أساسية وهامة تميز سلوك الأفراد والجماعات في كل المجتمعات الإنسانية، ومظهر للسلوك اليومي التي تدور حوله كافة الأنشطة الإنسانية الأخرى، وهو أسلوب من أساليب معيشة الإنسان بهدف تحقيق غاياته وغايات الجماعة.

وتنبع أهمية العمل ليس من كونه يستحوذ على أعز فترات أعمارنا، وعلى جزء كبير من وقتنا يوميا فحسب، بل هو ما يحدد لنا أين نعيش وكيف نعيش، ومن هم الذين نتعامل معهم، وعلى أساسه يقاس تقدم الأمم، لكن ما الذي يدفع الناس أو يحفزهم على العمل؟ أو لماذا يعملون؟ وكيف يشعرون أو ينظرون أو يدركون أعمالهم؟ وهل فكر أحدنا أن مفهومه عن مصطلح العمل ودلالته يمكن أن يختلف عن الآخرين، وبالتالي سيؤثر على سلوكه في العمل، بل وفي سلوك المجتمعات كلها، وفي أساليب أداء عمل نفسه؟

في هذه المقالة سنحاول الإجابة على هذه التساؤلات والاستفسارات من خلال تعقب أصل مصطلح العمل وتطور مفهومه باختلاف المجتمعات البشرية، وتعاقب المراحل التاريخية.

1- طبيعة العمل لدى الإنسان

من الملاحظ أن جميع الكائنات الحية تتميز بالحركة سواء أكانت حركة نمو كما هي في النباتات، أم حركة إرادية قصدية، كما هي لدى الإنسان والحيوان، كما أن الإنسان يقوم بمجموعة من الحركات تختلف عن الحركات الحيوانية.

إن عملية اصطياد القط للفأر عملية مركبة من مجموعة من الحركات المتناسقة، تنشأ وتوجه صوب الفأر بعد أن يراه القط، فالفأر هو المثير الخارجي الذي أثار حركة القط لينقض عليه. غير أننا لو قمنا بملاحظة القط في فترات متكررة لوصلنا في النهاية إلى نفس النتيجة التي عرفناها من قبل، ذلك أن حركته حركة غريزية بحثة، وغايته هي إشباع الحاجة لا غير، أي أن حركاته ليس فيها ما هو مكتسب، فكل شيء يرجع إلى الغريزة التي هي واحدة لدى النوع الواحد، وجملة النشاط تنصب على موضوع آني لا تتعداه، فلذلك كان هذا النشاط الغريزي نشاطاً متجهداً في النوع الواحد عبر الزمان، ونفس الشيء يصدق على كل الكائنات الحية غير العاقلة (النمل)⁽¹⁾.

أما الإنسان من حيث هو كائن عاقل فيختلف عن ذلك كثيراً، وذلك هو سبب إبداعه لمحيطة الحضاري، والتكيف معه وبالتالي السؤال المطروح هنا: ما هو طبيعة النشاط الإنساني؟

إن الإثارة لدى القط كانت عيانية مكانية ولولاها لبقى وديعا ساكنا، بيد أن الإثارة لدى الإنسان تسلط ذهني دائم تحته دوافع عديدة كالحاجة إلى الغذاء، والحاجة إلى الملبس، والحاجة إلى المأوى، والحاجات المادية والاجتماعية كلها تتشابه لتدفع الإنسان للقيام بنشاطه، هذا النشاط هو الذي نصطلح عليه بالشغل أو العمل⁽²⁾.

هناك عدة فروق أساسية بين نشاط الإنسان ونشاط الكائنات غير العاقلة، منها⁽³⁾:

1- دوافع نشاط الإنسان الذي يتمثل في العمل كثيرة لكنها ذهنية قائمة على التصور، ويتضمن هذا التصور إعداد وسائل العمل في البداية، ثم التفكير في طريقة العمل، ثم تصور نتائج وغايات العمل قبل الشروع فيه، والحصول على

الوسائل المادية التي تضمن مواصلة العمل (المال، التكنولوجيا، والمواد الأولية) من الآخرين، وتتسع دائرة علاقات العمل عند الإنسان لتشمل الآخرين، وهو ما لا يتميز به النشاط الحيواني.

2- نشاط الإنسان يتطلب الجهد العقلي والعضلي مما حدا بالإنسان إلى تطوير الفكر النظري من جهة، وإلى تطوير تقنيات الإنتاج من جهة أخرى.

3- رأينا أن غاية سلوك الحيوان آنية مكانية، أما غاية العمل لدى الإنسان فلها أبعاد كثيرة ترتبط من جهة بتوفير حاجياته الضرورية، وبضمان مستقبل أفضل عن طريق مضاعفة إنتاجه، وبالتفكير في مشاريع أخرى وفي سد النفقات والمستلزمات التي اقتضاها عمله، وبالتالي يتغير وضعه الاجتماعي في إطار الحراك الاجتماعي.

4- وفوق ذلك يمكننا اعتبار العمل لدى الإنسان ترقية اجتماعية. بهذه الفروق الجوهرية سمى الإنسان على جميع الكائنات، وبنا محيطه الثقافي والحضاري، ونسج وجود تاريخي مستمر يخترق الزمان والمكان. يقول ماركس (... النحلة تذهل ببنية خلاياها الشمعية مهارة أكثر من مهندس معماري واحد، لكن الذي يميز منذ البداية أقل المهندسين المعماريين مهارة عن أمهر النحل، هو أنه يبني الخلية في رأسه).

إن الشغل يصدر عن الحركة، وهذه لا تصدر عن الجسم فحسب، كما هي خاصية جميع الكائنات الحية، بل تصدر عن الجسم والعقل، وهكذا فالعمل حركة أو نشاط يقوم به الإنسان لتحويل المادة من صورتها غير النافعة إلى الصورة النافعة التي يريدها، حسب وسائله وغاياته مستخدماً قواه الجسمية والعقلية معاً، ومؤثراً في الطبيعة ومتأثراً بها.

2- تحليل أصل الشغل (العمل)

بعد أن عرفنا طبيعة العمل لدى الإنسان، ينبغي أن نتساءل عن الأسباب التي دفعت الإنسان إلى العمل، وهل قام به مختاراً أم مضطراً؟ من خلال الجوانب التالية⁽⁴⁾:

1- التفسير البيولوجي

من الملاحظ أن دوافع نشاط جميع الكائنات الحية فطري غريزي، قائم على أساس حاجياتها الضرورية من غذاء وأمن، غير أن تحويل هذا النشاط الفطري إلى فعل مقترن بوظيفة ما وبغاية ما، كما هو عند الإنسان، هو ما سمّيناه عملاً. والسؤال المطروح هو هل الحاجة هي الدافع إلى العمل لدى الإنسان؟ إن الأمر كذلك إذا ما اقتصرنا على تقصي تلك الأنشطة والأفعال الأولى التي قامت بها المجتمعات البدائية كصيد الحيوان، وقطف الثمار وبناء الأكواخ في عصور ما قبل التاريخ. لكن لم يقتصر على استخدام آلياته الجسمية وحدها في جمع الغذاء، بل امتد ببصره إلى ما حوله من أشياء كفروع الأشجار، وأنواع الحجارة والعظام فاستخدمها في الصيد والبناء، وهكذا نرى أن العقل الإنساني قد تجاوز الحركة الجسمية المباشرة إلى استخدام الأداة كوسيلة لتحقيق غاياته.

والإنسان في سعيه إلى تحقيق حاجياته الفردية، قد خانتته قواه أمام جبروت الطبيعة، فوجد السند والقوة في بني جنسه (الإنسان) فتعاون معهم، وبذلك انتقل من مستوى الحاجة الفردية كدافع للعمل، إلى مستوى الحاجة المشتركة مع الآخرين، فأضحت بالتالي هي الدافع الرئيسي للعمل.

2- التفسير الاجتماعي

انتهينا إلى أن حاجات الفرد المشتركة مع الآخرين صارت هي الدافع إلى العمل، وذلك لأن الفرد وجد نفسه ضعيفا عندما يكون منعزلاً، واستشعر القوة مع الجماعة فارتبط بها، وصار ينظم نشاطه ضمن نشاطها، ومع الجماعة بدأت تتحدد حقوق وواجبات، وصار العمل من أولى الواجبات التي يقتضيها وجود الإنسان مع الجماعة.

وهكذا فالإي جانب إرضاء الفرد حاجاته بواسطة العمل، صار هذا العمل في الوقت ذاته التزاماً نحو الجماعة التي ينتمي إليها، ومرتبطة بنظامها وقيمها، ومع تنوع حاجات الجماعة وتوسعها صار العمل واجباً اجتماعياً، ويتطور المجتمع واتساع نطاق العمل وتطور وسائل الإنتاج، تم تقسيم العمل بين أفراد الجماعة

الواحدة، فصار لكل فرد نشاط خاص، بالإضافة إلى كونه رباطا والتزاما اجتماعيا. ولم يكن تقسيم العمل غاية في حد ذاته بل كان وسيلة لزيادة الإنتاج.

3- التفسير الأخلاقي

إن وجود الإنسان كما رأينا ضمن الجماعة يلزمه الخضوع لشروطها، غير أن الصورة التي أدركناها والمتمثلة في حصر العمل اليدوي والجسدي في فئة من المجتمع في عصر العبودية والإقطاع (العبيد والأقنان)، والعمل الفكري في الفئة الراقية منه، سلبت العمل بعده الأخلاقي، ولكي يكون دافع العمل أخلاقيا يجب أن يكون الدافع إليه ذاتيا صادرا عن إرادة الفرد تمليه قيمة ما، واختيارا يقبله الفرد.

إن الدافع إلى العمل بقدر ما يكون في البداية وفي الأصل واقعا بيولوجيا، فإنه بعد ذلك، ومع تطور المجتمعات الإنسانية صار دافعا اجتماعيا وأخلاقيا، لأن الجانب البيولوجي في الإنسان مجرد وسيلة وليس غاية.

3- مفهوم العمل وتطوره التاريخي

يعتبر مفهوم العمل باعتباره ظاهرة عامة في حياة الإنسان والمجتمعات، من المعاني النسبية التي تختلف باختلاف المجتمعات وتطور بنائها الاجتماعي، وباختلاف الحقب التاريخية، فإذا كانت الجماعات البشرية الأولى لم تهتم بتفسير معنى العمل باعتباره ظاهرة طبيعية نشأت تلقائيا في الحياة الإنسانية بهدف مواجهة أعباء معيشة الإنسان، فقد ارتبط مفهوم العمل في المجتمعات البدائية بمتغيرات المحيط والعادات والتقاليد، حيث يقوم العمل فيها على أساس التماثل والتشابه بين الأفراد (الرقيق لممارسة الأعمال اليدوية)، في حين ارتبط في المجتمعات الحديثة والمتقدمة التي تتميز بالتغير والتباين في نمط العلاقات الاجتماعية، ارتبط مفهوم العمل بالكفاءة والقدرة، أكثر من ارتباطه بمتغيرات المحيط والعوامل الاجتماعية والثقافية⁽⁵⁾.

سوف نتبع في هذا الجزء وفق منهج التحليل التاريخي تطور مفهوم العمل، على أساس وصف وتحليل المعاني والمفاهيم التي ارتبطت في أذهان الأفراد والجماعات عن العمل عبر المراحل التاريخية المختلفة، وبالرجوع إلى الإطار الاجتماعي والثقافي والاقتصادي الذي تبلورت فيها تلك المفاهيم.

1- الحضارة اليونانية

كان العمل في الحضارة اليونانية، التي اعتبرت من أقدم حضارات أوروبا، في القرن الخامس قبل الميلاد، ينطوي على مظهرين⁽⁶⁾:

- أ- تمثل المظهر الأول في نمط العمل اليدوي، الذي يتطلب جهدا فيزيقيا كبيرا مثل أعمال المناجم والصناعة، والهدف منه الحفاظ على وجود المجتمع واستمراره، وتؤدي هذا العمل طبقة العبيد والرقيق، ولم يكن لتلك الطبقة أية حقوق شرعية أو سياسية ولا يستطيع أفرادها التدرج إلى طبقة أعلى.
- ب- تمثل المظهر الثاني في العمل العقلي الذي كان حكرا على طبقة الحكام والفلاسفة، المشكلة أساسا من اليونانيين الأصليين.

تعود نظرة اليونانيين إلى العمل بهذا الشكل إلى نظرتهم إلى العمل اليدوي باعتباره خطيئة في حد ذاته، ولقد فرضته الآلهة على بني البشر للتكفير عن خطاياهم، وإن كانوا قد نظروا إلى العمل الزراعي في مستوى أكثر ارتقاء من الأعمال اليدوية الثقيلة، وأن العمل واجب تفرضه الدولة على المواطنين ضمن الأبعاد السياسية للحياة اليونانية.

2- الحضارة الرومانية

لم تتحرر نظرة الحضارة الرومانية التي استوطنت بعد الميلاد أوروبا الغربية، إلى العمل باعتباره شرا من الشرور وأنه خطيئة في حد ذاته، يجب التكفير عنها. وقد انقسم العمل في المجتمع الروماني إلى⁽⁷⁾:

- أ- العمل الذي يتمتع به الإنسان الحر وهو نوعان: النوع الأول يتمثل في العمل الزراعي، والنوع الثاني يتمثل في الأعمال الصناعية الكبيرة.
- ب- ما عدى ذلك من الأعمال فهي من قبيل العمل المبتذل وهو مقصور على الرقيق.

هذا وقد أقرت الفلسفة الرومانية عكس اليونانية حرية الرقيق في المشاركة السياسية والاجتماعية، كما يجب التضييق على نظام الرق في نطاقه المعقول. من هنا فإن اليونانيين والرومانيين قد ربطوا بين نظرتهم إلى العمل وبين الثروة في المجتمع، باعتبار أن الثروة هو وسيلة الفرد لاستغلال الموارد الكائنة في المجتمع، ووسيلة للاكتفاء الذاتي والرضا النفسي للجماعات والأفراد في

المجتمع، وميّزوا بين طبقتين: طبقة ثرية يحق لها ممارسة العمل العقلي، وأخرى فقيرة تعمل في خدمة الطبقة الأولى، وتقوم بالعمل اليدوي.

3- العصور الوسطى

تعتبر العصور الوسطى في الغرب الأوروبي من المراحل التاريخية التي شهدت انتشار الدين المسيحي وسيطرة الكنيسة ورجال الدين بأفكارهم وأطروحاتهم الدينية، وقد طالت حتى مفهوم العمل، ويمكن أن نكتشفه فيما يأتي⁽⁸⁾:

أ- لقد نظرت التقاليد المسيحية الأولى إلى العمل نفس النظرة القديمة، واعتبرته كعقاب فرضه الإله على الإنسان ليكفر به عن خطيئة أسلافه، إلا أن الديانة المسيحية أضافت إلى هذه النظرة السلبية وظيفة إيجابية، فكتسب قيمة وضعية حين بدأوا يدركون أن العمل يعتبر ضرورة أساسية لصحة الجسد وصحة الروح، وبدونه يكون الإنسان عرضة للوقوع فريسة الخرافات والعادات غير المرغوبة، وأن من واجب الإخاء المسيحي توفير العمل للمتعطلين حتى يمكن إبعاد الإنسان عن التفكير في الخرافات، وبذلك اكتسب العمل قيمة روحية ذات طبيعة خاصة بهدف الارتقاء بالنفس البشرية وإبعادها عن الشرور والآثام، وربطها بالدين وبأهداف التنسك والزهد في الحياة، ولم يكن معنى العمل في الفكر المسيحي مرتبطاً بالعائد المادي، لأن المسيحية نظرت إلى حب المال سبب لظهور الشرور والآثام التي تعاني منها البشرية.

ب- في مرحلة متقدمة اتجه الفكر المسيحي للكنيسة الكاثوليكية الأولى إلى التفكير في عالم الآخرة، وفي فكرة الإخاء الإنساني على وجه الأرض، وارتبط تفسير العمل بإضافة فكرة جديدة ترتبط بالجوانب الروحانية باعتبار أن قيمة العمل لا تكمن في العمل ذاته، وإنما في ارتباطه بالغايات الإنسانية التي يسعى إليها لتحقيق الإخاء الإنساني، وبذلك اكتسب مكانة مشرفة في الديانة الكاثوليكية التي ميّزت بين نوعين من العمل يطلق على النوع الأول اصطلاحاً العمل الروحي والثاني العمل المادي، وقد وضع القديس أوغسطين الذي اهتم بالتفكير المنهجي في تحديد جوهر مشكلة العمل، إطاراً عاماً للمعاملات المهنية يحدد أخلاقيات العمل لأصحاب الحرف والتجار، تتلخص في الالتزام بالكسب العادل في معاملاتهم التجارية.

ج- تميّزت الفترة الممتدة بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر الميلاديين، بظهور الجماعات المسيحية الراديكالية وبتقرب الكنيسة من العالم الدنيوي بهدف تحقيق العدالة الكاملة لفرص العمل وجني ثماره، أي الكسب الكافي لمعيشة الإنسان وأسرته. وقد وضع القديس توماس الإكويني قائمة من المهن والحرف تبعا لأهميتها في المجتمع، واعتبر مهنة الزراعة في مقدمة القائمة تليها مهن الحرف اليدوية، ثم مهنة التجارة في نهاية القائمة، كما اعتبر العمل ضرورة من نتائج الطبيعة، وأن العمل حق طبيعي وأساس قانوني للملكية والمنفعة في المجتمع.

د- مع ظهور الحركات الكاثوليكية الاشتراكية المسيحية، اعتبر العمل أساسا لكل مظاهر التقدم الإنساني، وأنه واجب يجب أن تكفله كافة القوانين المقدسة والإنسانية، ويلزم على كل إدارة تعمل على تنظيم المجتمع أن تؤمّن لجميع أفراد المجتمع حق العمل كضرورة طبيعية تترتب على حق الحياة، وبذلك أكدت الاشتراكية المسيحية على حق كل إنسان في حرية اختيار العمل الذي يريده.

هـ- تعرضت هذه الأفكار للتطور والتغير خلال عصر النهضة، فالمذهب البروتستانتي كان بمثابة قوة محركة وثورة روحية اعتبرت العمل في الفكر الحديث كأساس ومفتاح للحياة، فالعمل حسب مارتن لوتر M. Lauther يهدف أساسا إلى الحصول على الكسب لأن الحياة تحتم على كل فرد أن يعمل لكي يكفل معيشته، والعمل شيء طبيعي يتميز بخاصيتين إحداهما ترتبط بالعقاب والأخرى ذات وظيفة تربوية وتعليمية، حيث يرى أن من واجب النشاط الإنساني أن يكون موجها لخدمة الله فهو نشاط مقدس ديني قبل أن يكون نشاطا علمانيا، ولذلك يجب أن يكون التوافق بين ما هو ديني وما هو علماني، عن طريق الإيمان.

4- الحضارة الإسلامية

ارتبط مفهوم العمل في العصور الإسلامية بالدين وبالحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وبكافة التعاملات الإنسانية، وقد ارتبط الكل بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، اللذين يعتبران مصدر هداية وعقيدة وأحكام، وهما دليل حركي وميثاق عمل، وأسلوب لإحداث التغيير الاجتماعي والارتقاء به، ومواءمة الحياة البشرية مع فطرة الإنسان ورسالته في الكون.

1- فالقرآن الكريم قد حدد وظيفة الإنسان في هذا الكون الذي هو من خلق الله ومملكه المطلق، على أنه خليفة الله، يقول الله تعالى "وإذ قال ربُّكَ للملائكةَ إِنِّي جاعِلٌ في الأرضِ خليفةً..." (البقرة 30)، هذه الخلافة روحية قائمة على صلة الإنسان بربه بصفة دائمة، عن طريق العبادات المشروعة، وخلافة مادية قائمة على السعي في اكتساب الرزق التي أودعه الله في الأرض، ليحمي وجوده المادي في هذا الكون. كما حدد الله بنفسه للإنسان طرق الاكتساب، والأوجه العادلة للإنفاق، ما دامت هي ملك الله المطلق، والإنسان سوى خليفته فيها متصرفاً بأمر منه إلى أجل مسمى، فليس له حق التصرف المطلق في ما خلق الله من كون، وما أودع فيه من خيرات مسخرة لجميع خلقه، إذ يقول الله تعالى "أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ" (لقمان 20)⁽⁹⁾.

ب- لقد أمر الدين الإسلامي بالعمل والسعي بنص القرآن الكريم في قوله تعالى "فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (الجمعة، الآية 10)، وفي قوله سبحانه "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ" (الملك 15) وقوله (ص) "إن قامت على أهدكم القيامة، وفي يده فسيلة فيلغرسها" (مسند أحمد بن حنبل، والأدب المفرد للبخاري)، وقد سئل الرسول (ص) أي الكسب أطيب أو أفضل؟ قال "عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور" (رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، 2099).

ج- لقد أمر بالعمل وجعله واجب لكافة المسلمين ولم يخص بالعمل فئة العبيد، بل حتى الأنبياء والرسول لقوله تعالى في مستهل ذكر تعجب المشركين من سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم "وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا" (الفرقان، الآية 07) وقول رسوله (ص) "ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده". (ص البخاري)

د- العمل في الإسلام عمل للدنيا وعمل للآخرة، قال تعالى "مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ". (الشورى، الآية 20).

هـ- كما نجد نصوص القرآن الكريم دائماً تربط بين الإيمان بالله والعمل الصالح فهو مكمل له، قال تعالى "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا" (الكهف، الآية 30). وقال "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (الأنبياء، الآية 105)

و- الفرد العامل في نظر الإسلام أعلى درجة من غير العامل، قال تعالى "لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا" (النساء، الآية 95) فالجهاد بالمال مسبق على الجهاد بالنفس، والرسول (ص) يقول "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير..." (ص مسلم)

ز- ارتبط مفهوم العمل في الفكر الإسلامي بمفهوم التكافل الاجتماعي، فقد شرع الله الزكاة والصدقة وحث على العطاء والنفقة، فالناس إنما هم عيال الله وخيركم أنفعكم لعياله، قال تعالى "وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى" ﴿١٩﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى" (الليل، الآية 19 - 21) وقوله (ص) "ما من مسلم غرس غرساً، فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له به صدقة". (ص البخاري ومسلم) (١٠).

5- العصور الحديثة

أهم ما يميز مرحلة العصور الحديثة هو انتشار مذهب الفردية وظهور الرأسمالية، واتساع قاعدة استغلال رأس المال، وبذلك اندثر النظام القديم الذي ارتبط بسلطة الكنيسة وهيمنتها على الأفراد والجماعات، وحلت تنظيمات العمل محل الطوائف الحرفية، وتغيرت علاقة الإنسان بالتنظيمات الاجتماعية التي يعيش في ظلها، وتطورت الشخصية الإنسانية واتجهت نحو الفردية والاستقلالية⁽¹¹⁾.

أ- في ظل هذه الأوضاع افتقد مفهوم العمل ارتباطه بالدين، واكتسب معنى جديد، بالنظر إلى العمل في حد ذاته باعتباره مظهراً عاماً تتميز به الحياة الدنيوية، وهذا التغيير في معنى العمل ارتبط بظهور إفرازات الثورة الصناعية منذ القرن التاسع عشر، وبظواهر التغير التكنولوجي ونمو الرأسمالية الغربية، التي أثرت على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فاتجه المفكرون والفلاسفة والعلماء إلى تفسير مفهوم العمل بعيداً عن المؤثرات الدينية، ولا شك أن هذه الأفكار تؤكد على معنى العمل باعتباره مظهراً من مظاهر الكسب المادي الذي يهدف إلى التقدم الإنساني والعقلي والروحي، ويمثل أحد الأنشطة الهامة في المجتمع.

ب- لقد عرف العصر الحديث انتشار مبادئ الاشتراكية العلمية حيث سعى العلماء في تفسيرهم لمفهوم ومعنى العمل، إلى تصور مجتمعات اشتراكية يعمل الناس فيها على قدم المساواة، وتختفي فيها الفوارق الطبقية، وتقوم علاقات الملكية على أساس مبدأ الملكية الجماعية، حيث يوزع عائد العمل بالتساوي على جميع أفراد المجتمع.

ج- مع تعقد الحياة الاجتماعية التي نتجت بفعل نمو المجتمعات الصناعية وتعقد التنظيمات، أصبح معنى العمل في منظور الأفراد والجماعات يعني ببساطة "وسائل وأساليب تهدف إلى تحقيق غاية الكسب في الحياة". إلا أن هذا المفهوم يعتبر أمراً نسبياً لأن الكسب المادي وحده لا يعتبر الغاية الوحيدة التي يهدف إليها الإنسان من وراء عمله، حيث أكدت الكثير من الدراسات حول تحديد العلاقة بين الكسب المادي كهدف وكغاية يهدف إليها العمل، على

أهمية الشعور بالتضامن والترابط بين الأفراد والجماعات كقيمة يسعى إليها العمل، وظاهرة الشعور بالتضامن والترابط بين الأفراد والجماعات تعتبر من الوظائف الكامنة للعمل في الحياة الاجتماعية في مقابل الوظيفة الواضحة للعمل وهي الكسب المادي.

وبذلك يمكن القول أن معنى العمل في المنظور الحديث للحياة يتحدد في "أن العمل الناجح المثمر هو نوع من الشعور بالفخر والاعتزاز بالشخصية الإنسانية في حد ذاتها وبقوتها وقدرتها الذاتية"، وهذا هو المحور الذي يدور حوله معنى العمل في المفهوم الحديث المعاصر.

4- تعريف العمل

بعد الوقوف على لحظة ظهور مفهوم العمل، وتتبع تطور معناه ودلالاته في مختلف الحضارات والعصور، يمكننا عرض بعض التعاريف المقدمة للمصطلح فيما يأتي.

يختلف تعريف مفهوم العمل باختلاف العلماء وتخصصاتهم، واختلاف نظرتهم لوظائف وغايات العمل، وقد تطورت مع مرور الزمن ومع تطور العمل ومكانته في المجتمع، لكنهم أجملوا على اعتباره ظاهرة عامة في حياة الإنسان والمجتمعات، حيث أن العمل سمة يتميز بها الإنسان الواعي عن غيره من الكائنات الحية، من هنا فقد عرّفه المفكرون بأنه:

1- العمل "حركة بقصد".

لقد فرّق المفكرون بين الحركة بقصد والحركة بغير قصد، بهذا فحركة الحيوانات أو الرياح أو النجوم، وجريان النهر ليست عملاً.

إن العمل يصدر عن الحركة، لكنّها لا تصدر عن الجسم فحسب كما هي خاصية الكائنات الحية، بل تصدر عن الجسم والعقل، إذن فحركة الإنسان المقصودة والرامية إلى هدف، هي التي تسمى عملاً.

2- عرّف العمل بأنه "نشاط واع يحفظ الذات، فهو يؤدي للمحافظة على الحياة".

العمل نشاط واع هادف، يحقق الإنسان من خلاله قيماً اجتماعية وأخلاقية في الواقع المعاش، وبه يجسد إنسانيته، ويحقق ويضمن استمرار النوع الإنساني،

فالحیوانات قد تبدل قدرا كبيرا من الطاقة الموجهة للإبقاء على حياتها، ولكن الناس وحدهم هم الذين يعملون⁽¹²⁾.

3- عرفه أوغست كونت بقوله " العمل هو التغيير النافع للمحيط الخارجي من طرف الإنسان".

4- نشاط الإنسان يتطلب الجهد العقلي والعضلي، ويهدف إلى توفير حاجياته الضرورية الآنية، وإلى ضمان المستقبل الآتي. يقول ماركس (... النحلة تذهل ببنية خلاياها الشمعية مهارة أكثر من مهندس معماري واحد. لكن الذي يميز منذ البداية أقل المهندسين المعماريين مهارة عن أمهر النحل هو أنه يبني الخلية في رأسه).

العمل إذن هو "حركة أو نشاط يقوم به الإنسان لتحويل المادة من صورتها غير النافعة إلى الصورة النافعة التي يريدها، حسب وسائله وغاياته، مستخدما قواه الجسمية والعقلية معا، مؤثرا في الطبيعة ومتأثرا بها"⁽¹³⁾. وهي المميزات العقلية التي اختص بها الله الإنسان عن غيره من الكائنات.

وبهذا يكون العمل فعل من أفعال النشاط الاقتصادي التي تتميز عما عداها من الأنشطة من حيث المكان والزمان، فقد يتم في المكتب أو في السوق أو في المصنع أو أي مكان يخرج عن نطاق خصوصية السكن الشخصي للعامل. وهنا يشير بيتر ورسلي Peter, Worsly إلى الشخص الذي يبذل جهدا جسيما كبيرا في حديقته أو في إعادة تزيين مسكنه، فهو لا يعتبر ذلك عملا، ودليل ذلك أن الجهات الرسمية لا تنظر إلى الأعمال المنزلية باعتبارها عملا على الرغم من أن مجهود ربة البيت في المنزل قد يكون أشق من مجهودها في المكتب أو في عملها الخارجي، وكذلك الأمر بالنسبة للفنان أو الرياضي، وهنا يشار إلى أن فكرة العمل متعلقة بدرجات وأنواع مختلفة من التقويم الأخلاقي، وربما يكون ذلك هو ما دعا هومر Homour إلى القول: بأنه ليس من المهم فقط أن نبحت ونفحص معنى العمل، بل يجب كذلك فحص القيم والمعتقدات المتغيرة، مثل الأفكار والعقائد التي تساعد وتبرز أنشطة معينة باسم العمل⁽¹⁴⁾.

5- أما العمل في الإسلام فهو حسب الآية الكريمة عمل للدنيا وعمل للآخرة، قال تعالى "مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ". (الشورى، الآية 20)

إن عمل الآخرة عمل مبارك فيه لأنه يشترط عنصر الإيمان بالله، قال تعالى "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (النحل، الآية 97)

وقال تعالى "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا" (الكهف، الآية 30).

فالعامل في الإسلام حسب حمادة "كل جهد جسدي أو روحي شريف ومنتج، يقوم به الإنسان لكسب العيش، أو لأداء واجباته نحو ذاته ونحو مجتمعه، ونحو ربه"⁽¹⁵⁾.

6- العمل حسب محمد دويدار هو مجموعة من الوظائف المتماثلة، والوظيفة هي مجموعة من المهام والعمليات والواجبات التي يكلف بأدائها فرد واحد، مثل وظيفة الكاتبة.

أما المهنة فهي مجموعة من الأعمال المتماثلة والمترابطة التي تهدف إلى هدف عام موحد، فعمل الكاتبة والسكرتيرة والمكلف بالحسابات... تمثل مهنة الأعمال الكتابية⁽¹⁶⁾. وكذلك نجد مهنة النجارة والحدادة، وكل منها تشمل مجموعة من الأعمال.

7- يعد برودون واحداً من أبرز العلماء الاجتماعيين الذين أسهموا في تحديد مفهوم العمل، فهو يرى أن العمل ما هو إلا "قدرة الإنسان المنطقية تجاه العوامل المادية، فكل ما في العالم، وما في الإنسان من قدرة على الإبداع تتمثل في العمل. والعمل لا يعدو أن يكون في نفس الوقت وسيلة وأداة، ولهذا يحتم إدارته كوسيلة، وتنظيمه كطريقة، واكتماله كأداة ليكون الإبداع غايته، وهو أسمى ما ينشده الإنسان لحياته الاجتماعية".

ونستطيع أن نلمس تأثير العمل في ثلاث حاجيات أساسية من مطالب الإنسان⁽¹⁷⁾:

أ- الوجود، وهو وظيفة اقتصادية

ب- الإبداع، وهو وظيفة نفسية.

ج- التواصل، وهو وظيفة اجتماعية.

8- يذكر ألفرد كوهن Alfred Kuhn 1980 أن العمل في النظرية

الاقتصادية هو "كل جهد يبذله الإنسان بوعي من إرادته واختياره، سواء كان جهداً ذهنياً أو جسمانياً لتحقيق غرض نافع، أو هو كل عناء يتحملة الإنسان في سبيل إشباع الحاجات عن طريق إنتاج السلع والخدمات"، ولذلك يعد العمل واحداً من الأنشطة الاقتصادية التي تعمل على إيجاد حل للمشكلات التي تواجه المجتمع ككل.

إن العمل في دائرة الاقتصاد يعني حرية الاختيار دون الإكراه، فلا بد أن يمارسه الإنسان بإرادته، ومدركا له بعقله، ومن ثم لا يعد عمل الآلة عملاً اقتصادياً، ولا يعتبر عمل الدواب في سعيها إلى المراعي عملاً اقتصادياً، ومع ذلك فإن حرية اختيار العمل لا تعني أنها مطلقة بل تخضع لاعتبارات تنظيمية وقانونية⁽¹⁸⁾.

تشير التعريفات السابقة إلى أن من أهداف العمل تحقيق الغاية الاقتصادية، ومن جهة أخرى يرى علماء الاقتصاد أن العمل أحد العناصر الأساسية في الإنتاج بالإضافة إلى الأرض ورأس المال، وينطوي العمل في هذا الاستخدام على النشاط العقلي واليدوي معاً.

9- إن الحديث عن العمل في التنظيم الاقتصادي يقودنا مباشرة إلى ضوابط العلاقات التنظيمية في هذا التنظيم، وبالتالي ينظر علماء القانون إلى العمل "بأنه جهد يبذله الإنسان بمقتضى اتفاق مع الغير في مجال النشاط المهني المشروع، مقابل شيء معين، ومصالحة هذا الغير وتحت أمره وإشرافه أو من ينوب عنه، سواء كان ذلك في القطاع الصناعي أو الزراعي، أو التجاري، وسواء كان هذا المقابل (الأجر) نقداً أو عينا أو من أية منفعة مشروعة".

والعمل مجهود إرادي يقوم به الإنسان، وهو لصيق به، يجسده بقوته البدنية وفكره، لذلك فإن قيمة العمل من قيمة الإنسان ذاته، فالإنسان هو قوام الحياة الاجتماعية، وعمله هو محور الدافعية للإنجاز⁽¹⁹⁾.

ح- والإنسان كرمه الله خالقه، قال تعالى "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا" (الإسراء، الآية 70)، وبالتالي يأخذ العمل قيمته من قيمة الإنسان وليس العكس.

نستخلص من التعاريف السابقة أن العمل أو علم النفس العمل والتنظيم يشمل على كل عمل أو منفعة يؤديها الإنسان بإرادته الحرة مقابل أجر يستحقه، وفي ضوء تشريعات الدولة.

5- مكانة العمل كقيمة إنسانية واجتماعية

بعد تعرضنا لتطور مفهوم العمل، وقبله كيف ارتبطت حياة الإنسان بالعمل حتى انتهى إلى تقسيم الوظائف بين أفراد الجماعة الواحدة، وبدأت تظهر آثار الإنسان التي تميزه عن غيره من الكائنات الحية غير العاقلة. والآن نحاول أن ننظر إلى العمل كمظهر إنساني، وكقيمة إنسانية تؤثر في حياة الإنسان، وتؤثر بها⁽²⁰⁾.

1- العمل والنمو الحضاري

حين بدأ الإنسان ينتج غذائه بدأ يدخل التاريخ، وظهور الحضارة اقترن بنمو وسائل التأثير في الطبيعة، التي اكتسبها الإنسان بواسطة العمل والإنتاج، وتبعاً لذلك صار الإنسان مع مرور الوقت يحاول فهم ما يعمل، ويفكر في عمله وفي وسائل هذا العمل، وكان الفكر في هذه المرحلة فكراً عملياً أو تطبيقياً ملتصقاً بالمادة التي يعالجها، وبواسطة هذا التفكير التطبيقي أو العملي الذي تزوجت فيه الفكرة بالعمل (بتوظيف العقل وعملياته الكبرى)، بدأت تظهر الآثار الأولى التاريخية للإنسان أو بداية الحضارة، وهكذا يكون العمل هو مصدر الإنتاج الحضاري.

2- العمل مصدر المعرفة وإنشاء الحضارة

فهم الإنسان لظواهر الحياة لم يقتصر على الغايات العملية العاجلة بل تحول إلى توجه مستقل عن الغايات العاجلة، وهكذا نشأت الفلسفات والعلوم والمعارف النظرية، وحين لمس الإنسان منفعة العلوم النظرية في الحياة العملية سخرها لأغراضه النفعية، فكانت الحضارة فكراً وعملاً دائماً.

3- العمل والسيطرة على الطبيعة

سيطرة الإنسان على الطبيعة قضية نسبية لا تعني سيادة الإنسان في الكون الذي خلق من أجله، كما كانت تعتقد بعض أفكار القرون الوسطى، لكنه بتحليله ومعرفته لبعض أسباب الظواهر الطبيعية استطاع أن يتقي بعض من شرها، كالكوارث الطبيعية والأمراض الوبائية ونقص الأراضي الزراعية، كما امتلك القدرة على تسخير بعض خيراتها لصالحه، خاصة بعد امتلاكه ناصية العلم والمعرفة، وطوّر بهما وسائل الإنتاج والاتصال، وكذلك تطوير طرق العمل وتنظيماته.

4- العمل والتضامن الاجتماعي

لقد أدى تنوع حاجات الإنسان إلى تقسيم العمل، لأن الفرد الواحد لا يستطيع أن يقوم بجميع الأعمال التي تفرضها عليه حاجاته، وبالتالي لا يستطيع أن يوفر لنفسه جميع الحاجات، ومنه زادت حاجة الناس اليوم لبعضهم البعض أكثر، نظرا لتعقد الحياة وزيادة وظائفها.

وقد انقسمت هذه الأعمال إلى أعمال تخصص بأدائها يوميا مقابل أجر، وتنظم وفق تشريعات وقوانين، وأعمال تكون واجبة على الجميع نظرا لكونها تهدد وجود الجماعة ككل كالكوارث الطبيعية أو حالات الحرب والدفاع عن النفس، وهي تستدعي تضامنا تلقائيا حتى بين المجتمعات والجماعات الإنسانية (بين الدول).

5- العمل وشخصية الإنسان

العمل يوحد الشخصية ويعطيها معنى ضمن العالم، ويوجهها نحو غاية محددة، ومن بين طرق المعالجة المتبعة مع الأشخاص الذين يفقدون القدرة على ضبط سلوكياتهم، وهذا اضطراب يرجع إلى اضطراب الشعور، حيث يفقد المريض الصلة بينه وبين العالم الموضوعي الخارجي، من بين طرق المعالجة حملهم على بعض الأعمال التي تستدعي تجميع الانتباه حول موضوع العمل، فبتركيز الشعور وتدرجيا يسترجع المريض وعيه، فيعيد ربط صلته بالعالم الخارجي، وبالتالي ينظم سلوكه من جديد، وبناء على ذلك فأفضل ما يميز الإنسان كإنسان هو أنه كائن واعي يعي ذاته ويعي غيره.

والعمل أساسا نشاط اجتماعي بوظيفتيه الأساسيتين وهي إنتاج البضائع التي يحتاجها المجتمع، وربط الفرد بنمط العلاقات الداخلية التي يبني عليها المجتمع، وأي تعريف للعمل يبعده عن كونه نشاطا اجتماعيا ليس تعريفا على الإطلاق، وقد أورد براون 1960 Brown توضيحا للأستاذين ميلر وفورم Miller، Form في هذا الصدد بأنه "لا ترتبط الدوافع للعمل بالحاجات الاقتصادية فقط، فالرجال قد يستمرون في العمل حتى ولو كانوا في غير حاجة إلى منافع مادية، لأن المكافآت التي يحصلون عليها من عملهم مكافآت اجتماعية، مثل الاحترام والإعجاب من زملائهم، وفي بعض الأحيان، يصبح العمل طريقا إلى تأمين حاجات الأنا بالحصول على السطوة والتغلب على الآخرين، ويقدم نشاط العمل بالنسبة للجميع الزمالة والمكانة والوظيفة الاجتماعية، فعندما نحاول أن نُعيّن (نُعرّف) شخصا غريبا، فإن سؤالنا الأول هو، ماذا يعمل".

إن للعمل وظيفة ثانية تبلغ من الأهمية درجة المحافظة على الكفاية ورفع الإنتاج والحصول على المال، وهي أنها تقدم المجال الذي يحدد المكانة الاجتماعية لمعظم الرجال والنساء في الثقافات الحديثة، والدليل على ذلك ما يلي⁽²¹⁾:

أ- يعمل كثير من الرجال والنساء وقد لا يكونون في حاجة ماسة إلى مال إضافي.

وُجد في أحد مصانع لندن، الذي أحال بعض عاملاته إلى المعاش في سن 55 سنة، ويقدم لهن معاشا عائليا سخيا (منحة التقاعد)، وُجد أن كثيرا من أولاء النسوة يقضن على أبواب المصنع كل مساء في انتظار صديقاتهن عند الخروج، ويستمررن في المواظبة على حضور أي حدث اجتماعي يجري في المصنع، وعندما يكون من الممكن الحصول على عمل إضافي في المصنع فإنهن يكن على استعداد دائم للانتظام فيه عن طيب خاطر، إنهن لا يهتمن المال أولا، بل كل ما يهمهن أن المصنع مركزا اجتماعيا.

وفي مصنع آخر بلندن أيضا كان يعمل ثلاثة رجال، اكتسبوا في أوقات مختلفة مبالغ كبيرة من المال من مراهنات كرة القدم، وبعد وقت قصير من الاستمتاع عادوا إلى عملهم المعتاد، اثنان إلى عمل تكراري روتيني والثالث كبراد، مع أن النقود التي حصلوا عليها كانت كافية تماما لأن تعينهم على أن يعيشوا

في راحة، واستقرار في حياتهم، فالأکید هنا أن المصنع مركز اجتماعي، فالاعتقاد بأن المال هو الدافع الوحيد أو حتى أهم الدوافع للعمل يجعلنا غير قادرين على فهم سلوك هؤلاء وسيبدو غريباً.

ب- غالباً ما تسمح الترقية إلى منصب أعلى بالحصول على امتيازات مالية إضافية، لكن ما تم ملاحظته في كثير من الحالات هو مطالبة العمال الذين يتسلمون عملاً جديداً، وذا أجر أعلى، بالعودة إلى عملهم القديم بأجره الأقل، ولو كان كره العمل هو السائد لفشلنا في فهم هذا النوع من السلوك.

ج- للوقوف على حقيقة ما الذي يعنيه العمل بالنسبة للعامل، تمت دراسة الآثار النفسية للبطالة على العامل، ومنها:

ذكر كولير K. G. Collier أن كثيراً من الرجال العاطلين متوسطي السن والمعتادين على عمل منتظم يفضلون الحصول على أي نوع من العمل، حتى بأجر أقل مما يحصلون عليه من مساعدة حكومية، من أجل الحصول على مكانة معترف بها في المجتمع، إذن من الواجب أن يحس العامل بأن ما يعمل له بعض الدلالة، أي أن عمله رباط بينه وبين مجتمعه.

إذن يجب أن ندرك أن الرجال يعملون من أجل العيش، ومن أجل الإحساس بأنهم نافعون، ومرغوب فيهم، والحصول على مكانة اجتماعية⁽²²⁾.

إن العمل جزء جوهري في حياة الإنسان، مادام ذلك المظهر من الحياة الذي يعطيه المكانة ويربطه بالمجتمع، كذلك يتيح له فرصة استغلال كل قدراته وتحقيق أهدافه الحيوية، الأمر الذي يحقق له الرضا والسعادة، والصحة النفسية.

ولا شك أن الأثر القوي للعمل على الاتزان النفسي، يرجع إلى أن العمل له صلة وثيقة بالأهداف التي تكمن وراء السلوك الإنساني، من خلال العمل يكتسب الإنسان قوة، ويطمئن على مستقبله، وهو وسيلة للتأثير في المحيط الذي يعيش فيه، وعن طريقه يسعى ويحقق لنفسه مركزاً مرموقاً في المجتمع الذي ينتمي إليه، فالسلوك في مواقف العمل هو في الواقع جانب أساسي من جوانب السلوك الإنساني.

وهناك علاقة واضحة بين الصحة النفسية وما يتركه العمل من آثار فلا شك أن الفشل أو الإحباط في العمل، قد يؤدي إلى اضطراب الاتزان النفسي لدى بعض الأفراد، الذين يكونون أصلاً طبيعيين راضين عن أنفسهم⁽²³⁾.

- 6- مراجع المحاضرة
- 1- الأدب المفرد للبخاري،
- 2- أشرف محمد عبد الغني، علم النفس الصناعي أسسه وتطبيقاته، الإسكندرية، 2001.
- 3- أكرم عبد القادر أبو إسماعيل، التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية، دار النفائس، الأردن، 2006.
- 4- رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث 2099، وشعب الإيمان للبيهقي، رقم الحديث 1220،
- 5- صحيح البخاري، رقم الحديث 1984
- 6- صحيح مسلم،
- 7- عبد الفتاح محمد دويدار، أصول علم النفس المهني والصناعي والتنظيمي وتطبيقاته، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006
- 8- عدنان عبد القادر، الفلسفة لطلاب البكالوريا، الشغل والتنظيم الاقتصادي، وزارة التربية الوطنية، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1988 - 1989.
- 9- القرآن الكريم.
- 10- كمال عبد الحميد الزيات، العمل وعلم الاجتماع المهني - الأسس النظرية والمنهجية، دار غريب، القاهرة، دت.
- 11- مجلة الأصالة، العدد 91، سنة 1981
- 12- مسند أحمد بن حنبل، رقم الحديث 12650.

الهوامش -

- ¹ - عدنان عبد القادر، الفلسفة لطلاب البكالوريا، الشغل والتنظيم الاقتصادي، وزارة التربية الوطنية، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1988 - 1989، ص 246.
- ² - المرجع نفسه، 1989، ص 247
- ³ - المرجع نفسه، 1989، ص 247 - 248
- ⁴ - المرجع نفسه، 1989، ص 248 - 250
- ⁵ - كمال عبد الحميد الزيات، العمل وعلم الاجتماع المهني - الأسس النظرية والمنهجية، دار غريب، القاهرة، دت، ص 124.
- ⁶ - المرجع نفسه، دت، ص 125 - 126
- ⁷ - المرجع نفسه، دت، ص 126 - 127
- ⁸ - المرجع نفسه، دت، ص 128 - 131
- ⁹ - عدنان عبد القادر، مرجع سابق، 1989، ص 266 - 269
- ¹⁰ - كمال الزيات، مرجع سابق، دت، ص 133 - 135
- ¹¹ - المرجع نفسه، دت، ص 136 - 138
- ¹² - أكرم عبد القادر أبو إسماعيل، التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية، دار النفائس، الأردن، 2006، ص 201.
- ¹³ - عدنان عبد القادر، مرجع سابق، 1989، ص 248
- ¹⁴ - أشرف محمد عبد الغني، علم النفس الصناعي أسسه وتطبيقاته، الإسكندرية، 2001، ص 41.
- ¹⁵ - مجلة الأصالة، العدد 91، سنة 1981
- ¹⁶ - عبد الفتاح محمد دويدار، أصول علم النفس المهني والصناعي والتنظيمي وتطبيقاته، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص 124.
- ¹⁷ - أشرف عبد الغني، مرجع سابق، 2001، ص 42.
- ¹⁸ - المرجع نفسه، 2001، ص 43.
- ¹⁹ - المرجع نفسه، 2001، ص 45.
- ²⁰ - عدنان عبد القادر، مرجع سابق، 1989، ص 271 - 273.
- ²¹ - عبد الفتاح دويدار، مرجع سابق، 2006، ص 19 - 20.
- ²² - المرجع نفسه، 2006، ص 21 - 22.
- ²³ - أشرف عبد الغني، مرجع سابق، 2001، ص 51.



العوامل السوسيو- إقتصادية المؤثرة على رعاية الأطفال

المتخلفين ذهنيا

فاطمة مساني

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية جامعة البويرة

mesfatma2012@yahoo.fr

الملخص -

نحاول من خلال هذه المقالة التطرق إلى الأطفال المتخلفين ذهنيا، وهم فئة من فئات التربية الخاصة يحتاجون إلى برامج تربوية متخصصة تساعدهم على تنمية قدراتهم وذواتهم وإدماجهم في الأسرة والمجتمع. فرعاية هذه الشريحة في الأسرة الجزائرية تحتاج إلى الكثير من الإمكانيات المادية. ولكن للأسف الشديد الواقع الجزائري يبرهن على أن أطفال ذوي الإحتياجات الخاصة بصفة عامة والأطفال المتخلفين ذهنيا بصفة خاصة يعانون عدة مشاكل وصعوبات في حياتهم اليومية.

الكلمات المفتاحية -

الأطفال المتخلفين ذهنيا، الرعاية، الأسرة، التربية الخاصة، العوامل السوسيو- إقتصادية.

The title of the article: Socio-economic factors affecting the care of mentally retarded children

Abstract -

In This Article, We Talk About Mentally Retarded Children, Which Are A Group Of Special Education Groups Who Need Specialized Educational Programs To Help Them To Develop Their Abilities And Their Self-Inclusion Into The Family And Society. The Care Of This Segment In The Algerian Family Requires A Lot Of Material Resources. Unfortunately, Algerian Reality Shows That Children With Special Needs In General And Children With Mental Retardation In Particular Have Many Problems And Difficulties In Their Daily Lives

Keywords –

Mentally Retarded Children, Care, Family, Special Education, Socio-Economic Factors.

مقدمة -

إن أطفال ذوي الإحتياجات الخاصة هم فئة وجدت منذ العقود الماضية وفي كل المجتمعات بدون إستثناء، هم أطفال غير عاديين يعانون من إعاقة سواء كانت عقلية، حركية، سمعية أو بصرية أو غير ذلك من الإضطرابات الأخرى كالتوحد مثلا. كما نجد فئة الموهوبين الذين يندرجون ضمن فئة ذوي الإحتياجات الخاصة. والحديث في هذا الصدد يقودنا إلى التكلم عن الأطفال المتخلفين ذهنيا الذين يعانون من توقف أو عدم إكمال نموهم العقلي نتيجة سبب معين، ويحدث ذلك قبل سن الثامنة عشر، مما يؤثر ذلك على قدراتهم العقلية، وعدم إتقانهم لبعض المهارات منها الأكاديمية والإجتماعية... الخ. وهذه الشريحة هي فئة من فئات التربية الخاصة، التي تحتاج إلى برامج تربوية متخصصة تساعدهم على تطوير قدراتهم، إبراز إمكانياتهم وتنمية مهاراتهم، حيث يتم تدريب الطفل المعاق على بعض المهارات اللازمة منها المهارات الحياتية والعادات والتقاليد الإجتماعية والثقافية. ولكن لا يمكن للمربين في المراكز البيداغوجية تحقيق أهداف التربية الخاصة دون التنسيق مع أسر المتخلفين

ذهنيا ومشاركتهم الفعالة في هذه العملية التربوية، بإعتبار الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تستقبل هذا الطفل غير العادي، فهي تلعب دورا فعالا في تنشئته ورعايته من خلال توفير له الخدمات الصحية، النفسية، المادية والاجتماعية أي التكفل به تكفلا ماديا ومعنويا من أجل مساعدته على التكيف مع نفسه ومع الآخرين وإدماجه في المجتمع. وكما هو معروف فإن الطفل المتخلف ذهنيا لديه قصور عقلي لا يستطيع أن يحدد علاقاته مع الآخرين دون مساعدة عائلته التي توجهه بصورة مباشرة لكي يكتسب الخبرة التي تؤهله للإعتماد على نفسه في بعض الأمور. لكن وللأسف الشديد الأسر الجزائرية تعرف عدة صعوبات تواجهها في تربية الطفل المتخلف ذهنيا ورعايته. وللإقتراب أكثر من الموضوع سوف نتطرق في هذه المقالة إلى العناصر التالية:

- مقدمة.

- 1- مفهوم التخلف العقلي وتصنيفاته.
- 2- أسباب التخلف العقلي.
- 3- دور الأسرة في رعاية الأطفال المتخلفين ذهنيا.
- 4- العوامل المؤثرة على رعاية الأطفال المتخلفين ذهنيا في الأسرة الجزائرية.

- خاتمة.

1- مفهوم التخلف العقلي وتصنيفاته :

تختلف التعاريف الخاصة بالتخلف العقلي حسب نوعية التخصصات، مثلا الطب ينظر إلى ذلك من منظور طبي مبني على الأعراض الفيزيولوجية فقط، فيعرف التخلف العقلي طبيا على أنه "إنخفاض ملحوظ في الأداء العقلي يكون بإنحرافين معياريين أو أكثر يرافقه قصور في السلوك التكيفي"¹.

كما أن العالم جيرفس عرف الإعاقة العقلية على أنها حالة يتوقف فيها النمو قبل سن المراهقة، وقد يعود السبب في ذلك إلى أسباب وراثية أو أمراض التي قد يصاب بها الشخص. كما عرفها بينوا بأنها ضعف في الوظيفة العقلية، وهذا الضعف إما أن يكون ناتجا عن حالة داخلية وراثية أو عن حالة خارجية.

هذه العوامل تؤدي إلى تدهور في كفاءة الجهاز العصبي، ومن ثم نقص في القدرة العامة للنمو وفي التكامل الإدراكي والفهم .

وإذا إتجهنا إلى المختصين في الدراسات الاجتماعية فنجدهم يركزون على الصلاحية الاجتماعية كمحدد للإعاقة العقلية، حيث عرفها كل من العالم تروجولد وزميله سودي على أنها حالة من حالات عدم القدرة على التكيف مع البيئة الاجتماعية بدرجة مناسبة. إذ أن المعاق عقليا لا يستطيع أن يعتمد على نفسه ويتحكم في الظروف التي تحيط به دون أن يعتمد على غيره ممن يحيطون به من الأفراد.

بينما علماء التربية فيتخذون الفشل الدراسي كمتغير قوي في تحديد الإعاقة العقلية عند الفرد، وقاموا بتصنيف التخلف العقلي إلى 3 فئات هي: فئة القابلون للتعليم: تتراوح نسبة ذكائهم ما بين 75.55 درجة على مقياس الذكاء، وهذه الفئة تقع ما بين بطيئي التعلم والمتخلفين عقليا بدرجة بسيطة، وهم من يستطيعون تعلم بعض المهارات الأكاديمية كالقراءة والكتابة والحساب.

فئة القابلون للتدريب: تتراوح نسبة ذكاء هذه الفئة ما بين 55.25 درجة، وهي فئة غير قادرة على تعلم المهارات الأساسية مثل القراءة والكتابة والحساب، ولكن يمكن تدريبهم على القيام ببعض المهارات الأساسية مثل العناية بالنفس واللباس والقيام بالأعمال البسيطة التي تتطلب ذكاء بسيطاً.

3. من يحتاجون إلى رعاية وحماية: وهم الأفراد من ذوي التخلف العقلي الشديد أو الحاد ويطلق عليهم الأشخاص الإعتياديون، وهم غير القادرين على تعلم حتى المهارات الأساسية كالاعتماد على النفس، اللباس، وغير ذلك، وهؤلاء الأشخاص غير العاديين يحتاجون إلى متابعة ورعاية دائمة.²

أما علماء النفس فيعتبرون الذكاء هو محكا من محكات التعرف على الإعاقة العقلية. وفي هذا الصدد نجد تعريف الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي التي عرفت الإعاقة العقلية على أنها حالة تشير إلى جوانب قصور في الأداء العقلي للفرد، تتصف هذه الحالة بأداء عقلي يقل عن المتوسط بمستوى ذي دلالة وتصاحبه جوانب قصور في مجالين أو أكثر من مجالات المهارات

التكيفية مثل التواصل، العناية بالذات، الحياة المنزلية، المهارات الإجتماعية، استخدام المصادر المجتمعية، الصحة والسلامة، المهارات الأكاديمية، المهارات المهنية. شريطة أن يظهر توقف نمو العقل قبل سن 18 سنة.³

وعليه قامت هذه الجمعية بتصنيف التخلف العقلي إلى 4 فئات اعتمادا على نتائج إختبارات الذكاء، وهذه التقسيمات هي:

. فئة التخلف العقلي البسيط: نسبة ذكاء هذه الفئة تتراوح ما بين 70.55 درجة على إختبارات الذكاء.

. فئة التخلف العقلي المتوسط : هذه الفئة تشمل الأفراد الذين يحصلون على نسبة ذكاء تتراوح ما بين 55.40 درجة على إختبارات الذكاء.

. فئة التخلف العقلي الشديد: نسبة ذكاء هذه الفئة تتراوح ما بين 25.40 درجة على إختبارات الذكاء.

. فئة التخلف العقلي الحاد: وهي فئة الأفراد الذين يحصلون على نسبة ذكاء متدنية جدا تقل عن 25 درجة على إختبارات الذكاء.⁴

ومن خلال ما سبق ذكره، فإن تصنيف التخلف العقلي يستند على التخصصات، مثلا نجد تصنيف يعتمد على الجانب الطبي وآخر على الجانب الإجتماعي وتصنيف على الجانب النفسي وأيضا تصنيف على الجانب التربوي، وفي هذا الصدد نذكر التصنيفات التالية:

"أ- التصنيف الطبي- البيولوجي:

يعتمد هذا التصنيف على أسباب التخلف العقلي، ولكن حوالي 75 % من حالات التخلف العقلي لا يعرف لها أسباب محددة.

ب- التصنيف الإجتماعي النفسي: يعتمد هذا التصنيف على درجة الذكاء (المعيار السيكومتری) والسلوك التكيفي. وفي كلتا الحالتين يصنف التخلف العقلي إلى بسيط، ومتوسط، وشديد، وشديد جدا اعتمادا على درجة الذكاء والأداء على مقياس السلوك التكيفي.

ج- التصنيف التربوي:

بناء على هذا النظام في التصنيف، يصنف التخلف العقلي كما يلي:

1- متخلفون عقليا قابلون للتعلم (نسبة ذكاء تتراوح بين 70 - 50).

2- متخلفون عقليا قابلون للتدريب (نسبة ذكاء تتراوح بين 50 - 30).

3- متخلفون عقليا اعتماديون (نسبة ذكاء أقل من 30).⁵

وعليه يمكن القول أن التخلف الذهني هو إعاقة تؤثر على القدرات العقلية للفرد، وعلى إتقانه لبعض المهارات منها الحياتية، الأكاديمية وغيرها، مما يجعله غير قادر على التكيف، وبالتالي تعتبر التربية الخاصة السبيل الوحيد لمساعدته على تنمية قدراته ومهاراته ومساعدته على الاندماج في المجتمع.

2- أسباب التخلف العقلي:

يتفق معظم العلماء على أن هناك أسباب معروفة للتخلف، إلا أن هناك أسباب أخرى تبقى لحد الآن غير معروفة، حيث أشار في هذا الصدد العالم "كارتررايت ورفاقه Cartwright إلى أن أسباب التخلف العقلي لا يمكن تحديدها بشكل قاطع في حوالي 75% من الحالات. أما هالاهان وكوفمان (Hallahan et Kauffman) فيعتقدون أن نسبة حالات التخلف العقلي التي لا يعرف لها سبب عضوي واضح تتراوح ما بين 80 % و 94 % . وعندما يكون الأمر كذلك (أي عندما لا يكون لدى الطفل المتخلف عقليا اضطراب عضوي محدد) يطلق على أسباب التخلف العقلي اسم الأسباب الثقافية- الأسرية. ويسمى التخلف العقلي عندئذ التخلف العقلي الثقافي- الأسري".⁶

وفي هذا الصدد صنف العالم "جروسمان (Grossman) الأسباب البيولوجية-الطبية للتخلف العقلي إلى الفئات الأساسية التالية:

1- الإلتهابات والتسمم.

2- الإصابات والعوامل الجسمية.

3- اضطرابات عملية التمثيل الغذائي.

4- الأمراض الدماغية العامة.

5- عوامل ما قبل الولادة غير معروفة.

6- الإضطرابات الكروموسومية.

7- إضطرابات الحمل.

8- الإضطرابات النفسية".⁷

إن أسباب التخلف العقلي تنقسم إلى ثلاثة أسباب هي:

- أسباب ما قبل الولادة: تتمثل الأسباب ما قبل الولادة في كل من العوامل الجينية والتي تتمثل في الصفات الوراثية، كما أن هناك عوامل أخرى للتخلف العقلي تتمثل في تعرض المرأة للأشعة السينية خاصة في الأشهر الأولى من الحمل، إصابة المرأة الحامل ببعض الأمراض مثل الحصبة الألمانية وغيرها من الأمراض خاصة الأمراض المزمنة. وتناولها لبعض الأدوية أثناء الحمل والتي تؤثر على الجنين.⁸

- أسباب أثناء الولادة: وهي العوامل المحيطة بالمرأة والجنين والتي تتمثل في "تعرض الطفل أثناء الولادة إلى نقص الأكسجين أو التسمم أو الإختناق وهذه العوامل تؤثر سلبا على نمو الدماغ وبالتالي إلى حدوث الإعاقة العقلية. كما أن البكتيريا التي تسبب التهابات السحايا أو تصيب الغشاء الذي يغلف المخ أو الحبل الشوكي مثل بكتيريا الأنفلونزا أو الإلتهاب الرئوي، كثيرا ما تسبب اضطرابات في الأجهزة العصبية المتصلة بالمخ".⁹

- أسباب ما بعد الولادة: تندرج هذه الأسباب في العوامل البيئية المحيطة بالطفل الرضيع، وتشمل كل من الغازات والتلوثات البيئية، سوء التغذية وغيرها من الحوادث التي يتعرض لها الطفل.

3- دور الأسرة في رعاية الأطفال المتخلفين ذهنيا:

يعتبر الطفل المتخلف ذهنيا طفل غير عادي يحتاج إلى تربية متخصصة ورعاية خاصة تختلف عن رعاية الأطفال العاديين، فهو يحتاج إلى الكثير من التكفل والعناية، يحتاج إلى التقبل في الأسرة والمجتمع وإلى الأمن والاستقرار، الحاجة إلى مكانة لتحقيق الذات واحترامها، الحاجة إلى بناء علاقات إجتماعية داخل الأسرة وخارجها والتواصل مع الآخرين.

وتعتبر الأسرة مؤسسة من مؤسسات التنشئة الإجتماعية التي تزود الطفل مهما كان بالقيم والعادات الجيدة وبعض السلوكيات السوية والأسس والمبادئ الحياتية الصحيحة. فالأسرة هي وحدة وأساس المجتمع، فهي حلقة الوصل بين الفرد والمجتمع بإعتبارها الوسط الإنساني الأول الذي يتربى وينشأ فيه الطفل، حيث يكتسب في نطاقها أول الأساليب السلوكية التي تمكنه من إشباع حاجاته والتوافق مع المجتمع، فهي شبكة من العلاقات الإنسانية.¹⁰

إن تربية الأطفال المتخلفين ذهنياً تختلف عن تربية الأطفال العاديين، سواء من طرف المدرسين أو الأولياء، حيث أن مهمة المدرسين أو المربين في المدرسة والمراكز أسهل بكثير من مهمة الآباء، لأن المدرسة تمنح الطفل الفرصة لتعليم بعض المهارات، منها الأكاديمية والحركية. بينما دور الآباء يختلف تماماً عن دور المربي، بإعتبار الوالدين هما الشخصين الأقرب إلى الطفل المتخلف ذهنياً، وبالتالي يكونان أكثر الأشخاص صبراً ويهتمان بالطفل. وعليه يسعى الوالدين إلى دمج الطفل المتخلف ذهنياً في المجتمع ومساعدته على التكيف مع أسرته ومع العالم الخارجي وتشجيعه على إبراز ذاته. وعليه من أهم الأمور التي يجب أن يتحلى بها والدي الطفل المتخلف ذهنياً هي أن لا يشعرا بالذنب اتجاه وجود هذا الطفل في الأسرة. ويتعدان كلياً عن الانفعالات النفسية السلبية كالقلق والغضب والاكتئاب. ولا بد من التفاؤل والأمل بإمكانية تطوير مهارات الطفل المتخلف ذهنياً والصبر والمثابرة في العمل معه وعدم اليأس من حالته وإيجاد الطرق المناسبة للتواصل معه.

إن الرعاية الأسرية هي أهم الخدمات الصحية، النفسية والمادية والاجتماعية التي تقدمها الأسرة في إطار التنشئة الأسرية، كما أنها تلعب الجهد والإمكانيات التي توفرها الأسرة لطفلها سواء الصحية أو التربوية والمهنية والاجتماعية، وذلك من أجل إشباع حاجياته وتحقيق إمكانياته قصد الاندماج في المحيط الأسري والاعتماد على نفسه بغرض الاندماج في المجتمع.¹¹ ويمكن القول أن رعاية الطفل المتخلف ذهنياً في الأسرة الجزائرية يتوقف على عدة عوامل، أكدتها لنا مقابلتنا مع أولياء الأطفال المتخلفين ذهنياً، والتي سوف نبرزها في العنصر التالي.

4- العوامل المؤثرة على رعاية الأطفال المتخلفين ذهنياً في الأسرة الجزائرية:

توجد عدة صعوبات تواجه أسر الأطفال المتخلفين ذهنياً في مجال رعايتهم والتكفل بهم، سواء كانت رعاية صحية، إجتماعية ونفسية وغيرها. وتتمثل هذه الصعوبات في الظروف الإجتماعية والإقتصادية ونقص الوعي لدى الأسر في كيفية التعامل مع هذه الفئة من الأطفال التي تحتاج إلى تربية خاصة تختلف

عن تربية الأطفال العاديين، حيث نجد الأسر بصفة عامة والأسرة الجزائرية بصفة خاصة لا تتقبل مبدئيا وجود طفل معاق في الأسرة، وهذا ما يؤثر على رعايتها له، حيث أن "ردود الأفعال العاطفية (...)" يتوقع أن تحدث لدى معظم الآباء والأمهات بدرجة أو بأخرى، وعند الحديث عن هذا الموضوع لا بد من التأكيد على ثلاث قضايا أساسية وهي:

- 1- إن الإعاقة قد تفرض على الوالدين تغيرات مهمة في مجرى حياتهما وهي قد تقود إلى شعور بالحزن قد يختفي أحيانا ولكنه قد يعود فيظهر مجددا.
- 2- إن الإعاقة شيء غير متوقع. فكل أب أو أم في الدنيا ينتظران طفلا عاديا لا بل قل مثاليا. ولذلك فليس غريبا أن تمثل إعاقة الطفل صدمة قوية للأمال، والأمر الغريب هو أن يتقبل الوالدين إعاقة طفلهما دفعة واحدة وبدون صعوبات في البداية.

3- ولما كانت الإعاقة تشكل أزمة حقيقية فإنها تحدث ردود فعل نفسية قد تكون شديدة. وما ينبغي التأكيد عليه هنا هو أن مثل هذا الأمر طبيعي¹². ولمعرفة ما هي أهم المعوقات التي تعيق الأسر الجزائرية على رعاية أطفالها المتخلفين ذهنيا قمنا بدراسة ميدانية بتطبيق مقابلة على عينة قصدية من أولياء الأطفال المتخلفين ذهنيا والذين قدر عددهم بـ 7 حالات، وهذا في جمعية إعادة التقدير النفسي التربوي للطفولة والشباب بمركز شاطو شيري والذي يقع بمقاطعة أولاد يعيش البلدية، حيث تم أخذ كل الأولياء الذين لهم أطفال متخلفين ذهنيا، ما عدا الأولياء الذين وجدنا معهم صعوبة في التجاوب معنا، إذ أن نسبة كبيرة منهم رفضت إجراء مقابلة لأنهم مشغولين، ليس لديهم الوقت الكافي لإجراء المقابلة، مستعجلون في أخذ أبنائهم. وعليه يمكن عرض الحالات وتحليلها في العنصر التالي.

- 4- 1- عرض الحالات وتحليلها: كانت نتائج الدراسة الميدانية على النحو التالي من خلال تحليل الحالات السبعة التالية:

عرض الحالة الأولى وتحليلها: طفل متخلف ذهنيا، يقيم في المدينة في منزل تقليدي، لم يلتحق بالمدسة، المستوى التعليمي لوالده متوسط، والمستوى التعليمي للأم جامعي، الأب عاطل عن العمل، الأم أستاذة.

يعيش الطفل في أسرة تتكون من 04 أفراد، وحسب تصريح أم الطفل فإن العائلة تأثرت بإعاقة الطفل، ولم يتم تقبله في الأسرة بسهولة. فأفراد الأسرة يعاملون الطفل بالشفقة، حيث أن شعورهم إتجاه الطفل حسب الأم هو الإعتراف بالإعاقة وتقبله والشعور بالشفقة والرحمة إتجاهه. فهم متضامنين في بعض الأحيان مع الطفل.

وبالرغم من المشاكل التي تواجهها الأم في عملها بإعتبارها تعمل لا تجد أين تترك طفلها المعاق، فهي تصرح على أن التعامل معه يمثل لها راحة، لا تعامله بنفس الطريقة التي تعامل بها إخوته، أي أنها تفضله عن إخوته، وتستخدم معه أسلوب الحماية المفرطة لأنه عاجز عن الإعتماد على نفسه. وتقول بأنها لا تقوم بإخفاء طفلها المعاق عن الأفراد الآخرين، وهذا راجع إلى كونها متخصصة في علم النفس. وبالرغم من هذا كله إلا أنها تقوم بمعاينة طفلها المعاق وتنزعج أحيانا من تصرفاته، وقد تتحلى بالصبر في التعامل مع طفلها المتخلف ذهنيا أحيانا.

من خلال ما سبق ذكره نرى بأن الأم تسعى جاهدة إلى تحقيق رغبات الطفل المتخلف ذهنيا إلا أنها غير واعية تماما عن كيفية تربيته، إذ أنها تستخدم معه أسلوب الحماية المفرطة، وهذا ممكن أن يؤثر على الطفل، وأيضا تقوم بمعاينته في بعض الحالات، والإنزعاج من تصرفاته، فهذا الطفل يعاني من مشكل ذهني، لا يعني أنه لا يفهم، بل مشكلته هي صعوبة إكتساب المهارات بكل سهولة وبسرعة. وعليه لو أن الأم سعت إلى تحقيق ذلك سوف تنجح، ولكن لا بد عليها أن تتحلى بالصبر قبل كل شيء.

وفيما يخص السؤال الخاص بوعي الأسرة والوالدين تصرح الأم بأنها لم تتلقى شروحات ومعلومات عن كيفية التعامل مع الطفل المتخلف ذهنيا، لأنه عادي كبقية الأطفال، ولكنها تقول بأن لديها معلومات وهذه المعلومات ضئيلة حسب تحليلنا لها. وقد قامت الأم بالبحث عن معلومات أخرى للتعرف أكثر عن إعاقة طفلها، وكان ذلك باللجوء إلى الطبيب والوسط الأسري. وتضيف بأنها لا تتبع نظام تعليمي مخطط من مركز بيداغوجي يساعدها على تغيير أنماط المعاملة مع الطفل المتخلف ذهنيا. وتقول أحيانا أتحدث مع أسر أخرى عن سلوك

الطفل في البيت، حيث تصرّح بأنها غير مقتنعة بما يقدم في المراكز البيداغوجية لفئة الأطفال المتخلفين ذهنياً. فأم الطفل لم تلجأ إلى المراكز البيداغوجية لحضور لقاءات واجتماعات تبرز كيفية التعامل مع هذه الفئة. حتى أنها لم تكتسب معلومات عن أساليب المعاملة مع الطفل المتخلف ذهنياً. كما أنها تفتقر إلى معلومات عن الخدمات المقدمة في المجتمع لهذه الفئة من المعاقين. فهي تعرف إلا القليل عن تربية الطفل المتخلف ذهنياً بالرغم من أنها مختصة نفسانية وأستاذة. وبالرغم من ذلك إلا أنها تصرّح بأنها واعية بمشكلة ابنها، وتقوم بمراقبة تصرفاته.

مما سبق ذكره، نرى بأن الثقافة المتعلقة بكيفية تربية الطفل المتخلف ذهنياً مهمة جداً في حياة الطفل، وهي من الأمور الصعبة التي تتلقاها الأسر خاصة الأمهات اللواتي يقع العبء عليهن أكثر من الرجال، فهي تعمل كأم، مربية، مختصة نفسانية في آن واحد. وهذا كله يتوقف على حالة الأسرة والظروف التي تعيشها. وهذا ما سوف نراه مع هذه الحالة، حيث أن الطفل المتخلف ذهنياً يعيش في أسرة مستواها المعيشي متوسط حسب تصريح والدته، فالأب عاطل عن العمل، والأم هي المتكفلة بأفراد العائلة كلهم، حيث تصرّح بأن إمكانياتها المادية صعبة لا تسمح لها بتخصيص جزء من الميزانية لسد حاجيات ابنها المتخلف ذهنياً لأن الإمكانيات المادية للأسرة غير كافية لرعاية الطفل المتخلف ذهنياً. فإصطحاب الطفل إلى الطبيب يكون في حالة المرض وظهور المشاكل الصحية، حيث أن الأهل يساعدون أم الطفل مادياً. وتضيف الأم بأنها مقصرة في حق الطفل المتخلف ذهنياً لأنها تعمل، تكرر وقتها كله في العمل.

عرض الحالة الثانية وتحليلها: طفل متخلف ذهنياً، يقطن في المدينة في منزل فردي، التحق بالمدرسة ولكنه غادرها بسبب إعاقته، المستوى التعليمي لوالده متوسط، المستوى التعليمي للأم ابتدائي، الأب متقاعد، الأم لا تعمل.

يعيش هذا الطفل في أسرة تتكون من 09 أفراد، ولقد تأثر كثيراً أفراد الأسرة بإعاقة الطفل، وعدم تقبله في بداية الأمر، ولكن مع مرور الوقت تم تقبله حسب تصريح الأب، والآن حسب الأب شعور العائلة نحو الطفل المتخلف ذهنياً هو الحب والمعاملة الجيدة نظراً لمستواه الأخلاقي وكونه طفل مؤدب. فالأب راضي

ومقتنع ويرى بأن هذا الطفل من صنع الخالق وليس هناك داع للخجل به. ويقول بأنه لا ينظر إلى الطفل المعاق على أنه عاجز. فهو يشعر إتجاه الطفل بالإعتراف بالإعاقة وتقبله، لا يتم التعامل مع الطفل المتخلف ذهنيا بنفس المعاملة، فقد يتم تفضيله على بقية الأطفال وإتباع معه أسلوب الحماية المضطرة، والتعامل معه يمثل راحة، حيث يرسل هذا الطفل إلى مركز متخصص، وذلك من أجل التعلم. وبالرغم من ذلك يتم معاقبته وتوبيخه في حالة تصرفه غير المقبول.

من خلال ما سبق ذكره، نستنتج أن الأب حريص نوعا ما على طفله المتخلف ذهنيا، ويعامله معاملة تتسم بالحماية المضطرة، وهذا خطأ قد يخلق في الأسرة مشاكل إتجاه هذا الطفل، فالإهتمام الأكثر به وإهمال الأطفال الآخرين يشكل حساسية لدى أخوته والكرهية إتجاه الوالدين. خاصة إذا كان الأطفال صغارا لا يعرفون جيدا. وهذا يعود إلى وعي الوالدين بهذه الأمور، فإذا كان الوالدين حقا يفضلون الطفل المتخلف ذهنيا على الأطفال الآخرين فلا بد عليهم أن لا يظهروا ذلك أمامهم لتفادي الخلافات في الأسرة.

وإذا إتجهنا إلى وعي الأسرة، فإن الأب يصرح بأنه يتلقى معلومات عن كيفية التعامل مع الطفل المتخلف ذهنيا. بصفة عامة الأب لديه معلومات بسيطة جدا طبيعة إعاقة ابنه تكاد تنعدم. حتى أنه لم يبحث عن معلومات أخرى. كما أن أفراد الأسرة لا يتبعون نظام تعليمي معين في التعامل مع هذا الطفل المتخلف ذهنيا. فلا أحد من أفراد الأسرة حضر لقاءات أو إجتماعات مع المربين في المراكز المتخصصة، ولم يتعرفوا على مربين الأطفال المتخلفين ذهنيا ولا توجد لديهم معلومات عن الخدمات المقدمة لهذه الفئة في المجتمع. كما أنهم لا يتبعون خطة علمية في التعامل مع هذا الطفل المتخلف ذهنيا. مما يجعل هذه الأسرة غير مثقفة في مجال تربية طفلها المتخلف ذهنيا. كما أن أفراد أسرة هذا الطفل لا يتحدثون مع أسر لديهم أطفال متخلفين ذهنيا. فالأب يصرح بأنه واعي بمشكلة ابنه، فحسبه الوعي يتمثل في التحلي بالصبر معه وتلبية كل متطلباته. وفيما يخص التنسيق بين أولياء المتخلفين ذهنيا والمربين لا نجد التنسيق، فكل جهود المربين تذهب هباء في بعض الأحيان.

وإذا إتجهنا إلى الرعاية وعلاقتها بالمستوى المعيشي للأسرة نجد أن العلاقة واضحة، إذ أن الأب متقاعد، مستواه المعيشي متوسط يصرح بأن 4 أشخاص يعملون في البيت وهو فقط وحده يعيل الأسرة، حيث صرح لنا بأن أسرته تخصص أحيانا جزءا من الميزانية لسد احتياجات طفلها المتخلف ذهنيا لرعايته، وإمكانيات الأسرة المادية غير كافية لرعاية الطفل المتخلف ذهنيا كما يجب، ويتم توفير له فقط الضروريات وليست كلها البعض منها. حتى أنه في حالة مرض الطفل لا يتم إصطحابه مباشرة إلى الطبيب بل الإنتظار يوم بعد بعد. وهذا راجع إلى الظروف المعيشية للأسرة. وفيما يخص تقديم النقود للطفل، يصرح الأب بأنه لا يقدم للطفل النقود، يشتري له ما يحتاجه حسب الظروف.

عرض الحالة الثالثة وتحليلها: بنت متخلفة ذهنيا، تقيم في المدينة في منزل تقليدي، المستوى التعليمي لأُمها هو إبتدائي، الأم لا تعمل.

هذه الطفلة تعيش في أسرة متكونة من 06 أفراد، والدها متوفي، فالأم صرحت بأن أفراد عائلتها تأثروا بإعاقة الطفلة وتقبلوا الطفلة مع مرور الوقت. وتضيف الأم بأن شعور العائلة نحو الطفلة المتخلفة ذهنيا هو الحب ومعاملة والدتها معها جيدة ومعاملة متوسطة مع الإخوة. وهذا راجع إلى الظروف الأسرية الصعبة، ووفاة الأب. وبالرغم من ذلك أفراد الأسرة متضامنين معها، حيث تفضل الأم الطفلة على إخوتها، وتستخدم معها أسلوب التدليل. فالتعامل مع الطفلة يمثل لها راحة حسب قولها.

وتنظر الأم إلى الطفلة على أنها عاجزة على مساعدة نفسها، فهي تشعر اتجاه الطفلة المعاقة بالإعتراف بالإعاقة وتقبلها.

ويظهر مما سبق ذكره أن الظروف الإجتماعية للأسرة صعبة نوعا ما، إلا أن الأم لا تفرط في إبنتها المتخلفة ذهنيا باعتبارها عاجزة عن نفسها، لا تقدر تستطيع تلبية حاجياتها، ولكن الخطأ الذي تتبعه الأم هو أسلوب التدليل، فهذا ممكن أن يؤدي إلى خلق خلافات في الأسرة.

وفيما يخص وعي الأسرة، فنجد أن الأم لها معلومات حول طبيعة إعاقة إبنتها وهي معلومات ضعيفة جدا، تكاد تنعدم، وبالرغم من ذلك، لم تبحث الأم

عن معلومات أخرى عن كيفية التعامل مع الطفلة، وهذا يمكن إرجاعه إلى مستواها التعليمي المنخفض. إضافة إلى ذلك لا تقوم الأم بإتباع خطة عمل منظمة مع ابنتها المتخلفة ذهنيا.

فالأم تصرح بأنها تتحدث مع أسر أخرى عن محاولاتها الناجحة مع ابنتها لضبط سلوك الطفلة في البيت، كما أنها مقتنعة نوعا ما بالخدمات المقدمة في المراكز البيداغوجية الخاصة بتربية الأطفال المتخلفين ذهنيا، إلا أنها لا تقوم بطرح أسئلة على الأخصائيين والآباء الآخرين حول إعاقة طفلتها المتخلفة ذهنيا، حيث لا تمتلك الأم معلومات عن الخدمات المقدمة في المجتمع لفئة المتخلفين ذهنيا. فالأم واعية بمشكلة ابنتها حسب قولها "أنا واعية بمشكلة ابنتي". إضافة على ذلك لم تتلقى الأم تدريبات عن كيفية التعامل مع طفلتها المتخلفة ذهنيا.

وبالنسبة للأوضاع الإقتصادية والإجتماعية التي تعيشها الأسرة هي أوضاع مزرية، حيث أن مستواها المعيشي منخفض لا يسمح لها بتخصيص ميزانية أو جزءا منها لسد احتياجات طفلتها المتخلفة ذهنيا، فإمكانياتها المادية غير كافية لرعاية الطفلة، حيث لا تقوم بتوفير كل ما تتطلبه الطفلة المعاقة والوسائل التي تساعد على الإستقلال. وأن أهم الصعوبات التي تواجهها وتلقاها الأم في تربية طفلتها وتلبية حاجاتها هي صعوبات مادية بالدرجة الأولى. وفي هذا الإطار تصرح الأم على أنها مقصرة في حق الطفلة نوعا ما. وهذا يعكس نوعية الخدمات المقدمة لهذه الطفلة، يعني أنها لا تتلقى رعاية جيدة في وسطها الأسري نتيجة الظروف الصعبة التي تعيشها الأسرة. وفي هذا الإطار فإن مرض الطفلة وإصطحابها للطبيب يكون في الحالات المرضية يوم بعد ظهور الأعراض المرضية، يعني التباطؤ في أخذ الطفلة إلى الطبيب، إذ تصرح الأم بأنها تستعمل وصفات تقليدية في حالة تعرض الطفلة إلى مشاكل صحية نتيجة الدخل المنخفض الذي لا يسمح بتلبية كل احتياجات الأسرة. وفي هذا الصدد، فإن هذه الأسرة تتلقى مساعدات من طرف جمعيات خيرية للتكفل بالطفلة المتخلفة ذهنيا.

عرض الحالة الرابعة وتحليلها: طفلة متخلفة ذهنيا، تقطن في منزل

تقليدي في المدينة، والدها متوفي، والدتها مستواها التعليمي أمي.

حسب مقابلتنا لوالدة الطفلة فإن تصريحاتها تؤكد بأن ظروف عائلتها صعبة، المستوى المعيشي للأسرة متوسط، يعمل شخصين في الأسرة لكن شخص واحد يعيل الأسرة، حيث لا تخصص الأسرة ميزانية حسب قولها للتكفل بالطفلة المتخلفة ذهنيا وتلبية احتياجاتها بسبب الظروف المعيشية الصعبة، وهذا ينعكس على رعاية الطفلة والتكفل بها.

وفيما يخص البيئة الأسرية، فإن أسرتها كبيرة، في بداية الأمر تأثر أفراد الأسرة بإعاقة الطفلة مما أثر على تقبلها في الأسرة بكل سهولة، ولكن مع مرور الوقت تم تقبلها. والآن شعور العائلة نحوها هو الحب ومعاملتهم لها معاملة جيدة حسب قول الأم، حيث تصرح وتقول "كونها متخلفة ذهنيا يجب أن نعاملها معاملة جيدة". وتضيف أم الطفلة أنها لا تتحدث مع أفراد عائلتها عن إعاقة ابنتها لأنها "بالنسبة إلينا لا نعاملها معاملة على أساس متخلفة ذهنيا". فأفراد الأسرة متضامنين ومتعاطفين معها. فبالرغم من أن الأسرة تواجه أحيانا مشاكل. فالأم تصرح بأنهم يشفقون عليها. فالمعاملة مع الطفلة حسب قول أمها لا تختلف عن معاملة الإخوة الآخرين، حيث لا يتم تفضيلها على إخوتها. وتقوم بضربها وذلك عدة مرات. مع أنها تستخدم معها أسلوب الحماية المفرطة. فأحيانا ينزعجون أفراد العائلة منها ومن تصرفاتها. وبالرغم من ذلك يصبرون عليها.

وإذا إتجهنا إلى وعي الأسرة والوالدة بإعاقة طفلتها، فمن خلال تصريحات الأم يتضح لنا أن الأم لم تتلقى شروحات وحتى أفراد الأسرة لم يتلقوا معلومات عن كيفية التعامل مع الطفلة المتخلفة ذهنيا، ولا توجد لديهم معلومات عن كيفية تربية هذه الطفلة. وتصرح بأنها بحثت عن معلومات إضافية حول إعاقة ابنتها وكيف تقوم بتربيتها. فهي مقتنعة بما يقدم في المراكز البيداغوجية لهذه الفئة من المتخلفين ذهنيا. فالمعرفة عن تربية الطفلة المتخلفة ذهنيا هي معرفة سطحية لهذه الأم، إذ تصرح بأنه "يجب أن نعاملها معاملة حسنة والصبر". فالأم لا تتبع حسبها خطة عمل تعليمية في التعامل مع ابنتها المتخلفة ذهنيا،

حيث لم يتم إستدعاؤها لحضور لقاءات وإجتماعات تبرز كيفية التعامل مع هذه الفئة من الأطفال، وحتى أنها لم يتم تدريبها على أساليب المعاملة مع الطفلة. ففي بعض الأحيان يتم إرشادها عن كيفية التعامل مع الطفلة من طرف الأهل.

وما يمكن ملاحظته هو أن هذه الأم غير واعية تماما وليس لديها رصيد معرفي عن كيفية التعامل مع إبنتها المتخلفة ذهنيا، وهذا يعود ربما إلى إنخفاض مستواها التعليمي، حيث أنها لا تراقب ولا تنسق مع المختصين حول حالة إبنتها.

أم الطفلة تصرح بأن أهم الصعوبات التي تواجهها في رعاية الطفلة والتكفل بها هي صعوبات مادية لا يكفي المال لسد كل إحتياجات ومتطلبات الطفلة، ويظهر من خلال هذا التصريح أن هذه الفئة تحتاج إلى الكثير من العناية والرعاية الصحية والإجتماعية. وهذا يتطلب المال والوقت، وإذا لم يتوفر المال فسوف يؤثر ذلك بالسلب على نوعية الخدمات المقدمة لهذه الطفلة التي لا تستطيع العناية بنفسها وسد حاجياتها الضرورية.

من خلال ما سبق ذكره، فإن ذلك أثر على رعاية الطفلة المتخلفة ذهنيا، إذ أنها لا تتلقى رعاية صحية جيدة، حيث يتم إصطحابها إلى الطبيب بظهور الأعراض المرضية وتشترى لها الدواء. وتقول بأن الأقارب يساعدونها ماديا من أجل تلبية حاجيات طفلتها المتخلفة ذهنيا. وهذا يدل على أن الأسرة غير قادرة ماديا على رعاية طفلتها.

عرض الحالة الخامسة وتحليلها: طفل متخلف ذهنيا، يقطن في المدينة في منزل تقليدي، المستوى التعليمي لوالديه متوسط. يعيش هذا الطفل مع والديه في أسرة مكونة من 06 أفراد، في وسط أسري يكتنفه الحب والإحترام والمعاملة الجيدة من طرف الوالدين والإخوة حسب تصريح الأم.

الأسرة قد تأثرت بإعاقة الطفل ومع مرور الوقت تم تقبله، ولكن في بداية الأمر رفض. فالأم تصرح بأنهم يتحدثون عن إعاقة الطفل في المنزل. وهم متضامنين معه بالرغم من المشاكل التي تواجههم في حياتهم اليومية. فهذا الطفل لم يتم إخفاؤه من طرف أسرته ولا ينظر إليه على أنه عاجز على تلبية

متطلباته ومساعدته نفسه. وشعور أفراد العائلة نحوه هو الشفقة والرحمة ويتم تفضيله عن باقي إخوته وإتباع أسلوب التدليل معه. ويتم توبيخه وتأنيبه والتحلي بالصبر في التعامل معه. وإنطلاقاً مما سبق ذكره هل أفراد أسرة هذا الطفل واعين كل الوعي بتربية هذا الطفل؟ فالأم تصرح بأن المعاملة مع الطفل تكون "بحب التعامل معه وتركيز وصبر". فالأم حسب تصريحها لديها معلومات عن طبيعة إعاقة ولدها ومعلوماتها بسيطة جداً تكاد تنعدم، فمعلوماتها تنحصر في تصريحها التالي: "نقص الذكاء نقص الخبرة". وتقول أنها بحثت عن معلومات إضافية حول إعاقة ابنها في مصادر مختلفة منها الطبيب، أسر لديهم طفل متخلف ذهنياً والوسط الأسري. فحسبها لا تقوم بتتبع نظام تعليمي أو خطة تعليمية محكمة، وأنها أحياناً تتكلم مع أسر لديهم أطفال متخلفين ذهنياً عن محاولاتها الناجحة والفاشلة. وهي مقتنعة نوعاً ما بالخدمات المقدمة في المراكز البيداغوجية، فهي لم تتعرف عن أخصائيين ومربين للأطفال المتخلفين ذهنياً. فحسب قولها هي واعية بمشكلة ابنها. وليست لديها معلومات عن الخدمات المقدمة في المجتمع لهذه الفئة. ولم يتم تدريبها على أساليب المعاملة، وفي بعض الحالات يتم إرشادها من طرف الأهل فقط. كما أنها لا تتلقى توعية ونصائح وإرشادات عن كيفية التعامل مع الطفل المتخلف ذهنياً.

نستخلص مما سبق أن الأسرة أو الأم بالأحرى لا تملك الرصيد المعرفي الكافي عن إعاقة الطفل وكيفية التعامل معه. فهذا الطفل يحتاج إلى مبادئ وأسس في تعليمه وتربيته. وعندما نقول تربيته سوف نتكلم عن رعايته. فالمعرفة تسمح للفرد أن يتبع خطة معينة لتنشئة هذا الطفل تنشئة صحيحة. ونقول بأن وعي الأسرة يؤثر على نوع الخدمات والرعاية المقدمة لهذه الفئة، ولكن المشكل الكبير الذي تتخبط فيه هذه الأسرة لتلبية حاجيات الطفل المتخلف ذهنياً هو المشكل المادي. فحسب تصريح الأم، فالأسرة تعيش ظروف مادية صعبة مستواها المعيشي منخفض، لا تخصص ميزانية لتلبية حاجيات هذا الطفل المتخلف ذهنياً، حيث يعيل الأسرة شخص واحد فقط. فهذه الأم تقول بأن الصعوبات التي تتلقاها في تربية طفلها المعاق وتلبية حاجياته هي الظروف المادية وأيضاً "صعوبة في حياته اليومية لعدم توفر سكن خاص"، وهذا ينعكس

سلبا على الخدمات ورعاية هذا الطفل. مثلا يتم إصطحاب الطفل إلى الطبيب في المواعيد الطبية والحالات المرضية الخطيرة، وذلك بعد يومين من إصابته بالمرض. فالأهل والأقارب يساعدون أسرة الطفل ماديا على تلبية متطلباته وسد حاجياته. فالأسرة لم توفر كل الظروف لإدماج هذا الطفل في المجتمع حسب تصريح الأم، لأن الظروف المعيشية صعبة. حتى أن الأسرة لم تقم بتدريب هذا الطفل على الاعتماد على نفسه وعلى أساليب الخدمة الذاتية وعلى الحركة من خلال اللعب. ولا توفر له كل ما يطلبه. فهذا الطفل يعتمد على نفسه في الأكل، اللباس، دخول الحمام. فالأم تصرح بأنها تعتبر نفسها مقصرة في حق طفلها المتخلف ذهنيا، كما أنها غير متكلفة به ماديا ولا تنفق عليه في العلاج، وهناك بعض الأشياء غير متوفرة لا يمكن توفرها له.

عرض الحالة السادسة وتحليلها: طفلة متخلفة ذهنيا سنها 07 سنوات، تقيم في منزل تقليدي بالمدينة، مستوى والديها ابتدائي. تعيش الطفلة مع والديها في أسرة مكونة من 08 أفراد، تعيش في جو عائلي عادي يكتنفه الحب والمعاملة الجيدة، فحسب تصريح الأم "هناك إحساس بأن الطفل المعاق نوعا ما ليس عادي مثلنا".

في بداية الأمر تأثر أفراد الأسرة بإعاقة الطفلة ومع مرور الوقت تم تقبلها في الأسرة. والآن يتم التحدث عن إعاقتها بين أفراد العائلة في الوسط الأسري، فالأم تصرح أنهم أحيانا متضامنين ومتعاطفين معها بالرغم من مواجهتهم للمشاكل في حياتهم اليومية أحيانا. فهذه الطفلة عاجزة عن الاعتماد على نفسها. فالأم تقول بأن شعور أفراد العائلة نحو هذه الطفلة هو الشفقة والرحمة، وهذه الطفلة تعيش الحرمان من أشياء تعجز عن فعلها وعدم إستطاعتها عن التعبير عن شعورها. وتضيف الأم أن معاملتها مع الطفلة المتخلفة ذهنيا لا تكون بنفس المعاملة مع الأطفال الآخرين الإخوة، فيتم تفضيلها عن بقية إخوتها. فالتعامل معها يمثل عبء، وقد نقوم بضربها ونستخدم معها أسلوب التدليل والتوعية بقدر المستطاع. فتصرح الأم أن أفراد العائلة لا يقومون بمعاقبها لكنهم ينزعجون من تصرفاتها ويقومون بتوبيخها أمام إخوتها ولكن يتحلون بالصبر في التعامل معها.

ومن خلال ما سبق، نرى أن أفراد الأسرة لا يعاملون الطفلة معاملة جيدة ويظهر ذلك من خلال العبارات التالية "تمثل الطفلة عبء"، "الإزعاج، يتم ضرب الطفلة، معاملة التدليل. وهذا كله يؤدي إلى نتائج وخيمة على نفسية الطفلة. ويؤثر على نوعية الرعاية والخدمات التي يمكن تقديمها لها بإعتبارها عاجزة عن تلبية متطلباتها. وهذا راجع كله إلى إنعدام الوعي لدى أفراد الأسرة في مجال تربية الطفلة وكيفية التعامل معها وأهم الخدمات التي يجب أن توفر لها. إذ تصرح الأم حسب قولها أنها قدمت لها معلومات عن كيفية التعامل مع الطفلة المتخلفة ذهنيا، ولكن في الحقيقة يظهر العكس، وتتمثل أساسا هذه المعلومات في "عدم التدليل المفرط والصرامة في بعض الأحيان". وهذا عكس ما صرحت به سابقا، إذ أنها تعرف بأن التدليل المفرط يضر بالطفلة إلا أنها تتبع هذا الأسلوب في المعاملة. ويمكن يرجع هذا كله إلى طبيعة المرأة التي يغلب عليها الطابع العاطفي أكثر. فحسب تصريح الأم فإن المعلومات التي تملكها هي معلومات بسيطة جدا مثلا "الإعاقة هي التأخر في نموه ذهنيا". وبالرغم من قلة المعلومات عن الإعاقة وكيفية التعامل مع الطفلة، إلا أن الأم لم تبحث عن معلومات أخرى أكثر عمقا. كما أنها لا تقوم بطرح أسئلة على الأخصائيين حول إعاقة ابنتها، وهي تصرح بأنها غير واعية بإعاقة ابنتها. فهي لا تتبع نظام أو خطة تعليمية معينة، حتى أنها غير مقتنعة بشكل قوي عن نوعية الخدمات المقدمة لهذه الفئة في المراكز التربوية البيداغوجية.

إن أم الطفلة ليست لديها معلومات عن الخدمات المقدمة في المجتمع لهذه الفئة، كما لم يتم تدريبها على أساليب المعاملة مع الطفلة. فلا يوجد من يرشدها وينصحها. وهذا ينعكس كله على رعاية الطفلة. وعندما نتكلم عن الرعاية بصفة عامة نتكلم عن ارتباط هذه الأخيرة بالظروف الاجتماعية والاقتصادية للأسرة، فهذه الطفلة تعيش ظروف إجتماعية وإقتصادية صعبة، الأب عاطل عن العمل والأم أيضا. فالأم تصرح بأن إمكانيات الأسرة المادية غير كافية لرعاية الطفلة المتخلفة ذهنيا إلى جانب الإحتياجات الأخرى للأسرة والأولاد. فالأسرة تعاني صعوبات مادية ونفسية في مجال تربية هذه الطفلة وتلبية إحتياجاتها، حيث لا تخصص مبلغ من الدخل الشهري لسد إحتياجات

هذه الطفلة لأن "الدخل غير كاف لذلك". مثلاً في مجال الرعاية الصحية يتم إصطحاب الطفلة إلى الطبيب في الحالات المرضية الخطيرة حتى يتفاهم المرض، أي أسبوع بعد ظهور المرض، وهي مدة طويلة جداً ممكن أن تؤدي إلى الموت حسب نوع المرض. إضافة على ذلك تصرّح الأم بأنها لا تشتري الدواء بمجرد أن يصفه لها الطبيب، وهذا راجع إلى الفقر. فحسب الأم، الأسرة لم توفر كل الظروف لإدماج الطفلة المتخلفة ذهنياً في المجتمع. وسبب ذلك الظروف الإقتصادية والإجتماعية الصعبة. فالأسرة لا تقوم بتوفير كل ما تطلبه الطفلة المتخلفة ذهنياً ولا تصطحبها إلى زيارات عائلية وحفلات. وهذا يعني أن الأسرة تخجل من حالة الطفلة، حتى أنها لا تسمح لها بالإحتكاك والاندماج مع الأطفال الآخرين، وترجع الأم السبب في ذلك إلى خوفها من إيذاها وعدم إعتمادها على نفسها. فالأم تصرّح بأن الأسرة حقاً مقصرة في حق هذه الطفلة المتخلفة ذهنياً.

ومن خلال ما سبق ذكره، نرى بأن الأسرة تعامل هذه الطفلة معاملة غير جيدة، ولا توفر لها كل الخدمات، وهذا راجع إلى قلة الوعي بتربية الطفلة وصعوبة الظروف الإجتماعية والإقتصادية التي تعيشها الأسرة خاصة في وقتنا الحالي.

عرض الحالة السابعة وتحليلها: طفل متخلف ذهنياً، يعيش في المدينة في منزل تقليدي مع والديه، المستوى التعليمي لوالديه أمي ووالده متقاعد.

الطفل يعيش في أسرة تتكون من 07 أفراد، تأثرت عائلته بإعاقته تأثراً قوياً حسب تصريح الأب، مما أدى إلى عدم تقبله في الأسرة في بداية الأمر، ولكن مع مرور الوقت تم تقبله. فالطفل يعيش في أسرة تعامله معاملة غير جيدة وعدم الإهتمام به، معاملة والديه معاملة متوسطة ومعاملة الإخوة له هي معاملة سيئة، فشعورهم إتجاهه هو القلق والشعور بالذنب واليأس. فالتعامل مع الطفل المعاق هو إزعاج ويتم ضربه عدة مرات ويتبع معه أسلوب الحماية المفرطة ويتم معاقبته والإنزعاج من تصرفاته وأحياناً أفراد الأسرة يتحلون بالصبر في التعامل معه. فحسب تصريح الأب "يعتبر عائلة على إخوته"، الحسرة على مستقبله ومن يكفله في غيابنا"، فالأب لا يفضل التحدث عن إعاقة ابنه نتيجة "الحشمة". وبالرغم من ذلك لم يحم الأب بإخفاء الطفل المتخلف ذهنياً لأنه

"سيكبر ولن يختفي". حسب قول الأب، فهو يرى بأن طفله عاجز عن مساعدة نفسه. فما يمكن إستنتاجه هو أن الأسرة غير متضامنة معه.

من خلال ما سبق ذكره، نرى بأن الطفل يعيش في أسرة علاقاتها مع الطفل هي علاقات غير جيدة تتسم بالخلل والحشمة من حالة هذا الطفل ويمثل لهم إزعاج وقلق، وهذا كله راجع إلى قلة الوعي بتربيته وتلبية إحتياجاته الضرورية أي التكفل به معنويا. فالأب قدمت له معلومات عن كيفية التعامل مع طفله المتخلف ذهنيا وحسبه "الصبر عليه وفهم تصرفاته الخاطئة". فالأب يصرح بأن له معلومات عن طبيعة إعاقة ابنه، فحسبه "لا يستطيع التكفل بإحتياجاته المعنوية". وهذه المعلومات هي معلومات بسيطة جدا تكاد تنعدم. وقد بحث الأب عن معلومات أخرى من طبيب ومن أسر الأطفال المتخلفين ذهنيا. وبالرغم من ذلك، فهو لا يتبع نظام تعليمي مخطط في تربية الطفل، ولكنه مقتنع كليا بالخدمات التي تقدم في المراكز البيداغوجية. إذ أنه لم يتعرف على أخصائيين ومربين يقدمون خدمات لابنهم. ويصرح الأب بأنه غير واعي بمشكلة ابنه المعاق وبمتطلباته وبمدى تفهمه لحجم الإعاقة. فهو يقول بأنه يتلقى صعوبات في التعامل معه، لا توجد لديه معلومات عن الخدمات التي تقدم في المجتمع لهذه الفئة، ولم يتم تدريب أفراد الأسرة على أساليب المعاملة الجيدة مع الطفل. فالأب لا يراقب ولا يشارك ولا ينسق مع المربين.

ومن خلال ما سبق ذكره، فإن تلبية إحتياجات الطفل المتخلف ذهنيا تتوقف على الظروف الإجتماعية والإقتصادية للأسرة، ويتضح ذلك من خلال تصريحات أولياء المتخلفين ذهنيا. مثلا هذا الطفل المتخلف ذهنيا والده متقاعد، يعيش ظروف إجتماعية صعبة، مستواه المعيشي منخفض، حيث يعمل الأب وحده وهو الذي يعيل الأسرة. فهذا الأب يقول أنه لا يخصص جزءا أو مبلغ من الدخل الشهري لسد إحتياجات الطفل المتخلف ذهنيا ورعايته، وهذا "بسبب الظروف المادية للمعيشة". فإمكانيات الأسرة المادية غير كافية لرعاية الطفل المتخلف ذهنيا. وأهم الصعوبات التي تواجهها الأسرة في تربية طفلها المتخلف ذهنيا وتلبية حاجياته هي الصعوبات المادية وكيفية التعامل معه. وفي هذا السياق، فإن الرعاية الصحية للطفل المتخلف ذهنيا تتوقف على الظروف

المعيشية، إذ أن أخذ الطفل إلى الطبيب يكون في الحالات المرضية الخطيرة، بعد يومين من ظهور الأعراض المرضية، وهي مدة طويلة تؤدي إلى تفاقم المرض وزيادة الخطورة المرضية.

ومن جانب آخر نرى بأن الأب لا يقدم النقود لطفله المتخلف ذهنياً، فحسب تصريحه أفراد الأسرة لم يوفرُوا الظروف المناسبة لإدماج الطفل المتخلف ذهنياً في المجتمع.

4- 2- وعي الأسرة بتربية الطفل المتخلف ذهنياً وعلاقته برعايته: من خلال تصريحات آباء الأطفال المتخلفين ذهنياً نرى أن الإعاقة مهما كانت درجتها لها تأثير سلبي على الفرد المعاق وعلى أسرته، حيث تختلف الأسر في موقفها تبعاً لذلك، ويتجدد ذلك في نوع تعاملها مع الطفل المتخلف ذهنياً ودورها في التكفل به ورعايته من جميع النواحي. كما يختلف تعامل الأولياء مع أبنائهم المتخلفين ذهنياً حسب درجة وعيهم، حيث أن الأولياء الذين لديهم وعي يدركون تماماً أن الطفل المعاق لا حول ولا قوة له، هو طفل ضعيف يحتاج إلى تكفل تام، تلبى كل طلباته. وفي هذا الصدد الوالدين يلعبان دوراً هاماً في مساعدة الطفل على الإدماج في الأسرة وتقريبه من أقرانه. ويكون ذلك من خلال إتباع برنامج تربوي يفرض عليهم من طرف المربين في المراكز المتخصصة. وقد يكون عكس ذلك بالنسبة للأولياء غير الواعين. وفي هذا الصدد، وجدنا أن أغلبية أولياء الأطفال المتخلفين ذهنياً صرحوا على أن أفراد أسرهم تأثروا بالإعاقة، مما ترتب على ذلك عدم التقبل الاجتماعي للطفل في الأسرة في بداية الأمر. ومثل هذه التصرفات قد تؤثر على نوعية الرعاية والتكفل.

وتعتبر الأسرة الملجأ الوحيد للطفل المتخلف ذهنياً، وهي المؤسسة الاجتماعية التي يجد فيها الفرد راحته ويتلقى فيها أهم المبادئ الأساسية للحياة، وتبنى علاقات اجتماعية بين أفرادها. والحديث عن العلاقات الاجتماعية يكون مصدره التواصل والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد. وفي هذا المجال الأسرة تلعب دوراً هاماً في إدماج الطفل المتخلف ذهنياً في وسطها الأسري، وقبل إدماجه لا بد عليها أن تساعد على التكيف مع الذات ومع الآخرين. ويتوقف ذلك على التقبل الاجتماعي، فالأسرة التي تتقبل طفلها المتخلف ذهنياً تساعد على بناء

الثقة بنفسه وبالأخرين ويعتبر نفسه أنه شخص مهم في الأسرة غير مهمش ويكون تقديره لذاته غير متدني، وهذا كله يساعده على تعديل بعض سلوكياته، ومحاولة إدماج نفسه في الأسرة والمجتمع حتى ولو كان ذلك بنسبة ضئيلة جدا. والعكس صحيح بالنسبة لبعض الأسر التي لا تتقبل حالة ولدها، ويصيبها القلق والشعور بالذنب، فهو في هذه الحالة يعتبر نفسه عبء على الآخرين. وهذا ما كشفته لنا دراستنا الميدانية، حيث أن عدد كبير من الآباء يعتبرون الطفل المتخلف ذهنيا يمثل لهم إزعاج وقلق، وفي بعض الحالات هو عبء على إخوته، وهذا يؤثر على تقديره لذاته، لا ينمي قدراته ولا يستطيع أن يتكيف اجتماعيا ولا نفسيا. وفي هذه الحالة تسوء مشكلته وتتعقد، وبالتالي لا بد من تدخل علاجي سريع ومكثف لتعديل سلوكياته.

وبما أن أغلبية أسر الأطفال المتخلفين ذهنيا لم يتقبلوا هذا الطفل في أسرهم في بداية الأمر، فإن ذلك أثر على وعيهم بكيفية التعامل مع هذه الفئة، كما أن أغليبيتهم لا يمتلكون معلومات كافية عن كيفية تربية هذا الطفل ورعايته. فأغلبية الآباء لا يتبعون خطة عمل منظمة تبرز كيفية تربية هذه الفئة، ولا يستشيرون مختصين في هذا المجال، مما أثر ذلك على نوعية الخدمات التي يقدمونها لأبنائهم. وفي هذا الصدد فإن أغليبيتهم لا ينسقون مع المربين في الجمعية ولا يحاولون تدريب أطفالهم على مهارات جديدة تساعدهم على الإستقلالية وتحقيق ذاتهم. وكما نعلم أن التربية الخاصة هي مجموعة من البرامج التربوية التي تساعد الطفل على تنمية قدراته ليصبح عضو منتج ومندمج في المجتمع. لكن للأسف الشديد الأسر الجزائرية لا تسعى إلى تحقيق ذلك، فبالنسبة لها الطفل المتخلف ذهنيا يجب توفير له الأكل والملبس ولكنها لا تعرف بأن هذا الطفل لا بد من تنمية مهاراته حتى لو كانت قليلة ليستطيع تدبر أمره، لأن الوالدين لن يعيشوا له مدى الحياة.

وتنمية المهارات لدى الطفل المتخلف ذهنيا هي عملية مستمرة لا بد على الأسرة أن تقوم بها بالتنسيق مع المراكز والجمعيات المتخصصة في هذا المجال. وباعتبار التخلف الذهني هو إعاقة عقلية لا يمكن معالجتها بصفة نهائية، إلا أن هناك طرق للعلاج لتخفيف من حدة الحالة، ومساعدة هذه الفئة على تحقيق

التكيف والاندماج الاجتماعي. ويعتبر إكتساب المهارات من أحسن الطرق لتعديل وتغيير السلوك غير المقبول لدى الطفل المتخلف ذهنياً. فالمهارة حسب إفتراض "حسين زيتون" هي القدرة على أداء عمل أو عملية معينة وهذا الإفتراض الأول. أما الإفتراض الثاني، فتتكون المهارة من مجموعة من الإستجابات أو السلوكات العقلية والاجتماعية والحركية.¹³ وعليه فعلى الأسرة أن تنتهج برنامجاً وتشرف عليه، تهدف إلى تنمية المهارات اليومية اللازمة للطفل المتخلف ذهنياً، لأن مثل هذه المهارات لا يمكنه الاستغناء عنها، فهي جوانب تتعلق بالحياة، منها إجتماعية، حركية، إدراكية... الخ، وإتقانها يعزز ثقة الطفل بنفسه وحتى بالمحيطين به، و يشجعه على الاعتماد على نفسه في تلبية احتياجاته عوض الإعتماد على الآخرين.

وما يمكن إستنتاجه مما سبق ذكره، هو أن أغلبية الحالات التي قابلناها تفتقر إلى معلومات حول كيفية التعامل مع هذه الفئة، وكيفية تربية هذه الفئة، فهم يتركون كل المسؤولية على عاتق المربين والأخصائيين، حتى أنهم لا ينسقون معهم. وهذا ما أكدته لنا المربية، حيث أن الطفل عندما يذهب إلى المنزل لا تحرس أمه على تعويده على المهارات التي تعلمها في المركز بل تتركه يفعل ما يريد. وهذا خطأ يقع فيه الأولياء.

4-3 الظروف الإقتصادية والاجتماعية لأسرة الطفل المتخلف ذهنياً وتأثيرها على نوعية الخدمات: من أهم النتائج المتوصل إليها هي أن أغلبية أولياء الأطفال المتخلفين ذهنياً مستواهم المعيشي بين المتوسط والمنخفض، وأن أغليبتهم يصرحون بعدم قدرتهم على تلبية كل متطلبات الطفل المتخلف ذهنياً. إذ أن رعاية هذا الطفل تتطلب أموال، وهذا يتوقف على حجم الأسرة. فالأسرة التي حجمها كبير تنفق الكثير على أفراد أسرتها منهم الأطفال العاديين إلى جانب هذا الطفل الذي يتطلب رعاية تربوية، إجتماعية وصحية. ولكن تحقيق ذلك من المستحيلات بالنسبة للأسر الفقيرة التي دخلها الشهري منخفض، فهي تعمل جاهدة على تلبية الضروريات فقط وفي بعض الأحيان الضروريات لا يمكن تحقيقها. وقد صرح عدد كبير من أولياء الأطفال

المتخلفين ذهنيا بأن الصعوبات التي يواجهونها في تربية هذا الطفل وفي رعايته هي صعوبات مادية بالدرجة الأولى.

الخاتمة -

من خلال العرض السابق، نرى بأن الأسرة تلعب دورا هاما في حياة الطفل المتخلف ذهنيا، وبإمكانها الوصول معه إلى أقصى درجة من النجاح من حيث التعامل معه وتعديل سلوكاته غير المرغوبة وغير المقبولة اجتماعيا. ويعتبر تنمية المهارات الأساسية للطفل المتخلف ذهنيا من أهم الخطوات الفعالة التي تساهم في تكييفه مع نفسه ومع العالم الخارجي وإدماجه اجتماعيا ويصبح فردا فعالا له مستقبل في هذا المجتمع. وهذا بفضل البرامج الإرشادية المقدمة لوالدي الطفل المتخلف ذهنيا من هيئات معينة أو من مراكز التربية الخاصة.

ويمكن القول أن رعاية الطفل المتخلف ذهنيا في الأسرة الجزائرية تتوقف أساسا على الظروف التي تعيشها الأسرة وأغلبها الظروف المعيشية الصعبة. وعلى الإمكانيات المتاحة للأسرة وبعض العوامل الأخرى كوعي أفراد الأسرة وحجمها وحتى مستواهم التعليمي. ولهذا يصعب على الوالدين تحقيق كل متطلبات هذا الطفل، وفي بعض الأحيان يحرم هذا الطفل من أدنى حقوقه حتى حقه في الرعاية الصحية.

الهوامش -

- 1- قحطان أحمد الظاهر، مصطلحات ونصوص إنجليزية في التربية الخاصة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص 38.
- 2- تيسير مفلح كوافحة، عمر فواز عبد العزيز، مقدمة في التربية الخاصة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2003، ص 58، 62.
- 3- راضي الوقفي، أساسيات التربية الخاصة، ط1، دار النشر غير مذكورة، الأردن، 2008، ص 172.
- 4- تيسير مفلح كوافحة، مرجع سابق، ص 61.
- 5- جمال الخطيب، منى الحديدي، مدخل إلى التربية الخاصة، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 2005، ص 66.
- 6- نفس المرجع السابق، ص ص 68- 69.
- 7- نفس المرجع السابق، ص 69.
- 8- تيسير مفلح كوافحة، مرجع سابق، ص ص 66، 67، 69.
- 9- نفس المرجع السابق، ص 70.
- 10- شاهين رسلان، سيكولوجية أسرة المعوق عقليا، ط1، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 2009، ص 11.
- 11- أسماء سراج الدين، تأهيل المعاقين، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص 166.
- 12- جمال الخطيب، منى الحديدي، التدخل المبكر، مقدمة في التربية الخاصة في الطفولة المبكرة، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1998، ص 348.
- 13- نايفة قطامي، مهارات التدريس الفعال، ط1، دار الفكر، الأردن، 2004، ص ص 17_ 18.

قائمة المراجع:

- 1_ أسماء سراج الدين، تأهيل المعاقين، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2009.
- 2_ تيسير مفلح كوافحة، عمر فواز عبد العزيز، مقدمة في التربية الخاصة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2003.
- 3- جمال الخطيب، منى الحديدي، التدخل المبكر، مقدمة في التربية الخاصة في الطفولة المبكرة، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1998.
- 4- جمال الخطيب، منى الحديدي، مدخل إلى التربية الخاصة، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 2005.
- 5- قحطان أحمد الظاهر، مصطلحات ونصوص إنجليزية في التربية الخاصة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2004.
- 6_ شاهين رسلان، سيكولوجية أسرة المعوق عقليا، ط1، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 2009.
- 7_ نايفة قطامي، مهارات التدريس الفعال، ط1، دار الفكر، الأردن، 2004.
- 8_ راضي الوقفي، أساسيات التربية الخاصة، ط1، دار النشر غير مذكورة، الأردن، 2008.



سبل النهوض بالخطاب المسجدي

فهيمة بن عثمان

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم الإعلام والاتصال، جامعة المسيلة

العنوان: حي 104 أولاد دراج المسيلة

fahimabenathmane28@gmail.com

ملخص -

توصلت الدراسات الأكاديمية و مؤلفات العلماء و الدارسين إلى ضعف الخطاب المقدم في المساجد وقلة تأثيره وفاعليته، مما يستدعي اتخاذ كثير من الإجراءات من شأنها رفع وتحسين مستوى الخطاب المسجدي أهمها:

وضع معايير دقيقة للإطار الديني، وإعادة النظر في نمط التكوين الذي يتلقاه الخطباء، كما يتوجب العناية بالتكوين المستمر للخطباء، والمداومة على التدريب الدائم وتطوير النفس وتحسين الجوانب العلمية.

ولا بد من الاعتناء الجيد بالتحضير، ووضع برامج للخطباء، والتقويم الدائم لما يقدم من أجل الحفاظ على المكتسبات والمنجزات وتصحيح الأخطاء، كما لا بد من اهتمام الخطباء بمعرفة نوعية المخاطبين.

وللنهوض بالخطاب كذلك لا بد من القضاء على العجز المسجل في الإطارات التي تقدم الخطاب، لأن أغلبها لم يكونوا في الأساس لتقديم الخطاب بل لأداء مهام أخرى كالصلاة بالناس الصلوات الخمس وتعليم القرآن الكريم... الخ

الكلمات المفتاحية -

الخطاب المسجدي، سبل النهوض

How To Arouse The Speech In Mosque

Summary –

Most of the academic and most of the authors and scholars discovered the uneetness of the “speech in mosques” so, this leads to doing many things in order to arouse and imprave it .

These achould be concrete norms to the religious frome, and making different formations to that. Also, these should be a good training and improvent to the level of the “imam”

Improving the social psychological life of the “imam “giving enough time to preparing the speech through learning from the esperiences of different scholars ars more over , the “imam” should be aware of the importance what they say of the academic researches .

To improve the level of” the speech in mosques “they should be from the polities and giving some freedom to the “imam”. opening mosques to teachers and scholars to participate too.

Keywords -

The Speech In Mosques- ways of arousing it

مقدمة -

يعد المسجد مؤسسة دينية هامة في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي، وحتى بالنسبة للمسلمين خارج الدول الإسلامية؛ ذلك أنه يحقق الاتصال المباشر الذي يعتبر من أكثر أنواع الاتصال تأثيراً عند أهل الإعلام والاتصال، وهو يقدم رسائل متنوعة الأبعاد الروحية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية والثقافية. وتعتبر عملية إعداد الخطاب المسجدي من أصعب العمليات التي يقوم بها الخطباء لتباين الجمهور الذي يخاطبونه من ناحية السن حيث نجد فيه الشباب والأطفال والكهول والشيوخ والنساء، ومن ناحية المستوى الثقافي والعلمي والاجتماعي والاقتصادي والروحي والنفسي.

وقد توصلت الدراسات الأكاديمية ومؤلفات العلماء التي تناولت موضوع المسجد والخطاب المقدم فيه إلى ضعف وتراجع الدور الذي يقوم به المسجد في حياة الإنسان المسلم، وتوصلت كذلك إلى ضعف الخطاب المنطلق منه رغم أهمية هذا الخطاب في الدعوة والتذكير المستمر بمبادئ الإسلام وقيمه، ويبقى العلماء والباحثون يتدارسون هذا الخطاب بحثاً عن الطرق الناجعة لإعادة تفعيل دور المسجد والخطاب المنطلق منه، ومن هذه الإجراءات الضرورية التي أكد العلماء والباحثون أهميتها ما سيرد في هذا المقال.

أولاً: ضرورة تجديد الخطاب المسجدي

من الثوابت التي يجب التنبيه لها أن تجديد الخطاب الديني والخطاب المسجدي جزء منه، لا يعني بحال المساس بالعقيدة الإسلامية، أو بثابت من ثوابت الإسلام، أو تجاهل حكم شرعي مجمع عليه، أو التغاضي عن آية قرآنية أو حديث نبوي شريف.¹

¹ - أحمد محمد هليل: نحو تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص: 12.

بل التجديد يقع على الخطاب، لأن الخطاب هو الجانب المتغير والإسلام هو الجانب الثابت، والثابت يحمي المتغير من الفوضى والانفلات، والمتغير يعطي عنصر المرونة والحركة ويحميه من الجمود.¹

وإذا كان الحديث اليوم عن ضرورة تجديد الخطاب الديني بصفة عامة، أينما كان موقعه، فالإصلاح والتجديد أصبحا ضرورة، فإن الخطاب المسجدي جزء من الخطاب الديني، وأمر تجديده صار ضرورة ماسة من ضرورات نهضتنا من الكبوة المريعة الراهنة.² والجميع يلاحظ ما آل إليه أمر الخطاب المسجدي، حين صار كلمات حفظت وتعاد، لا حركة، لا تأثير، لا تخطيط... الخ.

إن القصور المعيب في الخطاب المسجدي لا يمكن معالجته بحركة محدودة وإجراءات جزئية، فالأمر أكبر من أن يعالج على هذا النحو، فهو يستدعي نهضة عالية شاملة، تعتمد على سلامة المعتقد، واستقامة النظرة، وحسن الفقه، والدراسة لواقع المجتمع.³

لا يمكن تحسين الخطاب المسجدي بالحلول أو الإصلاحات الجزئية التي تمس جانبا وتترك جانبا، بل يجب الالتفات إلى كل الجوانب التي من شأنها أن تجعل الخطاب المسجدي يرتقي ويتحسن، سواء تعلق الأمر بنظرة الدولة والوزارة للمساجد ووظيفتها الهامة في المجتمع، أو بنظرتها للقائمين على هذه المساجد، في مجال الاختيار والإعداد والتكوين، ومواصلة الاهتمام برفع مستواهم أثناء مزاولتهم لرسالة الإمامة من خلال تفعيل التكوين المستمر، والعمل على رفع المستوى العلمي والأدائي للأئمة والعناية بالجانب المادي... الخ.

إن الخطاب المسجدي في حاجة إلى دراسات جادة نظرية وميدانية، من طرف العلماء والباحثين الأكاديميين وفرق البحث وذوي الفكر والرأي،

¹ - المرجع نفسه، ص: 13.

² - محمد الفران: مظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط1، 2007، ص: 09.

³ - علاء الدين علي بن إبراهيم بن العقار الدمشقي: أدب الخطيب، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، ص: 11.

ليستخلصوا المشكلة، ويصنعوا دواءها، وما الدراسات الأكاديمية التي عالجت الموضوع إلا لبنات في طريق الإصلاح والمراجعة، وما زال الخطاب المسجدي يحتاج إلى دراسات تواصل التعمق باحثه عن الطرق والحلول الممكنة لإصلاح أمر الخطاب المسجدي، ويمكن إجمال أهم الاقتراحات والرؤى التي سجلها العلماء الذين تطرقوا لموضوع الخطاب المسجدي وكذا الباحثين الأكاديميين فيما يأتي:

ثانياً: وسائل النهوض بالخطاب المسجدي

1 - وضع معايير دقيقة لاختيار القائمين بالخطاب المسجدي:

ميزة القائمين بالخطاب المسجدي أن له رسالة مقدسة هي توجيه الجماهير نحو خالقها عقدياً وفكرياً وسلوكياً، ولن يأخذ الناس دينهم إلا عمن توسموا فيه الميل الديني والخلقي والسلوكي والعلمي، أي أن يكون بمثابة القدوة في كل مجالات الحياة العقدية والفكرية والسلوكية... الخ، فهو مربى وأب روعي للجماهير، لذا لا بد من وضع معايير مضبوطة وشروط دقيقة وشاملة يجب مراعاتها عند اختيار أو قبول كل من يتقدم لرسالة الإمامة، على أن تشمل الشروط والمعايير حفظ القرآن الكريم، والاستقامة الخلقية والسلامة النفسية من العقد والأمراض، كما تولي اهتماماً كبيراً للمستوى العلمي والفكري والقدرات العقلية، وكذا الجانب الخلقي والسلوكي للإمام، إضافة إلى سلامة الأعضاء والحواس.

فالخطباء يجب أن يكونوا على قدر من الاستقامة وحسن الأخلاق حتى يكونوا قدوة للدارسين ولجماهيرهم،¹ وقد قال محمد الغزالي رحمه الله: "فالدين أحق أن يشتغل فيه رجال لهم صفاء المألأ الأعلى".²

وحتى لا يعرض الناس عن الإسلام وعن المسجد بسبب القائمين عليه، وكم يحدث ذلك في كثير من المساجد، حين يعرض الناس عن المسجد وعن الخطاب

¹ - عبد الله الوشلي، المسجد ونشاطه الاجتماعي، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط1، 1990، ص: 320.

² - محمد الغزالي، ليس من الإسلام، دمشق، سوريا، دار القلم، ط1، 1999، ص: 19.

المقدم فيه بسبب تصرفات الخطيب وغلظته وسوء أدبه وأخلاقه، أو انحرافه في بعض الأحيان، والجرائد تطالعنا كل يوم بانحرافات أخلاقية خطيرة يقع فيها الخطباء فلا تكون المصيبة عليهم فقط، بل على المساجد ورسالتها، وهم يمثلون قدسية المسجد وقدسيتها الرسالة التي يقومون بها، لذلك لا بد من:

- حسن اختيار الإطارات الدينية التي ستقوم برسالة الإمامة.¹
- القيام ببناء مقاييس واختبارات يعتمد عليها في اختيار الأئمة كمقاييس القدرات والاستعدادات الضرورية والاتجاهات نحو هذه المهمة.
- توافر الميل والاستعداد الشخصي والرغبة التامة عند هؤلاء الأشخاص لتحمل أمانة التبليغ.
- يجب التركيز على الجوانب السلوكية والأخلاقية والاستقامة عبر الطريق السوي، حتى يكون الإمام الخطيب قدوة لمن يراه ويسمعه ويحتك به، وأن يركز على تصحيح الباطن كما يحرص على ذلك في الظاهر.²
- ينبغي أن يكون اختيار هؤلاء الأشخاص بعد اختبار شخصي يصل حتى إلى أهلهم وفضلهم، ليتم بعد ذلك إعدادهم على مراحل متعددة، فهم لا يقلون خطراً عن تخريج ضباط الشرطة والبحرية والطيران والجيش والأطباء... الخ، أو فرق المبشرين الذين تتوفر لهم كل السبل والمساعدات التي تعمل على إنجاحهم في تأدية رسالتهم وإن كانت باطلة.³

¹ - أمينة أحمد حسن: دور المؤسسات التربوية في إعداد الداعية، بحوث مؤتمر دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعاة، دار الثقافة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، القسم الأول، الرياض، 1409هـ/1988م، ص: 278.

² - عبد الله الوشلي، مرجع سابق، ص: 312.

³ - عبد الفتاح عبد الله بركة: خطة مقترحة لتكوين الداعية، المفتي، المتخصص: القسم الأول من بحوث مؤتمر دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعاة، دار الثقافة للنشر، جامعة محمد بن سعود، الرياض، 1409هـ/1988م، ص: 112.

2 - ضرورة إعادة النظر في نمط التكوين:

يتلقى الأئمة تكويننا قبل الالتحاق بمراكز عملهم كل حسب تخصصه، فالإمام المدرس يتكون مدة سنتين والإمام المعلم ثلاث سنوات والإمام الأستاذ يتخرج من الجامعة، والتكوين الذي يتلقونه في مراكز تكوينهم هو "تنمية منظمة وتحسين للاتجاهات والمعرفة والمهارات ونماذج السلوكيات المطلوبة في مواقف العمل المختلفة من أجل قيام الأفراد بمهامهم المهنية أحسن قيام وفي أقل وقت ممكن".¹

ويتشكل المنهاج التعليمي الذي يتلقونه من أهداف وبرامج وطرق للتدريس وتقويم لكل ما يتلقونه.²

لكن التكوين الذي يتلقاه الأئمة في المعاهد الدينية لتكوين الإطارات الدينية تسجل عليه بعض الملاحظات نجلها في النقاط الآتية:

__ المستوى العلمي المطلوب للتكوين: خريجو المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية والذين يوجهون للقيام بمهمة الخطاب المسجدي يلتحقون بمستوى علمي ودراسي ضئيل (الثالثة ثانوي)، وهذا المستوى العلمي قليل إذا ما نظرنا لصعوبة المهمة المنتظرة منه وهي تقديم خطاب لجمهور كبير ومتباين ومتنوع والجمهور المسجدي من أصعب الجماهير.

__ مدة الدراسة: عامين، هي مدة دراسية غير كافية تماماً لتحصيل المهارات والمعارف المطلوبة لأداء رسالة الإمامة، التي تتطلب تكويناً متكاملاً في مجالات عديدة شرعية، دعوية، اتصالية، نفسية، اجتماعية، علمية... الخ، ومدة عامين لا تكفي لتحصيل العلوم الشرعية لوحدها، فضلاً عن إضافة مواد لغوية واجتماعية... الخ مما يجعل الإطار الديني متواضع المعارف والمهارات، فلا يستطيع إنتاج خطاب في مستوى الرسالة الشاملة للمسجد، خطاب يستطيع مد

¹ - غياث بوفلجة: الأسس النفسية للتكوين ومناهجه، وهران، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص: 05.

² - لحسن بوعبد الله وغيره: تقويم العملية التكوينية بالجامعة، قسنطينة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998م، ص: 11.

الجمهور المسجدي بالشحنات الإيمانية التي تجدد إيمانه وتجعل الإسلام حيا في فكره و سلوكه، والخطاب الفعال يعيد المسجد لأداء أدواره المطلوبة منه، في ظل ما يعيشه المسلم المعاصر في حضارة مادية، وحملات التشويه التي تتجه إلى كل مقدساته من دين وتاريخ وانتماء ووطن... الخ.¹

أما خريجو المؤسسات الجامعية الإسلامية والذين يوظفون لرسالة الإمامة أيضا برتبة إمام أستاذ، فيسجل على تكوينهم وجود الفجوة بين مختلف التخصصات في مجال العلوم الإسلامية، حيث نجد خريجها ضعيفا في مواد شرعية يهملها تخصصه، فخريج تخصص "الدعوة والإعلام" مثلا لا يعرف الفقه وأصوله، والحديث وعلومه، وخريج الفقه لا يعرف أسلوب الدعوة ومناهجها... الخ، إضافة إلى غياب مواد هامة لأداء رسالة الإمامة تعد بمثابة الأدوات كأسلوب الخطابة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وطرق الإقناع والاتصال والتأثير... الخ، فالجامعة تخرج إطارات بمعارف ومعلومات تفتقر لأدوات التبليغ والإرشاد والوعظ، والتكوين المستمر الذي يتلقاه الخطباء بعد التحاقهم بمراكز عملهم يعمل على القضاء على هذه الثغرات، كما أن وزارة الشؤون الدينية تخضع الخطباء للتكوين بعد اجتيازهم مسابقات التوظيف لرسالة الإمامة.

وحبذا لو يختار أغلب الخطباء من خريجي المؤسسات الجامعية الإسلامية، ولا يرسلون إلى المساجد إلا بعد إخضاعهم لتكوين معمق قصير المدى يتلقون فيه نظرة شاملة لطبيعة رسالة المسجد، والوظائف المنتظرة منهم، وتزويدهم بطريقة وأسلوب العمل المسجدي، وتمكينهم من المهارات والأدوات التي بواسطتها يبلغون حقائق الدين الإسلامي المتعلقة بالعقيدة والعبادات والمعاملات، وأن تجلب لهم خلال هذا التكوين قصير المدى أساتذة من أصحاب الكفاءات العلمية

¹ - فهمية بن عثمان، نمط تكوين الأئمة في الجزائر: دراسة نظرية و ميدانية، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، قسم الدعوة والإعلام، جامعة باتنة، 2005، ص: 218- 219.

العالية في مجال تخصصهم المعرفي والعلمي، وفي تمكنهم من طرق التدريس التي تزرع وتنمي فيهم قدرات الاعتماد على النفس، وتولد فيهم روح الإبداع والتجديد.

- حبذا لو تتعاقد وزارة الشؤون الدينية مع المؤسسات الجامعية الإسلامية لفتح تخصصات (أقسام الدعوة) تستقبل الطلبة الراغبين في التكوين للالتحاق برسالة الإمامة والإرشاد (الأئمة والمرشدين الدينيين) على أن يتم انتقاء هؤلاء الطلبة وفق معايير أخلاقية وعلمية ... الخ، ويتم تكوينهم وفق منهج خاص لمدة كافية، وتراعي الجامعة في وضع برامج هذه التخصصات طبيعة قطاع الشؤون الدينية، والمعارف والمهارات الضرورية التي يجب أن تزود بها هذا الإطار، ويجب التأكيد على ضرورة معرفتهم لأساليب الدعوة وطرق الاتصال والإقناع والتأثير، ومعرفة الجمهور ونفسياته وتركيبته وخصائصه، إضافة إلى معرفة طرق الخطابة والعلوم الشرعية.¹

- من الواجب أن يشمل إعداد الخطباء وتكوينهم الجوانب المختلفة لشخصية المسلم البدنية والعقلية والروحية والسلوكية والعلمية والثقافية.

- لا بد من جعل المناهج التي يتلقاها الأئمة مستوعبة للدراسات النفسية والاجتماعية وللمذاهب الفكرية السائدة.²

- ضرورة الاعتناء بالإعداد الروحي من قراءة مستمرة للقرآن الكريم، وللاذكار المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقيام الليل، لأنها تمد القائم بالخطاب بحسن الخلق، وتمده بالطاقة التي تجعله يقبل على العمل الدعوي دون كلل أو ملل.

¹ - كمال لعربي: الدور الإقناعي للإمام: دراسة وصفية لدور الإمام كقائم بالاتصال في ولاية جيجل، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم الدعوة والإعلام، كلية أصول الدين و الشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2005_2006، ص: 302.

² - الشريف مرزوق: اتجاهات الأئمة نحو الأساليب التربوية، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 1998_1999، ص: 189.

- إدراج مادة حفظ القرآن الكريم وتجويده كمادة أساسية في أقسام الدعوة، بحيث لا يتخرج الطالب من هذا القسم إلا وهو يحفظ القرآن الكريم كله حفظاً جيداً ويحسن تلاوته.

- وضع برنامج طويل المدى لجعل الأئمة الخطباء كلهم من خريجي المؤسسات الجامعية الإسلامية، وتوجيه خريجي المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية لتعليم القرآن الكريم وترتيله ولأداء الصلوات الخمس، ولا بد من إتاحة فرصة التكوين بهذه المعاهد للمؤذنين والقيمين، خاصة وأن كل هؤلاء (الإمام المعلم، ومعلمي القرآن الكريم، والمؤذنين) يقومون باستخلاف الأئمة في أحيان كثيرة، كل ذلك لرفع مستوى الخطباء المسجدي وبالتالي ضمان فعالية المسجد.

3 - ضرورة العناية بالتكوين المستمر للخطباء:

ما من داعية أو عالم أو صاحب رسالة يتكون مرة واحدة في حياته، ثم يقول: لقد امتلكت المعارف والأدوات فيقطع عن المطالعة والعمل الدائم لتطوير نفسه، ومدتها بالمهارات والمعارف باستمرار.

القائم بالخطباء المسجدي له جمهور عريض صعب، مما يتطلب منه مراجعة نفسه باستمرار، ومراجعة معارفه وتطوير مهاراته، فالتكوين والإعداد غير مرتبط فقط بمرحلة الدراسة، بل يستمر مدى الحياة كي لا يبقى راكداً المعلومات والمهارات فيتجاوز الزمن لذا على الخطباء أن:

- يواصلوا تكوينهم الدائم من خلال الانتداب بالمعاهد والجامعات، ومن خلال الندوات والتربصات المختلفة، داخل الوطن وخارجه، بالإضافة إلى الندوات التربوية التكوينية والملتقيات، والأيام الدراسية المختلفة، وبغير هذا فلن يستطيع الخطباء مواكبة التطورات الكبيرة والسريعة الحاصلة في المجتمع وفي العالم، ويجد الخطيب نفسه أقل علماً وتجربة، وأعجز عن التأثير في الجمهور الذي يخاطبه، وربما نظر إليه البعض على أنه شخص متخلف، أو أقل شأنًا من أن يستمع له.¹

¹ - كمال لعريبي، مرجع سابق، ص: 131.

إن مثل هذه اللقاءات والفضاءات تجدد العهد عند الأئمة برسالتهم وتطور معلوماتهم، وتصحح الأخطاء التي يقعون فيها، كما يرجى من الوزارة الوصية ومن مديريات الشؤون الدينية المبادرة الدائمة بعقد ملتقيات وطنية ودولية، لتكون مجالاً يستفيد منه الخطباء ويخرجهم من الروتين والرتابة التي قد يتعودون عليها، وفرصة للقاء العلماء والشخصيات الدعوية التي تساعدهم في حل أهم المشاكل التي تعترضهم أثناء أداء رسالتهم، وتعينهم كذلك على رسم الأهداف والغايات التي يجب أن يسعوا لتحقيقها من خلال خطابهم.

- على الوزارة الوصية ومديريات الشؤون الدينية أن تعمل على بقاء التحصيل والرقي العلمي مستمر لدى الأئمة بعد تخرجهم وذلك بتطوير أساليب التكوين المستمر.¹

- ينبغي تكثيف الدورات التأهيلية للخطباء وأن يشمل جزء منها على التبصر بالواقع الذي يحيط بالخطيب ويعيش فيه، لتكون خطاباته واقعية تعالج ما يعانيه الناس ويلتمسون حلولاً له.²

- الإكثار من المحاضرات الموجهة للخطباء، وكذا التربصات، وفتح المجال للاستفادة من تجارب العلماء والخبراء عبر العالم العربي والإسلامي من خلال الزيارات والندوات والاتصال عبر وسائل الاتصال العصرية.³

- ما دام التكوين المستمر إجباري، و تخصص له الوزارة الوصية مبالغ مالية، فهي تعول عليه في رفع مستوى الخطباء، لذا لا بد أن يركز التكوين على تعريف الخطباء بجوانب الإنسان وحياته العقلية والنفسية والروحية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية، ولا بد أن يراعي المحيط الذي يعيش فيه الخطيب سواء المحيط الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي.⁴

¹ - المرجع نفسه، ص: 131.

² - عبد الله الوشلي، مرجع سابق، ص: 312.

³ - الشريف مرزوق، مرجع سابق، ص: 131.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 189.

إن التكوين المستمر هو الفضاء الذي يضمن التلاقي بين الخطباء لتبادل الخبرات ، و تجديد المعارف ، لذا لا بد من التركيز عليه و التعويل عليه لرفع مستوى الخطباء، و تجديد معارفهم و ثقتهم بأنفسهم من خلال التشجيع الدائم لهم على أداء رسالة الدعوة إلى الإسلام في كل المواقف والتجمعات، ولا بد أن تعمق المعارف للخطباء من خلال هذا التكوين حين يركز على دراسات الجمهور وطرق التأثير، وأساليب الإقناع، و علم النفس الذي يفهم بواسطته سلوك الناس وأحوالهم.

وحبذا لو يدعى إلى التكوين المستمر الذي يقدم للأئمة كباء العلماء والباحثين، ليفيدوا الخطباء ويرفعوا مهاراتهم ومعارفهم ليؤدوا عملهم على أحسن وجه، ويحبذ فيه كذلك تنويع أساليبه ومواضيعه، فيأتي على شكل حوار أو درس أو شريط فيديو يتابع جماعيا من طرف الخطباء، أو محاضرة أو ملتقى... الخ، كل ذلك لإبعاده عن الرتابة والروتين وليكون نافعا أكثر ومفيدا لكل القائمين بالخطاب المسجدي.

التكوين المستمر ليس ما تقدمه الوزارة الوصية أو مديريات الشؤون الدينية فقط، بل يجب أن يقوم به الخطيب اتجاه نفسه، ليطورها بالمطالعة والاطلاع على مناهج أكبر الدعاة في الدعوة والتبليغ و التعامل مع الناس، ويعمل على الاتصال بالعلماء والدعاة ما دامت وسائل الاتصال متاحة للجميع، كما عليه أن يكون نفسه من الناحية الروحية لأنها عمل فردي أو شخصي، بالقراءة المستمرة للقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وقيام الليل و قراءة الأذكار ليتزود بالطاقة الروحية التي تساعد على أداء واجبه الرسالي ، كما عليه أن يقرأ سير الصحابة والتابعين والعلماء، لأنها تجعل الإنسان يرتقي في همته و سلوكه وتزرع فيه روح المبادرة والتضحية وحب العطاء وعلو الهمة.. الخ .

4 - التدريب الدائم وتطوير النفس:

يخاطب المسلم من كل مكان من الانترنت والتلفزيون، والإذاعة، والسينما، والمجلات... الخ، هذه الوسائل الإعلامية التي تتفنن في اختيار كل ما يؤثر في الجماهير من كلمة، وصورة، وألوان... الخ، لتؤثر في فكر وعقلية وسلوك الجمهور ليتبع ما تقول وتروج، والقائمون على وسائل الإعلام يسعون باستمرار

لتطوير أنفسهم، واكتساب الكثير من المعارف والمهارات الجديدة المهمة في مجال عملهم لينجحوا في جلب الجماهير والتأثير فيها.

يقوم خطباء المساجد بعملية اتصالية هامة بالنظر إلى قداسة رسالتهم، وتنوع جمهورهم وصعوبته، مما يتطلب منهم السعي الدائم لاكتساب المهارات والمعارف الجديدة، وتجديد ما سبق لهم معرفته، وذلك بالمطالعة الدائمة، والتعامل مع وسائل الاتصال العصرية، والتدريب العملي على طرق تقديم الخطاب، والتدريس والحوار والمناقشة والتعامل مع الناس، وحبذا لو أن مديريات الشؤون الدينية تنتبه لكل ذلك فتبرمجه في ندوات التكوين المستمر تحت إشراف مختصين وباحثين ومشايخ مجربين أكفاء.

وإذا كان الخطاب المسجدي يراعي المناسبات الدينية والوطنية والعالمية، فالخطيب مجبر على إعادة الحديث في مواضيع عديدة تتطلبها عودة المناسبات، فهو مجبر على البحث والمطالعة من أجل التجديد في طرق المعالجة وتنوع زوايا النظر، كي لا يقع في فخ الاجترار والتكرار والروتين، وكي لا يمله الجمهور ويحتقروا معارفه، ولا سبيل إلى التجديد إلا بتأمل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وبالمطالعة الدائمة والاستماع لمحاضرات العلماء وتأمل واقع الجمهور والمجالات التي يحتاجون التوجيه فيها، أو الإشادة بحسن تصرفهم في مجال معين، ذلك أن الخطيب لا يتكلم عن الظواهر السلبية فقط بل يدعم كل ما هو ايجابي في المجتمع... الخ

لابد للخطيب من اختيار المواضيع التي تهم الجمهور، وأن يراعي وحدة الموضوع فيها، وأن لا يكرر الخطب، بل يتناول المواضيع كل مرة من زاوية، وأن يغير في الخطبة الثانية، بأن لا يلتزم صيغة واحدة، وأن يستفيد من المناسبات الإسلامية، وأن يبين العبر والدروس من هذه المناسبة.¹

¹ - مصطفى مراد: روضة الخطباء وكيف تكون خطيباً ناجحاً، دار الفجر، القاهرة، ط2،

5 - ضرورة توسيع ثقافة الخطباء النفسية والاجتماعية:

الثقافة النفسية ضرورية وهامة للقائمين بالخطاب المسجدي، خاصة وأنهم يقومون بالاتصال المباشر، حيث يمكنهم فهم نفسيات جمهورهم وظروفه ونقاط قوته وضعفه، وفهم مشاكلهم فإذا أحسن معرفة كل ذلك أمكنه التأثير فيهم، وأمكنه معرفة نقطة البداية ونقطة الوصول مع هذا الجمهور.

إن الثقافة النفسية هي التي تؤهل القارئ بالخطاب لفهم جمهوره من نظراته ومن تصرفاته، وهذا ما جعل أحد العلماء يقول لمن سألته: "هل للقاتل من توبة؟" قال: "لا"، ويجب آخر عن السؤال نفسه بـ "نعم".

كما أن المعرفة الاجتماعية للجمهور تؤهل القارئ بالخطاب لطرح المواضيع التي تهمهم وترشدهم ليجدوا الحلول في خطابه، والتعزية فيما يصيبهم من مصائب... الخ.

6 - ضرورة اعتناء الخطباء بتحسين جوانبهم العلمية:

لا يعقل أن يظل الخطيب يجتر كلمات تعود قوتها، ومعلومات امتلكها منذ أيام تكوينه؟ بل الأولى أن يعمل بجدّ ليحسن مستواه العلمي بالمطالعة المستمرة لشتى أنواع الكتب، والإطلاع على وسائل الإعلام المختلفة ليمتلك المعلومة الجديدة، وليعرف ما يجري حوله سواء في بلده أو في عالمه الإسلامي، أو عالمه الإنساني ليكون ابن عصره وابن زمانه، يعرف ما يؤثر في جمهوره، ويطلع على الرسائل التي تتجاذب هذا الجمهور، والظروف النفسية والاجتماعية والأخلاقية التي يعيشها، لذا يجدر بالخطيب النظر حوله، والنظر في وسائل الإعلام وفي الكتب وفي مجتمعه لمعرفة:

- نفسيات وطبيعة الجمهور الذي يخاطبه حتى يقف منهم موقف المعلم الحاذق، ويعرف كيف يوجههم إلى عمل أو يردهم عن آخر بما له من كياسة ودراية بتربية الغرائز ومعالجة الميول الجامحة.¹

¹ - عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1981، ص: 113.

- ضرورة اجتهاد الخطباء ودأبهم عن القراءة، وأن يقرأ الخطيب أكثر من تفسير للقرآن الكريم، وأن يطلع على الكتب الدينية والمقالات الصحفية التي تتعرض للشؤون الدينية، وبغير هذا الإطلاع يصير الخطيب كالماء الآسن يعيد نفسه، ويميل الناس سماعه، والخطباء السياسيون تتجدد موضوعاتهم تلقائياً، أما خطيب المسجد فهو المسؤول عن اختيار موضوعه كما هو مسؤول عن طريقة إعدادة ومعالجته.¹

- ضرورة انتباه الخطباء ووعيهم بمميزات المرحلة الحالية، لأن الناس يعيشون الفراغ الروحي الواسع الذي تعيشه الجماهير نحو المعلومة الدينية، وأن الناس بدؤوا يسأمون أكثر فأكثر الفكر المادي، وعلى الخطباء في المساجد أن يقدموا الغذاء الروحي ويسدوا الفراغ الحاصل في عالم الروح، وقد نشط في هذا المجال رجال الديانات الأخرى، مع أن الإسلام أغنى وأفيد وأقنع.²

- تعلم الثقافة الحديثة خصوصاً درس علم النفس وما يحتاج إليه الخطيب الحديث لتجديد خطبته وجعلها ذات مساس بقلوب سامعيه.³

- ضرورة استفادة الخطباء من الوسائل العلمية الحديثة لتحصيل العلم ورفع مستواهم.⁴

- لا بد من معرفة الخطباء لقواعد الشريعة، وأن يعرفوا كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لبيّنوا للناس الهوية الإسلامية المعاصرة ويقدموا الدروس والمواعظ والإرشاد والندوات العلمية، وليحلوا للناس مشاكلهم الاجتماعية ويوجهوا المجتمع.⁵

¹ - مرجع نفسه، ص: 113.

² - مرجع نفسه، ص: 113.

³ - المرجع نفسه، ص: 112.

⁴ - مرجع نفسه، ص: 320.

⁵ - الشريف مرزوق، مرجع سابق، ص: 166.

7 - الاعتناء بالتحضير الجيد للخطاب:

التحضير المبني على إعمال الفكر، والتذكر واختيار الكلمات المناسبة والمواضيع المناسبة كذلك، والاستنتاج وتوليد الأفكار وتدوينها، واكتساب مهارة القراءة المفيدة.¹ ذلك أنه من الخطباء من لا يحضر خطابه أصلاً، فيكتفي باعتلاء المنبر وقول كل ما تذكره من المواعظ، ومنهم من يحضر بعجلة لحظات فقط قبل تقديم الخطاب، لكن الأنسب أن يحضر الخطيب تحضيراً جيداً، يؤدي به إلى حسن اختيار الموضوع وحسن تقديمه للسامعين، ليكون مؤثراً ومفيداً.

8 - توعية الخطباء بالأهمية الكبيرة لمنبر المسجد في الدعوة :

المسجد هو المكان الأساسي لتبليغ مبادئ الإسلام للجمهور المسلم، فهو مصدر أساسي لتلقي الثقافة الإسلامية لكثير من فئات المجتمع، فليس كل الأفراد يتابعون البرامج الدينية المقدمة في القنوات الفضائية، وليس كل أفراد الجمهور المسجدي يطالعون الكتب ويقرؤون القرآن الكريم، إذ أن منهم الأميون، لذا مازال المسجد وسيظل منبعاً أساسياً في حياة المسلم، يجدد فيه إيمانه ويذكره بتعاليم الإسلام ومبادئه ويأخذ منه ثقافته الدينية.

9: القضاء على العجز المسجل في الإطارات الدينية

من الأسباب الهامة لضعف الخطاب المسجدي العجز في الإطارات الدينية المؤهلة لتقديم الخطاب في المساجد، حيث نجد مساجد كثيرة يخطب فيها معلمي القرآن الكريم، وهم لم يعدوا أصلاً لهذه المهمة بل لتحفيظ القرآن الكريم أو للصلاة بالناس الصلوات الخمس، وللنهوض بالخطاب المقدم في المساجد لا بدّ من مدها بالإطارات المؤهلة لذلك، ولا بد من تزويد المساجد بطاقم بشري متكامل من إمام خطيب ومرشدة دينية وإمام للصلوات الخمس ومعلم للقرآن الكريم ومؤذن وقيم، ذلك أن المسجد مؤسسة دينية كبيرة لا يجب أن يسودها العمل الفردي، بل يجب أن تتضافر فيها جهود فريق متكامل يعملون

¹ - عبد الجليل عبده شلبي، مرجع سابق، ص: 112.

جميعا من أجل تفعيل دور المسجد و إعادته ليكون محور الحياة في المجتمع منه ينطلقون و إليه يعودون.

إن العمل الجماعي يعمل على تقسيم الأدوار، والتعاون، ودراسة النقائص والمشكلات، ويقلل من التعب وكثرة الأعباء والمهام الملقاة على الأئمة، فهم يحضرون جلسات الصلح والأفراح والجنائز... الخ وعملهم كفريق يساعدهم على تقسيم الأدوار، وضمان استمرار الأعمال المسجدية دون انقطاع. كما أن العمل الجماعي في المسجد يبعد عن الملل والكلل، لذا لا بد من إبعاد المسجد عن العمل الفردي وتزويده بالإطارات الكافية ليعملوا في إطار طاقم متكامل يكمل بعضه بعضا، ويهدف الجميع إلى خدمة بيوت الله و الدعوة لمبادئ الإسلام و عقيدته.

لذا لا بدّ من القضاء على العجز المسجل في الإطارات الدينية الواجب تواجدها في المسجد، ذلك أن المسجد مؤسسة دينية كبيرة لا يجب أن يسودها العمل الفردي، بل يجب أن تتضافر فيها جهود فريق متكامل من إمام خطيب و مرشدة و إمام الصلوات الخمس ومعلم القرآن الكريم... الخ

10: ضرورة الاهتمام بمعرفة نوعية المخاطبين

الإنسان إذا لم يعرف من يخاطب قد يخطب خطبة عشواء، وقد يستهين فلا يحضر، ولا يكلف نفسه عناء تطوير معارفه ومداركه ومهاراته، فيقول كل ما يريد قوله، وهو يظن أنه وحده العالم ووحده العارف، وما على السامعين إلا السمع والطاعة؟ لكن الواقع عكس ذلك فالجمهور المسجدي جمهور صعب لأنه متنوع ولأنه كبير ولأنه متباين، فيه الغني والفقير، والعالم والجاهل، والمتعلم والأمي، والمطيع والعاصي والضال والمستقيم، فيه الكبير والصغير والمرأة والرجل، فيه المتواضع والمتكبر والمغرور... الخ أفيستهان بهذا الجمهور؟ وهل من سلامة الفكر أن يؤتى إليه بلا تحضير جيد وبلا استعداد، كل هذا الجمهور ينتظر ما سيقوله الخطيب، الكل يريد أن تمسّ كلمات الخطيب عقله وروحه وكأنها تتوجه لكل واحد في هذا الجمهور لتأخذ بيديه إلى الطريق الصحيح، ألا يتطلب هذا الجمهور التفكير العميق والعميق جدا من الخطباء لاختيار مواضيع تهّم

كل هؤلاء، وتؤثر فيهم، وتعطيهم شحنات إيمانية تعدل فكرهم وسلوكهم وباطنهم وعلاقتهم.

إذا أراد القائمون بالخطاب المسجدي النجاح في إيصال رسائلهم إلى جماهيرهم فليكنوا عن الاستهانة بهذا الجمهور وليعرفوه على حقيقته، وليعملوا بجد كي لا يخيبوا أمله فيهم، كي لا يدفعوه للحضور إلى المسجد وكأنه مجبر على الحضور فقط ولأنه يفترض عليهم الحضور، بل يجب أن يشدهم الخطاب شوقاً إليه، ليجدوا فيه الأمان والتوجيه ويأخذ بيد كل واحد منهم ليستقيم في علاقته مع الله تعالى، ولينجح في علاقته مع نفسه ومجتمعه... الخ.

ولا بدّ للخطباء كذلك من معرفة رجع الصدى، أي أثر وانطباع الجمهور حول الرسائل المقدمة إليه من طرف الخطيب، أي أن يحاولوا معرفة ردات فعل الجمهور اتجاه ما يقدمونه له، وعليهم أن يعرفوا كذلك مدى وصول رسائلهم لهذا الجمهور، ومدى تبليغهم ليفهم الجمهور ما أرادوا قوله له بطريقة صحيحة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل الناس إذا ما وعوا وفهموا عنه؟ فيقول: "ألا هل بلغت؟" فيجيبون: "بلى يا رسول الله"، وكان لا يواصل حديثه حتى يسمع إجابتهم فيقول: "اللهم فاشهد"،¹ إلا أن الخطاب الإسلامي الحديث ما زال لم يعط هذه المسألة حقها (رجع الصدى) وبقي الأمر متروكاً للصدف، ففي الغالب يلقي الخطيب خطابه ولا يهتم بمعرفة نتيجة خطابه أو موقف الجمهور من هذا الخطاب.

11: ضرورة التخطيط والتقويم والمراجعة ووضع برامج للخطاب

التخطيط فن حياتي وأسلوب في العمل² والملاحظ للخطاب المقدم في المسجد يجد أن فئة من الخطباء يخطبون خطبة عشواء، سواء في اختيار المواضيع، أو بسوء عرضها أو بعدم التحضير الجيد، أو بعدم التحضير أصلاً،

¹ - حديث: "ألا هل بلغت..."، رواه البخاري.

² - عبد الله عبد الدايم: التخطيط التربوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1965، ص:

والاكتفاء باعتلاء المنابر وتقديم مواعظ عامة فيها الأوامر والنواهي عن كل ما تذكره الخطيب من طاعات ومعاصي، فيخرج الجمهور وليس في قلبه شيء مما قدّم، لأن الموضوع لم يكن محدداً، ومن الخطباء من يختار موضوعه بلحظات قليلة قبل موعد تقديمه، كل ذلك أدى بالخطاب إلى التدهور وإلى استهانة الجماهير بالخطباء وبما يقدمونه.

إذا أراد القائلون بالخطاب المسجدي أن يكون خطابهم فعّالاً ومؤثراً فلا بد أن يسطروا له أهدافاً واضحة ومحددة في أذهانهم مسبقاً يستطيعون على ضوءها تقييم ما تمّ تحقيقه، ويعيدوا رسم الخطط للنجاح فيما تعثروا فيه . إن الأولى أن يكون هناك تخطيط من قبل كل خطيب، تخطيط سنوي، وتخطيط شهري وتخطيط أسبوعي، تخطيط تحدد من خلاله الغايات، وتدرس فيه الطرق والوسائل، وتناقش فيه المنجزات وكيفية الحفاظ عليها، وتفكير في الصعوبات وسبل تذليلها، أما السير العشوائي، بلا أهداف وبلا غايات ودوافع، وبلا برامج، وهذا حال أغلب الخطباء، وحال أغلب المساجد، فلن يوصل الخطاب المسجدي إلا إلى ما وصل إليه.

فحري بالخطباء أن تكون لديهم أهدافاً وبرامجا يسعون لتحقيقها مع الجماهير المسجدية المتعطشة للخطاب الديني الحي الحركي، الذي يمس واقعهم ومشاكلهم و واقعهم، فإذا ما أخفقوا في تحقيق كل الأهداف فلن يفوتهم تحقيق بعضها.

وقد اقترح صاحب كتاب أدب الخطيب وضع برنامج شهري في كل مسجد، ويعلق على الباب، ويبين للناس على الأقل موضوع خطبة الجمعة القادمة، ومدتها، ليكون المصلي على بينة، ويجعل الخطبة الثانية مطلقة يتكلم فيها عما يجدّ بعد إعلان موضوع الخطبة الأولى ويجعلها موعظة عملية.¹

¹ - علاء الدين بن إبراهيم بن العقار الدمشقي، مرجع سابق، ص: 191.

ومن علامات التخطيط كذلك المنهجية في العمل، حيث يكون البدء بإصلاح الأفراد أولاً، ثم التكلم عن إصلاح الأسر والبيوت، ثم البحث عن الإصلاح العام...¹

وحري كذلك بمديريات الشؤون الدينية والمفتشين مساعدة الخطباء في رسم الغايات، وتحديد الأهداف، والتخطيط لإنجاح رسالة المسجد. إن غياب التخطيط و المراجعة والتقويم كانت له مضاعفات خطيرة تتمثل في تكريس الرداءة الفكرية، وتكريس الرداءة على مستوى الأداء وفقه الانجاز، و تكريس ظاهرة الاستئفاف أو البداية الصفرية المزمنة في الجهد البنائي للأمة.²

12_ ضرورة العناية بالأذان:

بما أن الأذان خطاب ينطلق من المسجد خمس مرات في اليوم، مؤكداً على التوحيد، ووجوب المسارعة للصلاة التي هي عماد الدين، وينادي كذلك إلى فلاح المسلم من خلال أداء واجباته التعبدية، و هو يذكر المؤمن و الغافل بالإسلام و بالصلاة، و لذا كلما تم تأديته بطريقة موحية بمعانيه كلما تحققت الثمرات المرجوة منه.

يؤدي الأذان في أغلب الأحيان متطوعون يؤدونه ببعض الأخطاء، أو بطريقة غير مؤثرة وغير موحية بمعانيه، لذا لا بد من إعداد المؤذنين الذين يتمكنون من أدائه بطريقة صحيحة، تتناسب وهذه المهمة العظيمة التي شرف بها النبي على الله عليه وسلم بلالاً لصوته الجميل وأدائه المميز، وقد بدأت وزارة الشؤون الدينية في إعداد المؤذنين وتخرجت أول دفعة في جوان 2013، فلا بد من تعميم هذا الإجراء ليكون في كل مسجد مؤذنًا مكونًا تكوينًا صحيحًا يؤهله لذلك، لأنه في بعض المساجد يؤدي بطريقة مزعجة للسامعين لا تراعى قدسيته، ويجب أن يختار المؤذنون من:

¹ - المرجع نفسه، ص: 191.

² - الطيب برغوث: موقع المسألة الثقافية من التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، دار الينابيع، الجزائر، ط1، 1993، ص: 06.

- أهل الصلاح والتقوى والسلوك الحسن.
- أن يكونوا على علم ومعرفة بأحكام الأذان وآدابه وألفاظه حتى لا يقع في تغيير بعض الألفاظ التي قد تغير المعنى وتصرفه إلى معنى آخر، وكى لا يزيد فيه ما يخرج عن المألوف في الأذان الشرعي.
- أن يكون حسن الصوت مؤثرا بنغماته على القلوب.¹

13_ تنوع وسائل وطرق الخطاب:

منذ زمن بعيد غلب على الخطاب المسجدي طابع الرتابة والروتين، والتكرار، فهناك خطبة، وهناك دروس، ولا شيء غيرهما، وهناك خطيب ألفه الناس وعرفوا مستواه، وأسلوب خطابه، وحفظوا مواضيعه، وهم يتوجهون للمساجد لأنه فرض عليهم حضور الجمعة والأعياد.

إذا أريد للخطاب المسجدي أن يتحرك، ويؤثر ويجلب اهتمام الجمهور، وإذا أريد للمساجد أن تدب فيها الحياة من جديد، فتكون نقطة انطلاق كما كانت، وقدوة فلا بد من التنوع في وسائل الخطاب، وفي القائمين بالخطاب، وفي زمن تقديم الخطاب، بإقامة حوارات مفتوحة أحيانا، وعرض لأشرطة فيديو، ودعوة لعلماء وأساتذة كبار، ولابد من عقد الندوات والمليقات بالمساجد، وتخصيص أوقات للأطفال، وتفعيل العمل المسجدي الموجه للمرأة المسلمة التي تعمل وسائل الإعلام على تغيير فكرها ولباسها وسلوكها وأسلوب حياتها، وكذلك يفعلون مع الشباب .

14_ توفير الحماية والحرية للأئمة ومراجعة المنظومة القانونية التي تحكم

الإمام:

لا بد أن يؤدي القائمون بالخطاب المسجدي رسالتهم في جو من الحرية، يفكرون ويبدعون ويعملون على إصلاح كل ما يروونه عوجا وفقا لما تمليه الشريعة الإسلامية من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ويربون أفراد المجتمع، ويذكرونهم وقد قال تعالى: ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدُّكْرَىٰ ۚ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الذاريات: 55]

¹ - عبد الله الوشلي، مرجع سابق، ص: 312

لكن إذا سلب القائم بالخطاب حرية وتؤعد بشتى أنواع العقاب، وإذا عرف أنه مترصد، وأن أصابع الاتهام موجهة إليه في كل قضية، وأن هناك خطوطا حمراء يجب أن لا يتعداها ولا تعرض للمساءلة أو العقاب، وإذا فرضت عليه رسائل هو غير مقتنع بها ليقنع بها الجمهور، وإلى لقاء الجماهير بمواضيع بعيدة عن واقعهم الذي يريدون رأي الخطيب ونصائحه فيه، وسيقدم مواضيع لا تمس الزمن الذي يعيشونه، ولا الاهتمامات التي تشغلهم، وبذلك يكون خطاب المسجد بعيدا عن واقع الناس وبعيدا عن مجريات الأحداث، فلا يكون خطبا مؤثرا أو مهما، وستبقى الجماهير تنتظر من الخطباء مواضيع فيقابلونها بمواضيع أخرى، فتتسع الهوة بين الخطباء وجماهيرهم، ويعيدونها في كل مرة إلى الماضي والماضي البعيد، ويمجدون ذلك الماضي ويبكون عليه مرارا، ويتمنون عودته، ويظل الحاضر غائبا عن خطابهم وكأنهم لا يعيشونه، والأصح أنهم ربما منعوا وربما خوفوا من الخوض فيه، ويتسرب الملل إلى خطاب المساجد وتغلب عليه الرتابة ويضجر الناس منه ويتحول الخطيب إلى إنسان غير معاصر وربما سمعه الناس ولسان حالهم يقول: "خطبت فكنت خطبا لا خطيبا".¹

كي يتم النهوض بالخطاب المسجدي يجب أن لا تسلب حرية الخطباء، وأن لا يجبروا على قول أشياء لا يريدون قولها، ولتظل مهمتهم الأساسية الدعوة لعقيدة الإسلام ومبادئه و تربية المجتمع على هذه القيم و المبادئ، وليظلوا عنصر رقابة على الأفراد والمجتمع يمنعونه من الانحراف والرديلة، فهم بمثابة صمام الأمان في المجتمع ينتفضون كلما حدث خرق للقيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية، فلتعطى لهم الحرية التامة ليؤدوا رسالتهم، ولترفع عنهم كل العقوبات، وأصابع الاتهام في كثير من القضايا.

¹ - محمد جميل: مقومات الخطبة الناجحة، الدورة التدريبية لخطباء الجمعة الأفارقة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الدار البيضاء، 1997، ص: 426.

15- فتح المساجد أمام العلماء والأساتذة للمشاركة في تفعيل دور

المسجد:

لابأس إن فتحت المساجد أمام العلماء و الأساتذة المشهود لهم بالعلم والأخلاق وعدم الانتماء السياسي والحزبي ليشاركوا في تأطير المساجد، من أجل تفعيل دور المسجد، ولكي ينفعوا المجتمع بعلمهم خاصة إن كانوا من خريجي المؤسسات الجامعية الإسلامية، وذلك وفق التنظيم الجاري به العمل بأخذ ترخيص من المجلس العلمي بمديرية الشؤون الدينية، ولا بد من رفع العراقيل أمامهم لأن الأمة تحتاج إلى علمهم، والمساجد بحاجتهم لتؤدي رسالتها، ولا نقصد تمكينهم من إلقاء الدروس والخطب فحسب، بل المساهمة في عقد الندوات والملتقيات والأيام الدراسية بالمساجد.

خاتمة -

هذه بعض الإجراءات و الملاحظات التي من شأنها رفع مستوى الخطاب و تحسينه، و بالتالي تفعيل رسالة و دور المسجد في المجتمع و في حياة المسلم، لا يمكننا الجزم أن الحل يكمن في هذه الإجراءات فحسب، لكننا نؤكد أن البحث في هذا الموضوع يستحق مزيدا من الاهتمام من أجل الوصول إلى إيجاد الطرق التي من شأنها إحياء رسالة المسجد ليكون حاضرا بقوة في حياة المسلم، و يمكننا القول أن وجود إمام فعال في المسجد يساهم بشكل كبير في تفعيل المسجد.

والخلاصة مما سبق أن مراجعة الخطاب المسجدي باحثين عن الطرق الناجعة لتفعيله أصبحت ضرورة حتمية، يضطلع بها العلماء و الباحثون ،مادام المسجد مركزا هاما للدعوة و تذكير الجمهور المتعطش للرسالة الدينية، إذ كلما خططنا للخطاب وراجعناه و قومناه كان تأثيره أكثر.



مفهوم السياحة في التراث الإسلامي

عبد العالي بوعلام

جامعة غرداية

العنوان: 18 شارع بن مختار سليمان حي ثنية المخزن غرداية

Boualem40000@yahoo.fr

ملخص -

يعتبر مفهوم السياحة أحد المفاهيم التي انتشرت مؤخرا؛ وأحدثت ضجة كبيرة في وسائل الإعلام وفي الدراسات الأكاديمية؛ نظرا لقيمة ما تدره السياحة في السياسات الاقتصادية لبعض البلدان الإسلامية وغيرها. وقد اخترت تقديم هذا المقال محاولا فيه توضيح مفهومها وما تتضمنه من عناصر في ظل الشريعة الإسلامية؛ نظرا لما يرتبط بهذا المفهوم من تصورات وأفعال تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية.

الكلمات الدالة -

مفهوم - السياحة - التراث الإسلامي - المفهوم المعاصر

The Concept Of Tourism In Islamic Heritage.

Abstract-

The Concept Of Tourism Is One Of The Concepts That Has Sprang Up Recently And Caused Sensation In The Media And The Academic Studies Due To The Value Of Its Economic Policies Of Some Islamic And Other Countries. Therefore, I Have Opted To Present This Article In Which I Try To Explain The Concept Of This Term And Evaluate Its Legitimacy According To The Islamic Law As This Concept Is Linked To The Perceptions And Actions Inconsistent With The Provisions Of Islamic Law.

Key Words -

The Concept/ Tourism/ In Islamic Heritage The Contemporary Concept

تمهيد -

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما وبعد،
لقد انتشر مصطلح السياحة في هذا العصر الحديث في وسائل الإعلام الداخلية والخارجية وتداول على لسان السياسيين والاقتصاديين والمثقفين وغيرهم، حتى أنه لقد ارتبطت به سياسات الدول الاقتصادية وعُدَّ من مداخل ميزانيتها وأحد مقوماتها الأساسية، كما عدَّ أيضا من سياسات أمنها القومي ووسيلة لخلق فرص العمل فكان لابد من التعرّيج على مفهومها وماهيتها وإلقاء نظرة عليها بعيون من التراث الإسلامي، حتى يكون الإنسان المسلم على بينة من أمره منه، فكانت خطة هذا المقال كالتالي:

أولا- تعريف السياحة

ثانيا- أركان السياحة

ثالثا- أنواع السياحة

رابعا- الحكم الشرعي للسياحة

خامسا- معاني لفظ السياحة في الإسلام

سادسا- الآثار الايجابية والسلبية للسياحة

سابعا- ضوابط السياحة المشروعة في الإسلام

أولا- تعريف السياحة:

1- لغة:

السياحة من مادة: س ي ح، إستمرار شيء والسياحة الذهاب في الأرض للعبادة والترهب أو غيرها والسائح المتنقل في البلاد للتنزه أو للاستطلاع والكشف ونحو ذلك.

¹ - انظر محمد بن منظور، لسان العرب، ط1، 1408هـ، دار إحياء التراث العربي، ج6، ص451 (مادة: س ي ح)، (دون ذكر بلد الطبع) وانظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تخرّيج. إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، (دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها)، ج1، ص469.

2- اصطلاحاً: عُرِّفت السياحة بأنها:

"تلکم التفاعلات الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة الناتجة عن وصول زوار إلى إقليم أو دولة بعيد عن موطنهم الأصلي والتي توفر الخدمات التي يحتاجون إليها وتشبع حاجياتهم المختلفة طول فترة إقامتهم"¹.

وجاء في تعريفها أيضاً أنه:

"يُقصد بالسياحة عنصر السفر والانتقال الذي يقوم به الإنسان بعيداً عن مقر إقامته المعتاد لأي غرض يتوفر فيه دافع من دوافع السفر والسياحة بكل أنواعها، كالرغبة في التثقيف أو العلاج أو الاستجمام أو الترويح عن النفس أو التعريف أو الاطلاع على حياة الشعوب الأخرى وعاداتها في مدة طويلة أو قصيرة"².

ويمكن تعريفها بشكل أفضل بأنها:

هي نشاط يقوم به فرد أو مجموعة أفراد يحدث عنه انتقال من مكان إلى مكان آخر أو من بلد إلى آخر؛ بغرض أداء مهمة معينة أو زيارة مكان معين أو عدة أماكن أو بغرض الترفيه وينتج عنه الإطلاع على حضارات وثقافات أخرى وإضافة معلومات ومشاهدات جديدة والالتقاء بشعوب وجنسيات متعددة يؤثر تأثيراً مباشراً في الدخل القومي للدول السياحية ويخلق فرص عمل عديدة وصناعات واستثمارات متعددة لخدمة النشاط ويرتقي بمستوى أداء الشعوب وثقافتهم وينشر تاريخهم وحضاراتهم وعاداتهم وتقاليدهم ويشكل حالياً صناعة هامة وواعدة تقوم على أسس من العلم والثقافة.

¹ - محمد خميس الزوكه، صناعة السياحة من منظور جغرافي، 1997م، دار المعرفة الجامعية، ص39، دون ذكر رقم الطبعة وبلد الطبع).

² - ناصر عبد الله العبيد، حماية السائح بين الشريعة والنظام، رسالة ماجستير، جامعة نايف، 2003، الرياض، ص20- 21.

ثانياً - أركان السياحة¹: تتمثل أركان السياحة في:

1- السائح:

هو الفرد الذي يقوم بنشاط السياحة.

2- الدول المضيفة:

وهي الدول التي تقوم بتقديم كافة الخدمات للسائح، وتعمل على توفير ما يحتاجه من مستلزمات من أجل خلق جو سياحي ممتع.

3- المعالم السياحية (بكافة أنواعها):

تتحدد معالم السياحة بنوع السياحة من سياحة بيئية وتسويقية وعلمية وعلاجية وغيرها.

4- نمط السياحة:

يقصد به تحديد شكل هذه السياحة، أي سياحة داخلية في الدولة ذاتها، بين مدنها الغنية بمعالم سياحية، أم سياحة خارجية تتعدى حدودها.

ثالثاً - أنواع السياحة²: تتنوع السياحة إلى عدة أنواع على حسب النشاط

لمراد تحصيله منها، إلى:

1- السياحة الدينية:

يقصد بها قيام الفرد بالانتقال من مكان إقامته إلى الأماكن المقدسة في دولته ذاتها أو بالانتقال إلى دولة أخرى، كزيارة المساجد والأضرحة أو أماكن العبادة، مثل: مكة والمدينة وبهذا النوع من السياحة يقوى الوازع الديني وينعش الجانب الروحي.

2- السياحة العلاجية:

وهي قيام الفرد بزيارة المنتجعات الصحية مثلاً والحمامات ذات المياه المعدنية والمصحّات العلاجية وغيرها؛ إذ يكون الهدف من هذه السياحة علاج الجسد من الأمراض في مراكز مثلاً، تمتلك كفاءات عالية، مع ترفيهه على النفس.

¹ - خالد محمد، تعريف السياحة، <http://www.wahati.org/3239>

² - انظر عبد الكريم حافظ، الادارة الفندقية والسياحة، ط1، 2003م دار أسامة، الأردن، ص

3- السياحة الاجتماعية:

وهي قيام الفرد بالرحلات الجماعية في أيام الإجازات للترفيه وزيادة النشاط النفسي والجسدي له وتكون مع جماعات كثيرة وتحمل مسؤولية تلك الشركات المعنية؛ مقابل مبلغ يقدمونه لها؛ بحيث تؤمن لهم جواً رائعاً وتنظم لهم برنامجاً مناسباً؛ لزيارة الأماكن وتوفر لهم أماكن للإقامة.

4- سياحة المؤتمرات:

هذا النوع من السياحة يعد حديثاً، فلقد ازدهر مع التطورات التي صاحبت المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية فسياحة المؤتمرات تكون بعمل مؤتمرات متنوعة في مختلف البلدان يتوجه إليها الأفراد لحضورها مع الترفيه؛ بحيث تكون مجهزة بأماكن للإقامة وقاعات لحضور المؤتمرات ووسائل اتصال وخدمات كثيرة وغيرها.

5- السياحة الرياضية:

هي نوع جديد ينحدر من كلا الناحيتين: الناحية السياحية والناحية الرياضية فهي تعني الذهاب إلى بلد ما للقيام بممارسة نوع معين من الرياضة، إما لأنها موجودة فقط في ذلك البلد أو من يشابهه أو بسبب الرغبة في الذهاب إلى هذا البلد أولاً بسبب أنه هو البلد المختار للسياحة وثانياً للعب وممارسة الرياضة المطلوبة في نفس البلد كالذهاب إلى البلاد التي بها تتساقط فيها الثلوج للتنزه والتمتع بمناظرها ولممارسة رياضة التزلج على الجليد أو على الثلج، كما تقتصر السياحة الرياضية على ممارسة الرياضة فقط فهناك من يهوى المشاهدة، مثل: السفر لبلد ما أو لحضور مقابلة أو منافسة في رياضة معينة فبالتالي تعتبر سياحة.

6- سياحة التسوق:

وهي السياحة التي يقوم بها الأفراد في بعض الدول التي تقيم مناسبات للتسوق؛ بحيث تعرض منتجاتها بأسعار مخفضة؛ من أجل جذب السياح.

7- السياحة الترفيهية:

هذا النوع من السياحة يقوم الأفراد فيه بالتوجه إلى الأماكن التي تتميز بجو مريح وفيها المياه والغابات الخلابة وهدفهم من ذلك التوجه إليها هو الترفيه والاستمتاع؛ كما أنهم يمارسون فيها هواياتهم المفضلة.

8- السياحة الثقافية:

حيث يهتم بهذا النوع من السياحة المثقفون والمهتمون بالعالم الحضارية والتاريخية، مثل: الحضارة الفرعونية والحضارة في بلاد الشام وبلاد الرافدين.

9- سياحة التجوال:

هذه السياحة حديثة؛ إذ يقوم الأفراد فيها بالتوجه سيراً على الأقدام نحو الأماكن الجميلة ذات الطبيعة الغنية الخلابة، فيستمتعون بالتجوال فيها ويقيمون في خيم برية.

10- السياحة البيئية:

وهي قيام الأفراد بالانتقال وزيارة المحميات البيئية النباتية والحيوانية؛ من أجل عمل دراسات حولها والاطلاع على الأسرار البيئية.

11- سياحة المغامرات:

الهدف من هذه السياحة، هو الاطلاع على غرائب العيش في بعض المناطق والقيام ببعض الرياضات، كتسلق الجبال وسباق الدراجات والغوص في أسرار الوديان والصيد والعمل بكل ما هو غريب.

12- سياحة السيارات والدراجات:

تكون هذه السياحة محتكرة في بلاد معينة فقط وهي تلك التي تمتلك طرقاً واسعة وسريعة التواصل مع البلدان الأخرى وتتوفر فيها جميع الخدمات اللازمة من إسعاف وصيانة وغيرها.

13- سياحة المعارض:

تكون هذه السياحة متنقلة بين الدول التي تقيم معارض مختلفة من فنون تشكيلية ومعارض صناعية ومعارض أدبية وتجارية وغيرها.

رابعاً- الحكم الشرعي للسياحة¹:

ليس للسياحة حكم شرعي واحد خاص بها وإنما تنطبق عليها الأحكام الخمسة المعروفة شرعاً:

- 1- فتكون واجبة: كالسفر لأداء مناسك الحج.
 - 2- وتكون مستحبة: كالحج والعمرة لمن قضى فرضه، وكزيارة المسجد النبوي والأقصى ومسجد قباء لمن كان في المدينة والسفر لطلب العلم وصلة الرحم والزيارات الأخوية.
 - 3- وتكون مباحة: وهي ما كانت للتجارة والاستجمام والتطبيب وقد يؤجر العبد عليها بالنية الصالحة.
 - 4- وتكون مكروهة: عند الإكثار من السفر؛ إذ من المقرر أن الإكثار من المباح مكروه؛ لأنه يشغل عن عبادة الله - عز وجل - وبناء المجتمع.
 - 5- وتكون محرمة، في حالات مثل:
 - أ- السفر إلى بلاد المعذبين من قبل الله تعالى، كديار ثمود مثلاً: يقول بن حجر العسقلاني عند شرحه للحديث الذي يدل على إسراع النبي صلى الله عليه وسلم عندما مرّ من ديارهم: وهذا يتناول مساكن ثمود وغيرهم ممن هو كصفتهم وإن كان السبب ورد فيهم.
 - ب- عندما يكون الغرض طيباً، لكنه مخالف لما جاء في أحكام الدين الإسلامي، كالسفر لأماكن البدع.
 - ج - وقد يكون الغرض محرماً من الأساس: كسياحة الترفيه وحضور المهرجانات الغنائية ولعب القمار والميسر ونحو ذلك.
- وللأسف فإن مفهوم السياحة عند إطلاقها عند كثير من الناس، يراد به هذا النوع المحرم.

خامساً- معاني لفظ السياحة في الإسلام:

كانت نشأة السياحة قديماً مرتبطة بحاجة الإنسان إلى الأمن والغذاء والتمتع واكتساب المعارف والعلوم وحتى في الوقت المعاصر لا تكاد تختلف عما

¹ - انظر فهد باهمام، حكم السياحة في الاسلام

<http://www.fikhguide.com/tourist/travel/201>

كانت عليه قديما من حيث إن معانيها الأمن والغذاء والتجارة والتمتع وطلب المعرفة، أما لفظ السياحة في الإسلام فيراد به معان أخرى يمكن أن نجملها فيما يلي¹:

1- السياحة بمعنى الجهاد:

جاءت السياحة بمعنى الجهاد في سبيل الله؛ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله...) ². وجاء في الأثر، أن السياحة ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أبدلنا الله بذلك الجهاد في سبيل الله والتكبير على كل شرف) ³. وجه الدلالة من الحديثين واضحة في أن السياحة بمعنى الجهاد.

2- السياحة بمعنى الصيام:

أتت السياحة بمعنى الصيام، لكنه معنى معنوي، لقد جاء في تفسير قوله تعالى: (...السَّائِحُونَ...) (التوبة: 112).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "السائحون: الصائمون" ⁴.

3- السياحة بمعنى المهاجر أو طالب العلم:

قال العزّبن عبد السلام في شرح قوله تعالى: (...السَّائِحُونَ...) (التوبة: 112)، فقال: "المجاهدون أو الصائمون أو المهاجرون أو طلبة العلم" ⁵.

¹ - انظر هاشم ناقور، أحكام السياحة، ط1، 1424هـ، رسالة ماجستير، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ص37- 41.

² - أبو داود، سنن أبي داود، ط2، 2005م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، رقم 2486، ص284 وقد قال في رسالته لأهل مكة: "كل ما سكت عنه فهو صالح".

³ - عبد الله بن المبارك، الجهاد، دار المطبوعات الحديثة، جدة رقم 17، ص 68.

⁴ - ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، ط6، 2014م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج6، ص484.

⁵ - العزّبن عبد السلام، تفسير القرآن، ط1، 1416هـ، دار ابن حزم، دمشق، ج2، ص53.

4- السياحة بمعنى السير في الأرض للاعتبار: وهذا الاعتبار نوعان:

أ- السير في الأرض من أجل النظر في آثار الهالكين، قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (غافر: 81).

ب- السير في الأرض للوقوف على بديع خلق الله والتفكير والاعتبار:

ليكون ذلك باعثا للنفس البشرية على قوة الإيمان بوحداية الله وليكون عوناً لها أيضاً على أداء واجبات الحياة فإن ترويح النفس ضروري لأخذها بالجد بعد ذلك، قال تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (العنكبوت: 19).

سادساً- الآثار الايجابية والسلبية للسياحة:

للسياحة آثار ايجابية وسلبية تعود على المسلم ومجتمعه تتمثل في النقاط التالية:

1_ الآثار الايجابية¹:

أ_ انتشار دين الله: وهذا يكون من عدة نواح:

- من خلال الجهاد وهو أحد معاني السياحة.
ومن خلال أن السائح غير المسلم، يأتي بمحض إرادته إلى ديار الإسلام؛ ليزور آثارها ويتعرف على تاريخها وهي فرصة لعرض الإسلام عليه على حقيقته.
أيضاً: من خلال أخلاق السائح المسلم في بلاد الكفار: فكم من قلوب فتحت بالأخلاق!

ب_ انتشار العلم الشرعي والعلوم الأخرى:

فبالجهاد في سبيل الله انتشرت الجيوش الإسلامية في الأرض من لدن الصحابة إلى عهد الدولة الأموية التي انتشرت فيها العلوم التي لها علاقة بالدين الإسلامي وفي عهد العباسيين انتشرت حركة العلم من الطب والرياضيات والكيمياء وغيرها ولقد ساح المسلمون إلى كل البلدان ونهلوا من كل علوم الأمم ومحصولها ونظفوها ونظموها، تطبيقاً لقوله تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ

¹ - انظر هاشم ناقد، مرجع سابق، ص 255 - 266.

لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (التوبة: 123).

ج. ازدهار التجارة والاقتصاد: إن من فوائد السياحة انتعاش الاقتصاد وتنوع وتعدد أنواع التجارات بين البلدان، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) (الملك: 16)

قال ابن كثير: أي: "فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها، في أنواع المكاسب والتجارات"¹؛ بحيث تكثر مداخيل الدولة بكثرة سواحها وما ينفقونه من أموال في تلك البلاد، مما ينجم عنه القضاء على جزء من مشاكل تلك الدول، من مثل: البطالة وتوفر رؤوس الأموال الأجنبية وغيرها.

د- التعرف على الأوطان الأخرى:

ويكون هذا من خلال التنقل إلى تلك الأقاليم وزيارة أهلها والتعرف على عاداتهم وتقاليدهم والنظر في أحوالهم.

هـ- مشاهدة المناظر الخلابة، والآثار العامرة:

تعمل السياحة على مساعدة الأمم على الاطلاع على بديع خلق الله سبحانه وتعالى والتفكير في إرادة الله وقدرته على إعمار الأرض.

2- الآثار السلبية للسياحة: إن للسياحة آثار سلبية يمكن إجمالها فيما يلي²:

أ- التأثيرات الكفارية وتقليدها:

فقد أمر الشارع بمخالفة اليهود والنصارى والمشركون في العديد من النصوص الشرعية، إلا أن السياحة قد تفتح باب التقليد والمتابعة لهم، قال صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم)³، كمتابعتهم في بعض الأفعال المنهي

¹ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط2، 1987، دار المعرفة، بيروت، ج4، ص424.

² هاشم ناقور، مرجع سابق، 267 - 276.

³ انظر أبو داود، مصدر سابق، كتاب اللباس باب في لبس الشهرة، رقم 4031، ص 441 وقد قال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح.

عنها، إن في الشكل الظاهر أو في شكل اللباس أو في هيئة السفر واستماع الموسيقى وغيرها من المحرمات.

يقول عبد الرحمان بن خلدون: " إن المغلوب مولع دائماً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إما لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس بغلب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب".¹

ب- صعوبة الالتزام بالشرع:

حيث إن كثرة الفساد في بلاد الكفار يجعل الإنسان المسلم في حرج وصعوبة ومشقة في امتثال أمر الله وتطبيق أحكام دينه، كندرة الأكل الحلال، وكثرة الفسوق والفجور وإيجاد جو المعصية.

ج- الإسراف في الترويح على النفس والبدن:

حيث إن هذا العنصر سيؤدي إلى الاستخفاف بأهمية العمل ومداومته وبعظمة المجاهدة المستمرة واليقظة الدائمة وقد يؤدي هذا الخلل إلى ترك بعض الواجبات الشرعية أو الدنيوية وإلى ترك بعض التكليف أو كله - لا قدر الله تعالى - وإشغال النفس بما لا ينبغي الاشتغال به وذلك بسبب الفراغ الذي تكون عليه النفس في مثل هذه الظروف وقد قيل سابقا: أن النفس إذا لم تشغلها بالحق اشتغلت بالباطل وإذا لم تلهها بالمعالي والمقاصد، ألهتك بالسفاسف والمفاسد.

د- الإسراف والتبذير في الأموال:

حيث إن التبذير والإسراف في النفقات والمصروفات، يؤدي إلى إضاعة المال وقد علم أن من مقاصد الشريعة حفظ المال وصونه من كل ضياع وصرفه في مجالاته وبمقاديره وشروطه وقد يكون هذا الإسراف ذريعة لحصول فقر أو وقوع حاجة في المستقبل وقد يكون ذريعة أيضا لإحياء العُجب والافتخار في نفس المنفق المسرف وقد يكون ذريعة إلى تفويت حقوق مالية وأدبية أخرى كثيرة، كتفويت حق قريب تعينت النفقة عليه، أو حق أسير أو محتاج أو مظلوم أو يتيم أو أرملة أو

¹ - عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة، الفصل الثالث والعشرون، دار الفكر، ص 147، (دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها)

غير هؤلاء ممن لزم الإنفاق عليهم وسد حاجاتهم وتفريج كربهم، بموجب النصوص الإسلامية الداعية إلى واجب النظر في أمور العامة، فضلا عن الأمور الخاصة.

هـ- قتل الأوقات والضياع لها:

هذا الأمر يؤدي إلى إخلال وهفوات كثيرة وخطيرة، ومن هذا: الاستخفاف بالوقت الذي أقسم الله به لمكانته في تعميره بذكر الله وبالصالح الخاص والإصلاح العام.

و- ارتكاب المحظورات:

تعتبر السياحة مجال خصب لارتكاب المحظورات، ومن جملة تلك المحظورات، سفر النساء وحدهن بدون محرم واختلاط الرجال مع النساء.

سابعا- ضوابط السياحة المشروعة في الإسلام¹:

لقد جاءت شريعتنا الحكيمة بكثير من الأحكام التي تنظم السياحة وتضبطها وتوجهها كي تحافظ على مقاصدها التي سبق ذكرها، ولا يتجاوز بها إلى الانفلات أو التعدي، فتصير السياحة مصدر شر وضرر على المجتمع، ومن تلك الأحكام:

- 1- تحريم السفر إلى مسجد من المساجد بقصد تعظيمه، إلا إلى ثلاثة مساجد؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى)². وجه الدلالة: واضحة في تحريم السفر لغير الثلاثة مساجد.

¹ - انظر محمد خالد منصور وخالد شجاع العتيبي، مجلة الدراسات للشريعة والقانون، عمان، الأردن، 2009م، رقم 36، ص 768 - 775.

² - البخاري محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري: "الصحيح الجامع" شركة القدس، القاهرة، كتاب فضل الصلاة في مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مكة والمدينة، رقم 1189، ج1، ص 330 (دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها) ومسلم ابن الحجاج، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا...، رقم 1397، ج2، ص 590.

2- جواز سياحة الكفار غير المحاربين لجزيرة العرب، دون الإقامة فيها وهذا كله عدا الحرم؛ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب...) ¹.

وجه الدلالة: واضحة في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ومعلوم أن السائح إقامته ليست بالطويلة وبالتالي يجوز له السياحة فيها فقط لأجل التجارة أو طلب المعرفة، لا للمتعة.

3- جواز دخول الكفار كل البلاد الإسلامية ماعدا الحرم ولكن بضوابط معينة جاءت نصوصها في العهدة العمرية ²:

كتب أهل الجزيرة إلى عبد الرحمان بن غنم، إننا حين قدمتم بلادنا طلبنا إليكم الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا، على أنا شرطنا لك على أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا كنيسة ولا فيما حولها ديرا ولا قلاية ³ ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب من كنائسنا ولا ما كان منها من خطط المسلمين وألا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار وأن نوسع أبوابها ولا نضرب بنواقيسنا إلا ضربا خفيا في جوف كنائسنا ولا نظهر عليه صليبا ولا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون وألا نخرج صليبا ولا كتابا في سوق المسلمين وألا نخرج باعوثا ولا شعائين ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين وألا نجاورهم بالخنازير ولا ببيع الخمر ولا نظهر شركا ولا نرغب في ديننا ولا ندعو إليه أحدا ولا نتخذ شيئا من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين وألا نمنع أحدا من أقاربنا أرادوا الدخول في الإسلام وأن نلزم زينا أينما كنا وألا نتشبه بالمسلمين بلبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نكتني بكناهم وأن

¹ البخاري، المصدر نفسه، كتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، رقم 3168، ج2، ص380.

² ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ط1، 1997م، دار الرمادي للنشر، الدمام، الرياض، ص1159 - 1160.

³ القلاية: بناء كالدير، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ج4، ص386.

نجز مقادرم رؤوسنا ولا نفرق نواصينا ونشد الزناير على أوساطنا ولا ننقش خواتمنا بالعربية ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله ولا نتقلد السيوف وأن نوقر المسلمين في مجالسهم ونرشدهم الطريق ونقوم لهم عن المجالس إذا أرادوا الجلوس ولا نطلع عليهم في منازلهم ولا نعلم أولادنا القرآن ولا يشارك أحد منا مسلما في تجارة إلا أن يكون إلى المسلمين أمر التجارة وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام ونطعمه من أوسط ما نجد.... وأضاف عمر بن الخطاب شرطين على ما شرطوا على أنفسهم لا يشتروا من السبي وألا يضرب مسلم".

4- حرمة السياحة لمشاهدة آثار الأمم التي أصابها العذاب، إلا أن يكونوا باكين متفكرين سوء عاقبتهم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين، إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم يصيبكم ما أصابهم)¹.

وجه الدلالة: واضحة في النهي عن دخول ديار المعذبين إلا للتفكر والاعتبار.

5- حرمة السفر لتعظيم مقدسات المشركين، كزيارة الفاتيكان وغيرها من الكنائس.

6- حرمة السياحة من أجل إيجاد جو للفسق والفجور ومعصية الله تبارك وتعالى.

7- جواز السياحة في بلاد المسلمين إذا كانت خالية من الأمور التي لا تتفق مع الشريعة الإسلامية وتعاليمها.

الخاتمة: مما سبق ذكره يمكن أن نستنتج:

أن مفهوم السياحة في التراث الإسلامي يختلف اختلافا بيّنا عما هو متداول ومعروف في الاصطلاح الغربي ولدى المختصين في علم السياحة القائم على المفهوم الشهواني؛ إذ إن هذا المصطلح في الشريعة الإسلامية مرتبط بأحكام

¹ - البخاري، مصدر سابق، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحا)

(الأعراف: 73)، رقم 3380، ج2، ص445 ومسلم ، مصدر سابق، كتاب الزهد والرقائق، لا تدخلوا مساكن...، رقم 2980، ج2، ص615.

الشرع ارتباطا وثيقا لا سبيل له للخروج عنه؛ لذا وجب مراعاة أحكامها في الإسلام، أثناء اعتبارها وتصنيفها كأساس متين لمداخل الدول الإسلامية.

كما أنه لا بد من وضع سياسة حكيمة لهذه السياحة ومن قبيل هذا، أن تقدم السياحة الداخلية على السياحة الخارجية، أي: أن يقدم السياحة داخل بلده وبين أهله وبني وطنه على السياحة في بلاد أجنبية لا يعرف فيها مآله ومصيره منها وفي السياحة الخارجية نفسها درجات وموازنات، فله أو عليه أن يقدم السياحة في بلاد عربية وإسلامية على السياحة في بلاد غربية.

فهرس المصادر والمراجع:

1. ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ط1، 1997م، دار الرمادي للنشر، الدمام، الرياض.
2. ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، ط6، 2014م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
3. ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط2، 1987، دار المعرفة، بيروت.
4. أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، ط2، 2005م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
5. عبد الكريم حافظ، الادارة الفندقية والسياحة، ط1، 2003م دار أسامة، الأردن.
6. هاشم ناقد، أحكام السياحة، ط1، 1424هـ، رسالة ماجستير دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
7. البخاري محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري: "الصحيح الجامع" شركة القدس، القاهرة، (دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها).
8. خالد محمد، تعريف السياحة، <http://www.wahati.org/3239>.
9. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، الفصل الثالث والعشرون، دار الفكر، (دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها).
10. عبد الله بن المبارك، الجهاد، دار المطبوعات الحديثة، جدة (دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها).
11. العز بن عبد السلام، تفسير القرآن، ط1، 1416هـ، دربن حزم، دمشق.
12. فهد باهمام، حكم السياحة في الاسلام <http://www.fikhguide.com/tourist/travel/201>
13. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، تخ. إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا (دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها).
14. محمد بن منظور، لسان العرب، ط1، 1408هـ، دار إحياء التراث العربي، (دون ذكر بلد الطبع).

15. محمد خالد منصور وخالد شجاع العتيبي، مجلة الدراسات للشرعية والقانون، 2009م، عمان، الأردن، (دون ذكر رقم الطبعة).
16. محمد خميس الزوكه، صناعة السياحة من منظور جغرافي، 1997م، دار المعرفة الجامعية، (دون ذكر رقم الطبعة وبلد الطبع).
17. مسلم بن الحجاج، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (دون ذكر تاريخ الطبع).
18. ناصر عبد الله العبيد، حماية السائح بين الشرعية والنظام، رسالة ماجستير، جامعة نايف، 2003، الرياض.
19. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان. (دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها).



منهج أبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي في طرق دلالات الألفاظ على الأحكام من خلال كتابيه مختصر العدل وشرحه باباواسماعيل زهير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

zahirbab@gmail.com

ملخص -

يعتبر أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي أحد أعلام المدرسة الإباضية، الذين ساهموا في تنشيط الحركة العلمية والفكرية في زمانه؛ وذلك من خلال التدريس والتأليف، وبغية التعرف على جانب من فكر هذا العالم تأتي هذه الدراسة للبحث في جوانب من منهجه الأصولي؛ وهو جانب كيفية دلالة اللفظ على المعنى، حيث حاولت الدراسة عرض منهج البدر الشماخي في تناوله لهذه الدلالات وتقسيمه لها، والوقوف على آرائه الأصولية في أهم القواعد المتعلقة بهذا الباب الأصولي، والتي كانت محل خلاف بين الأصوليين، ومن أبرزها حجية مفهوم المخالفة، وذلك من خلال كتابيه مختصر العدل والإنصاف، وشرحه.

الكلمات المفتاحية -

الشماخي، دلالات الألفاظ، مختصر العدل، وشرح مختصر العدل.

Methods Of Utterances Meanings On The Judgments In Abi El Abbas Ahmed Bin Saeed Al-Shamakhi Through His Two Books, Mokhtasser Elaadl And Its Explanation

Abstract -

About El Abbas Ahmad Ibn Said Al Shmmakhi Is Considered One Of The Banners Of The Ibadi School Who Have Contributed To The Revitalization Of The Scientific And Intellectual Movement In His Time; Through Teaching And Writing, In Order To Identify The Aspect Of The Thought Of This Scholar Comes This Study To Examine Aspects Of His Jurisprudence Approach, Which Is Part Of How The Utterances Is Meant To Mean Meaning .Where The Study Attempted To Present The Process Of Shammakhi In Trating These Indications And Classifying Them, And To Stand On His Jurisprudential Views In The Most Important Rules Related To This Section Jurisprudence, Which Was The Subject Of Disagreement Between Scholars ,The Most Important Of Which Is The Authoritative Of Contravention Concept, Through A Book Of Mokhtsar Elaadl, And Its Explanation.

Key Words –

Al Shmmakhi, Utterances Meanings, Mokhtsar Elaadl, Charh Mokhtaser Elaadl

مقدمة-

يتوقف استنباط الأحكام الشرعية من نصوص الكتاب والسنة على فهم معاني ألفاظهما، ومعرفة طرق دلالة تلك التراكيب على معانيها؛ لأن النص قد يدل على أكثر من معنى بطرق مختلفة، لذا فقد أولى الأصوليون عناية بالغة للقواعد اللغوية المتعلقة بألفاظ الكتاب والسنة ودلالاتها، وخصصوا لها حيزاً مهماً من موضوعات أصول الفقه، وهو باب الدلالات .

وعلاقة اللفظ بالمعنى عند الأصوليين تقع على أربعة أقسام، وهي¹
1- وضع اللفظ للمعنى، ويندرج تحته أبحاث هي: الخاص، العام، المشترك.

¹ - عبد الكريم زيدان: الوجيز في أصول الفقه، ص277.

2- استعمال اللفظ في معناه الذي وُضع له أوفي غيره، ويندرج تحته أبحاث هي: الحقيقة والمجاز الصريح والكناية.

3- دلالة اللفظ على معناه من حيث الوضوح والخفاء، ويندرج تحته أبحاث هي: الظاهر، النص، المفسر، المحكم، الخفي، المجل، المشكل، والمتشابه. على خلاف بين المتكلمين والفقهاء.

4- كيفية دلالة اللفظ على المعنى، ويندرج تحته أبحاث هي: المنطوق والمفهوم، عند المتكلمين، ويقابله عند الفقهاء: عبارة النص، وإشارته، ودلالته، واقتضاه.

وقد تعددت أنظار الأصوليين في القسم الأخير عند تحديد هذه الدلالات، واختلفوا في تقسيماتها، كما اختلفوا في الاحتجاج ببعض أنواع هذه الدلالات وفي بعض القواعد المتعلقة بها.

وسنحاول من خلال هذه الدراسة التعرف على منهج أبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي؛ في تناوله لهذه الدلالات، والوقوف على آرائه الأصولية في أهم القواعد المتعلقة بهذا الباب، والتي كانت محل خلاف بين الأصوليين، وذلك من خلال كتابيه مختصر العدل والإنصاف، وشرحه، حيث قسّمت هذه الدراسة إلى مطلبين وهما:

المطلب الأول: التعريف بأبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي وكتابيه.

المطلب الثاني منهج الشماخي وآراؤه في طرق دلالات اللفظ على الحكم .

وذيلت الدراسة بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المطلب الأول: التعريف بأبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي وكتابيه

الفرع الأول: التعريف بأبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي

1- نسبه ومولده ووفاته:

هو أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد بن سعيد بن أبي الفضل قاسم بن سليمان بن محمد بن عمر بن يحيى بن إبراهيم بن موسى بن عامر الشماخي،¹ ولقب الشماخي نسبة إلى شماخ الموطن الأول لقبيلته، والواقع جنوب

¹ - مجموعة من الباحثين: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ترجمة رقم: 80.

مدينة يفرن بجبل نفوسة بليبيا، ويلتقي في جده عامر مع أبي ساكن عامر بن علي بن عامر الشماخي، صاحب كتاب الإيضاح في الفقه. ويلقب أبو العباس الشماخي ببدر الدين، أو البدر.

ولد الشماخي ببلدة القصير إحدى قرى يفرن بجبل نفوسة،¹ ولم تنقل إلينا المصادر التي ترجمت له تاريخ ولادته بالضبط، وكل ما نُقل في ذلك إنما هو من باب التقريب فقط.

حيث يرى المؤرخ سالم بن يعقوب أنّ ولادته كانت سنة 845هـ تقريباً،² كما حاول الباحث مهني بن عمر التيواجني وضع تاريخ تقريبيّ لولادة الشماخي، وحدّده بسنة 860 هـ،³ ويبقى هذا مجرد افتراض، وليس ثمة سنة محدّدة لولادته. انتقل الشماخي إلى جوار ربه في: جمادى الأولى من سنة 928هـ الموافق لـ: أفريل من سنة: 1522م. واختلف في مكان دفنه، حيث تذكر بعض المصادر أنّه توفي ببلده يفرن بجبل نفوسة وقبره موجود بها.⁴ غير أن ابن تعاريت يرى أنّ وفاته في جربة، وأنّه مدفون بمسجد تيواجين المشهور بمسجد أبي القاسم،⁵ وبهذا قال المؤرخ سالم بن يعقوب، وإلى هذا الرأي مال الجعبيري.⁶

2- نشأته وحياته العلمية:

نشأ الشماخي في كنف عائلة اشتهرت بالعلم، حيث ذاع صيت أسرة الشماخيين في جبل نفوسة، فقد أنجبت علماء كثيرين كان لهم دور بارز في الحركة العلميّة فيها.⁷

¹ - سالم بن يعقوب، تاريخ جزيرة جربة ومدارسها العلميّة، ص181.

² - المصدر نفسه.

³ - التيواجني: تحقيق كتاب شرح مختصر العدل والإنصاف، (القسم الدراسي)، ص134، 135.

⁴ - تاديوس لفتسكي: المؤرخون الإباضيون ص47- 46.

⁵ - ابن تعاريت: تاريخ علماء جربة، (مخ)، 22و.

⁶ - سالم بن يعقوب: تاريخ جزيرة جربة ومدارسها العلميّة، ص184؛ الجعبيري: البعد

الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، ج1/ص127.

⁷ - سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضيّة، ص56.

تلقى الشماخي تعليمه الأول في يفرن، ثم كانت له رحلات علمية بين قرى نفوسة، كما ارتحل إلى تونس وجربة للاستزادة من العلم.

ولم تُتَح للبدر الشماخي فرصة تلقي العلم على يد والده وعمه لوفاتهما في صغره، ولكنه تتلمذ على يد شيوخ أجلاء اشتهروا بعلمهم وفضلهم، فنهل من علومهم، واقتبس من معارفهم، فمن الشيوخ الذين تلقى عنهم¹:

1- الشيخ أبو عفيف صالح بن نوح التندميرتي (ت 874 هـ): وهو من أهم الشيوخ الذين تركوا أثرا في نفس الشماخي، وقد لازم شيخه أبا عفيف حتى وفاته سنة 874 هـ.

2- الشيخ أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن موسى (ت 894 هـ): وذكر الشماخي أنه كان يجالسه مرارا، ويباحثه في بعض المسائل.

3- الشيخ أبو زكرياء يحيى بن عامر بن إبراهيم (ت 894 هـ): ترجم له في سيره، وأشار إلى أنه ممن تلقى العلم عن والده سعيد بن عبد الواحد، رفقة الشيخ أبي عفيف صالح.

4- الشيخ محمد بن أحمد بن إبراهيم البيدموري (ت 894 هـ): تلقى الشماخي عنه العلم خلال فترة مكوثه بتونس، وذلك في نهاية القرن التاسع الهجري.

أخذ الشماخي بحظّ وافر من العلم من علماء الإباضية ومن غيرهم، وسمحت له فترة دراسته في تونس بالاطلاع على المذاهب الأخرى وكتبهم؛ وهذا الاطلاع كَوّن منه شخصية علمية قوية، فقد كان ذو ثقافة موسوعية وتفتح، يتسم في أعماله بالنزاهة العلمية والمرونة.²

3- آثاره العلمية:

¹ - الشماخي: السير، ج 2/ص 801؛ ابن تعاريت: رسالة في تاريخ جربة، (مخ)، 22؛ الجعبي: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج 1/ص 27؛ ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون، ص 46؛ التيواجني: تحقيق كتاب شرح مختصر العدل والإنصاف، (القسم الدراسي)، ص 136.
² - التيواجني: تحقيق كتاب شرح مختصر العدل والإنصاف، (القسم الدراسي)، ص 147؛ مجموعة من الباحثين: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ترجمة رقم: 80.

تأثر الشماخي بعلماء مدرسة الطرميسي التي شهرت بتحريض طلابها على الاشتغال بالتأليف، لإحياء التراث وصون العلم من الاندثار.¹ فتعددت مؤلفات الشماخي، وفي مختلف أنواع العلوم؛ حيث ألف في العقيدة والفقه وأصوله، واللغة، وعلم الكلام والمنطق، والتاريخ والسير، مما يدل على تنوع ثقافته واتساع علمه واطلاعه. ومن هذه المصنفات:

- 1- شرح عقيدة التوحيد: وعقيدة التوحيد هي للشيخ أبي حفص عمرو بن جميع ترجمها من البربرية إلى العربية، ثم شرحها الشماخي.²
- 2- شرح على متن الديانات: ومتن الديانات في التوحيد لأبي ساكن عامر الشماخي (ت 792هـ)، قام الشماخي بوضع شرح عليها .
- 3- رسالة الرد على صولة الغدامسي: وهو رد على رسالة صولة بن إبراهيم الغدامسي التي تهجم فيها على الإباضية.³
- 4- مختصر العدل والإنصاف: قام الشماخي باختصار كتاب "العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف" لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت 570 هـ) ثم قام الشماخي بشرح مختصره، وسنفرد للكتابين بدراسة في المطلب اللاحق.
- 5- مجموعة أجوبة عقدية وفقهية: وتضمنت مسائل فقهية وعقدية منها: حكم قراءة البسملة في الصلاة، حكم تكرير الأذان، حكم المبادرة إلى ركعتي المغرب دون أن يتخلل ذلك دعاء، مسألة رؤية الله. وهذه الأجوبة لا تزال مخطوطة.

¹ - بابا واعمر خضير: الإمام اسماعيل الجيطالي وفكره، ص 59- 60.

² - وقد طبع شرح الشماخي على عقيدة التوحيد، مع شرح الشيخ أبي سليمان داود بن إبراهيم التلاتي (ت 967هـ) في كتاب واحد بعنوان "مقدمة التوحيد وشروحه"، بتصحيح وتعليق الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، وصدر بالقاهرة سنة 1353هـ.

³ - وقد قام الباحث "العربي بن علي بن ثاير" من جامعة أبو ظبي، بتحقيق رسالة صولة الغدامسي، ورد الشماخي عليها، في كتاب أسماه بـ: "الحوار الإباضي المالكي، تأليف العالمين الجليلين صولة الغدامسي وأحمد بن سعيد الشماخي"، وطبع الكتاب من طرف وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان سنة 1427هـ - 2006م.

- 6- شرح مرج البحرين: في المنطق، وأصله رسالة لأبي يعقوب الوارجلاني، قام الشماخي بوضع شرح عليها، والكتاب لا يزال في عداد الكتب المفقودة.
- 7- إعراب مشكل الدعائم: الدعائم عبارة عن منظومة في العقيدة والفقه لأحمد بن سليمان بن النضر العماني (ت 690هـ)، اهتم الشماخي بشرح القضايا اللغوية والنحوية الواردة فيها.
- 8- كتاب سير المشايخ: استطاع الشماخي أن يجمع فيه كتب السير الإباضية التي سبقتها¹.

الفرع الثاني: التعريف بكتاب مختصر العدل والإنصاف وشرحه

1- التعريف بكتاب المختصر وبأصله :

ذكر الشماخي أنه فرغ من تأليف كتاب مختصر العدل والإنصاف، في أواسط ربيع الآخر من عام اثنين وتسعين وثمانمائة (892هـ)، وهو ثالث كتاب يؤلفه الشماخي بعد كتابي: إعراب مشكل الدعائم، وشرح مرج البحرين، ويعدُّ هذا المختصر مع شرحه المؤلف الأصولي الوحيد للشماخي .

والكتاب توجد منه نسخ مخطوطة في العديد من المكتبات الإباضية، وقد صدر مطبوعاً عن وزارة الثقافة والتراث القومي بعمان، سنة 1405هـ/1984م. كما قام فريق من طالبات كلية الإصلاح للتربية والعلوم الإسلامية بتحقيق الكتاب في إطار عمل علمي جماعي سنة 2013م، لا يزال مرقوناً، كما حققه الطالب يوسف نجار في إطار بحث الليسانس بمعهد الحياة سنة 2010 - 2011م. وهو لا يزال مرقوناً أيضاً.

وكتاب الشماخي هو اختصار لكتاب العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف لأبي يعقوب يوسف ابن ابراهيم الوارجلاني. (500 - 570هـ)، ويمثّل كتاب الوارجلاني قمة التأليف الأصولي عند الإباضية قديماً؛ إذ استوعب

¹ - وقد طُبِعَ كتاب السير أوّل مرّة طبعة حجرية سنة 1301هـ، وأعيد طبعه في عمان بتقديم أحمد بن سعود السيّابي، سنة 1407هـ/1987م، ثمّ قام الباحث التونسي محمّد حسن من قسم التاريخ بتحقيقه تحقيقاً أكاديمياً، نال به شهادة الماجستير، وطبعته دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، سنة 2009 م، وصدر في ثلاثة أجزاء.

قضايا الأصول بصورة شاملة،¹ معتمداً في ذلك على جميع ما كتب الإباضية في المشرق والمغرب في الأصول والفروع، كما استفاد إلى جانب ذلك من كتب المذاهب الأخرى، وتعرّف على ما عند أصحاب الآراء الأصولية الكبرى من مسائل وما وقع فيها من خلاف.

2- دواعي تأليف الشماخي للكتاب:

لم يرتّب الوارجلاني مسائل الكتاب الترتيب المعهود، وكثيراً ما يورد مسائل كلامية ضمن مباحث أصولية، وهذا يعود إلى النزعة الكلامية التي عرف بها المؤلف، كما كان أسلوب الكتاب أدبياً راقياً تفتّن فيه المؤلف بالفاظ قوية، وتراكيب معقدة،² جعلت من كتابه سفراً صعب المنال، وحملت الشماخي على وضع مختصر له يهذبه ويبسطه.³ وفي ذلك يقول الشماخي: «وكان كتاب العدل المنسوب إلى الإمام الحافظ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني أكمل ما صنّفت أصحابنا فيه، ولكنه صعب المرام لكثرة الكلام».⁴ فهذا يعدّ من أهمّ دوافع اختصار الشماخي لكتاب الوارجلاني، بالإضافة إلى دوافع أخرى يمكن إيجازها فيما يأتي:

1- إعجابه وتأثره بكتاب الوارجلاني، وتقديره له، واعترافه بجهود صاحبه في حوصلة الآراء الأصولية الإباضية، واستيعاب مباحثها، مع ما في ذلك من مقارنة بآراء الأصوليين.

2- رغبته في مواصلة المسيرة التي أرسى دعائمها الوارجلاني، وذلك بتوجيه التأليف الأصولي عند الإباضية إلى منهج التأليف المقارن، وإضافة ما تجمّع لديه من قضايا أصولية تناولها الأصوليون بعد الوارجلاني.

¹ - مصطفى باجو: منهج الاجتهاد عند الإباضية، ص 55.

² - التواجيني: تحقيق شرح مختصر العدل والإنصاف، (القسم الدراسي)، ص 74.

³ - كما قام أبو الفضل أبو القاسم ابن إبراهيم البرادي (حي في: 810هـ)، بشرح كتاب الوارجلاني في سفر سماه: "البحث الصادق والاستكشاف عن حقائق معاني كتاب العدل والإنصاف".

⁴ - الشماخي: مختصر العدل والإنصاف، ص 7.

3- نفع الناس بما يتركه من علم، والرغبة في الأجر والثواب الخالص عند الله، حيث قال: «وأرغب إليه أن يخلص لوجهه وأن يُنتفع به»¹.

3- محتوى الكتاب ومنهج الشماخي في ترتيب موضوعاته:

ألف الشماخي كتابه على طريقة المتون المختصرة التي عرفها علم أصول الفقه في إحدى أطواره، ويحتوي الكتاب بصورته العامة على مجمل المباحث الأصولية التي تطرّق إليها علماء الأصول.

وقد ظهر تأثر الشماخي بمنهج المتكلمين واضحا في كتابه، من خلال عنايته بالقضايا المنطقية، وشدة اهتمامه بالتعاريف، بالإضافة إلى تقسيماته لدلالات الألفاظ والمباحث اللغوية التي سلك فيها طريقة المتكلمين.

استهل الشماخي كتابه بمقدمة لبيان حدّ أصول الفقه وما تتوقّف عليه معرفة هذا الفن؛ من بيان لحقيقة العلم وحدّه وأقسامه، يقول الغزالي مؤكداً على أهمية هذه المقدمة وضرورتها في كلّ علم: «وليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول ولا من مقدّماته الخاصة، بل هي مقدمة العلوم كلّها، ومن لا يحيط بها علما فلا ثقة له بعلومه أصلاً»².

ثم رتب الشماخي مادّته الأصولية بعد هذه المقدمة في عشرة أبواب أدرج فيها جل موضوعات أصول الفقه، وقسم كل باب إلى فصول تتخللها مسائل تضمّ فروعاً أو تنبيهات.

وزّع الشماخي موضوعات أصول الفقه على أبواب كتابه على النحو الآتي: الباب الأول في المجمل والمبين، والثاني في الأمر والنهي³، والثالث في الظاهر والمحكم ومقابلهما، والرابع في العام والخاص، والخامس في المنطوق والمفهوم، والسادس في الخبر، والسابع في النسخ، والثامن في الإجماع، والتاسع في الاجتهاد، والعاشر في القياس.

¹ - المصدر نفسه.

² - الغزالي: المستصفى، ج 1/ص 45.

³ - وقبل التطرّق إلى مباحث الأمر والنهي وضع الشماخي مقدّمة للتعريف عن الحكم الشرعي وأقسامه، والتكليف وشروطه، إضافة إلى المسائل المتعلقة بالحاكم والمحكوم فيه والمحكوم عليه، منها مسألة التحسين والتقبيح ومسألة مخاطبة الكفار بضرع التشريع.

وختم كتابه بخاتمة خصصها للتعارض بين الأدلة وقواعد الترجيح بينها.

4- كتاب شرح مختصر العدل والأنصاف والأعمال التي تتابعت على

الكتابين:

كان مختصر الشماخي على صغر حجمه مستوفيا لمباحث الأصول، لكن إيجازه الشديد وعباراته القليلة أخلت بكثير من معاني علم أصول الفقه، فقد شعر الشماخي بذلك، وبيّن أنّ مختصره بحاجة إلى شرح يتمّ به فائدته، وبيّن به لفظه ومعناه،¹ فألف كتابه "شرح مختصر العدل والأنصاف".²

وقد سار فيه على نفس الخط الذي انتهجه في المختصر من حيث التقسيم، فقام بتتبع الأبواب بالشرح والتفصيل في مسائلها، وإثرائها بالعديد من المسائل التي لم يفصل فيها في مختصره. وقد حاول الإعراض عن التفصيل في المسائل الكلامية والمنطقية، بالاختصار فيها على الشرح اللفظي، والعناية بالقضايا الأصولية الواردة في العدل والأنصاف.

ونظرا للقيمة العلمية لكتاب الشماخي، فقد كان قبلة للدراسين،³ وقبل ذلك عمدة لكتب الأصول الإباضية التي جاءت من بعده،⁴ كما تناول العديد من علماء الإباضية الكتاب بالشرح أو النظم أو التحشي، ومن هؤلاء⁵:

- 1- حاشية أبي ستّة على شرح مختصر العدل والأنصاف: وقد اشترك في وضع الحاشية كلّ من محمد بن عمر بن محمد أبو ستة المعروف بالمحشي، (ت: 1088هـ)، والشيخ عمر من قبيلته، وأبي يعقوب يوسف بن محمد المصعبي، (ت: 1187هـ).

¹ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 1 ظ.

² - وقد قام الباحث مهني التيواجيني بتحقيق الكتاب في رسالة الدكتوراه حلقة ثالثة بجامعة الزيتونية بتونس سنة 1990م.

³ - فقد قام مهني التيواجيني بدراسة لكتاب الشرح عند تحقيقه للكتاب، كما اعتمد عليه الباحث مصباح عيسى في بحثه حول آراء الشماخي الأصولية.

⁴ - إذ يعتبر من أهمّ مصادر الإمام نور الدين السالمي في كتابه شرح طلعة الشمس.

⁵ - باجو: منهج الاجتهاد عند الإباضية، ص 57- 59.

- 2- كتاب رفع التراخي عن مختصر الشماخي: للشيخ عمرو بن رمضان التلاتي الجربي (ت 1187هـ).
- 3- كتاب فتح الله شرح شرح مختصر العدل والإنصاف: لقطب الأئمة امحمد بن يوسف اطفيش (ت 1332هـ).
- 4- كتاب موارد الألفاظ بنظم مختصر العدل والإنصاف: وهو عبارة عن نظم لكتاب المختصر في مائتين وألف بيت، للشيخ أبي مالك عامر بن خميس المالكي العماني (ت 1346هـ).

المطلب الثاني: آراء الشماخي ومنهجه في طرق دلالة الألفاظ على الأحكام

الفرع الأول: منهج الشماخي في تناول طرق دلالة الألفاظ على الأحكام

اختلف الأصوليون في تقسيمهم لكيفية دلالة اللفظ على المعنى، فالمتكلمون يقسمون دلالة اللفظ على المعنى إلى قسمين أساسيين هما: دلالة المنطوق، ودلالة المفهوم، أما الحنفية فيقسمون هذه الدلالات إلى أربعة أقسام وهي: عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص.¹

وقد سلك الشماخي منهج المتكلمين في تقسيمه لكيفية دلالة اللفظ على معناه، حيث قسمها إلى منطوق ومفهوم، وخصص لها الباب الخامس من كتابه . جرت عادة الأصوليين المتكلمين على ذكر دلالات الألفاظ الوضعية على المعاني وأنواعها؛ ضمن المقدمة المنطقية لمؤلفاتهم الأصولية، لأنها ذات علاقة وثيقة بأقسام الدلالات.² وقد تناول الشماخي بالذكر المختصر هذه الدلالات وأنواعها في مقدمته، وأحال إلى كتابه "شرح كتاب مرج البحرين في علم المنطق والهندسة". لمن أراد توسعة في معرفة هذه الأقسام وحدودها.³ فقد ذكر في مختصره أنه: «إن دل اللفظ على جزء معناه يسمى مطابقة، وعلى خارج يسمى التزاما، وعلى كماله يسمى مطابقة»⁴.

¹ - الزحيلي: أصول الفقه الإسلامي، ج1/ص348، 360- 361.

² - الدريني: المناهج الأصولية، ص215.

³ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 6ظ.

⁴ - الشماخي: مختصر العدل، ص9.

ثم عرّف في شرحه المطابقة بأنها: دلالة اللفظ على معناه الموضوع له بحيث لا يخرج من المعنى الذي وضع له، وأمّا التضمن فهي عنده: دلالة اللفظ على جزء معناه الذي وُضع له من حيث هو جزء، كما عرّف دلالة الالتزام بقوله: «دلالة اللفظ على لازم ما وضع له من حيث هو لازم»¹.

الفرع الثاني: منهج الشماخي وآراؤه في باب المنطوق

1- تعريف المنطوق وأنواعه:

المنطوق في اللغة هو المفوض، أو المتكلم به، وهو اسم مفعول من النطق.² وأمّا اصطلاحاً فقد عرّفه بعض الأصوليين بأنه: ما دلّ عليه اللفظ في محلّ النطق.³

وهو التعريف الذي اختاره الشماخي حيث عرّفه بقوله: «ما دلّ عليه اللفظ في محلّ النطق، أي يكون حكماً للمذكور، وحالاً من أحواله، سواء نطق به أو لا»⁴.

وقسم الشماخي المنطوق -على غرار المتكلمين- إلى قسمين:

أ- المنطوق الصريح: وهو دلالة اللفظ على الحكم بطريق المطابقة أو التضمن. ولم يفصل الشماخي في هذا النوع من الدلالة في باب المنطوق والمفهوم؛ لتقدم الحديث عنها في مقدمة الكتاب المنطقية.

ب- المنطوق غير الصريح: وهو دلالة اللفظ على الحكم بدلالة الالتزام. قال الآمدي: «وهي أن يكون اللفظ له معنى، وذلك المعنى له لازم من خارج، فعند فهم مدلول اللفظ من اللفظ ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه، ولو قدر عدم هذا الانتقال الذهني لما كان ذلك اللازم مفهوماً»⁵.

وينقسم المنطوق غير الصريح إلى ثلاثة أقسام وهي: دلالة الاقتضاء، دلالة الإيماء، دلالة الإشارة. إذ المدلول عليه بالالتزام لا يخلو من كونه مقصوداً

¹ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 6ظ.

² - ابن منظور: لسان العرب، (مادة نطق)، ج10/ص354.

³ - الآمدي: الأحكام، ج3/ص74؛ ابن الحاجب: مختصر المنتهى، (مط مع شرح العضد عليه)

ج3/ص157؛ ابن السبكي: جمع الجوامع، ص11.

⁴ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 47و؛ مختصر العدل، ص36.

⁵ - الآمدي: الأحكام، ج1/ص36.

للمتكلّم، وغير مقصود له، فإن كان مقصوداً له فإمّا أن يتوقّف على المدلول صدق الكلام أو صحته عقلاً أو شرعاً، وتسمّى هذه دلالة اقتضاء، وإمّا أن لا يتوقّف عليه ذلك، فتسمّى دلالة الإيماء، وإمّا إن كان المدلول غير مقصود للمتكلّم، فهي دلالة الإشارة.¹ وقد أورد الشماخي في مختصره هذه الأقسام،² ثمّ فصل هذه الأقسام في شرحه، مع التمثيل لكل قسم، فذكر³:

- **دلالة الاقتضاء**: وهي دلالة اللفظ على لازم مقصود للمتكلّم، يتوقّف عليه صدق الكلام أو صحته العقلية أو الشرعية، وقد عرفها الشماخي بأنّها: «مقصود توقّف الصدق أو الصحة عليه»⁴. ونسب الشماخي إلى البعض تسميتهم دلالة الاقتضاء بلحن الخطاب، وهو الذي ذهب إليه بعض المالكية والحنابلة، والبرادي من الإباضية.⁵

ومثّل الشماخي لما يتوقّف عليه صدق الكلام بقول النبي ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الخطأ والنسيان»⁶، فلولا تقدير مضمّر في الكلام وهو "المؤاخذه"، لم يصدق الكلام؛ لوجود الخطأ والنسيان في الأمة.

ومثّل للصحة العقلية، بقوله تعالى: (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) ليوسف (196) [1]، فلولا تقدير مضمّر في الكلام وهو أهل القرية، لم يصحّ سؤال القرية عقلاً. ومثّل للصحة الشرعية بقوله ﷺ: «لا صوم لمن لم يبيّت النية من الليل»¹، وبقوله ﷺ أيضاً: «لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد»²، فلولا تقدير الصحة في الحديثين لما صحّ شرعاً الصوم ولا الصلاة.

¹ - المصدر نفسه.

² - الشماخي: مختصر العدل، ص36.

³ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 47- 47ظ.

⁴ - المصدر نفسه، (مخ)، 47و.

⁵ - أبو يعلى: العدة في أصول الفقه، ج1/ص154: الباجي: إحكام الفصول، ج2/ص513-

514: البرادي: البحث الصادق، (مخ)، ج1/ص107، 185.

⁶ - الحديث أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس بلفظ: «إن الله تعالى وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه» ينظر- ابن ماجه: السنن، كتاب الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي، رقم: 2045، ج1/ص659.

- **دلالة الإيحاء:** وهي أن يقترب اللفظ الذي هو مقصود المتكلم بوصف، لو لم يكن ذلك الوصف لتعليل ذلك المقصود لكان اقترانه به بعيداً؛ فيفهم منه التعليل ويدل عليه، وإن لم يُصرح به، أي تتوقف عليه بلاغة الكلام؛ لا صدقه أو صحته عقلاً أو شرعاً.³

وقد عرفها الشماخي بأنها: «معنى مقصود يقترب بحكم، لو لم يكن للتعليل لكان بعيداً، فيفهم منه التعليل ويدل عليه، وإن لم يُصرح به»⁴.

وأقسام دلالة الإيحاء يوردها الأصوليون مفصلة في مسالك العلة من باب القياس، باعتبار أن الإيحاء مسلك من مسالك التعليل، وذكر الشماخي من أمثلة دلالة الإيحاء:

- قوله تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا)، [المائدة (38)]
- قوله تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ)، [النور (2)]

- قوله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ)، [الإنفطار (13-14)]. ثم قال: «فكما فهم وجوب القطع على السارق، والجلد على الزاني، والنعيم للأبرار، والجحيم للفجار، وهو منطوق به، فهم كون السرقة والزنا والبر والفجور علة للحكم، وهو غير منطوق به، لكن سبق إلى الفهم من فحوى الخطاب»⁵.

¹ - الحديث أخرجه أبو داود عن حفصة، ينظر - أبو داود: السنن، كتاب: الصوم، باب: النية في الصيام، رقم: 2454، ج2/ص329.

² - الحديث أخرجه البيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً، ينظر البيهقي: السنن الكبرى، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء من التشديد في ترك الجماعة من غير عذر، رقم: 4942، ج3/ص81.

³ - العضد: شرح مختصر المنتهى، ج3/ص402 - 403؛ ابن أمير الحاج: التقرير والتحبير، ج3/ص255.

⁴ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 47ظ؛ مختصر العدل، ص36.

⁵ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 47ظ.

- فسمّى الشماخي دلالة الإيماء فحوى الخطاب، والتي أطلقها الأصوليون على مفهوم الموافقة الأولوي¹، كما سماه أيضا لحن الخطاب.²
- دلالة الإشارة: هي دلالة اللفظ على لازم غير مقصود للمتكلم، لا يتوقف عليه صدق الكلام ولا صحته³، وعرفها الشماخي بقوله: «ما يتبع اللفظ من غير تجريد، قصد إليه»⁴. وقد مثّل له بما يأتي⁵:
- قوله ﷺ: «تمكث إحداكن شطر دهرها لا تصلي ولا تصوم»⁶، فدلّ بالإشارة على أنّ أقلّ الطهر وأكثر الحيض خمسة عشر يوما، وأخذ ذلك من المبالغة في نقصان الدين، والمبالغة تقتضي ذكر أكثر ما يتعلق به الغرض.
- قوله تعالى: (وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا)، [الأحقاف (15)] مع قوله: (وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ)، [القمان (15)]، فهو يدلّ على أنّ أقلّ مدّة الحمل ستّة أشهر، وليس بمقصود في الآية الأولى ولا الثانية؛ لأنّ الأولى سيقت لبيان حقّ الوالدة، والثانية لبيان أكثر مدّة الفصال.

الفرع الثالث: منهج الشماخي وأراؤه في باب المنطوق

1- تعريف المفهوم وأنواعه:

المفهوم في اللغة: ما يستفاد من اللفظ، وهو اسم مفعول من فهم أي: عِلِمَ وعَقِلَ⁷.

¹ - الأمدي: الإحكام، ج 3/ص 74؛ ابن السبكي: الإبهاج، ج 1/ص 367.

² - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 47ظ.

³ - النملة: المذهب في علم أصول الفقه المقارن، ج 4/ص 1735.

⁴ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 47ظ.

⁵ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 47ظ.

⁶ - هذه الحديث يذكره الفقهاء في كتبهم ولا يوجد بهذا اللفظ في كتب السنة، وأخرجه

البخاري عن أبي سعيد، ومسلم عن ابن عمر بألفاظ مختلفة، ينظر: البخاري: الصحيح،

كتاب: الصوم، باب: ترك الحائض الصوم، رقم: 298، ج 1/ص 116؛ مسلم: الصحيح، كتاب

الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، رقم: 79، ج 1/ص 86.

⁷ - ابن منظور: لسان العرب، (مادة فهم)، ج 12/ص 459.

وأما اصطلاحاً فقد عرّفه الشّماخي بأنّه: «ما دلّ عليه اللفظ لا في محلّ النطق، أي يكون حكماً لغير المذكور، وحالاً من أحواله»¹، وهو التعريف الذي أورده أكثر الأصوليين².

فالمفهوم هو ما قابل المنطوق، وهو دلالة اللفظ على حكم يفهم من الكلام، دون تصريح به.

والحكم المستفاد عن طريق المفهوم، قد يكون موافقاً لحكم المنطوق، نفيًا وإثباتًا، وقد يكون مخالفًا له في ذلك، لذا فقد ذكر الشّماخي أن المفهوم ينقسم إلى قسمين: مفهوم الموافقة، ومفهوم المخالفة.

2- مفهوم الموافقة:

عرّف الشّماخي الموافقة بقوله: «هو أن يكون المسكوت عنه وهو غير محلّ النطق، موافقاً للحكم المذكور، وهو محلّ النطق»³.

ويرى الشّماخي أن مفهوم الموافقة مرادف لفحوى الخطاب ولحنه⁴، وهو الذي ذكره ابن الحاجب⁵ أي أنّهما ليسا بقسمين لمفهوم الموافقة كما يرى ذلك أكثر الأصوليين⁶.

ومثّل الشّماخي لمفهوم الموافقة بالمثل الذي يورده جلّ الأصوليين، وهو قوله تعالى: (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ)، [الإسراء (23)]، فقد دلّ منطوق النصّ على تحريم التّأفّف، ودلّ مفهومه على تحريم الضّرب والشّتم من باب أولى . وذكر الشّماخي أن مفهوم الموافقة يكون على حالين⁷:

¹ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 47ظ؛ مختصر العدل، ص36.

² - الأمدي: الإحكام، ج3/ص74؛ العضد: شرح مختصر المنتهى، ج3/ص157؛ ابن السبكي: جمع الجوامع، ص12.

³ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 47ظ.

⁴ - الشماخي: مختصر العدل، ص36.

⁵ - الأمدي: الإحكام، ج3/ص74؛ العضد: شرح مختصر المنتهى، ج3/ص163.

⁶ - ابن السمعاني: قواطع الأدلة في الأصول، ج1/ص237.

⁷ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 48و.

أ- حالة يرد فيها التنبيه من جهة اللفظ بالأعلى على الأدنى، ومثاله قوله تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ). [آل عمران (75)].

ب- حالة يرد فيها التنبيه من جهة اللفظ بالأدنى على الأعلى، ومثاله قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا). [آل عمران (75)].

ويرى الشماخي أنه لا يحصل فهم الأعلى من مجرد ذكر الأدنى، وبالعكس، كما يقول بعض الأصوليين¹ بل يفهم من السياق، وهذا ما يميّزه عن دلالة المنطوق².

كما أنه اعتبر دلالة الموافقة لفضلية لا مدخل للقياس فيها؛ يفهم مدلول الدلالة عليها من السياق والقرائن³ وهو قول جمهور مذهبه، وأكثر الحنفية وأكثر المالكية كابن الحاجب والقراي، الغزالي والأمدي وابن السبكي، وكثير من الحنابلة، خلافاً للشافعي، وإمام الحرمين، والفخر الرازي، والشيرازي وبعض الحنفية والحنابلة الذين اعتبروه من قبيل القياس الجلي⁴.

واستدل على ذلك بأن مفهوم الموافقة مستعمل في لغة العرب قبل ورود الشرع، كما أنه يشترط في القياس ألا يكون الأصل مندرجا في الفرع بالاتفاق⁵. وقسم الشماخي مفهوم الموافقة إلى قطعي وظني⁶، وبين أن القطعي هو ما كان فيه المعنى المقصود من الحكم المنصوص عليه معلوما جزماً، ومثّل له بتحريم ضرب الوالدين المفهوم من تحريم التأفف. وأمّا الظني فهو ما كان فيه المعنى المقصود من الحكم المنصوص عليه راجحاً على غيره، ومثّل به بوجوب

¹ - العضد، شرح مختصر المنتهى، ج3/ص163.

² - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 48و.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - الشوكاني: إرشاد الفحول، ج1/ص303؛ النملة: المذهب علم في أصول الفقه المقارن، ج4/ص1750.

⁵ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 48و.

⁶ - الشماخي: مختصر العدل، ص36.

الكفارة في اليمين الغموس المفهوم من وجوبها في اليمين الغير الغموس، وكذا وجوبها في القتل العمد المفهوم من وجوبها في القتل الخطأ.¹

2- مفهوم المخالفة:

أ- تعريف مفهوم المخالفة وأنواعه:

عرّف الأمدى مفهوم المخالفة بأنه: «ما يكون مدلول اللفظ في محلّ السكوت فيه مخالفاً لمدلوله في محلّ النطق»²، فهو إثبات نقيض المنطوق به للمسكوت عنه. ويسمى دليل الخطاب، وتنبية الخطاب، ولحن الخطاب. وعرفه الشماخي بقوله: «والمخالفة، وهو أن يكون المسكوت عنه، وهو الذي فسرناه بغير محلّ النطق، مخالفاً للحكم المذكور، وهو الذي فسرناه بمحلّ النطق، ويسمى بدليل الخطاب»³.

وفضّل الشماخي التفصيل في أنواع مفهوم المخالفة،⁴ خلافاً لمن قصر على بعضها،⁵ فذكر الشماخي مفهوم الصفة، ومفهوم الشرط، ومفهوم الغاية، ومفهوم الحصر بإنما، ومفهوم الحصر بالتقديم فيما أصله التأخير، أو بالتخصيص، أو بتعريف الطرفين، ومفهوم الحصر بالاستثناء، ومفهوم العدد الخاص، ومفهوم اللقب، ومفهوم المشتق الدال على جنس، ومفهوم الزمان، ومفهوم المكان.

ب- حجّية مفهوم المخالفة:

ذهب الشماخي إلى اعتبار مفهوم المخالفة حجّة شرعية، وطريقاً من طرق الدلالة على الحكم في نصوص الكتاب والسنة،⁶ وهو مذهب الجمهور، خلافاً

¹ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 48و.

² - الأمدى: الإحكام، ج3/ص78.

³ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 48و- 48ظ؛ مختصر العدل، ص36.

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - منهم إمام الحرمين الذي قال: "لو عبر معبر عن جميعها بالصفة لكان ذلك منقداً، فإن المحدود والمحدود موصوفان بعدهما وحدهما والمخصوص بالكون في مكان وزمان موصوف بالاستقرار فيهما". إمام الحرمين: البرهان، ج1/ص168.

⁶ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 48ظ.

للحنفية والظاهرية، والقفال الشاشي، وأبي حامد المروزي، والباقلاني من المتكلمين، الذين ينكرون كونه حجة شرعية¹.

وقد اكتفى الشماخي بذكر أهم ما استدلل به الجمهور المثبتون لحجيته، ولم يتعرض لأدلة المنكرين بالذكر ولا بالمناقشة. واعتبر الشماخي أن أحسن ما استدلل به الجمهور هو الدليل العقلي في قولهم إن تخصيص الشيء بالذكر لابد له من فائدة، لاسيما في كلام الله ورسوله، فإن لم يكن هنالك فائدة أخرى من وراء ذلك القيد، ولم يقيم دليل خاص على حكم المسكوت غير أخذه من التقيد، كان لابد من الأخذ بهذا الطريق من طرق الدلالة، وإلا كان ذكر القيد عبثاً ينزّه عنه الشارع².

ج- شروط العمل بمفهوم المخالفة:

إن القائلين بحجية مفهوم المخالفة لم يأخذوا به على إطلاقه، بل وضعوا له شروطاً ينبغي توفرها في المفهوم، حتى يصح الاحتجاج به³، وذكر الشماخي ثلاثة منها وهي⁴:

- ألا تظهر أولوية المسكوت عنه ولا مساواته للمنطوق به، وإلا كان مفهوم موافقة.
- ألا يخرج القيد فيه مخرج الغالب الأعم، ومثّل له بقوله تعالى: (وَرَبَّائُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ)، [النساء (23)]، فإن "في حجوركم" قيد خارج مخرج الغالب، فمن عادة الناس أن المرأة إن كان لها بنت وتزوجت برجل، تأخذها معها لتربيتها.
- ألا يكون لسؤال سائل عن المذكور، أو حادثة خاصة به، أو جهالة بالمسكوت عنه، أي أن لا يكون للقيد فائدة أخرى غير التخصيص بالذكر.

¹ - الجصاص: الفصول في الأصول، ج 1/ص 291 - 294؛ الغزالي: المستصفى، ج 2/ص 196 -

197؛ الشوكاني: إرشاد الفحول، ج 2/ص 39؛ السامي: شرح طلعة الشمس، ج 1/ص 261؛

الزحيلي: أصول الفقه الإسلامي، ج 1/ص 367.

² - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 48 ظ.

³ - ينظر هذه الشروط التي ذكرها الأصوليون في: الزركشي: البحر المحيط، ج 3/ص 100 -

106؛ النملة: المهذب في علم أصول الفقه، ج 4/ص 1802 - 1805.

⁴ - الشماخي: شرح مختصر العدل، (مخ)، 49 ظ.

خاتمة -

بعد هذه الإطلالة السريعة على منهج الشماخي في طرق دلالات اللفظ على المعنى من خلال كتابيه مختصر العدل والإنصاف وشرحه يمكن أن نخلص إلى ما يأتي:

- يعتبر أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي أحد أعلام المدرسة الإباضية، الذين ساهموا في تنشيط الحركة العلمية والفكرية في زمانه؛ وذلك من خلال التدريس والتأليف، فقد ترك تراثا نفيسا في العقيدة والفقه والمنطق وعلم الكلام واللغة والتاريخ .

- يعتبر كتاب مختصر العدل والإنصاف وشرحه، من أشهر المؤلفات الأصولية الإباضية؛ حيث غدا عمدة لجميع الكتب الأصولية الإباضية التي أتت بعد الشماخي، ومرجعا لكل الفقهاء الإباضية سواء في مجال التأصيل أو التفرع.

- سلك الشماخي في تقسيم طرق دلالات الألفاظ منهج المتكلمين، حيث قسمه إلى منطوق ومفهوم، إلا أنه لم يفصل في أقسام مفهوم الموافقة، فقد اعتبر كلا من فحوى الخطاب ولحنه مرادفا لمفهوم الموافقة وليس قسمين له .

- يرى الشماخي أن دلالة مفهوم الموافقة لفظية لا مدخل للقياس فيها؛ يفهم مدلول الدلالة عليها من السياق والقرائن.

- ذكر الشماخي جميع أنواع مفهوم المخالفة، وذهب إلى القول بحجيتها كلها ما عدا اللقب، إلا أنه لم يعتبر المخالفة فيها على إطلاقها، فقد ذكر القائلون بالمخالفة شروطا للأخذ بها، اقتصر الشماخي على ذكر ثلاثة منها.

وفي الختام هذه محاولة مختصرة لاستجلاء فكر عالم من علماء هذه الأمة الأصوليين في باب من أبواب أصول الفقه المترامية، رجائي أن أكون قد وفقت ولو بقدر يسير في عرض وتوضيح موضوع هذا الدراسة، وأسأله تعالى أن يجعل عملي هذا مخلصا لوجهه الكريم، وأن يغفر لي هفواتي وزلاتي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع -

- 1- إمام الحرمين؛ أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني: البرهان في أصول الفقه، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، ط1؛ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1418هـ/1997م.
- 2- الأمدى؛ أبو الحسن علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، تح: سيد الجميلي، ط1؛ دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ.
- 3- ابن أمير حاج؛ أبو عبد الله شمس الدين محمد: كتاب التقرير والتحبير على تحرير الإمام الكمال بن الهمام في علم الأصول الجامع بين اصطلاح الحنفية والشافعية، ط2؛ دار الكتب العلمية، 1403هـ - 1983م.
- 4- الإيجي؛ عضد الدين عبد الرحمن: شرح مختصر المنتهى الأصولي، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط1؛ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424هـ - 2004م.
- 5- بابا واعمر خضير: الإمام اسماعيل الجيظالي و فكره العقدي، ط1، المطبعة العربية؛ غرداية، 1430هـ - 2009م.
- 6- الباجي؛ أبو الوليد: إحكام الفصول في أحكام الأصول، تح: عبد المجيد تركي، ط2؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1415هـ - 1995م.
- 7- البخاري؛ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1؛ دار طوق النجاة، 1422هـ.
- 8- البرادي أبو القاسم بن إبراهيم: البحث الصادق والاستكشاف عن حقائق معاني كتاب العدل والإنصاف، مخطوط مصور، مكتبة عمي سعيد، غرداية، رقم: خ ص 26.
- 9- البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ط3؛ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424هـ/2003م.
- 10- تاديوس لفتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: ماهر جرار؛ ريماء جرار، ط1؛ دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، د ت ن.
- 11- تعاريت: رسالة في تاريخ جربة، مخطوط مصور، مكتبة جمعية الشيخ أبو إسحاق اطفيش، غرداية.
- 12- التواجيني مهني: شرح مختصر العدل والإنصاف للشماخي، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة بمعهد الشريعة بالجامعة الزيتونية تونس، 1411هـ - 1990م.
- 13- الجصاص؛ أحمد بن علي أبو بكر الرازي: الفصول في الأصول، تح: عجيل جاسم النمشي، ط2؛ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1414هـ - 1994م.
- 14- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني: سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1؛ المكتبة العصرية، بيروت، د ت ن.
- 15- الزركشي؛ محمد بن بهادر: البحر المحيط في أصول الفقه، ط2؛ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1413هـ - 1992م.

- 16- سالم بن يعقوب، تاريخ جزيرة جربة ومدارسها العلميّة، إعداد فرحات الجعيري، ط1؛ مجموعة سراس للنشر، تونس، 2006م.
- 17- السالمي؛ نور الدين عبد الله بن حميد: شرح طلعة الشمس على الألفية، المسماة بـشمس الأصول، دط؛ مطبعة الموسوعات، مصر، د ت ن.
- 18- ابن السبكي، عبد الوهاب بن علي: جمع الجوامع، ط1؛ دار ابن حزم، بيروت - لبنان، 1426هـ - 2005م.
- 19- سليمان الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، دط؛ د ن، د ت ن.
- 20- ابن السمعاني؛ أبو المظفر منصور بن محمد: قواطع الأدلة في الأصول، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط1؛ دار الكتب العلمية، 1418هـ - 1997م.
- الشماخي؛ أبو العباس أحمد بن سعيد:
- 21- كتاب مختصر العدل والإنصاف، دط؛ وزارة التراث القومي والثقافة، 1404هـ - 1984م.
- 22- شرح مختصر العدل والإنصاف، (مخ)، مكتبة عمي سعيد، غرداية، برمز: خ ص 61.
- 23- كتاب السير، تح: محمد حسن، ط1؛ دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان، 2009م.
- 24- الشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: أحمد عزو عناية، ط1؛ دار الكتاب العربي، 1419هـ - 1999م.
- 25- عبد الكريم النملة: المهدب في علم أصول الفقه المقارن، تحرير لمسائله ودراساتها دراسة نظرية تطبيقية، ط1؛ مكتبة الرشد، الرياض، 1420هـ - 1999م.
- 26- عبد الكريم زيدان: الوجيز في أصول الفقه، ط6؛ مؤسسة قرطبة، د ت ن.
- 27- الغزالي؛ أبو حامد محمد بن محمد الطوسي: المستصفى من علم الأصول، تح: محمد بن سليمان الأشقر، ط2؛ مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1433هـ - 2012م.
- 28- فتحي الدريني: المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، ط3؛ مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، 1434هـ - 2013م.
- 29- فرحات الجعيري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، دط؛ نشر جمعية التراث، القرارة - الجزائر، 1408هـ - 1987م.
- 30- ابن ماجه؛ محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دط؛ دار الفكر، بيروت، د ت ن.
- 31- مجموعة من الباحثين: معجم أعلام الإباضية من ق1هـ إلى 15هـ "قسم المغرب"، ط1؛ جمعية التراث، غرداية، 1420هـ - 1999م.
- 32- مسلم بن الحجاج النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دط؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت ن.

- 33- مصطفى صالح باجو: منهج الاجتهاد عند الإباضية، ط1؛ مكتبة الجيل الواعد، مسقط- عمان، 1426هـ - 2005م.
- 34- ابن منظور؛ جمال الدين محمد بن مكرم المصري: لسان العرب، ط3؛ دار صادر، بيروت، 1414هـ.
- 35- وهبة الزحيلي: أصول الفقه الإسلامي، ط1؛ دار الفكر، دمشق - سوريا، 1406هـ - 1986م.
- 36- أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء: العدة في أصول الفقه، تح: أحمد بن علي سيد المبارك، ط3؛ السعودية، 1414هـ - 1993م.



سياسة التجريم بين الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري

شرع عبد الرزاق¹، كيحول بوزيد²

1- كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية

2- كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة غرداية

¹abderazakchraa@gmail.com

²bouzidkaihoul@hotmail.com

الملخص -

تؤكد الإحصاءات الرسمية بالجزائر تزايدا رهيبا في عدد الجرائم بشتى صورها ومختلف وسائلها، مما يستدعي إعادة النظر في السياسة التجريبية المتبعة، ويضعها في موقف المسألة والمحاسبة، لما لهذه الأخيرة من أهمية في حفظ أمن الجماعة واستقرارها وطمأنينتها وسكينتها. ويلزم من هذا أيضا اقتفاء أثر سياسة التجريم المقررة في الشريعة الإسلامية نظرا لما أثبتته من فعالية لكبح تكرار الجريمة، وكذا أهمية المقاصد والمصالح التي تحميها. إن هذه الدراسة تهدف إلى بيان المقصود من سياسة التجريم، والوقوف على المصالح المحمية في الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري، ومن ثم المقارنة بين السياستين انطلاقا من المصالح الاعتبارية مرورا بالمصادر المعتمدة في كل سياسة. ويتمحور إشكال البحث في مايلي: ما المقصود بسياسة التجريم وماهي المصالح المحمية من خلالها؟ وهل تم التوافق بينهما في السياسة التجريبية الإسلامية والقانون الجزائري؟. يقوم البحث على ثلاثة محاور أولا التعريف بسياسة التجريم ومصادرها الأصلية في الشريعة الإسلامية، وخصص الثاني لسياسة التجريم ومصادرها في القانون الجزائري، بينما جاء المحور الثالث للمقارنة بينهما. ويسلك البحث منهجا استقرائيا من خلال تتبع الجزئيات وأقوال الفقهاء والخبراء في مجال سياسة التجريم، ومنهجا تحليليا في بيان ماهية سياسة التجريم، والوقوف على المصالح المحمية عند كل سياسة. وقد توصل البحث إلى

نتائج عديدة منها: تضمن سياسة التجريم في الشريعة الإسلامية للإنسان ومجتمعه كل الضروريات، وتعمل إلى رقي وسعادة الأفراد بخلاف سياسة التجريم في القانون التي تجعل مصالح الإنسان في المرتبة الثانية ضمن أولويتها مما يؤدي إلى انتشار الجريمة. وخلص البحث إلى توصيات منها: إعادة النظر في سياسة التجريم المتبعة في القانون الجزائري، والاقتراء بالشريعة الإسلامية من خلال المصالح المحمية والأخلاق التي تركز عليها.

الكلمات الدالة -

سياسة التجريم- المصادر الأصلية- المصالح المحمية- مراعاة المصلحة.

The Policy Of Criminalization In The Islamic Law And In The Algerian Legislation

Abstract-

The Algerians Official Statistics Confirm That There Is An Incredible Increasing In The Number Of Crimes With Its Different Forms And Tools Which Requires Re-Consideration On The Followed Criminalization' Policy As Well As The Latter Should Be Put On Responsible Position Due To Its Importance At Keeping The Security ,Stability And Tranquility Of The Community .

This Is Why We Should Take Into Consideration The Criminalization 'Policy Which Is Established In Islamic Religion For Both Its Effectiveness In Decreasing The Number Of Crimes And At Its Importance In Protecting Purposes And Interests .

This Study Aims To Show The Real Meaning Of The Policy Of Criminalization And The Protected Interests In Both The Algerian Law And Islamic Religion As Well We Are Going To Compare Between The Tow By High Lighting On Both The Protected Interests And Authorized Sources Of Each One .

The Central Head Line Of The Study Is That What Is The Real Meaning Of 'Policy' Criminalization And What Are Its Protected Interested Through It And More Over Is There Any Compatibility Between The Tow (Islamic And The One Practiced By The Algerian Law) .?

The Research (The Study) Is Itself Based On Three Main Head Lines

Firstly : Definition Of The Policy Of Criminalization And Its Original Sources In Light Of Islamic Law

Secondly Definition Of Policy Of Criminalization And Its Original Sources In Light Of Algerian Law

Thirdly : Comparison Between The Two

The Study Follows Inductive Approach Through The Tracking Of Particles On One Hand And By The Saying Of Fukaha On The Other Hand ,As Well As The Research Follows An Analytical Approach Which Shows The Real Definition Of The Policy And Identity The Protected Interest At Each Policy.

The Research(Study) Had Reached Many Results And The Most Brilliant One Is That The Policy Of Criminalization In Islamic Religion (Law) Ensures That All Human Being Have All The Necessities To Reach A High Level Of Prosperity And Happiness And Progress Unlike The Criminal Policy Of Algerian Law.

The Recommendations Of The Research (Study) Are To Reconsider The Criminalization Policy Adopted In Algerian Law And To Follow Islamic Law (Religion) Through The Protected Interests And Ethics That Focus On It.

Key Words -

The Policy Of Criminalization، Initial Or Original Sources، Protected Interests، Take Into Consideration.

مقدمة -

- يكتسي البحث في سياسة التجريم أهمية بالغة في الحياة المعاصرة، إذ من خلالها تعرف المصالح الجديرة بالتجريم، وتمنع كذلك كل السبل والطرق المؤدية للمساس بها، وتختلف سياسة التجريم من دولة إلى أخرى حسب المصالح التي تراها كل دولة جديرة بالحماية الجنائية، ولا يكون النجاح حليف أي سياسة إلا إذا حفظت المصالح المعتبرة حقيقة حفاظا يمنع أي مساس بها أو تغيير، وسنقف في هذا البحث على السياسة التجريبية في الشريعة الإسلامية، وكذا السياسة المتبعة في القانون الجزائري، ثم المقارنة بينهما. نسأله تعالى التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أولاً: تعريف سياسة التجريم ومصادرها في الشريعة الإسلامية:

1: تعريف الجريمة :لغة: الذنب جرم وأجرم أجترم وجرم.

والإجرام مصدر أجرم وهو اقتراف السيئة، ويطلق على الجريمة ألفاظ الإثم

والذنب والجريمة.⁽¹⁾

الجريمة في اللغة الكسب والقطع.⁽²⁾

اصطلاحاً: إتيان فعل محرم معاقب على فعله، أو ترك فعل مأمور به معاقب على تركه.⁽³⁾

أو هي: إتيان فعل أو قول حرم الشرع إتيانه وعاقب عليه بحد أو تعزير، أو ترك فعل أو قول حرم الشرع تركه وعاقب عليه بحد أو تعزير. ويعرف الماوردي الجريمة بقوله: " هي محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها بحد أو تعزير".⁽⁴⁾

وتطلق على الجريمة عدة مسميات منها الخطيئة والمعصية والجناية والإثم، و من الفقهاء من يرى إطلاق لفظ الجناية للدلالة على أفعال الاعتداء على النفس أو ما دونها من الأطراف.

ويستخلص من هذا التعريف:

- لكي يكون الفعل أو الترك جريمة لابد أن يكون صادراً من الشرع لأن مخالفة الأمر المعارض للشرع لا يسمى جريمة.

- أن يكون الفعل أو الترك مطلوباً طلباً جازماً، فإن كان غير جازم لم يسم جريمة في عرف الفقهاء.

- أن يضع الشارع على ترك الفعل الواجب أو فعل المحرم عقوبة دنيوية سواء أكانت حداً أم تعزيراً، فإن لم تكن هناك عقوبة دنيوية مرصدة كانت خطيئة يرجى عقابها في الآخرة مثل الغيبة وعدم الخشوع وأمراض القلوب ونحوها.⁽⁵⁾

2: علة التجريم في الشريعة الإسلامية:

لم يقرر الله تعالى حكماً شرعياً إلا وكانت له علة من مصلحة للعباد، فالشارع لا يضيق على الناس بمنع أفعال سداً أو اعتباطاً تنزه الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما يكون التقرير بالمنع لمصلحة، والمصلحة التي يقررها الشارع لعباده هي المصلحة التي تستقيم بها أمورهم ويصلح لهم دينهم ودنياهم، فيقوم بذلك المجتمع المتماسك الذي تحفظ فيه حياة أفرادهِ وسلامة عقولهم وأجسامهم، بالإضافة إلى نقاء أعراضهم وصحة أنسابهم، ويحرص فيه على احترام ملكية الغير ومن ثم الوصول إلى الرقي والازدهار.⁽⁶⁾

والمصلحة المعتبرة هي علة التجريم، ويلفظ أدق صيانتها والحفاظ على كينونتها أصلا هي علة التجريم.

ومنه فإن تحديد المصلحة محل الحماية يكشف عن العلة في تجريم فئة معينة من الأفعال على لفظ مبالغ، إذ الصحيح أن يقال أن المصلحة أمارة تجريم أفعال معينة وليست المصلحة باعتبارها باعثا على التجريم ومؤثرة فيه بالخلق والإيجاد، ذلك أن الله سبحانه تعالى خلق مصالح العباد فلا يجوز أن ينسب إليه أنه يستمد منها بواعث حكمه.⁽⁷⁾

ولما كان الله عز وجل غنيا عن خلقه لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين فإن كل طاعة لله هي في الوقت ذاته مصالح الخلق في عاجلهم وآجلهم.

ويكمن إجمال بيان علة التجريم في النقاط الآتية:

- أن كل خروج عن أوامر الله تعالى بترك ما أمر أو ارتكاب ما نهى يعتبر جريمة وجنائية، ومنه تكون علة التجريم هو عصيان الله ومخالفة أوامره.⁽⁸⁾
- ارتكاب بعض الأفعال الماسة بمصالح العباد المجملة في الكليات الخمس: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل وحفظ المال، وتجريم هذه الأفعال ضروري لحماية مصالح العباد، لأن فعل ما يحظر وترك ما يجب ينجر عنه ضرر بنظام الجماعة في عقائدها أو في حياة أفرادها أو في أموالهم أو في أعراضهم أو في مشاعرهم، وفي مايلي بيان لأنواع من الأفعال المجرمة والتي تمس هذه الكليات⁽⁹⁾

- حفظ الدين هو علة تجريم الردة حدا، وسائر الأفعال التي تمس الدين تعزيرا.

- حفظ النفس هو علة تجريم القتل والجناية على الأطراف قصاصا.

- حفظ العقل هو علة تجريم شرب الخمر حدا، وكل المسكرات والمخدرات تعزيرا.

- حفظ النسل هو علة تجريم الزنى حدا، وسائر الأفعال التي تسبب في تهيج الرغبات الجنسية تعزيرا.

- حفظ المال هو علة تجريم السرقة حدا وسائر الأفعال التي تعتبر تعديا على حقوق الملكية والحقوق المالية عموما تعزيرا.⁽¹⁰⁾
- تتميز الشريعة الإسلامية عن غيرها بالاعتداد بالأخلاق، بل وتشدد على ذلك وهذا من خلال رصد العقوبات على الأفعال التي تمس الأخلاق والتي تؤول بدورها إلى ضرر وخطر بنظام الجماعة وهذا بسبب توتر العلاقات ونشوب العداوات بين أفرادها.⁽¹¹⁾

ملاحظات -

- إذا تعارضت مصلحتان أو أكثر من المصالح السالفة الذكر فإن العلة العامة والمصلحة الحقيقة للمجتمع في مجمله تقتضيان ترجيح المصلحة الأكثر أهمية وإباحة إهدار المصلحة الأقل، مع التفطن إلى أن صيانة المصلحة الأولى لا تتحقق إلا بإهدار المصلحة الثانية، كجواز شرب الخمر (حفظ العقل) لتمرير الغصة (حفظ النفس).

- يجوز لولي الأمر أن يجرم بعض الأفعال التي يراها ماسة بحقوق ومصالح أخرى لها من القدر ما يستلزم حمايتها كحماية النظام الضريبي أو النقدي أو حماية قانون المرور ويكون العقاب على هذه الأفعال تعزيرا.⁽¹²⁾

3: مصادر سياسة التجريم في الشريعة الإسلامية:

- نقتصر في هذا المطلب على ذكر المصادر الشرعية المتفق عليها فقط وهي القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس، ولا تأتي على المصادر المختلف فيها إذ تمة خلاف في اعتبارها بين الأصوليين.

أ: القرآن الكريم:

- يعرف القانون الكريم بأنه: كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المنقول إلينا بالتواتر المعجز بيانه المتعبد بتلاوته.⁽¹³⁾
- ورد في القرآن الكريم أزيد من ثلاثين موطنا مشيرا للتجريم، وما هذا إلا تحذير وتنبيه على جسامة الأفعال المجرمة وضررها على أمن وسلامة المجتمع، وذكر بعض الجرائم وألحق بها أشد العقوبات كالحدود والقصاص.⁽¹⁴⁾

وباستقراء النصوص القرآنية الواردة في شأن سياسة التجريم نجد أن موضوعها على قسمين:

قسم خاص يتحدث عن جرائم مخصصة ومحددة وهي جرائم الحدود والقصاص والديات وبالتفصيل، وقسم عام يتحدث بصفة إجمالية عن المنهيات والممنوعات ويحذر منها تاركاً لولي الأمر أن يعاقب عليها بحسب ما يراه كفيلاً للحد منها، مع إعطائه جملة من القواعد والأصول يستند عليها حتى لا تحيد أحكامه عن الصواب والجادة من قبيل الآيات التي تتحدث عن العدل والقسط والنهي عن الظلم، وهذا القسم يعتبره الفقهاء دليل على جرائم التعزير التي لم يرد في شأنها حد ولا قصاص، وفي ما يلي توضيح لذلك: ⁽¹⁵⁾

القسم الخاص: وفي هذا تحدث القرآن الكريم ونص على جرائم معينة محدداً خطرهما وجسامتهما على مرتكبها مبيناً عواقبها في الحال والمآل، وفي كثير من المواضع يذكر العقوبة المحددة لها، وإن لم تذكر بصريح اللفظ في القرآن أوضحتها السنة النبوية. ومن الجرائم التي نص عليها القرآن:

- الحدود:

الحد في اللغة يعني المنع والقطع.

اصطلاحاً: عرف الفقهاء الحد بأنه عقوبة مقدرة حقاً لله تعالى، فمتى علم الحاكم بمجرم اقترف أحد الحدود استحق عقوبة الحد، ومنه فإنه يجب عليه التنفيذ ولا يملك العفو عنه. ⁽¹⁶⁾

وعرف الحد أيضاً هو ما وضع لمنع الجاني من أن يعود لفعله، وجرائم الحدود جرائم معلومة ومحددة حددها القرآن الكريم وهي على سبيل الحصر ويعاقب عليها بعقوبة تسمى حداً والحد هو العقوبة المقررة حقاً لله تعالى.

وتجب على كل من يرتكب جريمة من جرائم الحدود، وهي حدود شرعت لحفظ النفس والنسل والمال والعقل وحفظ الدين وجرائم الحدود سبع وهي: الزنا والقذف والسرقه والحراية وشرب الخمر والبغي والردة. ⁽¹⁷⁾

والأصل في عقوبة الحد أنها محددة بالقرآن الكريم، واستثناء بالسنة النبوية، فإذا كان الأصل أن يحدد القرآن الكريم عقوبة الحد فإنه في بعض الأحيان اكتفى بالتجريم، وتكفلت السنة النبوية بتحديد العقاب، فمثلاً في

جريمة شرب الخمر جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنفع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما و يسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) سورة البقرة، الآية: 219.

ثم تكفلت السنة النبوية ببيان عقوبته بالجلد أربعين جلدة وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حددت بثمانين جلدة.

ومثلاً في جريمة الردة بين القرآن الكريم أن الردة عن الدين والتولي عنه محبط للعمل ومستوجب للخسران في الدنيا والآخرة قال الله تعالى: (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون).

سورة البقرة، الآية رقم: 217،

وتكفلت السنة النبوية بتحديد العقوبة، وهذا ما نجده في مباحث مكانة السنة النبوية للقرآن الكريم.

وجرائم الحدود كلها مبينة في القرآن الكريم وعددها سبع وهي:

1- الزنى: وهو وطأ المرء لامرأة لا تحل له، فكل وطأ محرم يعتبر زناً في الشريعة الإسلامية،⁽¹⁸⁾ وهذا يعني أن الواطء في الحرام لم يفرق القرآن الكريم عقوبته بين المحصن وغير المحصن ورد بيان هذا الحد في القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) سورة النور، الآية رقم: 2.

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة).⁽¹⁹⁾

فالملاحظ أن السنة فرقت بين الفاعل المحصن وغير المحصن فجعلت عقوبة البكر خفيفة وعقوبة المحصن شديدة، ولقد أجمع الفقهاء على وجوب التفريق في عقوبة الزنا بين الزاني المحصن والزاني غير المحصن فقررروا عقوبة الرجم للأول والجلد للثاني.

2- **القذف**: يعرف القذف بأنه رمي المسلم المحصن بالزنا تصريحاً أو دلالة أو نفي النسب،⁽²⁰⁾ فجاء في القرآن الكريم قوله تعالى:

(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) سورة النور، الآية رقم: 4، والملاحظ أن الشريعة الإسلامية لم تكتف بعقوبة الحد في جريمة القذف فقررت لها كذلك عقوبة تبعية هي عدم قبول شهادة مرتكب الجريمة وكل ذلك حفاظاً على أعراض المسلمين.

ويشترط لقيام حد القذف أن يكون المقذوف محصناً وأن يكون القذف إما بأنه ارتكب جريمة الزنا أو تم نفي نسبه، وحد القذف هو ثمانون جلدة وذلك بالنص القرآني.

3- **السرقه**: السرقة هي أخذ مال مملوك للغير خفية أو خلصة دون علم من المجني عليه ودون رضاه، وهي جريمة حد وقد ذكرها القرآن الكريم فقال الله سبحانه: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) سورة البقرة، الآية رقم: 38.

ويشترط في جريمة السرقة أن تكون السرقة تامة، أي مستوفية لأركانها الخاصة وخالية من الشبهات والمحاذير التي وضعها الفقهاء لها، فإن عقوبتها كما بينها القرآن الكريم قطع اليد.⁽²¹⁾

4- **شرب الخمر**: الخمر في الشريعة الإسلامية حرام بصفة قاطعة فهو مضيعة للنفس والعقل والصحة والمال فقد جاء في القرآن الكريم: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) سورة البقرة، الآية رقم: 219.

وإذا كان القرآن الكريم قد حدد جريمة شرب الخمر وجرمها قطعاً فإنه لم يحدد عقوبتها فتكفلت السنة النبوية ببيانها وأقرتها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد فاجلدوه)⁽²²⁾.

5- **البغي**: في اللغة هو الظلم والتعدي وفي الاصطلاح هو الامتناع عن طاعة من ثبتت إمامته في غير معصية بمغالbته ولو تأويلاً أما البغاة فهم جماعة من

المسلمين خالفت الإمام الأعظم أو نائبه لمنع حق وجب عليهما⁽²³⁾ ودليله ورد في القرآن الكريم وهو قوله تعالى:

(وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلتا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) سورة الحجرات، الآية رقم: 9

6- الردة: في اللغة هي الرجوع فالراجع مرتد، وفي الاصطلاح هي إنكار لما علم من الدين كأن يكفر المسلم بصريح العبارة فيكون مرتدا، ومعنى ذلك أن الردة هي الرجوع عن الإسلام،⁽²⁴⁾ وأدلتها متظافرة من القرآن ومن السنة النبوية ومنها قوله تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين) سورة آل عمران، الآية رقم: 85.

وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه). ويرى الفقهاء أن عقوبة الردة هي القتل لما ثبت من نصوص وكذا عمل الصحابة رضي الله عنهم.

7- الحرابة: في اللغة معناها القتل، وفي الاصطلاح هي أخذ المال قهراً أو على سبيل المغالبة، وهي قتل إنسان لأخذ ماله ويسمى فاعله المحارب، والمحاربة من الحدود المبينة بالنصوص الشرعية،⁽²⁵⁾ قال الله تعالى: (إنما جزؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) سورة المائدة، الآية رقم: 34.

- ب: القصاص والديات.

ورد ذكر القصاص في القرآن الكريم في أكثر من موضع وما ذلك إلا تنبيها لخطره و تحذيرا من الاعتداء على الأنفس، ولقد تعددت تعريفات الفقهاء للقصاص ومنها:

القصاص هو معاملة الجاني بمثل اعتدائه، ومنه فالقصاص يعني المماثلة ولا يسمى القصاص حدا لأنه حق للعبد له أن يعفو عنه.⁽²⁶⁾

والآيات الواردة في القصص عديدة منها قوله تعالى: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)سورة المائدة، الآية رقم: 45.

فمن خلال الآية يظهر وجوب تطبيق القصص، ويستفاد كذلك أن هذه العقوبات كانت مقررة في التوراة وأقرها القرآن على المسلمين، فهي عقوبة قديمة وحديثة معا. وتعد عقوبة لازمة لا ينبغي أن يخلو من تطبيقها مجتمع إنساني يريد السمو والرفي في سلوكياته، ويضمن لأفراده العيش بسلام وأمان، كون القصص من الله عز وجل، وهو تعالى أعلم بالأصلح لعباده، وهو تعالى أدرى بشؤون خلقه، واعتبر سبحانه تعديها (تعطيل تطبيق القصص) ظلما وعدوانا فقال سبحانه في آخر الآية: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)سورة المائدة، الآية رقم: 45.

وقال تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله)سورة البقرة، الآية رقم: 194، وما ذلك إلا دلالة على وجوب تطبيق القصص. وقال أيضا: (ولكم في قصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون)سورة البقرة، الآية رقم: 179.

لقد اعتبر القرآن الكريم القصص حياة وما ذلك إلا لأن القصص سبيل لحفظ الأنفس والأبدان ومنه فالمحافظة على نفس وبدن الإنسان حياة له، يستحيل على الفرد العيش بغير ذلك، أو يعيش وهو غير آمن على نفسه وبدنه بأي عيشة هذه ومنه يلحظ أن في القصص حياة.

وقال عز وجل (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون)سورة الأنعام، الآية رقم: 151، وقرر لولي الدم أن لا يتجاوز الحد المنصوص فقال تعالى: (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فالقتل إنه كان منصورا) سورة الإسراء: الآية 33.

وذكر معنى القصص في القرآن الكريم فقال عز من قائل: (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)سورة النحل، الآية رقم: 126.

وبين تعالى جزاء القتل العمد الذي يعد القسم الأول من القصاص بأنه يوجب لفاعله عقوبة النار، وهي عقوبة ما بعدها عقوبة وجزاء لفعله القبيح، وكذلك يكون صاحبه مستحقا لعنة الله وغضبه في الدنيا فقال تعالى مبينا ذلك: (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) سورة النساء، الآية رقم: 93.

القسم العام:

في هذا القسم تحدث القرآن الكريم عن ممنوعات ومحاذير وأفعال ضارة بالمجتمع ومن تم فهي جديرة بالتجريم، ولم يرد في هذا القسم عقوبات دنيوية مفصلة كما وردت في شأن الحدود والقصاص، وإنما تركت لولي الأمر أن يرصد لها عقوبات حسب ما تقتضيه حال الجماعة وظروفها، في حدود نصوص الشريعة ومبادئها العامة الواردة كذلك في القرآن الكريم.

وما هذا الترك إلا دلالة على إمكانية إدراج أفعال أخرى قد تطرأ على المجتمع مشكلة ضررا وخطرا على أمنه وسلامته.⁽²⁷⁾

ويعتبر الفقهاء أن الآيات الواردة في هذا الشأن تعد دليلا على اعتبار التعزير فيها وفي غيرها من الأفعال التي لم يرد في شأنها حد ولا قصاص.

ويعرف التعزير بأنه التأديب على ذنب لا حد فيه ولا كفارة له.

ويعرف التعزير كذلك بأنه العقوبة التي يقررها ولي الأمر أو القاضي من أجل معصية لم يرد في شأنها حد أو قصاص أو دية، ومن الأمثلة الدالة على التعزير ووجوب العقاب على مقتطف تلك الأفعال ما يلي:⁽²⁸⁾

قوله تعالى: (ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون) سورة البقرة، الآية رقم: 188.

وذكر القرآن ضرر الربا ولكنه لم يقرر لها عقوبة فقال الله تعالى: (إن الذين ياكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) سورة البقرة، الآية رقم: 275.

- وحذر من تطفيف الكيل والميزان فقال الله تعالى: (ويل للمطففين الذين إذا اكتاثوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) سورة البقرة، الآية رقم: 01.

- وأشار إلى الكف عن التنازع بالألقاب والسب والشتم: فقال الله تعالى: (ولا تنازعوا بالألقاب بسئ الاسم الفسوق بعد الايمن ومن لم يتب فهم الظالمون) سورة الحجرات، الآية رقم: 11.

ولم يتضمن القرآن الكريم تفصيل أحكام هذه الجرائم على نحو ما فعل في جرائم الحدود والقصاص، ويفهم من ذلك بأنه يمكن أن تختلف أحكامها وعقوباتها باختلاف العصور والأمكنة فوضع القرآن الكريم مبدأ وجوب تحريمها تاركا تفصيل ذلك لولي الأمر بحسب ما يراه كفيلا للقضاء عليها.⁽²⁹⁾

ثانيا: السنة النبوية:

تعرف السنة النبوية بأنها ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.⁽³⁰⁾

كما هو معلوم بأنه لا غناء عن السنة النبوية في بيان الأحكام الشرعية ومنها أحكام سياسة التجريم، إذ أقرت بعض أحكام القرآن الكريم وفصلت البعض منه، وجاءت بأحكام جديدة في سياسة التجريم، وسنحاول في هذا الجزء ذكر أمثلة عن ذلك.

قد تأتي السنة مؤكدة لحكم في القرآن الكريم، ومثاله في سياسة التجريم حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: (إذا قتل القتل فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا العقل). والعقل بمعنى الدية فقد أقرت السنة وبينت حكما ورد في القرآن الكريم والمتمثل في قول الله تعالى: (يأيتها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه بإحسان) سورة البقرة، الآية رقم: 178.

نلاحظ في هذا المثال أن السنة لم تأت بشيء جديد وإنما أكدت ما قد سبق بيانه في القرآن الكريم.⁽³¹⁾

وتفصل السنة النبوية حكما مجملا في النص القرآني ومثاله في سياسة التجريم قول المصطفى صلى الله عليه وسلم:
(لا قطع إلا في ربع دينار)، إذ جاءت لتفصيل قول الله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) سورة المائدة، الآية رقم: 38.

فقد بينت السنة مقدار المال المسروق الذي يستوجب القطع وهذا الأمر لم يرد بيانه وتفصيله في القرآن الكريم إذ جاءت بعموم السرقة ولم يحدد المقدار، وكذا مقدار ما يقطع من اليد لأن اليد في اللغة تطلق على الكف والذراع كله، فبينت السنة مقدار القطع المتمثل في اليد اليمنى من مفصل الزند خلافاً للشيعة الإمامية فإن القطع عندهم يكون من أصول الأصابع، ولا قطع عند أبي حنيفة إلا إذا كانت اليسرى صحيحة حتى لا تذهب منفعة الجنس.⁽³²⁾
أما السنة المنشئة لحكم جديد ومثاله دفع الصائل المتعارف عليه في الصيغ القانونية بمصطلح الدفاع الشرعي، (أن رجلاً تجسس على قوم ففقتوا عينه فلا دية له).

وكذلك حد شرب الخمر الذي لم يرد بيانه وذكره في القرآن الكريم فبينته السنة المطهرة الفعلية لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ضرب في الخمر والقليل والكثير ولم يزد بحال على الأربعين جلد).⁽³³⁾
وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)،⁽³⁴⁾ إذ يتقرر ويتعين وجوب الاعتداء بالنيات (نظرية الباعث) في تقييم العمل الإنساني، والعديد من الأحاديث النبوية في هذا القسم المنشئة لحكم جديد.

وقد تأت السنة النبوية بكليات وقواعد عامة ناهية عن التجريم بالدعاء إلى تجنب بعض الأفعال والسلوكيات القبيحة وإبعاد الضرر عن مجموع الأمة وعلى الفرد المسلم على السواء، وتبين موقفها منها وترصد في بعض الأحيان عقاباً لذلك الفعل ومن ذلك:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار).⁽³⁵⁾

ثالثا: الإجماع:

حقيقة الإجماع لا تتحقق إلا باتفاق جميع المجتهدين من الأمة الإسلامية في عصر من العصور على حكم شرعي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم،⁽³⁶⁾ ومن الصعب أن نذكر أن المسألة مجمع عليها كما يقول في ذلك الإمام أحمد: "لا ينبغي لأحد أن يدعي الإجماع لعل الناس اختلفوا"، ولكن نحن لا ننفي حجة الإجماع وإمكانية انعقاده ولكن نقر بصعوبته نوعا ما.

و الإجماع في سياسة التجريم وقع في تجريم شرب الخمر واعتباره أحد الحدود، وإن قام الخلاف فيما بعد حول عدد الجلدات التي توقع على شارب الخمر.

وكذلك تقرير أن القتل بالسوط وما لا يعتبر آلة للقتل عادة لا قصاص فيه.

رابعا: القياس:

لم يثر أي خلاف بين الفقهاء في اعتبار القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع مصادر شرعية يستند عليها التجريم، ولكن وقع خلاف في شأن مصدر القياس هل يمكن أن يستند التجريم عليه ٩. أو بتعبير آخر هل يجوز القياس في مجال التجريم؟

يرى بعض الفقهاء جواز القياس في سياسة التجريم، ولا يوجد ما يمنع من الاستدلال به واعتباره إذا وجدت واستحدثت أفعال رآها ولي الأمر جديدة بالتجريم حماية للمصالح والكتليات العامة التي أكدتها الشريعة قياسا على الأفعال التي جرمتها الشريعة بدون استثناء، وما يترتب عنها من أضرار تعود على الفرد والجماعة وهو قول الجمهور.

بينما يرى البعض الآخر أنه لا مجال للقياس في التجريم وإنما وردت الأفعال المجرمة على سبيل الحصر فقط لا المثال وبالتالي لا يجوز الحاق غيرها بها لأن الشارع حددها وتولى بنفسه تحديد نوع ومقدار عقوباتها، وبهذا قال الحنفية.

وسنحاول الوقوف على أدلة الفريقين ومن ثم ترجيح أقواها دليلا وأسلمها منهاجا.

وقبل الوقوف على أدلة الفرقين نفرق بين جرائم الحدود والقصاص والدية وبين جرائم التعازير.⁽³⁷⁾

أ- القياس في جرائم الحدود والقصاص والديات:

اختلف الأصوليون في اعتبار القياس مصدرا لسياسة التجريم إلى فريقين وسنقف على أدلة كلا الفريقين:

أدلة القائلين بعدم جواز اعتبار القياس كمصدر في التجريم:

- تتميز جرائم الحدود والقصاص والديات بأنها مقدرة من عند الله تعالى وقد ورت على سبيل الحصر، و بنصوص قطعية من القرآن الكريم وبأحاديث متواترة من السنة النبوية، فقد بينت هذه النصوص جرائم الحدود والقصاص والديات بقدر كاف، وضعت لها عقوبة مقدرة ومحددة، واعتبرتها جرائم واردة على سبيل الحصر لا المثال، وبالتالي لا يصح القياس عليها.

- حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: (ادعوا الحدود بالشبهات)، ومفهوم هذا الحديث أن الحد لا يثبت إلا بناء على دليل قطعي لا شبهة فيه، ولما كان القياس بطبيعته دليلا ظنيا، إذ التعرف على العلة والقول بامتداد الحكم بناء عليها هو أمر تختلف فيه وجهات النظر، واختلاف وجهات النظر تقوم به الشبهة، والشبهة تستبعد الحد تطبيقا للحديث السابق.

- تجريم الأفعال والعقاب عليها قياسا على الحدود لا يصح لأن الأخيرة مقدرات إلهية غير معقولة المعنى وما لا تدرك علته لا يصح القياس عليه.⁽³⁸⁾

أدلة القائلين بجواز اعتبار القياس كمصدر للتجريم:

- احتج جمهور الأصوليين أن القياس جائز في الحدود وفي غيرها لأن عموم الأدلة المثبتة لحجية القياس من القرآن الكريم ومن السنة النبوية لم تفرق بين الأحكام لا في الحدود ولا في غيرها وإنما جاءت مجملة نحو قوله تعالى: (فاعتبروا يا أولي الأبصار).

ومن السنة النبوية حديث معاذ بن جبل وحديث أبي موسى وما سبق ذكره، قد تناولت بعمومها جميع الأحكام الشرعية سواء أكانت من الحدود أم من الكفارات أم غيرها، فقصر هذه الأدلة على بعض الأحكام تخصيص بلا مخصص.

- كذلك ما ورد عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بأنه طبق القياس في مجال الحدود فقد قاس شرب الخمر على القذف وجعل عقوبة شرب الخمر نفسها عقوبة القذف وذكر قياسا على ذلك بقوله " (إن شارب الخمر إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افتري)". وهذا هو القياس بعينه ولم ينقل عن أحد من الصحابة أنه خالف فصار إجماعا.

- إن اعتبار الفعل مجرما متحقق إذا استنبطت علة التجريم فيه، ومنه إذا تطابقت علة فعل مجرم بغيره من الحدود صار لهما نفس الحد ونفس الحكم، ولحق به ما دام لهما نفس العلة ومثال ذلك: النباش يقاس على السارق لجامع أخذ مال الغير خفية بغير وجه حق فيقطع النباش كما يقطع السارق لوجود العلة المشتركة.

وأیضا علة تجريم الزنى يمكن استنباطها فهي قضاء شهوة جنسية بغير السبيل الذي أحله الله، أو هي أي ایلاج وقع في فرج محرم، وهذه العلة محققة في اللواط و السحاق ف كلا منهما قضاء شهوة جنسية بغير وجه حق فلماذا لا يقاسان على الزنى وعليه تكون لهما نفس عقوبة الزنى.⁽³⁹⁾

ب- القياس في جرائم التعزير:

لم يؤثر في مجال التعزير أي خلاف بين الأصوليين واتفقوا على جواز القياس في جرائم التعزير مع ذكر الضوابط والشروط التي تحكم قواعد التجريم بوجود فعل يمس مصلحة معتبرة وروح الشرعية وقواعدها العامة.⁽⁴⁰⁾ والقياس في جرائم التعزير التي لم يرد بخصوصها نص ولا حكم في القرآن الكريم أو السنة النبوية قد ترك تحديدهوبیان عقوبته لولي الأمر ويتصور أن يكون القياس وفق الطريقتين:

الطريقة الأولى: تفويض القاضي بعد استظهار ظروف المجتمع وأحواله تجريم بعض الأفعال الضارة به، كتجريم أفعال تمس بالبيئة و قانون المرور و الصيد وكل ما يسبب ضررا للمجتمع قياسا على جرائم الحدود والقصاص لما تمس بمصلحة معتبرة كالدين والنفس والعقل و المال ووحدة وأمن المجتمع، ومن ثم يحدد لها عقوبتها قياسا على عقوبات جرائم الحدود والقصاص وهذه صورة جائزة للقياس.

الطريقة الثانية: وهي بأن يحدد الشارع الوضعي في المجتمع الإسلامي جرائم التعزير في ضوء ظروف مجتمعه ويعين لكل جريمة عقوبتها ويلزم القاضي بهذا الحصر التشريعي ولا يزيد ولا ينقص أمنا وحفاظا على سلامة ونزاهة القضاء بتشابه الحديثيات، وتطبيقا للمبدأ الشرعية الجنائية.

ثانيا: مفهوم سياسة التجريم ومصادرها في القانون الجزائري:

1: تعريف سياسة التجريم في القانون الجزائري.

السياسة الجنائية هي مجموعة الإجراءات التي تقترح على المشرع، أو التي يتخذها هذا الأخير فعلا في بلد وزمن معين لمكافحة الإجرام.⁽⁴¹⁾ وتتكون السياسة الجنائية من سياسة منع ووقاية وسياسة تجريمية وهي محل الدراسة ومن ثم سياسة العقاب، وتتكامل وتتضافر هذه السياسات مع بعضها البعض من أجل الحد من الظاهرة الإجرامية.

وسياسة التجريم هي البنية الأساسية في السياسة الجنائية، فمن خلالها تتمايز الأفعال عن بعضها، ويعرف الفعل المجرم من غيره. فسياسة التجريم هي أهم مرحلة، وما سياسة المنع والعقاب إلا سياج لها وحماية للمبادي والقيم التي أوضحتها سياسة التجريم.

سياسة التجريم في القانون تعني: مجموعة المبادئ التي يمكن على ضوءها التفرقة بين السلوك المجرم طبقا للقانون والسلوك المباح، فترسم السياسة التجريمية الجديرة بالإتباع، فتحدد بمقتضاها ماهية الجريمة وضوابطها وحدودها باعتبارها ظاهرة اجتماعية، ويقوم المشرع الجنائي على ضوءها بتحديد ما يراه جديرا بالتجريم والعقاب لضمان المصالح الاجتماعية الجديرة بالحماية الجنائية، فينص على تجريم السلوكات التي تتعرض لتلك المصالح.⁽⁴²⁾

وتعرف سياسة التجريم كذلك بأنها إضفاء الحماية الجزائية على مصلحة معينة تعد من المصالح الاجتماعية التي تعبر عن مطالب الجماعة كمجتمع إنساني، وتنطوي المصالح الاجتماعية على المصالح العامة و المصالح الفردية التي ثناياها مصلحة عامة:⁽⁴³⁾

المصالح العامة تعبر عن مطالب الجماعة باعتبارها شخصية قانونية وتتضمن هذه المصالح المحافظة على أمن الجماعة ويعني أمرين: السلامة العامة والسلام العام.

فالسلامة العامة: سلامة الجماعة من الكوارث كالحروب والفيضانات والزلازل وكل ما يتعلق بالصحة العامة.

والسلام العام: سلامة الحماية إزاء الأفعال التي تخل بالنظام فيه والمحافظة على النظم والقيم الاجتماعية حيث يقوم كيان الجماعة على أسس هذه النظم والقيم المتعلقة بالشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

والمحافظة على الأخلاق العامة وهي ما تعتقد الجماعة أنه خلقي ويستحق حمايته من الإساءة إليه والمحافظة على الثروة العامة أي الموارد الطبيعية التي يجب المحافظة عليها من خلال حفظ التوازن بينها لذا تكفل القانون بحمايتها من طغيان بعضها على البعض الآخر، وهي العملية التي أطلق عليها العالم الأمريكي روسكوباوند اسم الهندسة الاجتماعية.

المصالح الفردية: تنطوي المصالح الاجتماعية على المصالح الفردية التي تضم في ثناياها مصلحة عامة، لأن الفرد هو أساس المجتمع ومن دونه لا يوجد مجتمع، لذا من مصلحة المجتمع حمايته. وتتضمن هذه المصالح الفردية التي تقتضي حمايتها حق الفرد الإنساني في الحياة والحرية، وسلامة شخصه وماله وحقه في الفكر والرأي، وحق التمتع بحماية القانون دون أي تمييز، بكل الحقوق الأخرى المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعهد الدولي بالحقوق المدنية والسياسية.

ويسحب التجريم أثره على بعض الجرائم التي تكون المصلحة الفردية فيها مع كونها تضم مصلحة عامة إذا وقع الاعتداء برضى المجني عليه، وكذلك لا يتدخل قانون العقوبات أحيانا حماية لمصلحة فردية معتدى عليها كجرائم الأصول على الفروع بغير شكوى عندما يكون أذى إعلان الجريمة أعظم وخطر للمجني عليه من أذى الجريمة كما هو الحال بالنسبة لجريمة الزنى أو أن الأذى العام ضئيل جدا يجوز تجاوزه كما هو الحال بالنسبة لجرائم النسب.

والأفعال المعتبرة حراما تشكل خطرا وضررا على الفرد بعينه وعلى المجتمع الذي ينتمي إليه، فتأتي سياسة التجريم لتوضح وتحدد معالمها لما لها من ضرر، فالإنسان يحمل من غرائز ما يجعله يقدم على تصرفات ضارة بغيره من أجل تحقيق ما يطمح إليه، فينهمك على إشباع نهم غرائزه دون اعتبار للأضرار، فمثلا يعمل على كسب غير مشروع كقبيل السرقة والاختلاس من أجل تحقيق شهوته من تملك واقتناء، أو الوقوع في الزنى إشباعا لغرائزه غير مبال بالعواقب الناجمة عن فعله، فإذا كان المجتمع على درجة من التحضر يجده يعاقب على تلك التصرفات ويسوق لها عقوبات ردعية من أجل المحافظة على كينونته واستمراره. وبالإضافة الى ما يحمله الانسان من غرائز فردية فإن له غريزة اجتماعية تجعله يعتز بجنسه ويعمل على صيانة المصلحة الاجتماعية، وهذا ميول طبيعي وأصيل في الانسان فتراه يتخلى عن بعض السلوكيات ويردع شهواته لصالح بقاء مجتمعه، ولكن قد يتمادى في إشباع هذا المطلب فيصير ظلما وعدوانا كشأن الحروب والغارات واحتلال أراضي وممتلكات لا تعود له، وهذه التصرفات تمثل شكلا من أشكال الغرائز الجماعية.

2: مصادر سياسة التجريم في القانون الجزائري:

1_ القانون: يقصد به القواعد العامة المجردة الصادرة عن السلطة التشريعية أي البرلمان في النظام السياسي الجزائري بغرفتيه المجلس الشعبي الوطني ومجلس الأمة.

وتتعلق هذه القواعد في المجال الجنائي على وجه الحصر بتحديد الجنايات والجنح والعقوبة المطابقة لها وتكفل قانون العقوبات ببيان كل ذلك.

ويعرف قانون العقوبات بأنه: مجموعة القواعد القانونية التي تبين أنواع السلوك المعتبر جرائم وتحدد الجزاءات المقررة لها، سواء كانت عقوبات أو تدابير أمنية⁽⁴⁴⁾.

و المبادرة بالتشريع هي حق لكل من الوزير الأول والنواب، ويكون القانون المقترح موضوع مناقشة من طرف المجلس الشعبي الوطني ومجلس الأمة على التوالي حتى تتم المصادقة عليه، ويتولى رئيس الجمهورية إصدار القانون في أجل أقصاه ثلاثين يوما من تسلمه.

والبرلمان في ممارسته لوظيفته التشريعية في تحديد الجنايات والجنح مقيّد بضرورة مراعاة مبادئ الدستور. فإذا تجاوز هذه المبادئ عد ذلك انحرافا منه في أدائه لوظيفته، واعتبر التشريع المخالف للدستور قانونا غير دستوري. ومن المبادئ الدستورية: مبدأ عدم رجعية قواعد قانون العقوبات، ومبدأ عدم جواز الاعتذار بجهل القانون، ومبدأ عدم جواز المساس بحرية المعتقد وقلنا أن المصدر المكتوب لسياسة التجريم هو قانون العقوبات.

ولضمان عدم انحراف البرلمان على القواعد الدستورية أقر المشرع الجزائري أسوة بغيره من التشريعات مبدأ الرقابة الدستورية على القوانين والتنظيمات من قبل المجلس الدستوري.

2- أعمال السلطة التنفيذية:⁽⁴⁵⁾

تشكل أعمال السلطة التنفيذية إذا تضمنت قواعد التجريم والعقاب مصدرا من قانون العقوبات، غير أن هذه الأعمال ليست على درجة واحدة من القوة، فالبعض منها له قوة القانون، والبعض الآخر يعتبر مجرد قرارات تنظيمية تخضع لرقابة القضاء وينبغي التفريق بين أنواع من القرارات:⁽⁴⁶⁾

أ- **الأوامر:** أجاز الدستور الجزائري لرئيس الجمهورية أن يشرع بأوامر في الحالات العادية ويعرض ذلك أمام البرلمان بغرفتيه وتعد لاجية إذا لم يوافق البرلمان على ذلك، وكما أجاز الدستور الجزائري لرئيس الجمهورية أن يشرع بأوامر في الظروف المستعجلة وحالات الضرورة الاستثنائية.

وبالملاحظة نجد أن أغلب القواعد الجنائية شرعت بأوامر، حيث لم يتمكن البرلمان الجزائري من أداء دور هام في هذا المجال، والأصل أنه سلطة تشريعية من مهامها السن والتشريع لمواد وقواعد قانونية، ولكن لم نبلغ بعد المستوى المنشود لهذا يجب التفكير في مستقبل الأيام في مثل هذه القضايا.

ب- **الأنظمة واللوائح والقرارات التنظيمية:** هي تلك الأعمال الإدارية العامة وغير الشخصية وهي في غرف الفقه الإداري قواعد مادية لها خاصية القانون ذاتها كالعامة والتجريد، غير أنها تختلف عن القوانين الأخرى من حيث إمكانية الطعن فيها بدعوى الإلغاء أمام جهة القضاء الإداري وتنقسم إلى:

ج- الأنظمة المستقلة (المراسيم التنظيمية): يطلق على هذه الأنظمة أو اللوائح مصطلح الأنظمة المستقلة أو القائمة بذاتها، وذلك لأنها لا تستند إلى قانون تعمل على تنفيذه ولكنها تصدر عن السلطة التنفيذية استقلالا عن أي قانون معين بالذات، ولقد أقر الدستور لرئيس الجمهورية بصلاحيه إصدار هذا النوع من الأنظمة عن طريق ما يعرف بالمراسيم الرئاسية، ويمكن أن تتضمن أحكاما جزائية إذا تعلق موضوعها بالحفاظ على النظام العام بأبعاده الثلاثة: الأمن العام، الصحة العامة، السكينة العامة، غير أن هذه الأحكام محصورة في مجال المخالفات وهي الجرائم المعاقب عليها بالحبس من يوم إلى شهرين والغرامة من 2000 إلى 20.000 دج أو بإحدى هاتين العقوبتين والسبب في ذلك أن تحديد الجنايات والجرح وتقرير العقوبة المناسبة لها هو من اختصاص البرلمان.

د- الأنظمة التنفيذية (المراسيم التنفيذية): أجاز الدستور الجزائري للوزير الأول سن قواعد تشريعية لضمان تنفيذ القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية ومرجع ذلك أن السلطة التنفيذية هي الجهاز المختص بتنفيذ القوانين ومن ذلك فهي تعد أقوى قدرة من السلطة التشريعية على وضع التدابير اللازمة لوضع القاعدة التشريعية موضع التنفيذ.

3- القرارات التنظيمية الأخرى: وهي القرارات التنظيمية الصادرة عن الوزير الأول والوزراء ورؤساء البلدية، ومن أخطر هذه القرارات على حرية الأفراد وحقوقهم ما يعرف بلوائح الضبط الإداري، والغرض منها حماية النظام العام بمفهومه التقليدي الأمور المتعلقة بالأمن العام والصحة العامة والسكينة العامة وكذا الآداب العامة، ومن أجل تحقيق ذلك فإن هذه اللوائح تتضمن إجراءات خاصة مثل مكافحة الضجيج خاصة أثناء الليل، ومنع تقديم عروض سينمائية منافية للأخلاق العامة وغيرها.

وهذا لما لهذه اللوائح من أهمية تتمثل في حماية النظام العام من خلال المحافظة على الأمن العام والصحة العامة والسكينة العامة غير أنه لا يمكن أن تكون هذه اللوائح مصدرا للقاعدة الجنائية، بحيث لا يجوز أن تتضمن تجريم سلوك غير محظور، أو أن تتوسع في تجريم سلوك يمنعه القانون ويعاقب عليه

فهذا قد يؤدي إلى انتهاك الأفراد لمضمون هذه اللوائح فهي مخالفة معاقب عليها.

3:علة التجريم في القانون الجزائري:

تتباين المصالح التي يحميها القانون الجزائري بالتجريم في أهميتها حسب العقوبة الأصلية التي رصدها القانون للمعتدين عليها، وباستقراء نصوص قانون العقوبات والقوانين المشابهة نجد أن المصالح التي يحميها القانون الجزائري بالتجريم والعقاب هي سلامة واستقرار الدولة والوحدة الوطنية والصحة العمومية للشعب والاقتصاد الوطني والأمن العام ولذلك فهو يعاقب بالإعدام على خيانة الدولة بما في ذلك حمل السلاح ضد الجزائر أو تحريض المواطنين على ذلك، أو على حمل السلاح على بعضهم البعض، وكل ما يمس بوحدة التراب الوطني، وأيضا كل ما يمس بالاستقرار داخل الدولة، ويدخل ضمن ذلك تكوين قوات مسلحة أو قيادتها أو تزويدها دون إذن من السلطة الشرعية ونشر التقتيل والتخريب، وكذلك كل ما يضر بالصحة العمومية للشعب الجزائري، و أيضا الجرائم الماسة بالاقتصاد الوطني كتزوير الأوراق النقدية، ووضع النار في الأماكن المسكونة أو المعدة للسكنى، وأخيرا تهديم الطرق والمنشآت باستعمال الألغام والمتفجرات وخطف وتحويل الطائرات.⁽⁴⁷⁾

والمصالح التي تأتي في المقام الثاني وتحمي هي الأخرى بالتجريم ويعاقب القانون على انتهاكها بالسجن المؤبد هي الحياة وحفظ النفوس والنسل، والمصالح الدفاعية والاقتصادية للوطن، ولذلك فهو يعاقب بالسجن المؤبد على إفشاء معلومات ضارة بمصالح الدفاع أو الاقتصاد الوطني، وعرقلة القوة العمومية وإعاقتها عن أعمالها حالة قيام التمرد، وكل فعل الهدف منه إنجاح التمرد، وتزوير وتزيف النقود والسندات التي تكون قيمتها أكثر من 50000 دج وتقليد أختام الدولة واستعمالها، وكذا التزوير في المحررات الرسمية من قبل الموظفين العموميين وأخيرا الخصاص.

والمتمأمل في هذه المصالح يجد أن أغلبها من المصالح العامة للدولة ومصلحة الفرد تكاد تختفي إضافة إلى أنها تأتي في المقام الثاني، وهذا المقام الذي وضعت

ففيهمصالح الفرد غير مناسب البتة لا من حيث الكم ولا من حيث المكانة، لأن أمن الدولة واستقرارها يمر بالضرورة عبر شعور الفرد بالأمن والاستقرار، ولا يمكن أن يتحقق استقرار في مجتمع إذا كانت نفوس وأموال وأعراض أفراد مهدة بالاعتداء والزوال، وعندما يشدد المشرع على حماية المصالح العامة التي تقدمت، ويهمل المصالح الخاصة بالأفراد بأن يضعها في منزلة أدنى، فإنه لن ينعم بالاستقرار الحقيقي وإن نعم بالسكون إلى حين، بل إن ذلك يعني فيما يعنيه أن السلطة الحاكمة إنما تهتم بمصالحها الخاصة المدمجة مع المصالح العامة، وليست مهتمة حقيقة بالمصالح العامة كما قد يبدو فالدولة - كما يقول روسو - مدينة بوجودها إلى الأفراد، ولذلك كان ينبغي أن تكون في خدمتهم لا أن يكونوا هم في خدمتها، ولا خدمة تقدمها أفضل من حفظ نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، ولهذا كله كان ينبغي أن تكون مصلحة حفظ النفوس على رأس الأولويات بأن يكون العقاب على جرائم القتل العمد بالإعدام مالم يتنازل أولياء المجني عليه، كما ينبغي أن ترقى جرائم السرقة والاعتداء على الشرف والعرض إلى مصاف الجنايات بدلا مما هي عليه الآن في مصاف الجناح والمخالفات.⁽⁴⁸⁾

ثالثا: المقارنة بين سياسة التجريم في الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري.

- سياسة التجريم في الشريعة الإسلامية مصدرها من عند الله تعالى، ويلزم من ذلك أن تكون أبعد ما يمكن من الخطأ والزلل وعدم الجدوى.

- سياسة التجريم في القانون الجزائري من وضع البشر، وإمكانات وقدرات البشر قاصرة على إحاطة الأشياء كلها علما ودراية، وعمل البشر لطالما يشوبه التقصير ودليل ذلك التعديلات المستمرة.⁽⁴⁹⁾

- سياسة التجريم في الشريعة الإسلامية ثابتة في شقها العام والأكبر، (الحدود والقصاص والديات) تحكمه المصادر الأصلية والمتفق عليها، وعلة التجريم فيها كذلك ثابتة لا تقبل التبديل ولا التغيير (تحقيق العبودية، حفظ الكليات)، بينما يبقى القسم الأصغر مفتوحا في قسم التعزير مع تقييده بالمنهج العلمي الموضوعي الذي يعتمد أصولا وقواعد ثابتة كذلك بمقاصد

الشريعة وروحها لكي لا يفتح باب التعزير على مصراعيه فتجرم أفعال لا ينبغي أن تجرم، أو تترك تصرفات جديرة بالمنع والحظر على الحل والجواز.⁽⁵⁰⁾

- بينما يلاحظ في مصادر سياسة التجريم في القانون الجزائري تغيير وتعديل مستمر وهذا على حسب ما يطرأ من جرائم جديدة كالجرائم الإلكترونية، وعلى حسب ما ينتهجه المجرمون من حيل وأساليب نصب حديثة لم تكن معروفة من قبل، فيلزم المشرع التعديل في بعض المواد من قانون العقوبات وكذا قانون العقوبات الخاصة مثل مكافحة التهريب والوقاية من الفساد ومكافحته، وتغيير في الإجراءات الجزائية والمدنية لمواكبة هذه الجرائم المستحدثة، وضبط تلك الحيل والطرق والأساليب.

بالإضافة إلى أن بعض المصادر في القانون ذات طابع فردي مثل المراسيم الرئاسية والأوامر قد تؤدي إلى تجريم بعض الأفعال لا ينبغي أن تحظر، أو إجازة البعض منها والأصل فيها أن تجرم وتحظر.

- يظهر في سياسة التجريم في الشريعة الإسلامية تجريم أفعال جديرة بالتجريم كونها ماسة بكيونة الإنسان وعقيدته وسلامه جماعته، وإذا ما حفظت عاش الإنسان في أمن وطمأنينة وهذا ما ثبت أيام تطبيق الشريعة، وحتى في زماننا الحاضر يلاحظ انخفاض نسبة التجريم في الدول المطبقة للشريعة الإسلامية ومنها سياسة التجريم.

- بينما يلاحظ في سياسة التجريم في القانون الجزائري أنها خصت بالعناية مصالح الدولة واقتصادها أولا، ومن ثم في المرتبة الثانية سلامة الأفراد وممتلكاتهم، وهذا ما يحسب على السياسة التجريبية الجزائرية.⁽⁵¹⁾

- سياسة التجريم في الشريعة الإسلامية تحمي القيم الأخلاقية وتمنع أي إخلال بها والتعدي عليها وتعلي من شأنها كونها مصلحة حقيقية للإنسان تسمو به إلى الأدمية وعدم اعتبارها يدني الإنسان إلى الحيوانية والبرغماتية المحضة.⁽⁵²⁾

- ورود التباس في القانون الجزائري بين أن يعتبر القيم الأخلاقية مصلحة معتبرة جديرة بالتجريم وبين أن يعتبرها حرية شخصية كقبيل جريمة الزنا وجريمة شرب الخمر مقيدتان بالعلانية والإكراه وجواز العفو فيها.

الخاتمة -

- في نهاية هذا البحث نخلص إلى نتائج عديدة متمثلة في الآتي:
- الجرائم في الشريعة الإسلامية محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير، ومنه تستخلص الشرعية من التجريم وهذه الشرعية تفضي إلى إلزامية الإتيان والامتناع.
 - مصدر السياسة الجنائية ربانية المصدر أي من قبل الله تعالى ويلزم من هذا أن تكون أبعد ما يمكن عن الخطأ والزلل وذلك بتجريم أفعال جديرة بالتجريم تعتبر ضررا على سعادة الإنسان في الحال والمآل.
 - علة التجريم في الشريعة الإسلامية حماية المصالح ودرء المفسد.
 - مصادر السياسة الجنائية المتفق عليها: القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع أما القياس فمصدر مختلف فيه في سياسة التجريم في شق الحدود والقصاص، ومتفق عليه في قسم التعازير.
 - تعرف السياسة التجريبية في القانون الجزائري بأنها إضفاء الحماية الجزائية على مصلحة معينة تعد من المصالح الاجتماعية التي تعبر عن مطالب الجماعة كمجتمع إنساني وتنطوي المصالح الاجتماعية على المصالح العامة والمصالح الفردية.
 - مصادر سياسة التجريم في القانون الجزائري: قانون العقوبات وأعمال السلطة التنفيذية بأنواعها
 - تهتم سياسة التجريم في القانون الجزائري بحماية مصالح الدولة واقتصادها، وفي المرتبة الثانية مصالح الإنسان وهذا باستقراء مواد قانون العقوبات والنظر إلى جسامه العقوبة المقررة لكل فعل.
 - إن أهم الفروقات بين الشريعة والقانون : المصدرية: فالشريعة مصدرها رباني والقانون مصدره وضعي أي من وضع البشر.
 - المصالح المحمية في الشريعة حقيقة تؤدي إلى سعادة الإنسان في الحال و المآل بخلاف القانون فالمصالح الغالبة فيه مصالح مادية.
 - الاعتداد بالأخلاق والقيم وتجريم كل الأفعال الماسة بها في الشريعة الإسلامية، بخلاف القانون الذي يعتبر تلك الأفعال حرية شخصية، ولا تحظر إلا إذا كانت في المرافق العامة أو تحت دائرة الإكراه.

التوصيات -

- ينبغي على القانون الجزائري الاستفادة من السياسة التجريبية في الشريعة الإسلامية عموماً إن هو رام الحد من الظاهرة الإجرامية كما ينشد ويصبو، لأن الشريعة الإسلامية حققت له ذلك بنظامها البديع.
- الاعتداد بالأخلاق والقيم لأنها تؤدي بدورها إلى التقليل من الجرائم وتسو بالمجتمع إلى أعلى المراتب والمنازل. والله أعلم.
- سبحانك اللهم ويحمدك أستغفرك وأتوب إليك والحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، ج4، ص129.
- 2- الرزاي، محمد أبو بكر، مختار الصحاح، ص100.
- 3- أبو زهرة، الجريمة، ص21.
- 4- الماوردي، الأحكام السلطانية، ص192.
- 5- محمد بن المدني بوساق، اتجاهات السياسة الجنائية المعاصرة والشريعة الإسلامية، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ص156.
- 6- محمود نجيب حسني، تقديم فوزية عبد الستار، المدخل إلى الفقه الجنائي الإسلامي، ط1، مصر العربية، ص18.
- 7- المرجع نفسه، ص19.
- 8- محمد بن المدني بوساق، مرجع سابق، ص158.
- 9- أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج1، ص288.
- 10- محمود نجيب حسني، مرجع سابق، ص20.
- 11- محمد المدني بوساق، مرجع سابق، ص160.
- 12- عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ص80.
- 13- وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ص421.
- 14- محمد نجيب حسني، مرجع سابق، ص71.
- 15- محمد أبو زهرة، الجريمة و العقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص156.
- 16- عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، ط1، دار الغد الجديد، مصر، ص1146.
- 17- عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، مرجع سابق، ص79.

- 18- عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، مرجع سابق، ص1168.
- 19- رواه البخاري، كتاب الديات، (6878)، ومسلم (1676) كتاب القسامة والمحاريب، وأنظر شرحه: ابن رجب، العلوم والحكم، مرجع سابق، ص182.
- 20- عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، مرجع سابق، ص1256.
- 21- المرجع نفسه، ص1226.
- 22- المرجع نفسه، ص1158.
- 23- عبد القادر عودة، مرجع سابق، ص671.
- 24- المرجع نفسه، ص706.
- 25- محمد المدني بوساق، مرجع سابق، ص166.
- 26- عبد الرحمن بن محمد عوض، مرجع سابق، ص1273.
- 27- حسن عيسى عبد الظاهر، الحدود في الإسلام، مرجع سابق، ص18.
- 28- محمود نجيب حسني، مرجع سابق، ص47.
- 29- مرجع نفسه.
- 30- عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ط8، مكتبة الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر، ص36.
- 31- محمود نجيب حسني، مرجع سابق، ص106.
- 32- المرجع نفسه.
- 33- المرجع نفسه.
- 34- رواه البخاري رقم 1 في كتاب بدء الوحي، ومسلم رقم 1907 كتاب الإمارة، واللفظ للبخاري.
- 35- رواه ابن ماجه، كتاب الأحكام، (2340)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة، (250).
- 36- عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ط6، مؤسسة قرطبة، بغداد، ص179.
- 37- أحمد أولاد سعيد، الخلاصة الأصولية، ط1، دار صبحي، الجزائر، ص168.
- 38- محمود نجيب حسني، مرجع سابق، ص121.
- 39- المرجع نفسه، ص116.
- 40- أنظر: عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، مرجع سابق، ص1358، ومحمود نجيب حسني، مرجع سابق، ص6.
- 41- سعدواي محمد صغير، العقوبة وبدائلها في السياسة الجنائية المعاصرة، دار الخلدونية، الجزائر، ص9.

- 42- عبد الله أوهابيه، شرح قانون العقوبات الجزائري، القسم العام، ط1، موقف للنشر، الجزائر، ص29.
- 43- أكرم نشأت إبراهيم، السياسة الجنائية دراسة مقارنة، ط1، دار الثقافة، عمان، ص40.
- 44- عبد القادر عدو، مبادئ قانون العقوبات الجزائري، القسم العام، ط2، دار هومه، الجزائر، ص11.
- 45- المرجع نفسه، ص54.
- 46- المرجع نفسه.
- 47- منصور رحمانى، علم الإجرام والسياسة الجنائية، دار العلوم، عنابة، 183.
- 48- المرجع نفسه، ص184.
- 49- عبد القادر عودة، مرجع سابق، ص72.
- 50- عبد العالي بوعلام، العدالة في جانب التشريع الجنائي الإسلامي من خلال القصاص، مجلة الروافد للبحوث والدراسات، العدد التجريبي، جامعة غرداية، جوان 2016، ص113.
- 51- منصور رحمانى، مرجع سابق، ص184.
- 52- عبد القادر عودة، مرجع سابق، ص70.



التغير في ممارسات وعادات التغذية و التغير في الوضع الصحي نحو الأمراض المزمنة - قراءة من المنظور السوسيولوجي-

طويل محمد

قسم علم الاجتماع- جامعة غرداية

touwel.80@gmail.com

الملخص -

يتناول هذا المقال حقائق قد أثارتها المنظمة العالمية للصحة (OMS) منذ سنوات، يمكن مناقشتها من زاوية المنظور السوسيولوجي، تتعلق هذه الحقائق أساسا بالتغير في الوضع الصحي وبالإنتقال الإبيدميولوجي من الأمراض المتنقلة إلى الأمراض غير المتنقلة، والعوامل المتسببة في إحداث هذا التغير، ونتائج هذا التغير، ولعل من أبرز مؤشرات هذا الأخير، التغير في ممارسات وعادات التغذية نحو الإتجاه الذي قد يشكل عوامل خطر تساهم في إصابة الأفراد بالأمراض العصرية المزمنة كالضغط الدموي ، السكري والأمراض القلبية وحتى بعض أنواع السرطانات.

إن الممارسات والعادات الغذائية وبخاصة منها السيئة و المسمنة باتت تشكل خطورة حقيقية -حسب رأي المختصين- على الصحة العامة وإصابة الأفراد بالأمراض المزمنة السالفة الذكر ، مادام هي أمراض تصنف ضمن بؤرة الأمراض العصرية الأكثر تأثرا بزيادة وزن الجسم الإنساني وبالطبع بزيادة تناول الأغذية المسمنة من جهة وقلة الحركة من جهة أخرى، وكل ما يعترض حياة الفرد الإجتماعية وما يدفعه للوقوع في سلوكيات النهم والإفراط والإسراف فيما يحتاجه جسمه من الطاقة.

الكلمات المفتاحية -

التغير، ممارسات وعادات التغذية، الوضع الصحي، الأمراض المزمنة،

Title Of The Article: The Change In Eating Habits And Practices And The Change In The Health Condition Towards Chronicle Diseases-An Sociological Analysis-

Abstract -

This Article Provides An Sociological Discussion Of The Findings That Have Been Raised By The World Health Organization (WHO) Some Years Ago. These Findings Are Basically About The Change In The Health Condition And The Epidemic Transition From The Infectious Diseases To The Non-Infectious Ones As Well As The Factors Behind Such A Change And Its Consequences. One Of The Most Salient Signs Of This Change Is The Change In Eating Habits And Practices Which Make People Prone To Catching Some Contemporary Chronicle Diseases Such As Blood Pressure, Diabetes, Cardiovascular Diseases And Even Some Kinds Of Cancer.

According To Specialists, The Bad And Fat Generating Eating Habits And Practices Constitute A Real Danger To People's Health In General And Contribute To Getting Them Sick With The Aforementioned Chronicle Diseases. The Latter Are Among The Contemporary Diseases That Drastically Affect The Increase In The Body Weight Which Results From The Over-Eating Of The Fat Generating Foods And The Lack Of Physical Activity. These Diseases Also Affect The Individual's Social Life In Terms Of Influencing His Or Her Eating Behaviors To The Worse Such As Gluttony And Maladjustment Of The Body's Energy.

Key Words -

Change, Eating Habits And Practices, Health Condition, Chronicle Diseases.

المنظور السوسيولوجي

مقدمة: إن أبرز التغيرات التي طرأت على الواقع الصحي في المجتمعات تلك
النقلة النوعية التي حدثت نحو الأمراض العصرية المزمنة أو كما تسمى

إبيدميولوجيا بالأمراض غير المتنقلة، Les maladies non transmissibles كما هو الحال بالنسبة للسمنة، الضغط الدموي، السكري، السرطان و الأمراض القلبية... الخ، وفي مقابل ذلك يلاحظ تراجع ملموس
للعديد من الأمراض المتنقلة Les maladies المتنقلة

transmissibles وفي بعض المجتمعات إختفت نهائيا. الأمر الذي ترافق مع عمليات التغير الاجتماعي، التصنيع و التحديث من ناحية ومن ناحية أخرى تكثيف البحث في البعد الاجتماعي La Dimension sociale أو بالأحرى من المنظور السوسيولوجي de la perspective sociologique، الذي قد يكشف خبايا المسببات الاجتماعية وآثارها في النسق الصحي، وكيف تساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في إنتشار هذه النوعية من الأمراض في العصر الحالي .

إن إهتمام منظمة الصحة العالمية OMS بقيمة البعد الاجتماعي تجسد في عدة إجراءات وقائية، مفاهيم و متغيرات مرتبطة بالصحة و المرض، ومن ذلك ما ورد في إستراتيجيتها الوقائية الهادفة لمكافحة الأمراض وخاصة منها العصرية والمزمنة . حيث قام الفاعلون في المنظمة بتحديد عدة عوامل خطر Les Facteurs de risques يمكن مراقبتها، من أبرزها ما يتعلق بالتغذية، السمنة، التحضر، إستهلاك كل من التبغ والكحول... الخ.

و تشدد المنظمة في تطبيق إجراءات الرقابة خاصة لما يتعلق الأمر بالأمراض غير المتنقلة كالأمراض القلبية، السرطان، السكري، الضغط الدموي والأمراض النفسية⁽¹⁾. وجميع هذه الأمراض العصرية وغيرها باتت تشكل خطرا على حياة الأشخاص والأسر أو عبئا مريضيا على المستشفيات ومختلف المؤسسات الصحية. إن الإنتقال إلى هذا الواقع الصحي الجديد الذي ظهرت في وسطه هذه النوعية من الأمراض العصرية المزمنة، بات يتطلب البحث العميق في مؤشرات البعد الاجتماعي الملاحظة على مستوى البيئتين الاجتماعية والأسرية على حد سواء، وما تكرسانه هاتين الأخيرتين من قيم وممارسات وعادات غذائية سيئة وغير صحية، إلى جانب قلة النشاط البدني، الضغوط الاجتماعية والنفسية وكل ما يعنف الصحة النفسجسمية للأفراد والجماعات⁽²⁾، لهذا فإن إدراج البحث

1 -Ministère de la santé, de la population et de la réforme hospitalière, direction de la prévention, rapport du séminaire atelier d'élaboration du programme nationale de lutte intégré contre les maladies non transmissibles, Ministère de la santé, de la population et de la réforme hospitalière, Alger, 2003, P 21.

² - كامل محمد عويطة ، الصحة من منظور علم النفس، دار الكتب العلمية ، بيروت 1996، ص- ص 133 - 134 .

في البعد الاجتماعي. وفقا للمنظور السوسيولوجي La perspective sociologique ضمن أساليب الوقاية والعلاج يعد إجراء مهما، يمكن إستعابه من خلال مدخلين إثنين مرتبطين بماهو طبي- بيولوجي وبماهو سوسيولوجي ضمن إنعكاسات التغير في ممارسات، قيم وعادات التغذية على الواقع الصحي كما سيأتي:

النطاق العام للتغير في ممارسات وعادات التغذية نحو الإتجاه المسبب للأمراض المزمنة: في هذا الشأن يظهر أن التغير الذي حدث للكثير من ممارسات، قيم وعادات التغذية أصبح يشكل مظهرا بارزا من مظاهر التغير الاجتماعي، بحيث لم تكن هناك إستقلالية تامة تغلب على طرق العيش لدى الافراد والجماعات مثلما هي حاليا في المجتمعات، وبمعنى آخر يلاحظ تراجع ملموس لممارسة قيمة التضامن والجلوس لتقاسم وجبات الغذاء التقليدية، المغذية والصحية في معظمها حتى بين أعضاء الأسرة الواحدة، وفي مقابل ذلك يلاحظ ظهور قيم الإستقلالية و الفردانية أي أصبح كل فرد ينفرد بطعامه وحتى بذوقه الذي يختاره ثم يتباهى به بين أقرانه أي بين بني جيله، حتى وإن كان ضارا بصحته، وعلى العموم تتحدد إستقلالية القيم، الممارسات والعادات الضارة بالصحة لهذا الجيل في عدة مظاهر من ذلك تناول بكثرة السندويتشات مثل الهومبرغر البيتزا... الخ . هذا من جهة و من جهة أخرى يتكبر ويستحي عند ممارسته بعض قيم الوقاية وعادات التغذية الصحية والوقائية أيضا، كتناول الحبوب مثل العدس، الحمص، الفول... الخ (هذه جميعها أغذية تقي من الأمراض العصرية المزمنة بإعتبارها غنية بالألياف)، ويعتقد أنها تحمل قيما تقليدية. ويتجاوز الأمر إلى حد توظيف الوصف الرمزي الطبقي- إن صح التعبير- لمن يفضل هذه النوعية من الأغذية ويشار إليه بأنه شخص ذو سلوكيات تقليدية وبوصف دقيق شخص اللوبياء والعدس وما إلى ذلك من الصور القيمية والرمزية المجتمعية.

يضاف إلى ماسبق ذكره، التغير الذي مس ممارسات، قيم وعادات الطهي للكثير من الأغذية ، فقيم التقليد و المحاكاة في مجال الطهي التي تتبناها المجتمعات النامية من الممارسات المعروفة بإضافة العديد من المحسنات والملونات

Les améliorants et les colorants كالصلصات والكريمات... إلخ، والمنتشرة في المجتمعات الغربية باقت منتشرة في معظم المطاعم و حتى مطابخ العائلات و المؤسسات. الأمر الذي تدعم من خلال إستيراد التكنولوجيات المستخدمة للطهو السريع الذي يفقد بدوره قيم غذائية متعددة .

و قبل الدخول في التفصيل أكثر حول مدى حضور و فعالية البعد الاجتماعي المحددة كنموذج في هذا المقال في التغير الذي ساد على مستوى القيم، الممارسات والعادات الغذائية السيئة، وبالطبع أيضا مدى مساهمة ذلك في انتشار أمراض العصر الجديدة . يمكن معرفة بعض المؤشرات المرتبطة بالناحية المرضية أي من المنظور الطبي.

1- لمحة عن ممارسات وعادات التغذية السيئة من المنظور الطبي:

من خلال إستقراء بعض الحقائق الطبية في شأن التداخل الذي يجمع بين الممارسات الغذائية والانتقال إلى الوضع الصحي الجديد، يتضح بأنه بقدر ما يوفر الغذاء الصحي من عناصر حيوية لنمو الإنسان وتكامل صحته (بناء جسمه وممارسة أنشطته)، بقدر ما يشكل من خطورة إذا ما ساءت عادات تناوله أو تجاوز القدر الطبيعي والمطلوب صحيا .

إذا فجميع القيم، الممارسات والعادات الغذائية السيئة تتفاعل وتتصل بعمليات إستقلاب العناصر الغذائية في الجسم الإنساني، كما هو الحال بالنسبة لفقدان الشهية أو العكس كالإفراط والشره أو النهم الذي يصيب الأفراد في مراحل حياتية متعددة بسبب ضغوطات المحيط الاجتماعي، مما ينعكس في شكل مظاهر مرضية كالسمنة التي تفرز بدورها إضطرابات على مستوى العناصر الغذائية المتناولة بكثرة ضمن نظام الوجبات اليومية وأحيانا دون انتظام .

وإذا تم التدقيق أكثر فأكثر فإن ما يحتاجه الجسم الإنساني مهما طال عمره لا يتجاوز طبيا المتوسط المثالي La moyenne idéale من مستوى مقادير العناصر الغذائية الأساسية من بروتينات ومواد دهنية ومواد كربوهيدراتية، وسواء كانت نشوية أو سكرية وحتى بالنسبة للأملاح المعدنية والفيتامينات والأملاح والألياف باعتبارها عناصر داخلية في عملية

الهضم⁽¹⁾. فالمسألة إذا مرتبطة أشد الارتباط بالطاقة الغذائية Energie، المولدة كما يسمى علميا بالسعرات الحرارية Les calories التي يحتاجها جسم الإنسان، وبالطبع وفقا لمتغيرات عديدة منها حجم الجسم، طبيعة العمل أو النشاط المبذول، والأهم من ذلك عمر الإنسان وحتى جنسه⁽²⁾ وهذا يعني أن عملية تخزين وحرق السعرات الحرارية مرهون بشكل كبير بحالة الشخص التي يكون عليها.

وبما أن الأغذية الدسمة والمشبعة بالدهون أو الكربوهيدراتية هي التي تمثل السبب الفاعل - حسب المختصين في الطب والتغذية - والذي يساهم في اضطرابات صحية وانتشار الإصابة بالأمراض العصرية المزمنة السالفة الذكر، فإنه يمكن نزع اللبس الذي يشوب الضروب المتنوعة من الأغذية المتناولة بكثرة أي الخطورة التي باتت تتشكل كنتاج للانتقال للوضع الغذائي الجديد، ولعل السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو كيف تتسبب عادات التغذية السيئة وبالأخص منها الحاوية على نسب عالية من الدهون والكوليسترول أي الأغذية المسمنة في الإصابة بالأمراض العصرية المزمنة؟.

يبدو أن جزءا مهما من الإجابة تم ذكره سالفا ويشمل بعض مخاطر تناول غير الطبيعي لنوعية وكمية الأغذية المشبعة بالدهون، غير أن الأهم من ذلك يكمن في تحديد تموقع الأغذية الدهنية والمسمنة ضمن التصنيفات المتداولة لدى المختصين في التغذية والطب وحتى الوسط الاجتماعي، وبمعنى آخر ما مكانتها بين أغذية الطاقة وأغذية النمو، وأغذية الوقاية؟ الأمر الذي يمكن توضيحه فيما يأتي:

1- **أغذية الطاقة:** تستمد من مصادر عديدة من أهمها: الأغذية السكرية مثل العسل، المربي، مختلف أنواع الحلويات، الأغذية النشوية الأخرى مثل

¹ - عبد العزيز طريح شرف، «القلب وأمراضه»، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1989، ص 83.

² - نفس المرجع، ص 197.

البطاطا، الأغذية الدهنية أو الكربوهيدراتية مثل الزبدة، الزيتون، زيت الذرة وزيت الزيتون... الخ.

من أهم ما تقدمه هذه النوعية من الأغذية للجسم الإنساني هي الطاقة المساعدة على الحركة والعمل وحتى التدفئة.

2- أغذية النمو والبناء: يوجد مصدرين لأغذية النمو والبناء وهما المصدر الحيواني كالألبان والأجبان واللحوم البيضاء والحمراء والسمك، والمصدر النباتي وهو يشمل بعض الأغذية مثل العدس، الحمص، البازلاء، الفول، الفاصولياء، والمكسرات المختلفة.

إن هذه النوعية من الأغذية لها دورا مهما في نمو وبناء عضلات جسم الإنسان، وحتى جلده ومخه، بالإضافة إلى دورها في إعادة إحياء أنسجة الجسم التالفة في حالة المرض بحيث تمدّه بالطاقة اللازمة لذلك.

3- أغذية الوقاية: إن من مصادر أغذية الطاقة تلك المستمدة من الخضروات الورقية الداكنة، من ذلك السلاطة، الخضر والفواكه الصفراء والحمراء كالبرتقال، الليمون، الجزر، الطماطم... الخ⁽¹⁾. ومن المعارف عليه في الأوساط الطبية أن هذه الأغذية تمثل صمام آمان للعديد من الأمراض وخاصة الأمراض المزمنة كالأمراض القلبية، الضغط الدموي، السكري وغيرها، كما أنها تسرع من شفاء الجسم الإنساني.

وبالعودة إلى مسألة تموقع الأغذية المشبعة بالدهون وحتى المصنعة والمعلبة يلاحظ أنها تتواجد ضمن المكونات الأساسية للأغذية ذات مصدرين النباتي والحيواني معا، غير أنها تستقر أكثر ضمن ما هو حيواني كمنتجات اللحوم والألبان، البيض وغيرها⁽²⁾. فحسب رأي الأطباء تعتبر هذه الأخيرة هي من يفرض النسب العالية من الدهون أو الكوليسترول على غرار المصادر الأخرى.

¹ - باربرا، كلاين وآخرون، أساسيات التغذية الصحي، منشورات جامعة اليرموك، الأردن، 1986، ص- ص 15- 16.

2- ماجد عبد العالي، السمنة وأمراض الغدد، أسبابها والوقاية منها، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1995، ص 22.

وهنا تشير المعطيات الطبية أن كل زيادة ولو تجاوزت النصف فقط A dépassé la moitié من نسب الدهون الحيوانية ستؤدي الى اضطراب صحة الأفراد وإصابتهم بالسمنة والأمراض العصرية الأخرى كالأمراض القلبية، الضغط الدموي، السكري وغيرها.

ومن المفيد هنا التنبيه بأن الأثر الذي ينتج عند زيادة تناول هذه النوعية من الأغذية قد يتم بصورة منفردة أو مجتمعة مع العناصر الغذائية الأخرى، البروتينات، الفيتامينات، الأملاح والسكريات... الخ.

إن التعمق في عملية التغذية لدى الإنسان يكشف أن الإنسان الطبيعي له جزءا بسيطا يحصله ويفيد جسمه دون غيره، لذلك فهو لا يمكنه تناول من الطاقة المستمدة من الدهون سوى ما يقدر بـ 1500 - 3000 سعر حراري في اليوم، بحيث تتكون وتشكل هذه الطاقة في غالب الأحوال بأحد الطرق التي يصير بموجبها الغذاء مهضوما وممتصا عن طريق الأمعاء ثم تتحلل بواسطة إنزيمات كيميائية، ثم تتحول إلى مواد جزئية تساهم في تكوين بنية الجسم الإنساني⁽¹⁾. وبالطبع تتوزع عبر أنحاء الجسم حسب طبيعة الأعمال والجهود وحتى الخصائص الديمغرافية والفردية.

واستكمالا للإجابة حول السؤال الذي يشمل كيفية تأثير زيادة الدهون في الجسم وإصابته بمرض السمنة خصوصا، تشير الأدبيات الطبية أن موضوع التراكمات الدهنية هو موضوع يقترب بنمط من الترابط بين الخلايا التي تلحق الضرر المسمن، لأجل ذلك فإن السمنة في كونها تحمل نفس التفسير العلمي الذي يعني تراكم زيادة المواد الدهنية في الجسم، والذي يتكون بدوره نتيجة تكون الأنسجة الدهنية بداخل الخلية الدهنية، فالمتعارف عليه من الناحية العلمية أن الجسم الإنساني يحتوي بدوره 15 كيلو غراما من الدهون، وهذه الكمية الدهنية تساهم في إمداد خلايا الجسم في حدود 135000 سعر حراري، وبمعنى آخر ما يعادل معدل واحد غرام من الدهون، حيث عند إحتراقه يولد 09 سعرات حرارية، والمخزون من الدهون يقاوم في شكل طاقة إلى غاية 40 يوما لدى الشخص. وللاشارة فإن مخزون الدهون يتكون في الغالب من

¹ - نفس المرجع، ص 23.

الجليسريدات الثلاثية التي تتأكسد عبر أنسجة وخلايا الجسم لتمده بالسعرات الحرارية متى احتاج لذلك، الأمر الذي يتوقف على كمية التغذية المستهلكة والطاقة المستهلكة أي المحترقة نتيجة حركية الجسم، وأي إختلال في توازن هذه المعادلة الطبية يزداد وزن الجسم وتظهر السمنة وما يرافقها من أمراض مزمنة أخرى⁽¹⁾. وهذا بإعتبار السمنة- حسب إكتشافات الطب الحديث- كعامل مؤهب للأمراض العصرية المزمنة.

وفي هذا الصدد تزداد خطورة هذه العادات الغذائية على صحة الأفراد مع زيادة العناصر الغذائية عند تناول الوجبات اليومية وبخاصة منها المصنعة والمعلبة les aliments conservés وحتى التي تحضر في الوسط الأسري، فمثلا تعد الأملاح ضرورية لطهي بعض المأكولات وفي بعض الحالات يلجأ الأفراد إلى إستخدامها في تحسين ذوقها ونكهتها في حالات الطهي بالقلي أو أثناء عملية التصنيع أو التعليب، الأمر الذي يضاعف خطورتها على الصحة، بإعتبار التعقيد الناتج عن إستخدام الملح يتعاظم تدريجيا خلال عمليات المعالجة التصنيعية وبشكل خاص عندما تكون موجهة للترويج والبيع والإستهلاك، ففي هذا الشأن كشفت دراسة بأن حوالي 70% من إجمالي ملح الطعام المكون لراتب الفرد مصدره الأغذية المعالجة⁽²⁾. ومن دون شك فإن التشكل غير الطبيعي للملح الطعام المعالج تتحدد خطورته على صحة الفرد فيما بعد.

وللتأكيد فإن الملح الذي يشكل كلور الصوديوم يتكون في الغالب من 40% صوديوم 60% كلور، غير أن الجسم الإنساني لا يحتاج سوى نسبة تقدر بحوالي 500 ملغ من الصوديوم في كل يوم واحد، وبتقدير آخر ربع ملعقة شاي من ملح الطعام، الأمر الذي يتجاوزه الأفراد، إذ يصل تناولهم لهذا النوع من الأملاح إلى 3000 و 4000 ملغ في اليوم الواحد.

ولعل من أبرز الأعضاء المتضررة من مضاعفات تناول ملح الطعام بكثرة هي الكلى التي تعجز عادة عن تعديل النسب العالية من الصوديوم، الأمر الذي

1- نفس المرجع، ص - ص 26- 27.

2- جين كارير، دواؤك في غداك، موسوعة طبية غذائية، ترجمة أحمد رمو، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط3، 2005، ص 102.

يدفعها لطرحه مع البول، أما في حالة الإرتفاع إلى مستويات أعلى فإن مصيره في نهاية المطاف هو الترسيب في الدم، مما يرفع حجم الدم، وهنا يحدث إمتصاص للماء بكثرة، و العضلة التي ستعاني من هذا الوضع غير الصحي هي عضلة القلب، ومما لاشك فيه أنها ستضعف من مجهوداتها إلى أن يتم ضخ الدم في الأوعية الدموية وبالتالي إضعاف وظيفة القلب كعضلة حيوية لدى الكائن البشري⁽¹⁾، وكما هو معروف فالقلب هو المحرك الرئيس في جسم الإنسان وإضعافه يعني المرض لا محال.

2- ممارسات وعادات التغذية السيئة من المنظور السوسيوولوجي:

إن الإنتقال إلى العادات الغذائية الجديدة أو بالأحرى نمط الإستهلاك الجديد أصبح يمثل مظهرا من أبرز مظاهر التغير الإجتماعي والإنتقال إلى الوضع الإقتصادي الراهن، والذي ساد مثلاً في المجتمع الجزائري منذ سنوات التسعينيات، أي أين شهد المجتمع إنفتاحا إقتصاديا ليبراليا واسعا على منتوجات المجتمعات الغربية، وبوجه الخصوص فيما يتعلق بترويج السلع المصنعة والمعلبة على نطاق واسع.

وعلى هذا الأساس يلاحظ أن الإزدياد في عادات إستهلاك الأغذية الدهنية المصنعة والمعلبة أصبح أمرا متقبلا إجتماعيا لدى العديد من الأفراد، حيث تغلغت حتى في صميم العلاقات الأسرية والزوجية، إذ أصبحت الزيجات الحديثة تلجأ إلى إظهار مهارتهن في مجال الطبخ من خلال التودد والتقرب للأزواج وإستدراج ذوقهم بالتفنن في طهي الأغذية المشبعة بالدهون و حتى التنوع في أطباقها وطرق عرضها وتقديمها.

إن هذا النوع من الأغذية أصبح يندرج ضمن الوجبات الأفضل في الولايم والمناسبات، والتي عادة ما يفقد الأفراد السيطرة على تقديمها وتناولها نظر للطلب الكبير عليها وكذا رمزيتهما الإجتماعية في المجتمع.

¹ - شيلدون شيبس، ضغط الدم المرتفع، الإجابات الشافية لعلاج ضغط الدم المرتفع والوقاية منه، ترجمة: مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2000، ص 108.

وفي هذا السياق يمكن التطرق بشكل عام إلى بعض عادات التغذية السيئة وإنعكاساتها على إنتشار الإصابة بهذه النوعية من الأمراض العصرية قيد عناصر المقال، كما يمكن عرض نماذج لعادات وتقاليذ غذائية قد تكون انتشرت في ظل النمط الإستهلاكي الحديث السائد في المجتمع الجزائري، وقد تكون ارتبطت أساسا بتغيرات هامة بالوجبات اليومية من حيث النوعية والكمية.

1- **عادة تناول الأطعمة الجاهزة :** من الجدير بالذكر أن عامل الجاهزية في تقديم الأغذية المصنعة والمعلبة له دورا فعالا في القابلية لإستهلاكها، فهي تبلع مباشرة وتكون سهلة الهضم في معظم الأوقات، ويعنى آخر لا تحتاج إلى التقطيع أو الطبخ أو السلق حتى وإن كانت عمليات بسيطة.

إن الأغذية الجاهزة تتطلب مستويات متداخلة و معقدة من حيث التصنيع والتحضير والإستخلاص النهائي وفي بعض الأحيان عند التناول، وهنا ينبغي تسجيل ملاحظة علمية عابرة أنه كلما كانت الخطوات التصنيعية اللازمة للحصول على الغذاء وخاصة من الأصل النباتي بشكل أطول كلما وجدت أن قدرته التسمينية عليا وضرره أعلى، وبناء على هذه المعطيات العلمية يؤكد المختصون أنه من غير المعقول أن يصنع كل من الخبز أو المعجنات أو الفطائر أو المعكرونة من الحبوب كالقمح بشكل مباشر بالسلق والطبخ، وإنما يحتاج إلى تجفيف متكرر وتكييفه برطوبة معينة وإضافة له كيماويات قاصرة خاصة باللون، ثم فصل النخالة عنه وكآخر مرحلة عجنه وتخميره بخمائر وخبزه وتقديمه جاهزا ويصبح صعب المغالبة لدى مستهلكيه.

ونفس الملاحظة الطبية تسجل بالنسبة لصنع الحلويات فهي تحتاج لإستخلاص السكر بالطبع مع الماء ثم إستخلاص العصارة السكرية وتصفيتهما وبشكل متكرر، وإضافة لها الكيماويات القاصرة اللون ثم تجفيفها وطهيها مع السمن أو الزيوت التي يتم تكرار استعمالها لدى الكثيرين من أصحاب المحلات مما قد يضاعف ضررها.

2- **عادة تناول المشروبات الغازية بكثرة :** نفس الشيء بالنسبة لتحضير المشروبات والعصائر المحلاة بالسكر فهي لا تحضر مباشرة بخلط الفواكه مع السكر، وإنما يتم ذلك بعد تحضير السكر بالطريقة السالفة الذكر، ثم تأتي

ممارسات أكثر تعقيدا أو إبتعادا عما هو طبيعي، بحيث يضاف إلى تحضير هذه المشروبات والعصائر العديد من الأحماض مثل حمض الليمون وحمض البنزويك وحمض الأورثوفوسفوريك، وهذه أحماض معقدة التركيب تستعمل في هذا المجال يطول الحديث في تفسيرها.

وهذا إلى جانب إضافة مركب لون الكاراميل ومركب نكهة الكاراميل، ومركبات نكهات الفواكه مع خلط السكر المكرر في كل مرة، ثم إضافة غاز الكربون الحر أو المولد من الكيماويات.⁽¹⁾ وهنا يختلط الأصل النباتي بالأصل الحيواني، ولو يعي الشخص المستهلك كيفية التصنيع لهذا النوع من المشروبات والعصائر والحلويات وغيرها من هذه الأغذية المصنعة لما تجرأ على تناولها وعلى الأقل عدم الإكثار منها .

ولعل أساليب وطرق عرضها المغرية تلعب دورا في ذلك فقد لا تقوى النفس البشرية مقاومة رغبتها وإستهلاكها، حيث يقع المستهلك فريسة وضحية للإستغلال والغش والتدليس (يستغلون الحالة النفسية للمستهلك)، وقد يدفع الأفراد ثمنا باهضا مقابل منتج معين يروج على أساس أنه طبيعي وهو ليس بطبيعي، ولعل النشاط الإعلامي الزائد الذي ابتليت به المجتمعات النامية، ومنها المجتمع الجزائري لترويج الصناعات الغذائية للمجتمعات المصنعة لها، يمثل كارثة صحية وغير ذلك من العوامل الجوهرية التي تحتاج إلى دراسات وإمعان.

3- عادة الطهي غير الصحية: ومن ذلك تناول المأكولات المقلية التي تعد الأكثر إستهلاكا وشيوعا لدى الأفراد قبل إصابتهم بالمرض، حيث تأخذ أولى مراتبها أكلة البطاطا المقلية (Les frites). الأمر الذي يتنافى تماما مع القواعد الصحية المعروفة في مجال الطهي السليم، وحتى ذوي الوفرة المادية فطريقة طهو الطعام المفضلة لديهم هي القلي بإستعمال السمن، وكما سبقت الإشارة إليه لا يخفى على أحد أثر الطهو في زيادة المحتوى من السعر الحراري

(1) نفس المرجع، ص. ص 48_ 49 .

للغذاء، بالإضافة للأضرار الناجمة عن إضافة قدر كاف من الدهن إلى جميع الأغذية عند طهيها سواء كانت خضروات كالبطاطا أو لحما... الخ .

4- عادات تناول الأغذية السريعة والخفيفة في الشارع :

إن التغير الذي طرأ على عادات وممارسات الأفراد الغذائية لم ينحصر في النقلة النوعية نحو استهلاك الأغذية الدهنية والمصنعة، ولكن الجديد الذي طرأ في هذا التغير هو أيضا ما تعلق بكثرة وتوفر ما يسمى بالوجبات الحديثة وكذا الوجبات الخفيفة والسريعة في الشوارع والأزقة (Fast-Food) وبجميع أنواعها كالبيتزا، الكريم والمربى، الهامبورغر ومختلف السندويشات... الخ، ويتوفر هذا النوع من الأغذية الجديدة حتى في المطاعم العامة، هذا بالإضافة إلى توفر المرطبات المصنعة، التي لم يكن الفرد الجزائري يتناولها إلا في الأعياد والمناسبات البعيدة.

إن أكلة البيتزا التي تبرز أكثر من حيث تناولها بين الأفراد يصنفها المختصون في شؤون التغذية والأطباء ضمن العادات الطعمية المسمنة، نظرا لمكوناتها التي تحتوي نسب عالية من العجائن وصلصات الدهون، وبالتالي فهي مصدر قوي للسعرات الحرارية، وعادة ما تأكل هذه الأخيرة كشيء إضافي بعد الوجبات الأساسية مما يجعلها تمثل طاقة إضافية بالنسبة للجسم، والتي يخزنها الجسم في شكل دهون وشحوم تحت الجلد وبين الأحشاء وهذه هي السمنة بعينها، ونفس الملاحظة تقال عن الأطعمة الخفيفة الأخرى وبخاصة ما يتعلق بالسندويشات Les sandwiches التي إنتشرت في بدايتها في المجتمع الأمريكي وبشكل محدد لذوي الأعمال المكتبية، غير أنه ما يلاحظ لدى الكثيرين من الأفراد أصبحوا يجعلون منها إحدى الوجبات اليومية بما في ذلك البيتزا، وهنا قد يصدق قول البعض في مجال التغذية بأن جيل هذا العصر هو "جيل السندويشات La Génération des sandwiches "

والتساؤل الذي يطرح في شأن خطورة هذه العادة الطعمية تتمحور إجابته حول الزيادة المطردة والملاحظة يوميا من حيث التناول.

إن خطورة هذه العادة الطعمية تزداد بين الأفراد الذين يستهلكون قدرا أكبر مما يصرفون من الطاقة، وهم عادة الذين يشتغلون في مكاتب أو وظائف

مكتبية ويضيق وقتهم لتناول وجبات عادية، فيلجؤون إلى هذه الوجبات السريعة والخفيفة التناول ولكن - إن صح القول- سريعة التناول سريعة الضرر على الصحة والإصابة بالمرض المزمن. وهذا يتنافى أيضا مع القاعدة الصحية القائلة "ما خزن أولا يستهلك أولا First in first out".

وهذا يعني نقص الوعي الغذائي وضعف نفسية الأفراد عاملان يلعبان دورا فعالا في إنتشار مثل هذه العادات الطعمية في المجتمع، وهذا على الرغم من أن الأطباء ينصحون بتجنب هذه العادات الغذائية السيئة.

5- عادة تناول ملح الطعام بكثرة: هي عادة غذائية سيئة ترفع من خطورة الإضطرابات الغذائية على صحة الأفراد وتعد قضية الملح وعلاقته بهذه الأمراض المزمنة، وبخاصة إرتفاع ضغط الدم الذي يمثل عامل خطر بدوره للإصابة بأمراض القلب من أبرز القضايا الصحية، التي رفعت شعارات الحيلة والحذر من خلال أصوات المنظمات الصحية منذ السبعينيات، وبالطبع لدعوة الأفراد الذين يعانون من إرتفاع في ضغط الدم، للإبتعاد عن المؤكولات والمشروبات عالية الملوحة، أو بعبارة أخرى التقليل من كميات الملح في الوجبات الغذائية، لأن هناك حوالي 40% يعانون من حساسية تجاه الملح وهم مصابون بإرتفاع في ضغط الدم، كما أن الأشخاص المصابين بالسكري هم أيضا يعانون أكثر من الحساسية عند زيادة مستويات الصوديوم لديهم⁽¹⁾. وربما تلعب العوامل الوراثية دورا في هذه الحالات، ويعني ذلك أن هناك نسبة من المرضى بالضغط الدموي المرتفع لديهم حساسية مفرطة للتغير في كمية الملح في الطعام، أو بالأحرى فإن الضغط يرتفع بسرعة في حالة زيادة كمية الملح في الطعام وينخفض بنفس السرعة في حالة التقليل منه، ولقد بينت دراسات إيدميولوجية عديدة أن الحساسية للملح ترتفع مع التقدم في السن بخاصة بعد 40 سنة، وهذه قاعدة مأثورة في الدين الإسلامي، أي قاعدة التوقي من ملح الطعام بعد سن الأربعين

إذن- حسب نتائج هذه الدراسات- كبار السن هم الأكثر تأثرا بكمية الملح في الطعام المضافة، ولقد توصلت هذه الأخيرة كذلك إلى أن الفشل

(1) نفس المرجع، ص- ص 108_ 109.

الكلوي يتأثر بكمية الملح في الطعام وحتى السكري⁽¹⁾ ومن نواحي عديدة أخرى تشير الدراسات إلى أن إستهلاك الملح بكميات كبيرة في بعض المناطق دون الأخرى كالمناطق الساحلية، يؤدي إلى إنتشار مرض الضغط الدموي كما هو الحال بالنسبة لسكان القرى الساحلية في شمال اليابان الذين يعتمدون في غذائهم الأساسي على السمك المملح وزيت الصويا الغني بالملح، حيث يصل إستهلاكهم اليومي لمخ الطعام حوالي 40 غرام وهو ما يقارب أربعة أمثال من نسب الإستهلاك في معظم المجتمعات، وتعرف هذه القرى بإرتفاع معدلات الإصابة بمرض الضغط الدموي على مستوى العالم⁽²⁾. وهذا يعني أن هناك صلة وثيقة لإرتفاع ضغط الدم مع زيادة كميات الملح المستهلك.

6- عادة تناول الوجبات الغنية بالسكريات :

وكما سبقت الإشارة إليه عن علاقة الإفراط في التغذية وما تحتويه من سكريات وكربوهيدرات ونشويات وإرتفاع في مستوى الكلسترول، والتفاعل بين هذه العناصر الذي يرفع من زيادة ظهور الإصابة بالسمنة، جميعها أدلة تبين آثار الإكثار من تناولها ورفع مستوى الكلسترول في الدم عن طريق الرفع من نسبة السكر في الدم، الذي يرفع بدوره من زيادة الكلسترول الضار في الدم (الغليسريدات الثلاث TG)⁽³⁾. لذلك مما تجب معرفته لتفادي الوقوع في هذه المشكلة هو الإجراءات الوقائية والعلاجية التي ينبغي تبنيها، وهي ترتيب نمط غذائي متوازن كما من حيث مستوى السكريات الموجودة، وبخاصة في الأطعمة المعالجة والمصنعة والمشروبات المحلاة بالسكريات (الشكولاتة، البسكويت، العصائر... إلخ)، كل ما حول الأفراد من هذه الأخير مصنع ومليء بالسكر المكرر اللذيذ، وإلى جانب هذا الأخذ بعين الإعتبار النشاط الجسمي اليومي الذي يحرق الطاقة الزائدة من السكريات والدهون في الجسم الإنساني .

(1) محمد محسن إبراهيم، أمراض ضغط الدم، أنواعها وأسبابها ومخاطرها، مركز الأهرام

للمترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 2000. ، ص 25 ..

(2) نفس المرجع، ص 24.

(3) عبد العزيز طريح شرف، المرجع السابق، ص 83.

إن القراءة السوسيوولوجية المتأنية حول ملاحظة بعض السلوكيات اليومية التي تطبع حياة بعض الجزائريين تكشف التراكم لمخزون السكريات الذي ينتج فقط عن عادة التحلية (هيا تحلي معنا) بالسكريات سواءا تعلق الأمر بقهوة المساء في الوسط الأسري، أو تعلق الأمر بدعاوى الأصدقاء للتحلي في المقاهي وعند الخروج للنزهة... إلخ

إن معظم الباحثين متفقون على أن الغذاء المتوازن هو الغذاء الجيد، وهو حاسم في الوقاية من الإصابة بالأمراض المزمنة، كما أنه حاسم في الحفاظ الصحة العامة للأفراد وللأسر والمجتمع.

خاتمة -

يمكن القول أن للتغير في ممارسات وعادات التغذية تأثيرات على الصحة والإصابة بالأمراض العصرية المزمنة حتى وإن كانت هذه التأثيرات- حسب المختصين- جزئية أو غير مباشرة، وبخاصة نحو التغير باتجاه إستهلاك الأغذية الدهنية والمصنعة وكل ما يؤدي إلى الرفع من وزن جسم الأفراد، وبالمقابل يقلل من وقايته وحمايته، ومن ثم يجعله أكثر عرضة للإصابة بأمراض مثل الضغط الدموي، السكري، السرطان و الأمراض القلبية، وهذا يعني أن كثرة تناول الطعام الضار بالصحة يعتبر عامل خطر آخر يدخل ضمن المتغيرات الإجتماعية التي يمكن توقيها، يضاف إلى العوامل المرتبطة بأحد هذه الأمراض سواء كانت بيولوجية أو وراثية، وذلك نتيجة لإمكانية توفر كمية كبيرة ومعتبرة من هذا الغذاء أمام الأفراد وعلى الموائد واختلاف أنواعه، وبالأخص لدى من يملكون المال الوفير، حيث يصرفون قدرا هاما منه للمتعة بلذته دون مراعاة آثاره الصحية. ولعل الأمر هنا ينطبق على المثل الصيني القائل : " أيا يكن أبو المرض في المجتمع، فإن عادات التغذية السيئة أمه " .

قائمة المراجع -

- 1 -Ministère de la santé, de la population et de la réforme hospitalière, Direction de la prévention, Rapport du séminaire atelier d'élaboration du programme nationale de lutte intégré contre les maladies non transmissibles, Ministère de la santé, de la population et de la réforme hospitalière, Alger, 2003.
- ² - كامل محمد عويضة، الصحة من منظور علم النفس، دار الكتب العلمية، بيروت 1996.
- ³ - عبد العزيز طريح شرف، القلب وأمراضه، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1989.
- ⁴ - نفس المرجع.
- ⁵ - باربرا، كلاين وآخرون، أساسيات التثقيف الصحي، منشورات جامعة اليرموك، الأردن، 1986.
- 6 - ماجد عبد العالي، السمنة وأمراض الغدد، أسبابها والوقاية منها، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1995،.
- 7 - نفس المرجع.
- 8 - نفس المرجع.
- 9 - جين كارير، دوائك في غذائك، موسوعة طبية غذائية، ترجمة أحمد رمو، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط3، 2005.
- 10 - شيلدون شيبس، ضغط الدم المرتفع، الإجابات الشافية لعلاج ضغط الدم المرتفع والوقاية منه، ترجمة: مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2000، ص 108.
- ¹¹ - نفس المرجع .
- ¹² - مايك فيزرستون، ثقافة الإستهلاك و مابعد الحداثة، ترجمة: فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2010 .
- ¹³ - نفس المرجع.



موقف فرنسا من الصراع العربي الصهيوني 1947 - 1957

بلعالية ميلود

جامعة حسيبة بن بوعلی الشلف

m.belalia@univhb-chlef.dz

الملخص -

لقد أصبح الصراع العربي- الصهيوني في منطقة الشرق الأوسط منذ قيام إسرائيل عام 1948 بوابة مفتوحة لتنافس القوى الاستعمارية الغربية الكبرى التي أصدرت البيان الثلاثي عام 1950 للدفاع عن إسرائيل. فقد استعانت إسرائيل بالخبرات والقدرات الغربية وبالأساس من فرنسا عندما وفرت الجمهورية الرابعة بقيادة الاشتراكيين في عهد غي مولييه عوامل التفوق العسكري الجوي لإسرائيل في المشرق العربي، ثم بإشراكها في العدوان على مصر عام 1956 ومساعدتها في بناء المفاعل النووي في ديمونا في صحراء النقب، واستمر الدعم الفرنسي لإسرائيل حتى حرب جوان 1967.

الكلمات الدالة -

الصراع العربي الصهيوني، الجمهورية الرابعة، قرار 181 المؤرخ في 29 نوفمبر 1947، الحرب العربية الإسرائيلية الأولى، هدنة رودس، الكونت برنادوت، بيير مندس فرنس، البيان الثلاثي، التسليح الفرنسي لإسرائيل، غي مولي، العدوان الثلاثي، الرئيس جمال عبد الناصر، لجنة التوفيق الدولية.

France's Position On The Arab-Israeli Conflict, 1947-1957

Abstract -

It Has Become The Arab- Zionist Conflict In The Middle East Since The Creation Of Israel In 1948; The Gate Is Open To Compete With The Major Western Colonial Powers, Which Issued A Statement Triple In 1950 To Defend Israel. It Has Been Used By Israel's Expertise Bank And Capabilities, Primarily From France When He Provided The Fourth Republic, Led By The Socialists In The Era Of Guy Mollet Air Military Superiority Of Israel In The Arab Mashreq Factors, And Engaging Them In The Aggression Against Egypt In 1956 And To Assist Them In Building A Nuclear Reactor At Dimona In The Negev Desert, And Continued French Support Israel Even Joan 1967.

Keywords –

Arab-Zionist Conflict, The Fourth Republic, Decision 181 Of 29 November 1947, The First Arab- Israeli War, Truce Of The Rhodes, Count Bernadotte, Pierre Mendes France, The Trilateral Statement, The French Armament Israel, Guy, Mollet, Tripartite Aggression, President Gamal Abdel Nasser, The International Conciliation Commission.

مقدمة -

أصبح المشرق العربي أكثر مناطق العالم توترا بعد العالمية الثانية. لقد أصبحت هذه المنطقة العربية منذ قيام الكيان الصهيوني عام 1948 بوابة مفتوحة لتنافس القوى الغربية التي أصدرت البيان الثلاثي عام 1950 للدفاع عن إسرائيل. كما وفرت فرنسا عوامل التفوق العسكري لإسرائيل في الوطن العربي، ثم بإشراكها في العدوان على مصر عام 1956 ومساعدتها في بناء المفاعل النووي. فما هي انعكاسات موقف فرنسا المنحاز لإسرائيل على الصراع العربي الصهيوني في ظل الجمهورية الرابعة؟

المبحث الأول: موقف فرنسا من الصراع العربي الصهيوني 1947 - 1949:

تميزت سياسة فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية تجاه العالم العربي بعدم الثبات خشية على مصالحها، وقد بدا ذلك واضحا من خلال موقفها المتردد من

التصويت عام 1947 على قرار تقسم فلسطين⁽¹⁾. لكن الحركة الصهيونية بعد نهاية الحرب استهدفت ضمان تأييد فرنسا في تسهيل نشاط زعمائها داخل فرنسا، وإرسال الأسلحة إلى العصابات الصهيونية وتنظيم الهجرة اليهودية من أوروبا إلى فلسطين عبر الموانئ الفرنسية، وأخيرا الحصول على دعم قوي لإنشاء دولة يهودية والاعتراف بها.

كانت السياسة الفرنسية تجاه الحركة الصهيونية مدعومة أساسا من بعض الشخصيات الاشتراكية وغالبيتها من اليهود الفرنسيين مثل ليون بلوم (Léon Blum)⁽²⁾ ورينيه ماير (René Mayer)⁽³⁾، ودانيال ماير (Daniel Mayer)⁽⁴⁾، وإدوارد ديبرو (Edouard Depreux)⁽⁵⁾ وزير الداخلية، ومن الجيش في حين تحفظت وزارة الخارجية خشية الإضرار بالمصالح الفرنسية.

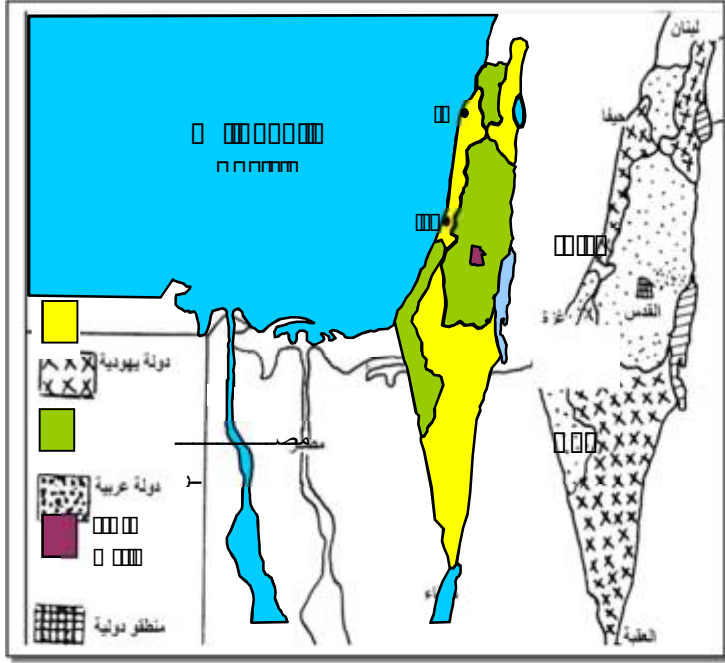
المطلب الأول: موقف فرنسا من قرار تقسيم فلسطين والاعتراف بإسرائيل:
لم يكن مشروع قرار التقسيم يحظى بتأييد أغلبية الثلثين المطلوبة في الجمعية العامة للأمم المتحدة، عند إجراء أول تصويت في 25 نوفمبر 1947، ففرنسا مثلا كان مندوبها في الأمم المتحدة جورج بيدو (Georges Bidault)⁽⁶⁾ مترددا حول تصويت بلاده مدعيا في ذلك المحافظة على العلاقات الفرنسية مع سورية ولبنان، غير أن المؤيدين لإسرائيل في الحكومة الفرنسية من أمثال روبير شومان (Robert Schuman)⁽⁷⁾ ضغطوا باتجاه تغيير موقف فرنسا بتأييد التقسيم. وقد لعب الجنرال شارل ديغول من عزلته في إقامته بشمال شرق فرنسا دورا بارزا في تحول موقف فرنسا من التقسيم.

1. موقف فرنسا من قرار تقسيم فلسطين عام 1947:

حاولت فرنسا من خلال تأييدها لمشروع التقسيم أن تسجل موقفا متميزا عن نظام فيشي تجاه اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، إضافة إلى المناورات التي تولى قيادتها الوفد الأمريكي للضغط على بعض الدول، لكي يحولها عن موقفها سواء بالتأييد أو بالامتناع⁽⁸⁾. لذلك حينما أعيد طرح مشروع التقسيم للتصويت في 29 نوفمبر، كانت فرنسا ضمن الدول الموافقة بـ33 صوتا، وبذلك يكون القرار رقم 181 القاضي بإقامة دولة يهودية على أرض فلسطين، قد حصل على موافقة ثلثي الأعضاء، وهي النسبة المطلوبة لتنفيذ أي اقتراح يعرض على

الجمعية العامة⁽⁹⁾. وألحقت خريطة بقرار التقسيم حملت دولة يهودية تسيطر على نسبة 55% من مساحة فلسطين وعلق بن غوريون على قرار التقسيم بقوله: "يوجد اعتراف دولي بإسرائيل كدولة يهودية"⁽¹⁰⁾.

الخريطة رقم 01: مشروع تقسيم فلسطين عام 1947⁽¹¹⁾



2. موقف فرنسا من الاعتراف بالكيان الصهيوني عام 1948:

تميز موقف فرنسا من الاعتراف بالكيان الصهيوني في البداية بالتردد وعدم الثبات عندما أعلن عن إنشاء إسرائيل في 15 ماي 1948، وكان الموقف الفرنسي من قضية الاعتراف بالكيان الصهيوني مبنياً على أساس الحفاظ على مصالحها الاقتصادية والثقافية في العالم العربي⁽¹²⁾. خاصة وأنه لم يمض وقت طويل على جلائها من سورية ولبنان، وتأثر فرنسا الكاثوليكية بموقف الفاتيكان المعارض لقيام إسرائيل. فقد جاء اغتيال الوسيط الدولي الكونت برنادوت (Comte Bernadotte) ومساعدته الفرنسي سيرو (Serot) في القدس على أيدي العصابات

الصهيونية ليؤخر الاعتراف⁽¹³⁾. ولهذا انتظرت فرنسا أشهرا قبل أن تعترف بإسرائيل، مما دفع بالولايات المتحدة إلى الضغط على فرنسا لتغيير موقفها⁽¹⁴⁾.

المطلب الثاني: دور فرنسا في لجنة التوفيق الدولية والبيان الثلاثي:

انعقدت دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في خريف 1948 في قصر شاويه بباريس في ظرف اغتيال الوسيط الدولي الكونت برنادوت، واتجهت نوايا الدول الكبرى إلى إبدال الوسيط الدولي بتعيين لجنة توفيق ثلاثية أنيط بها بحث قضية فلسطين.

1. دور فرنسا في لجنة التوفيق الدولية عام 1948:

بعد مشاورات بين واشنطن وباريس وأنقرة لاختيار ممثليها في لجنة التوفيق الدولية وقع الاختيار في 11 ديسمبر 1948 على كلود دي بواسونجي (Claude de Boisanger)، الدبلوماسي في وزارة الخارجية الفرنسية ممثلا لفرنسا، ورئيسا للجنة، و مارك أيتريج (Mark Ethridge)، ممثلا للولايات المتحدة، و جهيد ياسين (Cahid Yacin)، وزير الخارجية، ممثلا لتركيا⁽¹⁵⁾. كان الخلاف الذي بحث فيه اللجنة هو مطالبة والتر إيتان (Walter Etan)، ممثل إسرائيل، بإجراء مفاوضات مباشرة، أما الوفد العربي المتكون من عبد المنعم مصطفى ممثل مصر، وفوزي باشا مالكي ممثل الأردن، وفؤاد بك عمون ممثل لبنان، وعدنان الأتاسي ممثل سورية، فقد رفض قرار التقسيم وعدم الاعتراف بكل ما نشأ عنه.

للخروج من الطريق المسدود أثناء المناقشات بين الوفدين العربي والإسرائيلي، اقترح دي بواسونجي رئيس اللجنة مدينة لوزان السويسرية مكانا للمناقشات، ودعوة الطرفين إلى التوقيع على بروتوكول لوزان، وأهم ما جاء فيه⁽¹⁶⁾:

- تسوية النزاعات المعلقة بين الطرفين.
- وضع نظام دولي للقدس وحماية الأماكن المقدسة.
- عودة اللاجئين وتعويضهم.

وبعد أن سجلت اللجنة تحفظ الوفد العربي على هذه الخريطة، تم التوقيع في 12 ماي 1949 على بروتوكول لوزان في شكل وثيقتين منفصلتين⁽¹⁷⁾.

2. دور فرنسا في صياغة التصريح الثلاثي عام 1950:

قامت فرنسا بدعم إسرائيل في مجال الأمن عن طريق مساهمتها مع بريطانيا والولايات المتحدة في 25 ماي 1950 بصياغة التصريح الثلاثي⁽¹⁸⁾، جاء فيه ما يلي: "لن تتأخر الحكومات الثلاث عن اتخاذ الإجراءات سواء في نطاق الأمم المتحدة أو خارجها طبقاً لالتزاماتها لمنع هذا الاعتداء"⁽¹⁹⁾.

كان التصريح الثلاثي يستهدف المحافظة على أمن إسرائيل عند خطوط الهدنة مع دول الطوق العربية، وهكذا جاء هذا التصريح ليعزز نفوذ فرنسا من منفذ تسليح إسرائيل.

المبحث الثاني: موقف فرنسا من الصراع العربي الصهيوني (1954 - 1957):

وجدت الحكومة الفرنسية برئاسة بيير منديس فرانس (Pierre-Mendès France)⁽²⁰⁾ في إسرائيل حليفها الاستراتيجي منذ عام 1953، وساعد على ذلك تعيين بيير- إيتيان جيلبير (Pierre-Etienne Gilbert) سفيراً لفرنسا في تل أبيب، وهو أول دبلوماسي فرنسي أبدى إعجابه بإسرائيل، فقد رأى الفرنسيون المؤيدون لتسليح إسرائيل أن الكيان الصهيوني يمثل بالنسبة لهم قاعدة استعمارية أمامية، لإعادة تثبيت نفوذ فرنسا في العالم العربي، وسوقاً مغرية لبيع الأسلحة الفرنسية، ومصدراً لتمويل مشاريع الصناعات الحربية الفرنسية⁽²¹⁾. وهكذا تمكنت إسرائيل من عقد عدة صفقات لشراء أسلحة فرنسية المنشأ، فقد أبدى وزير الدفاع الفرنسي جورج كاترو دعمه لإسرائيل، وسارت على نهجه شخصيات أثرت في رسم السياسة الفرنسية من أجل تكثيف التنسيق مع إسرائيل في مجال التسليح، ومن هذه الشخصيات وزير الخارجية جورج بيدو، وخليفته كريستيان بينو (Christian Pineau)⁽²²⁾، ووزير الدفاع مثل ماري- بيير كوينغ (Marie-Pierre Koenig)⁽²³⁾، وخليفته موريس- بورجيس مونوري (Maurice Bourges-Maunoury)⁽²⁴⁾، وغيرهم من الذين تعاقبوا على مناصب عليا في حكومات منديس فرانس وإدغار فور (Edgar Faure)⁽²⁵⁾، وغي موليه (Guy Mollet)⁽²⁶⁾.

المطلب الأول: دور فرنسا في تسليح إسرائيل منذ عام 1954:

رغم محاولات وزارة الخارجية الفرنسية فرض قيود لتحديد مبيعات الأسلحة، فإن دور فرنسا في تسليح إسرائيل أصبح أمراً واقعاً في مطلع الخمسينات⁽²⁷⁾، ومنذ ذلك الوقت تطور التنسيق العسكري الفرنسي مع إسرائيل تطوراً ملحوظاً، لاسيما في مجال تبادل المعلومات الاستخباراتية. وهكذا لعبت فرنسا دوراً خطيراً في ضمان تمويل برامج التسليح الإسرائيلي لدوافع عدائية تجاه العالم العربي، فسلح الجو الإسرائيلي مثلاً أصبح مجهزاً تقريبا بطائرات فرنسية، في حين اتجهت إسرائيل للاستثمار في المشاريع الفرنسية ذات التكنولوجيا العالية، وحصلت من مجموعة داسو (Dassault)⁽²⁸⁾ على امتيازات مغرية في شراء الطائرات.

1. الظرف الدولي الذي جرت فيه اتصالات بيريز:

في بداية سنة 1954 وضع دافيد بن غوريون خطة تقضي بضرورة وجود حليف قوي لإسرائيل، وكانت خطته تقوم على مبدأ أن الحدود المفروضة بالطبيعة على الموارد وعلى العمق في إسرائيل تفرض عليها دائماً أن تجد لنفسها صديقا خارجيا قويا وكبيرا يوفر لها الدعم العسكري والسياسي في تحركاتها⁽²⁹⁾. ووجد أن فرنسا كانت مهياًة لكي تلعب دور الدولة الأوروبية المساندة لإسرائيل، فاختر لها واحداً من أقرب مساعديه، شيمون بيريز مدير عام وزارة الحربية في حكومته⁽³⁰⁾. وفي هذا الصدد، يقول بيريز في الجزء الأول من مذكراته في الواقع إن دافيد بن غورين كلفه أن يحاول الاتصال بالحكومة الفرنسية. قائلاً له: "أريدك أن تذهب إلى باريس وتفعل كل ما تستطيع، ولنر ماذا يمكن أن نحصل عليه من فرنسا نحن الآن ومنذ قيام الدولة نشترى بعض احتياجاتنا العسكرية من هناك بطريقة محدودة، وما أريدك أن تحاوله هو فتح الباب"⁽³¹⁾. كانت القوى الكبرى المرشحة لتلعب هذا الدور في اعتقاد بن غوريون ثلاثاً هي:

- الولايات المتحدة ولكنها كانت مشغولة بمحاولة إقناع مصر بالاشتراك في حلف بغداد، لتطويق الاتحاد السوفيتي.
- بريطانيا ولكنها كانت مرتبطة بعلاقات بترولية مع عدد كبير من الدول العربية كالعراق والسعودية والبحرين، وذلك عامل قد يحد من أي تعاون مفتوح مع إسرائيل.

• فرنسا التي كانت في مطلع الخمسينات في حالة من التوتر، وكان يطبع تحركاتها خيبة الأمل. كانت الجمهورية الرابعة قد قامت بعد الحرب العالمية الثانية، وسط الاعتقاد بأن فرنسا كانت شريكا للحلفاء المنتصرين، وأنها أحد أطراف التحالف الغربي، وكان ديغول هو المبشر بهذا الحلم. واندفعت فرنسا تحاول أن تؤكد قوتها لنفسها بتأكيد سيطرتها على المستعمرات، ولكنها كادت تغرق في مستنقعات الهند الصينية، وكانت الهزيمة في ديان بيان فو عام 1954 بقيادة الجنرال جياب، مؤشرا على تراجع فرنسا على المستوى الدولي. كما أن مكانتها في أوروبا الغربية كانت موضع تجاهل من الولايات المتحدة وبريطانيا⁽³²⁾.

2. الظرف الداخلي المحيط بتحريك بيريز في باريس:

وجد شيمون بيريز عندما وصل إلى باريس عام 1954، أن الظروف الداخلية لفرنسا، تساعده في استكمال خطة تسليح إسرائيل، لذلك اعتمد في البداية على عناصر من اليهود الفرنسيين الذين شاركوا في الحرب ومنهم أندري بيلابون (André Pelabon) مدير مكتب ومستشار رئيس الحكومة منديس فرانس، وكاتب الدولة للطيران ديوميد كاترو (Diomède Catroux)⁽³³⁾. وتمكن من مقابلة بول رماديه⁽³⁴⁾ الذي قال لبيريز: "إنني لا أعرف ماذا تريدون أن تفعلوا بهذه المدافع الكبيرة التي تطلبونها، ولكنني سوف أساعدكم في الحصول عليها"⁽³⁵⁾.

ثم التقى بيريز رئيس الحكومة منديس فرانس ثم إدغار فور، وعن طريق رؤساء الحكومات الثلاثة، اتصل بيريز بالجنرال جورج كاترو وزير الدفاع الفرنسي، وكان كاترو اليد التي انتقم بها ديغول من الوطنيين في سوريا والجزائر في شهر ماي 1945، ولم ينس أن أصابعه احترقت بالنار في سورية ولبنان، ولذلك كان مستعدا لمساعدة إسرائيل بكل وسيلة، وكأنه بذلك يريد أن ينتقم من العرب.

3. النتائج الأولية لتحريك بيريز في باريس:

كانت أولى هذه النتائج، حصول بيريز على إذن بشراء ثلاثة أسراب من طائرات ميستير، ولكن خبراء الطيران الحربي الإسرائيلي الذين ذهبوا إلى فرنسا

لتجربتها لم يجدوا حقيقتها مطابقة لمواصفاتها. ثم تحولت إسرائيل إلى طلب شراء ميستير4، وظهرت مشكلة، لأن هذه الطائرة التي وقع الاختيار الإسرائيلي عليها لم تكن ملكا لفرنسا، وإنما كان إنتاجها لحساب الحلف الأطلسي بتمويل أمريكي⁽³⁶⁾.

وهكذا فإن الحصول عليها كان يقتضي إذنا من الولايات المتحدة، وتولت فرنسا مهمة إقناع بريطانيا والولايات المتحدة للحصول على موافقة الحلف. وفي هذا الصدد يقول بيريز في مذكراته: "التقيت وقتذاك مع أقرب مساعدي وزير الداخلية مونوري خاصة لويس مانجان (Louis Mangin) وأبيل توماس (Abel Thomas) مدير مكتب الوزير. وكانت وزارة الداخلية هي المسؤولة عن شؤون الجزائر، وكان بورجيس مونوري على استعداد للتعاون معنا، فقد كان تأثير المساندة العربية للثورة الجزائرية، وقال لي: "إن فرنسا وإسرائيل تواجهان نفس التحديات ونفس الأعداء، ولا بد أن نتعاون على المفتوح... إن المد الذي يتدافع الآن في البحر الأبيض المتوسط يهدد سواحل إسرائيل وفرنسا... ولا بد أن نصد مشاكله عن سواحلنا... لا بد أن نتعاون معا ونستطيع ذلك"⁽³⁷⁾.

استفادت إسرائيل عام 1955 من مركز القوة الذي شكل محوره وزير الداخلية والدفاع في حكومة إدغار فور في إبرام اتفاق للتعاون في مجال الطاقة النووية وقعه وزير الدفاع الفرنسي الجنرال كوينغ ووزير الشؤون النووية الإسرائيلي باليوسكي (Palewski) وبناء عليه تم الشروع في بناء محطة نووية عام 1957 في ديمونة جنوب فلسطين، وشراء مفاعل نووي فرنسي لصناعة القنبلة النووية الإسرائيلية⁽³⁸⁾.

4. دور حكومة غي موليه في تسليح إسرائيل:

استغلت إسرائيل الظرف الذي جرت فيه، الانتخابات الفرنسية في منتصف الخمسينات، وكانت فرص الاشتراكيين فيها كبيرة، بزعامة الأمين العام للحزب الاشتراكي الفرنسي غي موليه. وفي هذا الصدد يروي بيريز في مذكراته، ما يلي: "لقد بدأ غي موليه حديثه معي بقوله: "إنهم يروجون عني إشاعة تقول أنني معاد للسامية"، ولكنني كنت أعرف دوافع غي موليه لهذه البداية التي اختارها لحديثه معي... فقد كان السبب أن منافسيه على زعامة

الحزب دانيال ماير وجول موش (Jules Moch)⁽³⁹⁾ من اليهود، وحين فاز عليهما فإن بعض أنصارهما روجوا لمقولة أنهما هزما أمامه لكونهما من اليهود". واستطرد غي موليه يقول: "...إن هذه الإشاعة محض أكذوبة، وصحيح أنني مع خلاف مع دانيال ماير، ولكن هذا الخلاف يمس نظريته الاشتراكية، وليس له دخل بعقيدته اليهودية... إن مجرد أن يقول عني أحدهم أنني معاد للسامية هو شيء فظيع... وعلى العكس فأنا أعرف كل ما عانيتموه من اضطهاد النازي، وقد كنت أنا نفسي من ضحاياه، ولقد كان أعظم الفرنسيين الذين عرفتهم في حياتي ليون بلوم، وكان يهوديا، وكان أستاذي، ثم إن لي أصدقاء كثيرون في حزب العمال في بلادكم، إن إسرائيل تتطور لتصبح مجتمعا اشتراكيا نموذجيا نصبو نحن إلى إقامة مجتمع مثله في فرنسا". وقلت له بصراحة وقد شجعتني كلماته: "إن تجربتنا مع الاشتراكيين مريرة فبعضهم ينسى تعاطفه معنا حينما يصل إلى الحكم، ولقد كانت لنا تجربة قاسية مع أرنتست بيفن في بريطانيا". وقال لي غي موليه: "سوف ترى إنني لن أكون مثل أرنتست بيفن، وسوف ترى الدليل العملي على صداقتي لكم كفرنسي وكاشتراكي"⁽⁴⁰⁾.

في مطلع سنة 1956 جاء غي موليه إلى الحكم في فرنسا، وبدأت صفقات التسلح تعقد في باريس مع إسرائيل، وبدأت الأسلحة تتدفق عبر جسر بحري من مرسيليا إلى حيفا. وكانت أول شحنة من 29 طائرة Mystère 4، و19 طائرة Vautour قاذفة، و200 مدفع عيار 155 ملم، و90 دبابة AMX. وتوالت الشحنات رغم أن بعض العناصر الفرنسية كانت تحاول أن تلفت النظر إلى خطورة هذا الجسر البحري لإمداد إسرائيل بالأسلحة، من بين هذه العناصر بعض المهتمين بالعالم العربي من خبراء وزارة الخارجية الفرنسية، ولعل ضغط هذه العناصر هو الذي أدى إلى قرار بإيفاد كريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسي في حكومة غي موليه إلى القاهرة⁽⁴¹⁾، لكي يبحث العلاقات المصرية الفرنسية مع جمال عبد الناصر⁽⁴²⁾، وفي 12 مارس 1956 أثار بينو موضوع مساندة الثورة الجزائرية، وتطورت المناقشة، وأبدى جمال عبد الناصر⁽⁴³⁾ استعداداته بالوساطة لفتح اتصالات سرية، وكان تعليق بينو أن السرية ضرورية فلو تسربت أية أنباء عن هذه الاتصالات لأصبح موقف الحكومة الفرنسية بالغ الصعوبة أمام المعارضة

والصحافة⁽⁴⁴⁾، ووعد بأن يكون هناك ممثلون لفرنسا في القاهرة في ظرف عشرة أيام، إذا وافق رئيس الحكومة⁽⁴⁵⁾. في هذا الجو زاد تدفق شحنات الأسلحة الفرنسية إلى إسرائيل دون توقف، ويقول بيريز في مذكراته: "في ربيع سنة 1956 كانت المشاعر معبأة بشدة ضد عبد الناصر في باريس، وذات يوم أخرج لي غي موليه من درج مكتبه نسخة من كتاب فلسفة الثورة، وقال لي: "نحن وأنتم أمام هتلر جديد في العالم العربي، ولا بد أن نضرب مخططاته، وإلا فانتنا الفرصة، كما فانتنا من قبل حين لم نفهم مقاصد هتلر في كتابه كفاحي"⁽⁴⁶⁾. ويستطرد فيقول: "وكان تعبير بورجيس مونوري الذي أصبح وزيرا للدفاع في فرنسا أكثر صراحة إذ بادرني وأنا أدخل إلى مكتبه قائلاً: "ماذا تنتظرون للزحف على مصر وإسقاط عبد الناصر؟" وقلت له: "نتنظر أن تكون لدينا أسلحة توازن ما حصل عليه عبد الناصر من صفقته مع السوفييت". وقال بورجيس مونوري ما هي طلباتكم... نحن على استعداد لتقديمها بغير حدود"⁽⁴⁷⁾.

وهكذا لم يبق أمام إسرائيل سوى البحث عن ذريعة لاستخدام الأسلحة الفرنسية خاصة الطائرات والمدفعية في العدوان على مصر في خريف عام 1956، بعد أن تم التخطيط سرا مع حليفتها بريطانيا وفرنسا.

المطلب الثاني: أثر أزمة السويس على نفوذ فرنسا في العالم العربي:

أثناء أزمة السويس أو ما اصطلح عليه بالعدوان الثلاثي على مصر كانت إسرائيل هي البادئة بالعدوان على قطاع غزة وسيناء في 29 أكتوبر 1956، ثم تدخلت إلى جانبها فرنسا وبريطانيا، قبل أن يطرأ على الموقف عنصران، كان لهما الأثر الكبير في الحسم النهائي لأزمة السويس في 6 نوفمبر 1956:

1. نسف محطات ضخ البترول في سوريا في 3 نوفمبر 1956.

كانت سوريا برئاسة شكري القوتلي⁽⁴⁸⁾ تواجه ضغطاً من حلف بغداد، يستهدف عزل سورية عن مصر، وزاد من مخاوف الضباط البعثيين في الجيش السوري أنه كانت هناك خطة للقيام بانقلاب في سوريا تتوافق مع العدوان الثلاثي. وكان هدف الخطة منع اشتراك الجيش السوري في مساندة مصر، وتفعيلاً لميثاق الدفاع المشترك بين مصر وسوريا استطاع هؤلاء الضباط بقيادة عبد الحميد السراج القيام بعملية نسف ثلاث محطات لضخ البترول العراقي

عبر سورية إلى بانياس وطرابلس. وكانت الخطوة الأولى جاءت من مصر بتعطيل الملاحة عن طريق نسف باخرة في قناة السويس. وكانت النتيجة توقف تدفق بترول العالم العربي عن أوروبا الغربية خاصة بريطانيا وفرنسا. ولم تكن هناك ناقلات ضخمة تستطيع الدوران حول رأس الرجاء الصالح، ثم بدأت الإجراءات بسبب نقص الوقود في أوروبا الغربية. وعرف الجنيه الإسترليني أكبر انخفاض في قيمته ما بعد الحرب العالمية الثانية⁽⁴⁹⁾، وذهب هارولد ماكميلان وزير الخزانة البريطاني يقول لرئيس الوزراء أنتوني إيدن: "لا بد من البحث عن طريق آخر يكفل عودة الملاحة، ويضمن إصلاح خط الأنابيب عبر سورية، وإلا ساءت العواقب"⁽⁵⁰⁾.

2. إنذار الماريشال بولغانين في 5 نوفمبر 1956:

ثار جدل حول جدية إنذار الماريشال بولغانين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي في الساعة الأولى من صباح يوم 6 نوفمبر 1956، إلى بريطانيا وفرنسا فقد جاءت أهم عبارة في هذا الإنذار بالصيغة التالية: "إن قناة السويس استعملت كممر فقط من أجل شن حرب عدوانية مدبرة ضد مصر. وإنني لأتساءل في أي موقف تجد بريطانيا (أو فرنسا) نفسها إذا هوجمت بواسطة قوى أكبر منها تملك أنواعا حديثة من أسلحة الدمار الشامل؟ إن هذه القوى الكبيرة لن ترسل أساطيلها البحرية أو الجوية لتقتحم السواحل البريطانية (أو الفرنسية)، وبدلاً من ذلك فإنها تستطيع أن تستعمل وسائل أخرى كالصواريخ مثلاً. وإذا استعملت الصواريخ ضد بريطانيا وفرنسا، فإنكم بالتأكيد سوف تسمون ذلك عملاً بربرياً، ومع ذلك فأني فارق بين هذا وبين غزوكم لمصر"⁽⁵¹⁾.

في حين جاءت أهم عبارة في الإنذار الموجه إلى إسرائيل بالصيغة التالية: "إن حكومة إسرائيل تلعب بأقدار العالم، وبأقدار شعبها بطريقة مجرمة وغير مسؤولة، وهي تحصد الكراهية ضد دولة إسرائيل من جانب كل الشعوب الشرقية، ومثل ذلك لا يمكن إلا أن يترك أثره على مستقبل إسرائيل، ويضع موضع التساؤل أحقية وجودها ذاته كدولة. إن حكومة الاتحاد السوفيتي تتخذ الآن خطوات تكفل وضع نهاية للحرب وردع المعتدي، وعلى الحكومة الإسرائيلية

أن تعيد تقدير موقفها قبل أن يفوت الأوان، ونحن نأمل في أنها سوف تعي تماما وتقدر معنى هذا التحذير الذي نوجهه⁽⁵²⁾.

فهل كان لهذا الإنذار السوفيتي أثره على فرنسا وبريطانيا أثناء التواطؤ مع إسرائيل في العدوان الثلاثي؟ وإلى أي مدى لعب هذا الإنذار دوره ضمن العوامل التي قادت أزمة السويس إلى الانفراج الدولي؟

إن أزمة السويس كانت هي المناسبة التي استطاع فيها الاتحاد السوفيتي أن يحقق توازنه مع الولايات المتحدة في امتلاك أسلحة الدمار الشامل.

كان الإنذار السوفيتي هو ذروة الحرب الباردة وبداية الانفراج الدولي من خلال تعاون الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في إنهاء أزمة السويس في مجلس الأمن.

أدركت فرنسا أنه لم يعد باستطاعتها أن تعتمد على المظلة النووية الأمريكية في استعادة نفوذها في المشرق، فاتجهت فرنسا عام 1957 نحو سياسة بناء قوة نووية مستقلة.

أما إسرائيل التي استخدمت الأسلحة الفرنسية في حربها ضد مصر، فقد استغلت تدهور مكانة فرنسا الدولية، للضغط لإبرام صفقة نقل التكنولوجيا النووية. وهكذا استمر دور فرنسا في تسليح إسرائيل، على مدى عشر سنوات إلى أن وجدت إسرائيل ذريعة للعدوان على دول الطوق بأسلحة فرنسية عام 1967، وبعد أن تأكد بن غوريون من التأييد السياسي والإعلامي الأمريكي في عهد الرئيس جونسون.

3. موقف الجنرال شارل ديغول من دور فرنسا في أزمة السويس:

لم يعلن ديغول موقفه من أزمة السويس، لسببين: أولاًهما التحفظ منذ عام 1955 في إبداء آرائه في القضايا التي تحدث في فرنسا. وثانيهما رغبته في المحافظة على وحدة الكتلة الديغولية في البرلمان الفرنسي تجاه السياسة الخارجية للجمهورية الرابعة⁽⁵³⁾.

كانت أزمة السويس فرصة للديغوليين لكي يظهروا فيها تأييدهم لإسرائيل، وبشكل خاص وزير الدولة للطيران جورج كاترو، وهو أول من وقع اتفاقية عسكرية مع إسرائيل⁽⁵⁴⁾، والجنرال كوينغ وزير الدفاع الذي قدم الأسلحة

لإسرائيل عام 1955، وجاك سوستيل (Jacques Soustelle)⁽⁵⁵⁾ رئيس جمعية الصداقة الفرنسية- الإسرائيلية، الذي كان من أشد الفرنسيين المؤيدين لإسرائيل، إضافة إلى إدموند ميشليه⁽⁵⁶⁾ (Edmond Michelet) رئيس الوفد الفرنسي في الأمم المتحدة، وميشيل دوبريه (Michel Debré)⁽⁵⁷⁾ الذي وصف الرئيس جمال عبد الناصر عام 1956 بالدكتاتور⁽⁵⁸⁾. وهو الذي أيد العدوان باسم الديغوليين في البرلمان الفرنسي، وعلل هذا التأييد بسبب الانتقام من تأميم قناة السويس، ومن أجل ضمان حماية إسرائيل⁽⁵⁹⁾. أما ديغول فقد انتقد موقف الولايات المتحدة من الحملة، قائلاً: "كان يجب تحذير الأمريكيين هذا ما سنفعله، وإذا لم توافقوا فلن يكون هناك حلف أطلسي وعندها سيقبلون. واليوم نحن مهددون بعدم وصول الوقود إلينا. أنا أقول أنه اعتباراً من هذا المساء ساعة الصفر، فإنه لم يعد من حق القوات الأمريكية التنقل داخل فرنسا، ولم تعد هناك قواعد أمريكية في فرنسا حتى إشعار آخر"⁽⁶⁰⁾.

لا شك أن ديغول لم يعارض فكرة العدوان الثلاثي التي كانت فرنسا المحرك الرئيسي له، بل أن معارضته انصبت على القادة السياسيين الذين وافقوا على إعطاء القيادة لبريطانيا، مما أفشل العملية في نظره. ونقل جاك بلو-بريدر (Jacques Blue-Bridier) وهو أبرز النواب الديغوليين في البرلمان الفرنسي على لسان ديغول قوله: "هذه مغامرة ولهذا لن أتحمّل المسؤولية"⁽⁶¹⁾.

إذا كانت إسرائيل قد نجحت إلى حد كبير في جر فرنسا إلى إقامة تحالف استراتيجي معها، استهدفت من ورائه إقامة توازن القوى في منطقة العالم العربي وامتلاك قوة رادعة في حرب استباقية، فإن الخلفية التاريخية لهذا التحالف الفرنسي الإسرائيلي تكمن في وجود لوبي صهيوني منحاز لإسرائيل في الحكومة الفرنسية تمثل في لجنة الصداقة الفرنسية- الإسرائيلية وكان من أبرز أعضائها جاك سوستيل، وبير كوينغ، وميشيل دوبريه، وفرانسوا ميتران (François Mitterrand)⁽⁶²⁾، مورييس شومان فلا شك أن أزمة السويس أدت إلى تغييرات جذرية في ميزان القوى في النظام الدولي، فقد تحولت بريطانيا وفرنسا من دولة كبرى إلى دولة متوسطة، وسقطت الجمهورية الرابعة⁽⁶³⁾، وجاء ديغول بالجمهورية الخامسة عام 1958.

ما يمكن استنتاجه من موقف فرنسا من الصراع العربي الصهيوني من عام 1947 حتى عام 1957، انحياز فرنسا الواضح لتأييد الحركة الصهيونية في تنفيذ المشروع الصهيوني، وذلك بالتصويت على مشروع قرار تقسيم فلسطين عام 1947، وفي الاعتراف بالدولة اليهودية عام 1949، والدور البارز في تسليحها في الخمسينيات من القرن الماضي.

كما ان هذا الموقف المنحاز للكيان الصهيوني وجد مساندة من الجنرال ديغول من خلال التأثير في موقف فرنسا للتصويت على مشروع التقسيم، وتأييد العدوان الثلاثي.

خاتمة -

إجابة على إشكالية البحث يمكن تقديم الاستنتاج التالي: أصبح الصراع العربي- الصهيوني منذ عام 1948 بوابة مفتوحة لتنافس القوى الغربية التي أصدرت البيان الثلاثي عام 1950 للدفاع عن إسرائيل. فوفرت فرنسا عوامل التفوق العسكري لإسرائيل بإمدادها بالأسلحة ثم بإشراكها في العدوان على مصر عام 1956 وأخيرا بناء مفاعل ديمونة النووي عام 1957.

الهوامش -

- 1- علي الحاج، سياسات الاتحاد الأوروبي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2005، ص 116.
- 2- ليون بلوم (1872- 1950)، من يهود فرنسا، كان أحد زعماء الفرع الفرنسي للأممية العمالية (الحزب الاشتراكي)، تولى رئاسة الحكومة الفرنسية ثلاث مرات: 1936- 1937، وفي عام 1938 وفي عام 1946. للمزيد انظر: Jean-François Sirinelli, Dictionnaire de la vie politique française au XXe siècle, Ed PUF, Paris 1995, pp 144-150.
- 3- رنيه ماير (1909- 1996)، سياسي فرنسي وقيادي اشتراكي. للمزيد انظر: Jean-François Sirinelli, Op-cit, pp 769-770.
- 4- دانيال ماير (1909- 1996)، سياسي فرنسي وقيادي اشتراكي. للمزيد انظر: Jean-François Sirinelli, Op-cit, pp 769-770.
- 5- إدوارد ديبرو (1898- 1981)، سياسي اشتراكي فرنسي منذ 1918، شارك في الحرب العالمية الثانية، نائب ووزير في الجمهورية الرابعة. غادر الأممية الاشتراكية بسبب معارضته للحرب الاستعمارية الفرنسية في الجزائر ليؤسس عام 1960 PSU (الحزب الاشتراكي الموحد) عام 1960. للمزيد انظر:

Jean-François Sirinelli, Op-cit, pp 384-385.

- 6- جورج كاترو (1877- 1969)، جنرال ووزير وسفير في الجمهورية الرابعة، أحد المقربين من ديغول أثناء الحرب العالمية الثانية، لعب دورا خطيرا في قمع الحركة الوطنية في سوريا على 1943 وفي الجزائر في ماي 1945. للمزيد انظر:

Jean-François Sirinelli, Op-cit, pp 189-190.

- 7- روبير شومان (1886- 1963)، رجل دولة فرنسي، ترأس الحكومة الفرنسية مرتين: الأولى من 24 نوفمبر 1947 إلى جويلية 1948، والثانية من 5 سبتمبر 1948 إلى 7 سبتمبر 1948 يعتبر أحد المؤسسين للمجموعة الأوروبية. للمزيد انظر:

Jean-François Sirinelli, Op-cit, pp 1138-1141.

- 8- Alfred Grosser, Affaires Extérieures, La politique de la France 1944-1984, Ed Flammarion, Paris 1984, p 186.

- 9- خيري حماد، التطورات الأخيرة في القضية الفلسطينية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1964، ص 43.

- 10- Tsilla Hershco, Entre Paris et Tel-Aviv, La France, le Sionisme et la création de l'état d'Israël 1945-1949, éd Champion, Paris 200, p 235.

- 11- Pierre Serryn & René Blasselle, Atlas Bordas Géographique et Historique, Ed Bordas, Paris 1989, p 36.

- 12- محمد نصر مهنا، مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي 1945- 1967، دار المعارف، القاهرة 1979، ص 38..

- 13- Tsilla Hershco, op-cit, p 33

- 14- مجلة السياسة الأسبوعية، القاهرة، 20 ماي 1948 ..

- 15- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت 1975، ص 554.

- 16- كمال ناصر، التسوية الدولية لأزمة الشرق الأوسط، مجلة شؤون فلسطينية، عدد 22، جوان 1973، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، ص 84 - 85.

- 17- Commission de conciliation des Nations-Unis pour la Palestine, Troisième rapport au secrétaire général des Nations Unis sur l'évolution de la situation (pour période qui s'étend du 9 novembre au 8 juin 1949 inclus), 13 pages.

- 18- الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول، الجزء الثالث، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق 1990، ص 449.

- 19- وزارة الإرشاد القومي، ملف وثائق فلسطينية، ج2، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة 1969، ص 1077.

- 20- بيير منديس- فرنس (1907- 1982)، يهودي فرنسي، تولى رئاسة الحكومة الفرنسية من 18 جوان 1954 إلى 5 فيفري 1955. للمزيد انظر:

Jean-François Sirinelli, Op-cit, pp 773-777.

21- Sylvie Crosbie, "Une tacite alliance: France et Israël de Suez à la guerre des six jours", Revue d'Espoir, n° 45, Paris, novembre 1976, pp 16-19.

22- كريستيان بينو (1904 - 1995)، تولى وزارة الخارجية في حكومة غي موليه من 1 فيفري 1956 إلى 13 جوان 1957، وساهم في التخطيط للعدوان الثلاثي، وفي حكومة مونوري من 13 جوان إلى 6 نوفمبر 1957، وفي حكومة فيليكس غايار من 6 نوفمبر 1957 إلى 14 ماي 1958. للمزيد انظر:

Jean-François Sirinelli, Op-cit, pp 940-945.

23- ماري- بيير كوينغ (1898 - 1970)، سياسي وعسكري فرنسي، نائب رئيس لجنة الصداقة الفرنسية- الإسرائيلية، لعب دورا بارزا في تسليح إسرائيل قبل العدوان في جوان 1967. للمزيد انظر:

Jean-François Sirinelli, Op-cit, pp 670-672.

24- موريس بورجيس- مونوري (1914 - 1993) وزير الدفاع، وهو من المخططين البارزين للعدوان الثلاثي على مصر، ترأس الحكومة الفرنسية لمدة 100 يوم تقريبا، بعد سقوط حكومة غي موليه، انظر:

Paul Marcus, Bourges-Maunoury Maurice : Un républicain indivisible, Ed Atlantica, Biarritz 1997, p 123.

25- إدغار فور (1908 - 1988)، رئيس حكومة لمدة تسعة أشهر تقريبا عام 1955، لكنه أيد ديغول عام 1958، والذي كلفه بملف الاعتراف بالصين الشعبية في مطلع الستينيات، وعينه وزيرا للزراعة عام 1966. انظر:

Serge Berstein, « Edgar Faure », in La Reconstruction du parti radical, L'Harmattan, Paris 1993, p 426.

26- غي موليه (1906 - 1975)، رئيس الحكومة الفرنسية عام 1956 - 1957، كانت فرنسا في عهده المحرك الرئيسي في العدوان الثلاثي على مصر. أنظر:

Gilles Morin, Guy Mollet, de l'opposition à la guerre d'Algérie au PSA, thèse de doctorat, Paris1, 1992, p 56.

27- Elie Barnavi, Une histoire moderne d'Israël, 2eme Ed Flammarion, Paris 1988, p 304.

28- Robert Paul Grant, Les querelles franco-américaines et le conflit israélo-arabe, IEP, Paris 1983, p14.

• شركة Marcel Dassault هو الاسم الذي أطلقه على نفسه مارسيل بلوخ أثناء الاحتلال الألماني لفرنسا خوفا من افتضاح أمره كيهودي. ولد عام 1882، ودرس الهندسة واشتغل بصناعة الطيران ثم تركها لكنه عاد إليها عام 1920، حيث بدأ العمل بصناعة الطيران الحربي. وفي عام 1938 وتحت الحاجة إلى المزيد من الطائرات الحربية، طلب سلاح الجو الفرنسي من شركة مارسيل بلوخ عددا من الطائرات. وأنتج أول طائرة نفاثة مقاتلة عام

1950 وهي طائرة Ouragon وسلحت بها إسرائيل ثم أنتج طائرات ميستير وميراج. للمزيد انظر:

Jean-François Sirinelli, Op-cit, pp 318-319.

29- Bar-Zohar Michel, Les relations entre la France et Israël 1948-1961, Fondation Nationale des sciences politiques, Paris 1963, p 23.

30- نيفين مسعد، الصهيونية وجماعات الضغط في فرنسا، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1983، ص 263.

31- شيمون بيريز، مذكرات: حروبنا مع العرب، تر/ صوت البلاد، الطبعة الأولى، مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر، دبي 1986، ص 39.

32- رءوف عباس حامد، حرب السويس بعد أربعين عاما، مؤسسة الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة 1996، ص 412.

33- ديوميد كاترو (1916 - 2008)، سياسي فرنسي، نائب منذ 1951 حتى 1967. للمزيد انظر:

Jean-François Sirinelli, Op-cit, pp 184-185.

34- بول راماديه (1888 - 1961)، سياسي فرنسي، رئيس أول حكومة في الجمهورية الرابعة عام 1947. للمزيد انظر:

Jean-François Sirinelli, Op-cit, pp 1054-1055.

35- شيمون بيريز، مرجع سابق، ص 39.

36- زاهي الأفرع، العلاقات الفرنسية الإسرائيلية (1956 - 1967)، مجلة شؤون فلسطينية، عدد 98، مركز الدراسات الفلسطينية، بيروت، ماي 1978، ص 258.

37- شيمون بيريز، مرجع سابق، ص 42.

38- Samir Kassir et Farouk Mardam- Bey, Itinéraires de Paris à Jérusalem- La France et le conflit israélo-arabe Revue d'études palestiniennes, t1, Beyrouth 1992, p 174.

39- جول موش (1893 - 1985) سياسي اشتراكي منذ 1924، من أنصار ليون بلوم في

انتخابات الجبهة الشعبية، عارض اتفاقات ميونيخ عام 1938، رفض التعاون مع حكومة فيشي في جويلية 1940، تقلب في عدة مناصب وزارية في حكومات الجمهورية الرابعة، اختلف مع غي موليه في التوجه الاشتراكي، أيد وصول ديغول عن طريق التمرد العسكري. انظر:

Eric Mechoulan, Jules Moch : un socialiste dérangeant, Ed, Bryulant, Bruxelles 1999.

40- شيمون بيريز، مرجع سابق، صص 59 - 60.

41- Gad Mohamed El Sayed, Les relations franco-égyptiennes et le conflit israélo-arabe 1956-1970, Doctorat en sciences politiques, Nice 1999, pp 25-26.

- 42- جمال عبد الناصر (1918- 1970)، الرئيس الثاني لمصر بعد محمد نجيب من حركة الضباط الأحرار، تولى الحكم من عام 1954 إلى وفاته عام 1970، من أهم أعماله إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية، والاهتمام بحركات التحرر العربية، وبعد العدوان الثلاثي عام 1956، توجه جمال عبد الناصر إلى إقامة وحدة اندماجية مع سوريا (1958- 1961) تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة، وكان له الدور البارز مع تيتو ونهرو في تأسيس حركة عدم الانحياز عام 1961، وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964، وبالرغم من اهتزاز صورة جمال عبد الناصر كزعيم للقومية العربية بعد هزيمة جوان 1967، إلا أنه ظل يحتفظ لدى الكثيرين من القوميين العرب بقيمته الرمزية، أنظر: مؤسسة جمال عبد الناصر، مكتبة الإسكندرية 2000. كذلك أنظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، الجزء الثاني، دار النهضة العربية، بيروت 1982، ص 223.
- 43- أحمد لبيب، قناة السويس في العلاقات الدولية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1988، ص 430.
- Pineau Christian, 1956 Suez, Ed Robert Laffont, Paris 1976, p 16.44
- Lacouture Jean, L'Egypte en mouvement, éd Seuil, Paris 1962, p 99.45
- 46- شيمون بيريز، مرجع سابق، ص 74- 78.
- 47- المرجع نفسه، ص 84.
- 48- شكري القوتلي (1891- 1967)، رئيس سوريا مرتين 1943- 1949، و1955- 1958، يعد واحدا من أبرز دعاة الوحدة العربية في العصر الحديث، وهو أحد المندادين بالتحرر العربي، تنازل عن الحكم طواعية للزعيم جمال عبد الناصر عام 1958، وذلك من أجل وحدة سوريا مع مصر. للمزيد أنظر: عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص 489.
- 49- محمد حسنين هيكل، ملفات السويس، حرب الثلاثين سنة، الطبعة الأولى، مؤسسة الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة 1986، ص 252.
- 50- لطيفة محمد سليم، أزمة السويس 1954- 1957، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1996، ص 756.
- Laurens Henri, Le grand jeu : Orient Arabe et rivalités internationales, 51 Ed Armand Colin, Paris 1991, p 142.
- 52- محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص 253.
- Bar-Zohar Michel, Op.cit, p 339.53
- 54- رعوف عباس حامد، مرجع سابق، ص 353- 354.
- 55- جاك سوستيل (1912- 1990) حاكم عام على الجزائر من 1955 حتى 1956، اختلف مع ديغول وعاش في المنفى حتى 1969. أنظر: Bernard Ulimann, Jacques Soustelle, Ed, Plon, Paris 1995, p 78

- 56- إدموند ميشليه (1899- 1970) ديغولي التوجه، تقلب في عدة مناصب وزارية، آخرها وزارة الشؤون الثقافية خلفاً لأندري مالرو عام 1969. للمزيد أنظر: Constantin Melnik, Mille jours à Matignon, Ed, Grasset, Paris 1988, pp, 80-81.
- 57- ميشيل دوبريه (1912- 1996)، ديغولي التوجه، وضع دستور الجمهورية الخامسة، وأول رئيس حكومة عام 1959 ثم وزير الخارجية في حكومة كوف دي مورفيل عام 1968، بقي في الحكومة بعد رحيل ديغول حتى عام 1973. أنظر: Jean-François Sirinelli, La France de 1914 à nos jours, PUF, Paris 1993, p 322.
- 58- Carrefour, 14 novembre 1956.
- 59- Touchard Jean, Le Gaullisme, Ed, Le Seuil, Paris 1978, p 489.
- 60- Tournoux Jean-Raymond, La tragédie du général, Ed, Plon, Paris 1967, pp 214-215.
- 61- Debu-Bridel Jacques, De Gaulle contestataire, Ed, Plon, Paris 1970, p 131.
- 62- فرنسوا ميتران (1916- 1996)، رجل سياسي فرنسي، شغل منصب رئيس الجمهورية الفرنسية فترتين بين عامي 1981- 1995، كان ينتمي إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي حيث شغل منصب الأمين العام. للمزيد انظر: Jean-François Sirinelli, Op-cit, pp 787-793.
- 63- لطيفة محمد سليم، مرجع سابق، ص 756.

المصادر والمراجع

أولا الوثائق:

أ- المنشورة بالعربية:

1. وزارة الإرشاد القومي، ملف وثائق فلسطينية، ج2، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة 1969.

ب- بالفرنسية:

- 1- Commission de conciliation des Nations-Unis pour la Palestine, Troisième rapport au secrétaire général des Nations Unis sur l'évolution de la situation (pour période qui s'étend du 9 novembre au 8 juin 1949 inclus), 13 pages.

ج- مذكرات شخصية بالعربية:

- 1- شيمون بيريز، مذكرات: حروبنا مع العرب، تر/ صوت البلاد، ط1، مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر، دبي 1986.

ثانيا الرسائل الجامعية بالفرنسية:

Thèses:

- 1- Bar-Zohar Michel, Les Relations entre la France et Israël 1948-1961, Thèse de doctorat de Recherche, Fondation Nationale des Sciences Politiques, Paris 1963.
- 2- Gad Mohamed El Sayed, Les relations franco-égyptiennes et le conflit israélo-arabe 1956-1970, doctorat en sciences politiques, Université de Nice 1999.
- 3- Gilles Morin, Guy Mollet, de l'opposition à la guerre d'Algérie au PSA, thèse de doctorat, Paris1, 1992.

ثالثا الدوريات:

أ- المجلات العربية:

- 1- الأقرع زاهي، "العلاقات الفرنسية- الإسرائيلية 1956 - 1967"، مجلة شؤون فلسطينية، الأعداد 78 - 98 - 105، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، ماي 1978.
- 2- علي الحاج، سياسات الاتحاد الأوروبي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2005.
- 3- مجلة السياسة الأسبوعية، القاهرة، 20 ماي 1948.
- 4- ناصر كمال، "التسوية الدولية لأزمة الشرق الأوسط"، مجلة شؤون فلسطينية، عدد 22، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، جوان 1973.

Périodiques:

1. Etudes Palestiniennes, Samir Kassir et Farouk Mardam-Bey, « Itinéraires de Paris à Jérusalem-la France et le conflit israélo-arabe », tome1, Beyrouth 1992.
2. Politique étrangère, Léonard Binder, « Les Etats-Unis et la France et le conflit israélo-arabe », vol 36, n°5-6, Paris 1971.
3. Revue d'Espoir, Sylvie Crosbie, « Une tacite alliance: France et Israël à la guerre des six jours », n° 45, Paris, novembre 1976.
4. Témoignage Chrétien, Claude Bourdet, « La politique arabe de la France à l'heure de la vérité », Paris, 15 janvier 1970.

Quotidiens :

- 1- Carrefour, 14 novembre 1956.

رابعا المراجع بالعربية:

1. الحاج علي، سياسات الاتحاد الأوروبي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2005.
2. حماد خيري، التطورات الأخيرة في القضية الفلسطينية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1964.
3. محمد سليم لطيفة، أزمة السويس 1954 - 1957، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1996.

4. عباس حامد رءوف، حرب السويس بعد أربعين عاما، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، القاهرة 1996.
5. عبد العزيز عمر عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت 1975.
6. لبيب أحمد، قناة السويس في العلاقات الدولية، القاهرة 1988.
7. مهنا محمد نصر، مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي 1945 - 1967، دار المعارف، القاهرة 1979.
8. نيفين مسعد، الصهيونية وجماعة الضغط في فرنسا، دار مدبولي، القاهرة 1983.
9. محمد حسنين هيكل، ملفات السويس، حرب الثلاثين سنة، الطبعة الأولى، مؤسسة الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة 1986.

بالفرنسية

Ouvrages:

1. Barnavi Elie, Une histoire moderne d'Israël, 2eme Ed Flammarion, Paris 1988,
2. Débu-Bridel Jacques, de Gaulle contestataire, Ed, Plon, Paris 1970.
3. Grant Robert Paul, Les querelles franco-américaines et le conflit israélo-arabe, IEP, Paris 1983.
4. Grosser Alfred, Affaires extérieures : La politique de la France 1944-1984, éd Flammarion, Paris 1984.
5. Lacouture Jean, L'Egypte en mouvement, éd Seuil, Paris 1962.
6. Laurens Henri, Le grand jeu : Orient Arabe et rivalités internationales, éd Armand Colin, Paris 1991.
7. Roderson Maxime, Israël et le refus arabe, éd Seuil, Paris 1968.
8. Pineau Christian, 1956 Suez, Ed Robert Laffont, Paris 1976.
9. Serryn Pierre & Blasselle René, Géographique et Historique, Atlas Bordas, Paris 1989.
10. Sirinelli Jean-François, Dictionnaire de la vie politique française au XXe siècle, Quadriga, PUF, Paris 1995.
11. Touchard Jean, Le Gaullisme, Ed, Le Seuil, Paris 1978.
12. Tournoux Jean-Raymond, La tragédie du général, Ed, Plon, Paris 1967.
13. Tsilla Hersheo, Entre Paris et Tel-Aviv, La France le sionisme et la création de l'état d'Israël 1945-1949, éd Champion, Paris 2000.

خامسا الموسوعات:

- 1- الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول، الجزء الثالث، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق 1990.
- 2- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، الجزء السادس، دار النهضة العربية، بيروت 1982.
- 3- الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول، الجزء الثالث، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق 1990.

Instructions aux auteurs

Soumission d'un article

Soumission recommandée (électronique) via le courrier électronique de la section de domaine relatif au sujet de manuscrit. Lors de la soumission, il est demandé aux auteurs de proposer une liste d'au moins deux spécialistes susceptibles d'expertiser le travail et d'y joindre leurs adresses électroniques et leurs affiliations.

Il est recommandé ainsi de faire joindre à l'article soumis, une lettre d'accompagnement, où il est mentionné que le travail soumis a été approuvé par tous les auteurs et qu'il n'a pas été soumis à une autre revue.

Préparation de manuscrit

Les articles soumis à la revue « ELWAHAT » pour les Recherches et les Etudes, peuvent être rédigés en anglais, en français ou en arabe et doivent comporter obligatoirement un résumé en français ou en arabe et un autre résumé en anglais. Le résumé doit être suffisamment clair et informatif pour permettre la compréhension du sujet sans lire l'article entier. Le résumé comporte au maximum 200 mots. Cinq à sept mots-clés bien adaptés pour indexer le manuscrit.

- Les manuscrits doivent contenir quatre parties: Introduction, Matériel et méthodes, Résultats et Discussion, et Conclusion (facultatif) (police 12 gras). Les manuscrites ne doivent pas dépasser 15 pages ou 3000 mots (excluant les références, les tableaux et les légendes des figures).

La longueur des textes comportant de nombreuses références ne devrait pas dépasser 40000 signes (espaces compris). Les manuscrits soumis en ligne à la revue, passent par plusieurs étapes successives:

- Vérification de la conformité du manuscrit (lettre d'accompagnement, «anonymisation» du texte, résumés bilingues, etc.);
- Vérification de conformité à la ligne éditoriale de la revue et d'originalité des résultats;
- Evaluation anonyme par au moins deux experts choisis parmi ceux qui sont proposés par les auteurs et par les membres du comité de rédaction.

Le manuscrit doit être écrit en police : New Time Roman et comporte les éléments sous cités qui vont être regroupés dans un seul fichier rendu anonyme et qui se présentent comme suit:

Sur la première page :

- Le titre de manuscrit en français ou en arabe et en anglais (20 mots au maximum ; police 14 gras);
- Les noms, les affiliations, et les références des auteurs ainsi que l'adresse postale et l'adresse électronique du premier auteur et/ou de l'auteur correspondant (police 11 gras) ;

- Un résumé en français ou en arabe et un abstract en anglais de 300 mots maximum chacun (police 12);
- Cinq à sept mots clés, en français ou en arabe et en anglais, extraits du thésaurus (police 12);
- Puis le texte intégral au format MS. Word (fichier .doc(x) ou rtf) avec illustrations. Les tableaux, les photos et les figures (illustrations) seront appelés dans le corps du texte (police 12);
- Une liste de références bibliographiques soigneusement choisies, récentes et accessibles aux lecteurs, selon les normes suivantes:

Références bibliographiques

Les références bibliographiques sont présentées par le nom de l'auteur ou des auteurs (sans prénom (s)) suivi d'une virgule, puis de l'année de publication. Selon leur position dans le texte sont à présenter comme suivant:

- Un seul auteur : texte (auteur, année de publication) texte...
- deux auteurs : texte (auteur1 et auteur2, année de publication) texte...
- plus de deux auteurs : texte (auteur1 *et al.*, année de publication) texte...

ou: Selon auteur (année de publication) texte... ; selon auteur1 et auteur2 (année de publication) texte... ; selon auteur1 *et al.* (année de publication) texte...

Dans le cas de plusieurs citations d'auteurs- année de publication, il est recommandé des séparations par un point-virgule.

(auteur, année de publication ; auteur et auteur, année de publication ; auteur *et al.*, année de publication).

Si un auteur donné ou plusieurs mêmes auteurs ont publié la même année, ajouter les lettres a, b, c, etc. après l'année de publication. Auteur (s), année de publication a, b, c, etc.

Dans la liste bibliographique, les références seront classées dans l'ordre alphabétique des noms des premiers auteurs. Tous les auteurs doivent être mentionnés.

Exemples de structuration

Livre : Bruneton J., 1996.- *Plantes toxiques: Végétaux dangereux pour l'homme et les animaux*. Ed. Lavoisier, Paris, 687 p.

Thèse : Pibiri M. C., 2005.- *Assainissement microbiologique de l'air et des systèmes de ventilation au moyen d'huiles essentielles*. Thèse de doctorat, Ecole Polytechnique Fédérale de Lausanne, 160 p.

Article : Schoonhoven L. M. et Derksen-Koppers I., 1976.- Effects of some allelochemicals on food uptake and survival of a polyphagous aphid, *Myzus persicae*. *Entomologia Experimentalis et Applicata*, vol. 19 (1): 52-56.